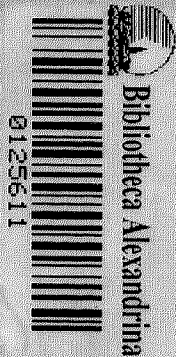


الكنوز الجارية هاشية

المحدثون في مصر والأزهر

وكورهم في إحياء السنة النبوية الشريفة



الأزهر

مكتبة الأزهر

المحدثون فى مصر والأزهر

ودورهم فى إحياء السنة النبوية الشريفة

تأليف

أ . د . الحسينى عبدالمجيد هاشم أ . د . أحمد عمر هاشم
وكيل الأزهر السابق نائب رئيس جامعة الأزهر

الناشر
مكتبة غريب
٢٠١ شارع كامل صدقي (المنجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

قال الله تعالى :

وَمَاءِ الْيَمِّ الْمَخْضُ وَالرَّسُولُ فَخْذُهُ وَمَنْ يَنْهَكُكُمْ عَنْهُ فَانْهَوا

صدق الله العظيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين - أما بعد .

فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب : « المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في احياء السنة النبوية » ، وقد أكملت في هذه الطبعة تراجم بعض المحدثين من اعلام مصر والأزهر الذين فاتنا في الطبعة الأولى أن نذكرهم ، فرأيت أن أضيف تراجم أخرى إلى تراجم هؤلاء المحدثين جزاءهم الله تعالى خير الجزاء على ما قدموه من جهود مباركة في خدمة السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام . .

وتأتى هذه الطبعة بمزيد من التصحيحات والتصويبات والأضافات، التي رأيت أن فيها إبرازاً لجوانب هامة في هذا الموضوع العظيم .

كما نوهت في هذه الطبعة بأمر هام يتصل بالمحدثين وآثارهم الباقية حتى يومنا هذا ، وذلك عن طريق مقارئة الحديث النبوى ، التي كانت تقام في مصر ، كمقارئة القرآن الكريم ، عناية بالأصلين الكريمين : القرآن والسنة .

وأسأل الله تعالى أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقنا لخدمة الكتاب والسنة إنه سميع قريب وبالله التوفيق .

د . أحمد عمر هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد .

فقد شاء الله تعالى للفتوح الإسلامية أن تتوالى ، وأن تتسع فتم فتح مصر سنة عشرين من الهجرة كما فتح غيرها من الأقطار والمدن الإسلامية ، ودخل كثير من أهل هذه البلاد في الإسلام ، فأرسل الخلفاء إليهم من الصحابة ، من يعلمهم ويفقههم ومن الصحابة من رحل إلى تلك الأقطار معلما وموجها ، ومنهم من استوطن هناك حتى توفي .

وفي كل قطر إسلامي نزل فيه الصحابة كان يلتف حولهم طلاب العلم والحديث النبوي . فتخرج على أيديهم في كل مكان طبقة من التابعين ، كونوا مدارس للحديث الشريف لم تكن على مانحن عليه الآن ، ولكنها في بساطتها كانت أكثر تحصيلًا وتطبيقًا وإشراة ونورا وكانت المساجد آنئذ هي ملتقى شيوخهم ، يجتمعون بهم ويحدثونهم ويفقهونهم حتى نهض في كل قطر جيل من التابعين كانوا حماة للسنة النبوية المطهرة ، وحملوا لمشاعل النور والهداية ثم تتابعت الأجيال من أتباع التابعين والأئمة وعلما المسلمين وكان لمصر شرف استقبال الصحابة الذين عاشوا فيها ونشروا الإسلام والسنن بين أرجائها ، وقامت بها حلقات الحديث والعلم في مساجدها . إلى أن أشرق في مصر « الجامع الأزهر » الذي أسس في جمادى من عام ٣٥٩هـ .

وقد أدى المسلمون فيه أول جمعة في رمضان ٣٦١هـ حيث تم بناؤه منذ ذلك الحين ، ولئن كان تاريخ الحلقات في جنباته وبين أروقته قد بدأ في القرن الرابع الهجري ، إلا أن أصوله تبدأ منذ الفتح الإسلامي لمصر حيث نزل الصحابة سنة عشرين وقام عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره من الذين سندكرهم بعد من الصحابة فَرَوَوْا الأحاديث ونشروا العلم وكونوا طلائع جيل المحدثين في مصر .

ولذا يعتبر تاريخ الأزهر بحق موصولا بهذا الجيل فقد انتقلت النهضة العلمية من جامع عمرو بن العاص إلى الأزهر وكان لجامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون أدوار متعاقبة مترابطة في خدمة الثقافة الإسلامية ونشر الحديث النبوي .

وما أن نهض الأزهر في القرن الرابع الهجرى قلعة حصينة للإسلام وعلومه ، وللسنة النبوية ، إلا وتلقف أعظم تراث في الوجود بعد أن كادت تطيح به هجمات التتار الشرسة فحافظ على الإسلام وعلومه ، وفتح الأزهر أبوابه لكل طالب من طلاب العلم والشرعية ، فحلقات الدروس مفتوحة لكل مسلم لاتقتصر على أحد دون أحد ، ولا على قطر دون قطر . فهي تضم جميع أبناء المسلمين من سائر أنحاء العالم الإسلامى ، وقامت حوله الأروقة التى تتمثل فيها سائر الدول والأقطار الإسلامية لأن رسالته عالمية تستمد عالميتها من عالمية الإسلام وسنقدم فى هذا الكتاب - بعون الله وتوفيقه - لمحات لدراسة أشهر المحدثين المصريين ، ليقف القراء على دور مصر والأزهر فى خدمة الحديث النبوى بصفة خاصة وخدمة الثقافة الإسلامية الأصيلة بصفة عامة انتصاراً للإسلام ، وتجلية لجهود سلفنا وعلماء هذه القلعة الحصينة : « الأزهر الشريف » .

فجزاهم الله تعالى خير الجزاء . . ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة الإسلام وعلومه ، والدفاع عن سنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

المؤلفان

القرن الأول الهجري

مصرفى القرآن والسنة

تمهيد مصر فى القرآن والسنة

لقد ذكر الله تعالى مصر فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، منها ما هو صريح اللفظ ومنها ما دلت عليه القرائن .

فأما صريح اللفظ فممنه .

قوله تعالى : « اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَلَتُمْ ^(١) » وقوله تعالى : « وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ^(٢) » وقوله سبحانه مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام « ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ^(٣) » وأما ما دلت عليه القرائن فكقوله تعالى مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام :

« اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْم » ومن فضائل مصر جبلها المقدس ، ونيلها المبارك وبها الطور الذى كلم الله نبيه موسى عليه السلام عليه وبها الوادى المقدس ، وبها فلق الله البحر لموسى ، وبها ولد موسى وهارون ولقمان وكان بمصر إبراهيم الخليل وإسماعيل ويعقوب ويوسف وبها الأزهر المعمور وحسب مصر وأهلها كرامة واعتزازا وفضلا وصية رسول الله ﷺ ، التى جاءت بها السنة النبوية حيث يوصى بأهلها لأن لهم ذمة ورحما :

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه قال : حدثنى أبو الطاهر أخبرنا ابن وهب أخبرنى حرملة - ح - وحدثنى هارون ابن سعيد الأيل ، حدثنا بن وهب حدثنى حرملة « وهو ابن عمران التجيبى » عن عبدالرحمن بن شماسه المهرى قال : سمعت أبا ذر يقول :

قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما . . . » وروى هذا الحديث مسلم أيضا برواية أخرى بلفظ : « إنكم ستفتحون

(١) البقرة ٦١ .

(٢) يونس ٨٧ .

(٣) يوسف ٩٩ .

مصر» والمراد بالقيراط المذكور في الحديث جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما ، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به ، وأما الذمة فهي الحرمة والحق ، وهى هنا بمعنى الدمام ، وأما الرحم : فلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم وفي الرواية الثانية « فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما أو قال : ذمة وصهرا » .

وأخرج ابن عبدالحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض » فقال أبو بكر : ولم يارسول الله ؟

قال : « لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة » .

من أشهر الصحابة الذين نزلوا مصر

دخل مصر من صحابة رسول الله ﷺ عدد كثير ، وقد كان لهم أكبر الأثر في تخريج جيل من بعدهم من التابعين ثم أتباع التابعين وهكذا . .

حيث تسلسلت الروايات الحديثية عنهم ، وروى التابعون عنهم كما روى أتباع التابعين عن التابعين وهكذا ، مما كان له أكبر الأثر في اضاءة الحياة الإسلامية في مصر بنور العلم والحديث منذ الفتح الإسلامي إلى أن قام الأزهر الشريف بعلمائه الأعلام الذين تسلسلت مروياتهم وتأثرت معارفهم وانتقلت عن طريق ثابت صحيح .

وقد خص بعض العلماء الصحابة الذين نزلوا مصر بالتأليف مثل السيوطي في كتابه « در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة » وسنبدأ بالمكثرين منهم لرواية الحديث حيث نخصهم بترجمة خاصة ثم نترجم لباقي الصحابة إن شاء الله تعالى .

فترجم أولا : لعبدالله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنها - وقد شهد عبدالله بن عمر فتح مصر ، وكانت له آثاره ومروياته وأصح الأسانيد إليه كما عدها بعض العلماء :

« مالك عن نافع عن ابن عمر » وهى السلسلة التى أطلق العلماء عليها اسم السلسلة الذهبية فى الاسناد .

ثم نترجم ثانيا : لعبدالله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنها - الذى أقام بمصر بعد الفتح ، وكان من أكثر الصحابة رواية للحديث حيث كان يكتب ما يسمعه من الرسول ﷺ

عبد الله بن عمر بن الخطاب

نسبه : عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى وأمه زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحي أخت عثمان بن مظعون .

ولد في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث وأسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم .

● مشاهده

عرض على رسول الله ﷺ وهو بن أربع عشرة في أحد فلم يجزه وعرض عليه في الخندق فأجازه وهو أول مشاهد شاهده - وشهد غزوة مؤتة واليرموك وفتح مصر وأفريقية وقدم إلى فارس غازيا . وهكذا نرى أن نشاطه الحربي كان عظيما حيث خاض أعنف المعارك وأبلغها في حياة الإسلام والمسلمين ولاغرو أن أضافت تلك الأجداد الحربية إليه مكانة في النفوس .

● علمه

كان من النجباء الفاهمين من فيض النبوة واستفاد من جو الرسالة وحضر كثيرا من المجالس النبوية الشريفة وفي أحد المجالس قال النبي ﷺ لأصحابه (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحذثوني ما هي ؟ قال عبدالله فوقع في نفسي أنها النخلة - ووقع الناس في شجر البوادي . ثم قالوا : ما هي يا رسول الله ؟ قال : النخلة - فلما عرف عمر استحياؤه عن الاجابة لصغره قال له (وددت لو قلتها ولا أملك كذا وكذا تشجيعا له) .

وكان دقيق العلم خالص الورع محافظا على السنة روى مالك في الموطأ عن نافع وعبدالله بن دينار أنها أخبراه أن عبدالله بن عمر قدم الكوفة على سعد بن أبي وقاص وهو أميرها فرآه عبدالله بن عمر يمسح على الخفين فأذكر ذلك عليه فقال : أسألت أباك ؟ فقال : لا فسأله عبدالله فقال عمر : إذا أدخلت رجليك في الخفين وهما طاهرتان فامسح عليهما - قال عبدالله وإن جاء أحدنا من الغائط قال عمر : نعم وإن جاء أحدكم من الغائط - ومناقشته مع الصحابة للتعلم أو التعليم كثيرة مشهورة .

● شجاعته في الحق

لما فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لابنه عبدالله ألفين وخمسمائة قال له : يا أبت : لم تفرض لأسامة ثلاثة آلاف ولى ألفين وخمسمائة والله ما شهد أسامة مشهدا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدا غاب عنه أبي قال : صدقت يا بني ولكني أشهد لأبيه كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك وهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك . وعلق الحاكم على ذلك بقوله : فشهد له عمر بأنه لا ينাম من الليل إلا قليلا .

● عبادته وورعه

عن نافع عن ابن عمر أنه كان يحبى الليل صلاة ثم يقول : يانافع أسحرنا ؟ فأقول : لا فيعاود الصلاة ثم يقول يانافع أسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح . وكان شديد الاحتياط والتوقى لدينه اشتهر بذلك بين الصحابة فعن جابر رضى الله عنه قال . مامنا أحد أدرك الدنيا إلا قد مالت به ومال بها إلا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما . وعنه أيضا قال : إذا سرکم أن تنظروا إلى أصحاب محمد ﷺ لم يغيروا ولم يبدلوا فانظروا إلى ابن عمر . .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : مارأيت أحدا ألزم للأمر الأول من ابن عمر .

وعن نافع قال : إن كان ابن عمر ليقسم فى المجلس ثلاثين ألفا ثم يأتى عليه شهر ما يأكل فيه مزعة لحم .

وكان بعد رسول الله ﷺ يكثُر الحج والتصدق حتى استغل رقيقه حبه الانفاق فكان أحدهم ربما لازم المسجد فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقال له : إنهم يخذعونك فيقول : من خدعنا بالله انخدعنا له . وكان إذا قرأ هذه الآية :

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ^(١)) بكى حتى يغلبه البكاء . . وكان إذا ذكر أمامه رسول الله ﷺ بكى . . وسئل عنه نافع : ما كان يصنع فى منزله قال : الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينها . . فلا غرو إذا عقدت المقارنة بينه وبين أبيه .

وتوفى عبد الله بن عمر وما فى زمانه من يشبهه : قال : أخذ النبى ﷺ بمنكبي وقال : كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل . وكان يقول : إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . .

وروى عن رسول الله ﷺ قوله : ماحق امرىء مسلم له شىء يوصى فيه ببيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده . وفى رواية ثلاث ليال ثم قال : مامرت على ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندى وصيتى . . فيالله لتلك النفوس الطاهرة التى باعت الدنيا بالآخرة وحرصت على العمل أكثر من حرصها على العلم فكتبت لهم السيادة وتحققت لهم العزة فى الدنيا والفوز فى الآخرة .

ابن عمر راويا وفقها

كان متشددا فى الرواية حريصا على أداء ماسمع كما سمع بلا زيادة ولا نقص ، فعن أبى جعفر قال : لم يكن أحد من أصحاب النبى ﷺ إذا سمع عن رسول الله ﷺ حديثا أحذر أن

(١) سورة الحديد ٢١.

لايزيد فيه ولا ينقص من ابن عمر . . وعن مالك ؛ قال لى ابن شهاب : لاتعدلن عن رأى ابن عمر فإنه أقام بعد رسول الله سنة فلم يخف عليه شىء من أمر رسول الله ﷺ ولا من أمر أصحابه .

وقد نقل صاحب الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد نماذج من فتاواه اخترنا منها ما روى عن ابن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر رضى الله عنها : يا أبا عبد الرحمن رأيتك تصنع أربعاً لم أر من أصحابك من يصنعها . قال : ما هن يا ابن جريج ؟ قال : رأيتك لاتمس من الأركان إلا البيانيين ، ورأيتك تلبس النعال السبتية ، ورأيتك تصبغ بالصفرة ، ورأيتك إذا كنت بمكة أهل الناس إذا رأوا الهلال ولم تهل أنت حتى يكون يوم التروية . .

فقال عبدالله : أما الأركان فإنى لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا البيانيين . .

وأما النعال السبتية فإنى رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها فأنا أحب أن أكسيها . .

وأما الصفرة فإنى رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها فأنا أحب أن أصبغ بها .

وأما الإهلال فإنى لم أر رسول الله ﷺ يهل حتى تنبعث به ناقته . .

والناظر فى كتب السنة يجدها مشحونة برواياته وآرائه وفتاويه ومواقفه المحموده حتى إنه كان كثيراً مايقول لا أدرى إذا سئل خوفاً من أن يقول فى الدين بالرأى أو تجره الأسئلة إلى القول بغير علم .

● وفاته

حكى مولى له قال : إنه أنكر على الحجاج بن يوسف أفاعيله فى قتل ابن الزبير وقام إليه فأسمعه فقال الحجاج اسكت يا شيخ قد خرفت فلما تفرقوا أمر الحجاج رجلاً من أهل الشام فضربه بحربة فى رجله ثم دخل عليه الحجاج يعوده فقال : لو أعلم الذى أصابك - لضربت عنقه فقال : أنت الذى أصبتنى . قال : كيف ؟ قال : يوم أدخلت حرم الله السلاح . ووصى ابنه سالماً أن يدفنه خارجاً من الحرم فلم يقدر فدفن بالحرم فى مقبرة المهاجرين . وكان ذلك فى سنة أربع وسبعين من الهجرة وهو يوم مات ابن أربع وثمانين سنة .

● آثاره ورواياته

روى عن النبى ﷺ فأكثر وعن أبى بكر وعمر وعثمان وأبى ذر ومعاذ بن جبل ورافع بن خديج وأبى هريرة وعائشة .

وروى عنه ابن عباس وجابر وغيرهما من الصحابة ومن التابعين بنوه سالم وعبدالله وحزمة وبلال وزيد وعبدالله ومصعب بن المسيب « وأسلم مولى عمر ونافع موله ، وخلق كثير، وعده ابن حزم

من أكثر الصحابة فتيا مطلقا . وعدوه من المكثرين في الحديث فقد روى عنه ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثا . ومن أصح الأسانيد إليه بل لقد عدّها بعض العلماء أصح الأسانيد على الإطلاق مالك عن نافع عن ابن عمر وقيل الزهري عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر .

● ثناء العلماء عليه

عن حذيفة قال : لقد تركنا رسول الله ﷺ يوم توفى ومامنّا أحد إلا وتغير عما كان عليه إلا عمر وعبدالله بن عمر رضى الله عنهما .

وعن سعيد بن المسيب قال : لو شهدت على أحد أنه من أهل الجنة لشهدت على ابن عمر . وعنه أيضا : كان ابن عمر حين مات خيرا من بقي ، وعن طاوس : مارأيت رجلا أروع من ابن عمر بل قال عبدالله بن مسعود : إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبدالله بن عمر .

رحم الله ابن عمر كان علما من أعلام الإسلام في السلم والحرب وفي مواقف الجد وفي مواقف الحزم وفي مواقف الورع ، ووفقنا الله إلى الاقتداء به وأمثاله والسير على نهجهم إلى يوم الدين .

عبدالله بن عمرو بن العاص

هو أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي عرف بكثرة روايته للحديث النبوي ، لأنه كان يكتب . وكان رضى الله عنه يكتب كل شئ يسمعه من رسول الله ﷺ ، فنهته الصحابة عن ذلك وقالوا له : إن النبي ﷺ يتكلم في الرضا والغضب فلا تكتب كل ما تسمع ، فسأل النبي ﷺ عن ذلك فقال له الرسول ﷺ :

« فوالذي نفسي بيده ماخرج منها إلا حق » يعنى شفتيه .

وروى ابن سعد عن مجاهد أنه قال : رأيت عند عبدالله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألتها عنها فقال : هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد .
ونلق بعض الضوء على هذه الصحيفة الصادقة التي هى من أشهر الصحف المدونة في العهد النبوي .

● أشهر الصحف المدونة في العهد النبوي

من أشهر الصحف التي دوت وكتبت في العهد النبوي ، صحيفة عبدالله بن عمرو بن العاص ، ولهذه الصحيفة أهمية علمية بالغة ، إذ أنها تعتبر من أهم الوثائق التاريخية للدلالة على كتابة الحديث بين يدي رسول الله ﷺ بإذنه فقد كان ابن عمرو أول من كتب الحديث بين يدي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

ويزيد من أهمية هذه الصحيفة ما ذكره ابن الأثير في « أسد الغابة » من أنها تضم ألف حديث ، وأن صاحبها متقدم الإسلام ، وقد توفر له من أسباب التحمل وكثرة الرواية ما لم يتوفر لغيره .

ولذا فقد جمع بين حفظ الحديث في قلبه ، وكتابته في الصحف ، يقول أبوهريرة رضى الله عنه : « ما كان أحد أكثر حديثا عن رسول الله ﷺ منى إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » رواه البخارى . ولكثرة ما حفظ عبدالله بن عمرو وما تحمل ، فقد كان الكثير من الصحابة رضى الله عنهم يحرضون على السماع منه والأخذ عنه قالت عائشة رضى الله عنها لعروة بن الزبير : يا ابن أختي بلغنى أن عبدالله بن عمرو مَارَ بنا إلى الحج فالفقه فأسأله فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علما كثيرا .

وترجع كتابة عبدالله بن عمرو للحديث إلى إذن رسول الله ﷺ له في الكتابة ، فقد كان يحسن الكتابة ولا يلتبس عليه شيء ، وفيما رواه ابن سعد عن عبدالله بن عمرو أنه قال : استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعت منه فأذن لي فكتبت ، فكان عبدالله يسمى صحيفته تلك الصادقة .

وسبب تسمية هذه الصحيفة بالصادقة ، أنه كتبها عن رسول الله ﷺ مباشرة قال مجاهد : رأيت عند عبدالله بن عمرو بن العاص صحيفة فسألت عنها فقال : « هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد » رواه ابن سعد . وقد كان عبدالله يروى ويملى الحديث ، ولم تتحدث المصادر عن المنهج الذي كان يسير عليه في إملائه ، ولكن المعروف عنه وعن غيره من الصحابة أنهم كانوا في غاية الثبوت لما يروون سواء كان من الحفظ أم كان من الصحيفة الصادقة أم كان من غيرها .

وكان عبدالله بن عمرو يعتز بالصحيفة الصادقة ، لأنه أخذها وكتبها عن رسول الله ﷺ ليس بينه وبين رسول الله ﷺ أحد ، وكان يقول : ما يرغبني في الحياة إلا خصلتان : الصادقة والوهط ، فأما الصادقة فصحيفة كتبها عن رسول الله ﷺ ، وأما الوهط فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها .

وكان عبدالله بن عمرو يملئ الأحاديث على تلاميذه ومن يتلقون عنه السنة كما كان محافظا على صحيفته ، ويوليها أكبر العناية والصيانة خشية الضياع ، وقد حفظ أهله من بعده هذه الصحيفة ، وكان حفيده عمرو بن شعيب يحدث منها .

ومع كثرة ما تحمل عبدالله بن عمرو ، ومع أنه كان يكتب الحديث ، وأبو هريرة لا يكتب ، مع هذا نرى أن مارواه أبو هريرة أضعاف مارواه ابن عمرو ، مع أن الذي كان من المنتظر والمحتمل أن يكون العكس .

هذه حقيقة ، ولكننا إذا عرفنا أن بن عمرو كان اشتغاله بالعبادة أكثر من التعليم ، وأنه أقام بعد الفتوح في مصر بينما كان أبو هريرة في المدينة ، يتصدر للحديث . هذا إلى جانب ما حظى به أبو هريرة من دعوة رسول الله ﷺ له ألا ينسى ، إذا عرفنا هذا وقفنا على السبب في كثرة مرويات أبي هريرة على ابن عمرو رضي الله تعالى عنها .

وهكذا نزل كثير من صحابة رسول الله ﷺ وسلم مصر ، بعد الفتح الإسلامي ، وأشهر الصحابة عبدالله بن عمرو بن العاص الذي كان من أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله ﷺ ، حيث كان يمتاز عن غيره بكتابة ما يسمعه من الرسول ﷺ . كما نزل مصر عقبة بن عامر الجهني ، وخارجة بن حذافة ومعاذ وغيرهم .

وتعلم من هؤلاء الصحابة كثير من أهل البلاد وتخرج على أيديهم كثير من التابعين منهم أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني مفتي أهل مصر ، ومنهم يزيد بن أبي حبيب .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم قد انتشروا في الأقطار تبعا لاتساع الفتوح الإسلامية ، لينشروا أحكام الإسلام وسنة الرسول ﷺ وكان لزاما على أئمة الحديث بعد ذلك أن يتتبعوا السنة ليجمعوها من سائر الأقطار المختلفة التي انتشر فيه الصحابة ، وكان طريقهم في هذا إنما « هو الرحلة » في طلب السنة ، فشمروا عن ساعد الجد ، ورحلوا المسافات الواسعة ، وربما قام الواحد منهم برحلات عديدة حتى كان ينسب إلى أكثر من بلد فيقال عنه : المكي ثم المدني ثم الشامي ثم المصري وهكذا إشارة إلى أنه رحل إلى تلك البلاد المتعددة طلبا للحديث الشريف .

وكما كان للصحابة أثرهم في نقل السنن ونشرها فقد كان لهم أثر كبير آخر فيمن تخرج على أيديهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم . ولنلق بعض الأضواء على باقى الصحابة والتابعين ممن نزلوا مصر .

الصحابة الذين دخلوا مصر

● أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميري . صحابي . قال الرشاطي في الأنساب : وفد على النبي ﷺ ، ففرش له رداءه . وكان بالشام ، وكان يعد من الحكماء ، وله رواية .

وقع في مرآة الزمان ، عن الهيثم أن عمرو بن العاص بعثه إلى الفرما ، ففتحتها بعد ما فرغ من أمر القسوط .

● أبي بن عمار - بكسر العين ، وقيل بضمها . أحد من صلى للقبليتين ، ذكره ابن عبدالحكم فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال : لأهل مصر عنه حديث واحد ، ذكر ابن الكلبي أن أباه عمار أدرك خالد بن سنان ^(١) .

وقال المزني في التهذيب : مدني ، سكن مصر ، له صحبة وحديث في المسح على الخفين .

● إلياس بن البكير - ويقال ابن أبي البكير - بن عبدالميل بن ثابت ^(٢) الليثي . قال ابن الربيع : بدرى شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، أخبرني مقدم بن داود ، حدثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار ، أن رسول الله ﷺ قال : « من مات يوم الجمعة ، كتب الله له أجر شهيد ، ووقى فتنة القبر » .

وقال ابن يونس : شهد فتح مصر ، ومات سنة أربع وثلاثين . واستشهد أخوه عاقل ببدر ، وأخوه خالد يوم الرجيع ، وأخوه عامر باليمامة .

قال ابن إسحق : لا يعلم أربعة إخوة شهدوا بدرا غير إلياس وإخوته وهاجروا جميعا ^(٣) ،

● أيمن بن خريم - بالمعجمة ثم الرائ - بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدي .

قال المبرد في الكامل : له صحبة ^(٤) .

وقال المرزباني : يقال له صحبة ^(٥) .

(١) الإصابة : « ابن الكلبي عن أبيه ، أنه أدركه ، وأن أباه عمار » ابن عبدالحكم ٣١٠ .

(٢) الإصابة : « ناشب » .

(٣) الإصابة ١ : ١٠٠ .

(٤) الكامل ٣ : ٣٠ .

(٥) انظر فهرس معجم الشعراء للمرزباني ٥١٨ .

وقال ابن عبد البر : أسلم يوم الفتح وهو غلام يفعة ^(١) .
 وقال ابن السكن : يقال له صحبة . وأخرج له الترمذى حديثا عن النبى ﷺ واستغربه ،
 وقال : لانعرف لأيمن سماعا عن النبى ﷺ .
 وقال الصولى : كان أيمن يسمى خليل الخلفاء ، لإعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه .
 وكان به وضح يغيره بزعفران ، فكان عبد العزيز بن مروان - وهو أمير مصر - يؤاكله ، ويحتمل
 ما به من الوضع لإعجابه به ، كذا نقله فى الإصابة ، وهو صريح فى أنه كان بمصر .
 وقال المزى ^(٢) فى التهذيب : ذكره بن منده وغيره من الصحابة ، وكناه أبو عطية : الشاعر ،
 وقال : شامى مختلف فى صحبته .

ومن شعره فى قتل عثمان :

● أن الذين تولوا قتله سفها لقوا أثاما وخسرانا وماربحوا
 بسر - بضم أوله وسكون المهملة - بن أרטاه ، أو ابن أبى أרטاه . قال ابن حبان : وهو
 الصواب . وقال فى الإصابة : وهو الأصح .

واسم أبى أרטاه عمير بن عويمر القرشى العامرى أبو عبد الرحمن ، مختلف فى صحبته ،
 وصحح أن له صحبة أهل الشام وابن حبان والدارقطنى .
 قال ابن يونس : كان من أصحاب رسول الله ﷺ ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، وكان
 من شيعة معاوية ^(٣) شهد صفين معه ، وولى البحرين له ، ووسوس فى آخر أيامه .
 وقال ابن السكن : مات وهو خرف ^(٤) .
 وقال ابن حبان : كان يلى لمعاوية الأعمال ، وكان إذا دعا ربها استجيب له ^(٥) .
 وقال ابن الربيع وابن السكن : مات أيام معاوية بدمشق .

(١) الاستيعاب ١: ١٩٢ وفيه : « غلام يفاع ويقال « غلام يافع ورفعه ، إذا قارب العشرين .

(٢) فى الأصول : « المزنى » تحريف وهو الحافظ المزى يوسف بن عبد الرحمن القضاعى محدث الديار الشامية فى
 عصره ، وصاحب كتاب تهذيب الكمال فى أسماء الرجال .

(٣) بعدها فيما نقله ابن حجر فى الإصابة .

(٤) الإصابة : « ووسوس فى آخر أيامه » .

(٥) الإصابة ١: ١٥٢ .

وقال خليفة وابن حيان : مات في أيام عبد الملك بن مروان بالمدينة .

وقال المسعودي : مات في خلافة الوليد سنة ست وثمانين .

وقال الواقدي : ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين .

وقال يحيى بن معين : مات النبي ﷺ وهو صغير .

وقال ابن الربيع : ولأهل مصر عنه حديث واحد وحكاية . ثم روى من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ، قال : كان بسر إذا ركب البحر قال : أنت بحر وأنا بسر ، على وعليك الطاعة لله ، سيروا على بركة الله .

وقال المزي في التهذيب : لم يرو عن النبي ﷺ سوى حديثين : حديث : « لا تقطعوا الأيدي في الغزو » ^(١) ، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وحديث (في الدعاء ، أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ») ^(٢)

● تميم بن أوس بن حارثة الداري ، أبو رقية - بقاف مصغر - من مشاهير الصحابة ، أسلم سنة تسع ، هو وأخوه نعيم ، وذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال ، فحدث عنه النبي ﷺ بذلك على المنبر ، وعد ذلك من مناقبه ، وأورده أهل الحديث أصلاً لرواية الأكابر عن الأصاغر ، وكان نصرانياً من علماء أهل الكتاب .

وقال أبو نعيم : وكان راهب أهل عصره ، وعابد فلسطين ، وغزا مع النبي ﷺ . وهو أول من أسرج السراج في المسجد . وأول من قصص ، وذلك في خلافة عمر .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، وسكن فلسطين بعد قتل عثمان ، وكان النبي ﷺ أقطعه بها قرية عبنون ، مات سنة أربعين ^(٣) .

● ثابت بن الحارث - ويقال بن حارثة - الأنصاري قال الذهبي في التجريد : يعد في المصريين ، روى عنه الحارث بن يزيد .

وقال البغوي : لا أعلم له غير حديث واحد .

قال في الإصابة : بل له حديثان آخران ، والثلاثة من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عنه ^(٤) .

(١) الاستيعاب « المغازي » .

(٢) زيادة من الاستيعاب .

(٣) الإصابة ١ : ١٨٦ .

(٤) الإصابة ١ : ١٩٢ .

وقال الحسيني : مصرى شهد بدرا .

● جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري ، يكنى أبا عبدالله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد أحد المكثرين عن النبي ﷺ روى مسلم عنه أنه غزا مع النبي ﷺ تسع عشرة غزوة^(١) .

وفى مصنف وكيع ، عن هشام بن عروة ، قال : كان لجابر بن عبدالله حلة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم .

قال ابن الربيع : قدم مصر على عقبة بن عامر - ويقال على عبدالله بن أنيس - يسأله عن حديث القصاص ، وذلك في أيام مسلمة بن مخلد . ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث .

أخرج البخوي ، عن قتادة ، قال : كان آخر أصحاب النبي ﷺ موتا بالمدينة جابر ، بعد أن عمى .

قال ابن حبان : مات بعد أن عمى سنة ثمان وسبعين - وقيل سنة سبع ، وقيل سنة أربع ، وقيل سنة ثلاث وستين وقيل أنه عاش أربعاً وتسعين سنة .

- ذكر الحديث الذي رحل فيه جابر بن عبدالله إلى مصر :

قال ابن عبد الحكم : حدثنا عبدالله بن يوسف ، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز التنوخي : قال : قدم جابر بن عبدالله على مسلمة بن مخلد ، وهو أمير على مصر ، فقال له : أرسل إلى عقبة بن عامر الجهني حتى أسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه^(٢) .

وقال ابن الربيع : حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، حدثني عمي ابن وهب ، حدثني مد بن مسلم الطائفي ، عن القاسم بن عبد الواحد ، عن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي لب ، عن جابر بن عبدالله الأنصاري .

قال : كان عبدالله بن أنيس الجهني - وكان عداؤه في الأنصار - يحدث عن رسول الله ﷺ حديثاً في القصاص .

قال جابر بن عبدالله : فخرجت إلى السوق ، فاشتريت بعيراً ، ثم شددت عليه رحلاً ، ثم سرت إليه شهراً ، فلما قدمت عليه مصر ، سألت عنه ، حتى وقفت على بابه ، فسلمت ، فخرج إلى غلام أسود ، فقال : من أنت ؟ قلت : جابر بن عبدالله ، فدخل عليه فذكر ذلك ، فقال : ل له : أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فخرج الغلام ، فقال ذلك ، فقلت : نعم ، فخرج إلى لتزمني والتزمته فقال : ماجاء بك يا أخي ؟ قلت : حديث تحدث به عن رسول الله ﷺ في

(١) الإحصاءة ١ : ٢١٤ .

(٢) فتوح مصر ٢٧٥ .

القصاص ، لم يبق أحد يحدث به عن رسول الله غيرك ، أردت أن أسمعه منك قبل أن تموت أو أموت ، قال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ حَشَرَ اللَّهُ النَّاسَ حُفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا بُهِمَا ، ثُمَّ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ثُمَّ يُنَادِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بَعْدِ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قَرَبٍ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ الدِّيَانُ ، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ عِنْدَهُ مَظْلَمَةً ، حَتَّى لَطْمَةٍ بِيَدٍ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَكَيْفَ ، وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاءَ غُرْلًا ^(١) بُهِمَا ، قَالَ : مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، قَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ : مَا الْبُهِمُ ؟ قَالَ : سَأَلْتُ عَنْهَا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : الَّذِينَ لَا شَيْءَ مَعَهُمْ » .

قال ابن الربيع : وحدثننا على بن الحسن ، بن الربيع بن إسحاق ، عن أحمد بن يحيى بن دريد ، عن أبي نعيم ، عن ابن المبارك ، عن داود ، عن عبد الرحمن العطار ، عن القاسم بن عبد الواحد بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : سرت إلى عبد الله بن أنس وهو بمصر أسأله عن حديث ثم ذكره ^(٢) .

● الحارث بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ قال ابن عبد البر له رواية وأمه حجيبة بنت جندب الهلالية وقيل أم ولد غضب عليه أبوه العباس فطرده إلى الشام فسار إلى الزبير بمصر فقدم به الزبير على العباس وشفع له ، قاله ابن الكلبي وغيره ^(٣) .

● حاطب بن أبي بلتعة - بفتح الموحدة والفوقية والمهملة ولام ساكنة - بن عمرو بن عمير اللخمي . شهد بدرًا ، ودخل مصر رسولاً من النبي ﷺ إلى المقوقس ، ثم ورد عليه أيضاً رسولاً من أبي بكر . روى مسلم عن جابر ، أن عبدا لحاطب بن أبي بلتعة ، جاء يشكو حاطبا ، فقال : يا رسول الله ، ليدخلن حاطب النار ، فقال : « لا ، إنه شهد بدرًا والحديبية » مات سنة ثلاثين ، وله خمس وستون سنة .

قال ابن عبد البر : لأعلم له غير حديث واحد : « من رارني بعد موتي . . » الحديث ، ووجد له ثلاثة أحاديث غيره ^(٤) .

● حمزة بن عمرو الأسلمي المدني أبوصالح . وقيل : أبو محمد . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر .

(١) غرلا ، أى قلفا .

(٢) الاستيعاب ٢١٩ .

(٣) الاصابة ١ : ٣٦٦ .

(٤) الاصابة ١ : ٢٩٩ والاستيعاب ٣١٢ .

وفى التهذيب للمزى أنه الذى بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه . مات سنة إحدى وستين
وله إحدى وسبعون سنة . حديثه فى الصحيحين^(١) .

● حى - بتحتيتين مصغر - بن حرام الليثى قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه حديث واحد ،
وذكره ابن يونس فى تاريخ مصر ، وقال : له صحبة .

وقال ابن السكن : له صحبة ، عداة فى المصريين .

وقال القضاى فى الخطط : يقال أن له صحبة . وقال فى التجريد : نزل بالشام^(٢) .

● خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر العدوى . أحد الفرسان ، قيل : كان يعد بألف فارس ،
وهو من مسلمة الفتح ، وأمد به عمر عمرو بن العاص ، فشهد معه فتح مصر ، واختلط بها .
وكان على شروط عمرو بن العاص ، فحصل لعمرو ليلة مغص ، فاستخلفه على الصلاة ، فقتله
الخارجى الذى انتدب لقتل عمرو ، وهو يظنه عمرا ، وقال : أردت عمرا وأراد الله خارجة ،
وذلك ليلة قتل على بن أبى طالب ، وفيه يقول الشاعر :

فليتها إذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

له حديث واحد فى الوتر . قال ابن الربيع : لم يرو عنه غير المصريين .

قال فى المرأة ، وله من الولد : عبدالرحمن وأبان^(٣) .

● خرشة بن الحارث - ويقال له : بن الحر - المحاربى الأزدي . قال ابن السكن : له صحبة ،
نزل مصر .

وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة^(٤) .

وذكره ابن الربيع ، وقال : لأهل مصر عنه حديث واحد .

وقال فى التجريد : له وفادة ، وشهد فتح مصر .

وقال فى الإصابة : الراجح بن الحارث ، وأما خرشة بن الحر فرجل آخر تابعى ، وقد فرق
بينها البخارى وابن حبان .

(١) الاستيعاب ٣٧٥ .

(٢) الإصابة ١ : ٣٦٦ -

(٣) انظر الاستيعاب ٤١٨ ، والإصابة ١ : ٣٩٩ .

(٤) الإصابة ١ : ٤٢٢ -

وقال الحسيني في رجال السند : خرشة بن الحارث أبو الحارث المرادي ، نزل مصر ^(١) له
صحبة ورواية عند يزيد بن أبي حبيب .

● خزيمه بن الحارث مصرى له صحبة ، حديثه عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب
قاله ابن عبد البر وتبعه في التجريد .

قال في الإصابة : أظنه وهما نشأ عن تصحيف ، وإنما هو خرشة بن الحارث ^(٢) .

● دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي . من مشاهير الصحابة ، أول مشاهده الخندق .
وقيل أحد - وكان يضرب به المثل في حسن الصورة ، وكان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل على
صورته . روى العجلي في تاريخه ، عن عوانة بن الحكم قال : أجمل الناس من كان جبريل ينزل
على صورته .

وهو رسول النبي ﷺ إلى قيصر . قال ابن البرقي : له حديث عن النبي ﷺ .

وقال في الإصابة : اجتمع لنا عنه نحو ستة أحاديث ^(٣) . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ،
وقد نزل دمشق وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية .

● رشيد بن مالك أبو عميرة المزني - بفتح العين - من أصحاب النبي ﷺ ذكر في أهل مصر ،
ولأهل مصر عنه حديث .

قاله ابن الربيع وابن يونس ، وكذا في التجريد والإصابة ^(٤) .

● الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي أبو عبدالله . حواري رسول الله
ﷺ وابن عمته صفية ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد أعلام السادة السالفين البدرين ،
أسلم وله اثنتا عشرة سنة - وقيل ثمانى سنين - وهاجر المهجرتين .

قال عروة : وكان الزبير طويلا ، تخط رجلاه الأرض إذا ركب . أخرجه الزبير بن بكار .

وكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج ، وكان لا يدخل بيته شيء ، يتصدق به كله . أخرجه
يعقوب بن سفيان .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، واختط بها ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، قتل راجعا

(١) الإصابة ١ : ٤٢٦ .

(٢) الاستيعاب : ٤١٦ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠١ .

(٤) ١ : ٥٠٢ .

من وقعة الجمل بوادى السباع فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين ، وله ست أو سبع وستون سنة .

زياد بن الحارث الصدائى ، بضم المهملة . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . وقال فى التجريد : بايع ، وحديثه فى الأذان فى جامع الترمذى ، نزل بمصر . وقال البخارى : قال بعضهم : زياد بن حارثة ، وزياد بن الحارث أصح .

وقال ابن سعد : نزل بمصر ، روى عنه المصريون .

● زياد الغفارى ، قال فى التجريد تبعاً لابن عبد البر : مصرى له صحبة ، روى عنه يزيد بن نعيم .

وقال فى الإصابة : يعد فى أهل مصر ، أخرج حديثه ابن أبى خيثمة وابن السكن من طريق زيد بن عمرو ، عن يزيد بن نعيم : سمعت زياداً الغفارى على المنبر فى الفسطاط يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تقرب إلى الله شبراً تقرب إليه ذراعاً . . » الحديث ^(١) .

● السائب بن خلاد بن سويد الأنصارى . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وقدم على عقبة ، فاستذكره حديث : « من ستر عورة . . . » الذى رحل فيه السائب بن خلاد إلى مصر .

قال ابن عبد الحكم : ذكر يحيى بن حسان ، عن ابن لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، قال : إن السائب بن خلاد الأنصارى قدم على عقبة بن عامر الجهنى ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يذكر فى الستر شيئاً ؟ فقال عقبة : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ » فقال : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؛ قال : نعم ، قال : فراح . ولم يقدم من المدينة إلا لذلك أخرجه محمد بن الربيع الجيزى .

وحدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا يحيى بن أيوب ، عن عياش بن عباس القتبانى ، عن رجب بن عبد الله المعافرى ، قال : قدم رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار على مسلمة بن مخلد ، فألفاه نائماً ، فقال : أيقظوه ، فقالوا : بل تنزل حتى يستيقظ ، قال : لست فاعلاً ، فأيقظوا مسلمة ، فخرج مسلمة ، فقال : انزل : فقال : لا ، حتى ترسل إلى عقبة بن عامر ، فأرسل إليه فأتاه ، فقال : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(١) الإصابة ١ : ٥٢٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ : ٥٠٣ ، الإصابة ١ : ٥٣٨ .

(٣) الاستيعاب ٥٣٤ .

(٤) الإصابة ١ : ٥٤١ .

(٥) فتوح مصر ٢٧٥ .

(٦) من فتوح مصر .

« مَنْ وَجَدَ مُسْلِمًا عَلَى عَوْرَةٍ فَسَتَرَهَا فَكَانَ أَحْيَا مَوَدَّةٍ مِنْ قَبْرِهَا » ؟ قال عقبة : قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك ^(١) .

وقال محمد بن الربيع : أخبرني يحيى بن عثمان بن صالح ، أنبأنا يوسف بن عبد الأعلى ، أخبرني عبد الجبار بن عمر ، أن مسلم بن أبي حرة ، حدثه عن رجل من أهل قباء ، أنه قدم مصر على مسلمة بن مخلد ، فضرب عليه الباب ، واستأذن عليه ، فخرج مسلمة إليه فقال : انزل ، فقال : لا ولكن أرسل معي إلى فلان - رجل من أصحاب النبي ﷺ ، قال : حسبت أنه قال : سرق - فذهب إليه في قرية ، فقال له : هل تذكر مجلسا كنت أنا وأنت فيه مع رسول الله ﷺ ، ليس معنا أحد غيرنا : فقال : نعم ، فقال : كيف سمعته يقول : ؟ قال سمعته يقول : « مَنْ أَطْلَعَ مِنْ أَخِيهِ عَلَى عَوْرَةٍ ثُمَّ سَتَرَهَا جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِجَابًا مِنَ النَّارِ » .

وقال : كنت أعرف ذلك ، ولكنني أوهمت ، فكرهت أن أحدث به على غير ماكان . ثم ركب على صدر راحلته ثم رجع .

● السائب الغفاري . ذكره ابن الربيع ، وقال لا يوقف له على حضور الفتح ، ولأهل مصر عنه حديث واحد من طريق ابن لهيعة ، عن أبي قبيل ، عن رجل من بني غفار ، حدثه أن أمه أتت به إلى رسول الله ﷺ وعليه تيممة ، قال : فقطع رسول الله ﷺ وسلم تيممتي ، وقال : ما اسم ابنك ؟ قالت : السائب ، فقال النبي ﷺ .

بل سميه بعبد الله فقلت : أتجيب بكليهما ؟ فقال : لا والله ، ما كنت لأجيب إلا على أسم رسول الله ﷺ الذي سماني ^(٢) .

● سفيان بن وهب الخولاني ، أو أيمن . له صحبة ورواية ووفادة . شهد حجة الوداع . وفتح مصر وأفريقية ، وسكن المغرب . قال ابن الربيع : لم يرو عنه غير أهل مصر فيما أعلم . ولهم عنده حديثان . مات سنة إحدى وتسعين .

● سندر أبو عبد الله - قيل : أبو الأسود - مولى زنياع الجذامي ، سكن مصر في خلافة عمر ، وأقطع بها منية الأصيص . قال ابن عبد الحكم : يقال سندرب بن سندر . والله أعلم بالصواب .

قال ابن أبي الربيع : لأهل مصر عنه حديثان ، ثم أوردهما ، وأحدهما من طريق يزيد بن

(١) فتح ٢٧٥ ، ونهاية الخبر هناك : « أخبرنا أبو حماد ، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . ولم يسم يحيى بن أيوب الرجل .

(٢) الاصابة ٢ : ١٢ .

(٣) الاصابة ٢ : ٥٦ .

أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط عن عبدالله بن سندو عن أبيه أنه كان عبداً لزنبايع . . الحديث ، وهذا تصريح بأن له أبناء ، فالظاهر أنه ولد له قبل الخصى ، فيكون صحابياً أيضاً^(١) .

● سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصارى الساعدى المدنى أبو العباس ، وقيل : أبو يحيى . قال ابن الربيع : قدم مصر بعد الفتح على مسلمة بن مخلد ، ولأهل مصر عنه أحاديث مات سنة إحدى وتسعين ، وقيل : سنة ثمان وثمانين ، وهو ابن مائة سنة ، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة^(٢) .

● شرحبيل بن حسنة - وهى أمه - واسم أبيه عبدالله بن المطاع الكندى . وقيل التميمى أبو عبدالله حليف بنى زهرة أحد أمراء أجناد الشام وهو من مهاجرة الحبشة . ذكره ابن عبد الحكم فيمن شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد ، لكن في تهذيب المزى أنه مات بالشام سنة ثمانى عشرة ، وهو ابن سبع وستين سنة ، وهذا يقدر فيما قاله ابن عبد الحكم .

● عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى أبو الوليد : شهد العقبتين وكان أحد النقباء ، وشهد بدرًا وسائر المشاهد ، وكان من سادات الصحابة .

وقال ابن الربيع شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه عشرة أحاديث . قال : ومات بفلسطين سنة أربع وثلاثين . وله اثنتان وسبعون سنة .

قال في التهذيب : مات بالشام في خلافة معاوية ، وأمّه أسلمت أيضاً وبابعت ، واسمها قرة العين بنت عباد بن فضالة الخزرجية ، وليس في الصحابييات من يسمى بهذا الاسم سواها^(٣) .

● عبدالله بن أنيس الجهنى - قال ابن الربيع : ويقال ابن أنيسة - أبو يحيى المدنى حليف الأنصار ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وأحداً وما بعدها من المشاهد ، ولقبه النبى ﷺ سرية وحده . نزل مصر ، ورحل إليه جابر بن عبدالله في حديث القصاص^(٤) مات في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين .

وفرق الذهبي في التجريد بين الثلاثة ، فذكر عبدالله بن أنيسة الجهنى حليف الأنصار ، وعبدالله بن أنيس السليمى ، وعبدالله بن أبى أنيس ، رحل إليه جابر في حديث القصاص فجعلهم ثلاثة^(٥) .

(١) الإصابة ٢ : ٨٣ .

(٢) الإصابة ٢ : ٨٧ .

(٣) تهذيب التهذيب ٥ : ١٦١ .

(٤) في الإصابة : قلت : وحديث جابر عند أحمد وغيره من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب عن جابر ، قال : بلغنى فى القصاص ، وصاحبه بغزة ، فرحلت إليه مسيرة شهر .

(٥) الإصابة ٢ : ٢٧٠ .

● عبدالله بن الحارث بن جزء بن عبدالله بن معد يكرب الزبيدي المذحجي . شهد فتح مصر واختط بها ، وسكنها ، وعمر بها دهرا . مات سنة ست أو سبع ، أو ثمان - وثمانين بعد أن عمى ، وهو آخر صحابي مات بها .

قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه عشرون حديثا^(١) .

● عبدالله بن حوالة الأزدي ، أبو حوالة . له صحبة ورواية . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد ، نزل الأردن سنة ثمان وخمسين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة^(٢) .

● عبدالله بن الزبير بن العوام ، أمير المؤمنين . أبوبكر وأبوخبيب . أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق . هاجرت به حملا ، فولدته بعد الهجرة بعشرين يوما . وهو أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة . وكان فصيحا ذا لسان وشجاعة ، وكان أطلس لا حية له .

● قال ابن الربيع : قدم مصر في خلافة عثمان ، وشهد أفريقية ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، بويج له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ، وغلب على أهل الحجاز واليمن والعراق ومصر وأكثر الشام . فأقام في الخلافة تسع سنين ، إلى أن قتله الحجاج سنة ثلاث وسبعين^(٣) .

● عبدالله بن سعد بن أبي سرح - واسمه حسام ، وقيل : عوف - بن الحارث القرشي العامري أبو يحيى . قال ابن سعد : أسلم قديما ، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي ثم افتتن ، وخرج من المدينة يريد مكة مرتدا ، فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح فجاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فاستأمنه فأمنه ، وكان أخاه من الرضاعة ، وسأل منه المبايعه ، فبايعه رسول الله ﷺ يومئذ على الإسلام ، وقال : الإسلام يجب ما قبله ، ولاه عثمان بن عفان مصر بعد عمرو بن العاص ، فنزلها وابتنى بها دارا ، فلم يزل واليا بها حتى قتل عثمان .

قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد ، ولم يرو عنه غير أهل مصر مات بعسقلان سنة سب وثلاثين ، والحديث الذي رواه في قصة أسكن حراء^(٤) .

● عبد الله بن سعد قال ابن سعد في الطبقات : رجل من أصحاب النبي ﷺ . سكن مصر ، له حديث في مؤاكلة الحائض^(٥) .

١، الاصابة ٢: ٢٨٢ .

٢، الاصابة ٢: ٢٩٢ .

٣، الاصابة ٢: ٣٠١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧: ٤٩٦ ، والاستيعاب ٩١٨ ، الاستيعاب ٩١٨ ، الاصابة ٢: ٣٠٨ قال : « وقال

البنوي : له عن النبي ﷺ حديث واحد وحرفه » .

(٥) طبقات ابن سعد ٧: ٥٠١ ، والحديث هناك : « سألت رسول الله ﷺ عن مؤاكلة الحائض ، فقال :

واكلها » .

● عبدالله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر واختط بها دار البركة ، ولهم عنه أحاديث . مات بمكة سنة ثلاث وسبعين ، - وقيل سنة أربع - وله من العمر أربع وثمانون سنة ، وقيل : سبعة وثمانون سنة ^(١) .

وقد سبق الكلام عليه . تفصيل .

● عبدالله بن هشام بن زهرة التيمي . جد زهرة بن سعيد . شهد فتح مصر ، وله خطة ، ولأهل مصر عنه حديث واحد ، وهو قول عمر : « لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ نَفْسِي . . » الحديث ، وله عنه حكايات .

وقال في التجريد : ولد سنة أربع ، وله رواية ^(٢) .

● عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق أبو محمد . شقيق عائشة أم المؤمنين . هاجر قبل الفتح . قال ابن الربيع : دخل مصر في سبب أخيه محمد ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . مات بمكة سنة ثلاث وخمسين . وقيل سنة خمس أو ست ^(٣) .

● عبد الرحمن بن عديس بن عمرو البلوي . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولهم عنه حديث واحد ، متنه : « يخرج أناس من أمتي يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فيقتلون بجبل لبنان - أو الخليل » . لم يرو عنه غير أهل مصر . توفي بالشام سنة ست وثلاثين .

وقال في التجريد : بايع تحت الشجرة ، روى عنه جماعة . وكان أحد الجيش القادم من مصر لحصار عثمان ^(٤) .

● عبد الرحمن بن غنم الأشعري . قال ابن الربيع : له صحبة ، دخل مصر في زمن مروان ، ولأهلها عنه حديث واحد .

وقال في التجريد : أسلم في زمن النبي ﷺ ، وصحب معاذًا . وقال بعضهم : وفد مع جعفر إذ هاجر إلى الحبشة .

وقال في التهذيب : مختلف في صحبته ، مات سنة ثمان وسبعين ^(٥) .

(١) الإصابة ٢ : ٣٣٦ .

(٢) الإصابة ٢ : ٣٦٩ .

(٣) الإصابة ٢ : ٧٨٤ .

(٤) الإصابة ٢ : ٤٠٣ .

(٥) الإصابة ٢ : ٤١٠ .

● عبيد بن الندر - بضم النون وفتح الدال المهملة - السلمى . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد .

وقال فى التهذيب : شامى ، له صحبة ورواية . مات سنة أربع وثمانين ، حديثه فى سنن ابن ماجه .

● عثمان بن عفان أمير المؤمنين أبو عمر الأموى . قال ابن الربيع : دخل مصر فى الجاهلية للتجارة ، وصار إلى الإسكندرية^(١) .

● عدى بن عميرة - بفتح أوله - الكندى ، أبو زرة . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ولهم عنه حديث . روى عنه ابنه عدى . قال الواقدى : مات بالكوفة سنة أربعين^(٢) .

● العرس - بضم أوله وسكون الراء - بن عميرة الكندى . أخو الذى قبله . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهل مصر عنه حديثان . روى عنه ابن أخيه عدى وغيره^(٣) .

● عروة الفقيم التميمى . أبو غاضرة . قال البخارى : حديثه فى المصريين . روى عنه ابنه غاضرة^(٤) .

● عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكى . أبوسروعة بن مسلمة الفتح . قال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، وهو الذى شرب بها مع عبدالرحمن بن عمر الخمر . وله رواية عن النبى ﷺ ، وليس لأهل مصر عنه شىء^(٥) .

قلت : حديثه فى البخارى والسنن .

● عقبة بن كريمة الأنصارى . ذكره بن عبدالحكم فيمن دخل مصر من الصحابة ، قال ابن الربيع : لأهل مصر عنه نحو مائة حديث ، مات بمصر سنة ثمان وخمسين^(٦) .

● علقمة بن رثة البلوى . قال البخارى : حديثه فى المصريين ، وقال ابن الربيع : شهد فتح مصر ، ولأهلها عنه حديث واحد .

قال الذهبى : بايع تحت الشجرة^(٧) .

(١) الإصابة ٢ : ٤٥٥ -

(٢) الإصابة ٢ : ٤٦٣ -

(٣) الإصابة ٢ : ٤٦٦ -

(٤) الإصابة ٢ : ٤٧١ -

(٥) الإصابة ٢ : ٤٨١ -

(٦) فتوح مصر ١٠٩ -

(٧) فتوح مصر ٣٠٢ -

وقال الحسينى فى رجال السند : مصرى له صحبة ورواية ، روى عنه زهير بن قيس البلوى .

● عمار بن ياسر العيسى أبو اليقظان . أحد السابقين الأولين . قال ابن الربيع : دخل مصر رسولاً من قبل عثمان بن عفان وصار إلى صقلية ، ولأهل مصر عنه حديث واحد . قتل بصفين سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة ^(١) .

● عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب الخزاعى . قال البخارى : حديثه فى المصريين .

وقال ابن الربيع : دخل مصر فى خلافة عثمان ، ولهم عنه حديث فى الجند الغربى

وقال فى التهذيب : بايع فى حجة الوداع ، وصحب بعد ذلك ، وقتل بالحرّة ^(٢) .

وقال ابن سعد : كان فىمن سار إلى عثمان ، وأعان على قتله ، ثم قتله عبدالرحمن بن أم الحكم ^(٣) .

وعن الشعبى قال : أول رأس حمل فى الإسلام رأس عمرو بن الحمق .

وقال ابن كثير : أسلم قبل الفتح وهاجر ، وكان من جملة من أعان حاجر بن عدى فتطلبه زياد ، فهرب إلى الموصل ، فبعث معاوية إلى نائبها ، فوجدوه قد اختفى فى غار فنهشته حية ، فمات ففقطع رأسه ، وبعث به إلى معاوية فطيف به فى الشام وغيرها ، فكان أول رأس طيف به . قال : وورد فى حديث أن رسول الله ﷺ دعا له أن يمتعه الله بشبابه ، فبقى ثمانين سنة لا ترى فى لحيته شعرة بيضاء .

● عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموى أبو أمية المعروف بالأشدق . قال ابن كثير : يقال أنه رأى النبى ﷺ ، وروى عند حديثين . دخل مصر مع مروان ، وقتله عبدالملك سنة تسع وستين . وقيل سنة سبعين ^(٤) .



(١) الاصابة ٢ : ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(٢) الاصابة ٢ : ٥٢٦ .

(٣) تهذيب التهذيب : ٢٣ : ٨ .

(٤) طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥٠ .

(٥) الاصابة ٢ : ٥٣١ .

**المحدثون في مصر والأزهر
في القرن الثاني**

المحدثون في مصر والأزهر في القرن الثاني

يشرق هذا القرن موصولاً بسابقه . . حيث صحابة رسول الله ﷺ الذين نزلوا مصر ، وقاموا بأسمى مهمة ، ينشرون العلم ، ويبلغون الناس الأحاديث ، ويعلمونهم الأحكام ، ويفقهونهم ، وتخرج على أيديهم جيل مبارك من التابعين رووا عن الصحابة - بمصر -
منهم أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزني مفتي أهل مصر آنثذ وقد روى عن أبي أيوب الأنصاري وأبي بصرة الغفاري وعقبة بن عامر الجهني .
ومنهم يزيد بن أبي حبيب روى عن بعض الصحابة وأكثر روايته عن التابعين .
وهكذا أشرق هذا العهد موصولاً بسابقه متأثراً به ، وقامت به نهضة كبرى على يد الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز الذي كان له أكبر الأثر في تدوين الحديث النبوي .

الخليفة عمر بن عبدالعزيز

في مصر ، وفي حلوان ، ولد عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي التابعي العظيم وذلك سنة إحدى وستين .

حفظ القرآن الكريم وهو صغير ، وأرسله والده إلى المدينة ليحفظ السنن فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبدالله بن عتبة . . وولى إدارة المدينة زمنا في خلافة الوليد ، ثم قدم الشام سنة ٩٣ وبويع بالخلافة سنة ٩٩ رضى الله عنه .

سمع الحديث النبوي : من أنس بن مالك والسائب بن يزيد ويوسف بن عبدالله بن سلام ، وخولة بنت حكيم وغيرهم .

وروى عنه : كثير من التابعين منهم أبوسلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والزهرى ويحيى الأنصارى وكان رضى الله عنه محبا للحديث شغوبا به كبير العناية بالسنة حفظا وتدوينا .

وكان ثقة حجة حافظا شهد له العلماء بالحفظ والأمانة حتى لقد كان يقرن بالزهرى في علمه .

● خامس الراشدين عمر بن عبدالعزيز

تنبأنا أقوال المؤرخين والمترجمين بأن عمر بن عبدالعزيز خليفة عادل بل إنه خامس الراشدين .

حدث على بن الحسين قال : « أخبرني خارجة بن مصعب عن ابن عون عن مجاهد قال : المهادي سبعة : مضى خمسة ، وبقي اثنان . قال خارجة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهم . . أى هؤلاء هم الخمسة الذين مضوا » .

وحدث أبو عبيدة السري بن يحيى بن أبي هنادين قال : « سمعت قبيصة بن عقبة يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : الخلفاء خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز رضى الله عنهم » .

وقد رواه قبيصة عن عباد بن سفيان قال : « حدثنا قبيصة قال : حدثنا عباد الساك قال : سمعت سفيان يقول : أئمة العدل خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبدالعزيز » .

وفى رواية قال عباد السماك : « سمعت سفيان الثوري يقول : أئمة العدل خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز . من قال غير هذا فقد اعتدى » .

وقال قبيصة فى رواية أخرى : « سمعت عبادا السماك يقول : سمعت الأئمة خمسة : أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز » .

وحدث مزاحم الخاقاني قال : « حدثنى عمى أبوعلى عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان ، أنه ذكر لأحمد بن حنبل أنه يروى عن سفيان الثوري أنه قال : أئمة الهدى أبوبكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبدالعزيز ، فقال له أحمد بن حنبل : هذا كذا هو » .

وكثير من العلماء والكتاب يعتبرون عمر بن عبدالعزيز المجدد الأول للإسلام على رأس المائة الأولى من الهجرة . . ويألفها من منزلة سامية .

حدث محمد بن الحسن بن الجنيد قال : « سمعت عثمان بن على يقول : سمعت حميد بن رنجويه النسائي يقول : قال أحمد بن حنبل : يروى فى الحديث : « أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصلح لهذه الأمة دينها » . . . فنظرنا فى المائة الأولى ، فإذا عمر بن عبدالعزيز ونظرنا فى المائة الثانية فنراه الشافعى » .

والواقع ^(١) أن الفترة القصيرة التى قضها الإمام العادل عمر بن عبدالعزيز فى خلافته ، كانت عودة مباركة إلى هذا العهد النبوى المشرق الذى استضاءت أنواره على عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين .

وإذا كنا نرى الخيرات والبركات تفيض على أيدي هؤلاء الأربعة الراشدين ، فيجب أن نتذكر ذلك التمهيد الطويل الذى قام به الرسول صلوات الله عليه ، ليجعل الطريق لمن بعده معتدلاً مستقيماً ، ومن هنا أقبل كل خليفة من هؤلاء الأربعة ، فاستقام وتابع ، وزاد فى الخير .

ولكن عمر بن عبدالعزيز جاء فى فترة عصبية : ظهرت فيها طوائف وأحزاب ، ونبتت خلالها فتن ومحن ، واتسعت الفجوة بين الحاكمين والمحكومين ، وتحدث الناس عن المظالم والمآثم . . . فإذا عمر يقبل إقبال الفجر الصادق : فيرد المظالم ، وينصف المظلومين ، ويؤدب الخارجين ، وينشر السلام والأمان والاحسان بين جميع الناس . . . فلا عجب أن يجعله المؤرخون خامس الخلفاء عليه رضوان الله .

وقد كان ميلاد عمر بن عبدالعزيز فى حلوان سنة إحدى وستين حينما كان أبوه والياً على مصر ، وروى النووى أنه ولد فى مصر كما نقل رواية تفيد أن أصل عمر مدنى ، أى أنه ولد بالمدينة ولعل

(١) نقلاً عن كتاب (عمر بن عبد العزيز) دكتور أحمد الشرباصى .

هذا الاشتباه جاء من تردد عمر بين المدينة ومصر في أثناء يفاعته ، ولعله ولد في مصر ثم انتقل إلى المدينة صغيراً أو العكس ومهما يكن من أمر فقد قضى عمر في مصر أياماً ظل يذكرها بالخير والثناء في كثير من المناسبات .

● مواقف عظيمة من أعماله المباركة

كان للخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز ، مواقف الرائعة في إقرار الأمن والعدالة واتخاذ أدق الأساليب وأحكمها في إدارة شئون الدولة .

فقد كتب إلى عروة واليه على اليمن يقول :

« أما بعد ، فإنني أكتب إليك آمرك أن ترد على المسلمين مظالمهم .. وتراجعني . وأنت تعرف بعد ما بيني وبينك ، ولا تعرف أخذات الموت . . . حتى لو كتبت إليك .. اردد على مسلم مظلمة ، لكتبت إلى : أردّها عفراء أو سوداء . انظر أن ترد على المسلمين مظالمهم ولا تراجعني ، »

وكان عمر يكتب إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن عامله على المدينة في المظالم ، فيراجعها فيها ، فكتب إليه عمر :

« إنه يخيل لي أنني لو كتبت لك أن تعطى رجلاً شاة لكتبت إلى : أذكر أم أنثى ؟ ولو كتبت إليك بإحداها ، لكتبت إلى : أصغيرة أم كبيرة ؟ ولو كتبت إليك بإحداها ، لكتبت : أضعاف أم معزى ؟ فإذا كتبت إليك ، فنفذ ولا ترد على والسلام » .

وعن يحيى بن أبي كثير ، قال : « كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله أن أجروا على طلبه العلم الرزق ، وفرغوهم للطلب » .

وكتب إلى والي حمص يقول له : « انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقهِ ، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا ، فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين ، حين يأتيك كتابي هذا . وإن خير الخير أعجله .. والسلام عليكم » .

وكتب إلى واليه في رسالة أخرى : « مر لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم ، لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وماحملوا من الأحاديث .. » .

وجاءه رجل فقال له : « إني زرعت زرعاً ، فمر به جيش من أهل الشام فأفسده » . فعوضه عمر عن ذلك عشرة آلاف درهم .

وكتب إلى خزانة بيت الأموال بأن يأخذوا من الأفراد النقود الكاسدة التي لا يقبلها الناس ، ولا حيلة لهم في أمرها . فقال عمر لهؤلاء الخزانة : « إذا أتاكم الضعيف بالدينار لا ينفق عنده ، فأبدلوه من بيت المال .. » .

خرج عمر ذات يوم من منزله على بغلة له شهباء ، وعليه قميص له وملاءة ممشقة . . . إذ جاء رجل على راحلة له فأناخها ، فسأل عن عمر ، فقيل له : قد خرج وهو راجع الآن . . . ثم رجع عمر ، فقام إليه الرجل فشكا إليه عدى بن أرطاة فى أرض له .

فأمر عمر برد الأرض إلى الرجل ، ثم قال له : « كم أنفقت فى مجيئك إلى ؟ » .
فقال الرجل : « يأمر المؤمنين ، تسألنى عن نفقتى ، وأنت قد رددت على أرضى ، وهى خير من مائة ألف » .

فقال عمر : « إنها رددت عليك حقك ، فأخبرنى كم أنفقت ؟ » .

قال الرجل : « ما أدرى » .

قال عمر : « احززه » (قدره بالتقريب) .

قال الرجل : « ستين درهما » .

فأمر عمر له بها من بيت المال .

ولما انصرف الرجل راضيا مسرورا ، صاح به عمر ، فرجع إليه ، فقال له عمر :

« خذ ، هذه خمسة دراهم من مالى ، فكل بها لحما حتى ترجع إلى أهلك إن شاء الله » .

وهذه امرأة من أهل مصر تسمى « فرتونة » وكانت مسكينة فقيرة سوداء ، وكان لها بيت صغير متواضع تهدم بعض جوانبه ، وكانت لها دجاجات تربيتها لتستعين بها على حياتها . . . ولكن اللصوص كانوا يعتدون عليها ، ويسرقون منها دجاجها بسبب تهدم بيتها .

وسمعت المرأة بعدالة الخليفة عمر ، وحبه للخير ، وحرصه على مصالح العباد . . فكتبت خطابا إلى عمر تشرح فيه قصتها ، وترجوه أن يحصن لها بيتها ، لأنها لا تستطيع ذلك ، وأن يحميها من اللصوص الذين يفجعونها فى دجاجها ، وبعثت بهذا الخطاب إلى عمر مع بريد مصر الذهاب إلى الخليفة فى دمشق الشام .

وكان من الممكن أن يضل هذا الخطاب بين ركام البريد الضخم الوارد من أنحاء الدولة الواسعة ، وكان من الممكن أن تغضى عنه عين المراجع للبريد أو المطلع عليه ، وكان من الممكن أن تلحظه العين ثم لا تقيم له كبير وزن . . . لأنه ليس متعلقا بأمر جليل أو خطير .

ولكن الحاكم العادل ، والخليفة الراشد ، والإمام الرحيم ، رأى أن ذلك موضوع له جلالته وخطورته ، ويجب أن يهتم له ويعنى به ، فكتب عمر إلى أيوب بن شرحبيل واليه على مصر كتابا عمريا خليفيا يقول فيه :

« من عبدالله عمر أمير المؤمنين ، إلى أيوب بن شرحبيل ، أما بعد ، فإن فرتونة مولاة ذى أصبح كتبت إلى تذكر قصر حائطها ، وأنه يسرق منه دجاجها ، وتسأل تحصينه لها . . فإذا جاءك كتابي هذا ، فاركب أنت بنفسك إليه حتى تحصنه لها . . » .

فلما جاء الكتاب إلى أيوب ، ركب بنفسه حتى بلغ الجيزة وهو يسأل عن « فرتونة » حتى وجدها . . وإذا هي سوداء مسكينة ، فأخبرها بكتاب أمير المؤمنين ، وحصن لها بيتها . .

● عناية الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالسنة وطلابها

لقد كان الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز يحرص أشد الحرص على نشر السنة وتبليغها ، وتعليمها الناس ، وكان يكتب إلى عماله أن يجروا على طلابها والمشتغلين بالعلم الرزق وأن يفرغهم لطلب العلم .

وعن يحيى بن أبي كثير قال :

« كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله أن أجروا على طلبة العلم الرزق وفرغهم للطلب » .

إنه يريد أن يتفرغ طلاب العلم للعلم ، وألا يشغلهم طلب الرزق والسعى على المعاش عن طلب العلم ، حتى يعنوا بالعلم عناية فائقة ، وحتى يتمحض طلبهم له ، وحفظهم وحرصهم وهضمهم للعلوم والأحكام والسنن ، وحتى لا تضطرهم مطالب المعاش إلى الخروج والسعى ، والبحث والتعب فيأخذ كل هذا من أوقاتهم الكثير ، فهو يرى أن توفير معاشهم وتفرغهم لطلب العلم سوف يجعلهم يتقنون العلم أشد الاتقان .

ولعله بهذا يكون أول من أجرى راتبا وشجع طلاب العلم ، ولهذا المسلك الكريم مثيله في الأزهر الشريف الذى أجرى لطلاب العلم راتبا يشجعهم على الطلب وهو ما كان يسمى قديما الجراية .

وكان لعمر بن عبدالعزيز الفضل في تدوين الحديث النبوى تدوينا رسميا عندما أصدر أمره إلى علماء الآفاق ليجمعوا الحديث ويدونوه .

روى البخارى - فى باب : كيف يقبض العلم :

« وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبى بكر بن حزم :

انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإننى خفت دروس العلم وذهاب العلماء . ولا تقبل إلا حديث النبى ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا » .

وكان أول من لبي أمر الخليفة عمر بن عبدالعزيز بتدوين السنة هو الإمام ابن شهاب الزهري ، ثم كثر التدوين بعد ذلك .

وهكذا تتضح لنا أهمية الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز وعنايته بالسنة النبوية وتدوينها ، وعنايته بطلاب العلم والحديث . . وهي عناية فجرت النهضة الحديثية في مصر وفي سائر الأقطار الإسلامية .

مصر والأزهر فى خدمة السنة وإضاءة العالم الإسلامى

بدأت تعاليم الإسلام أول ما بدأت فى عهد رسول الله ﷺ ، حيث كان الرسول ﷺ يعلم المسلمين فى المسجد ، وقد تتابعت حلقات العلم فى المسجد الحرام والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، والمسجد الأموى بدمشق ، وجامع عمرو بن العاص فى الفسطاط .
وتبع هذه المساجد حلقات الجامع الأزهر فى القاهرة وجامع الزيتونة فى تونس وجامع القرويين فى فاس .

وكان لمصر دور بارز فى طليعة الأقطار الإسلامية ، ففى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط كان للامام الشافعى رضى الله عنه حلقة علمية زاهرة كان يملئ فيها أماليه الجديدة فى أصول الفقه . . . وكان الامام الشافعى أول من دون علم أصول الفقه والحديث . ومنذ إنشاء الأزهر سنة احدى وستين وثلاثمائة من الهجرة وهو يقوم بأدواره القيادية وكفاحه الوطنى إلى جانب نشر الإسلام وتعاليمه ومدارسة القرآن الكريم والحديث الشريف .

وكان الأزهر الشريف يمثل القلعة الشاخنة أمام كل المحاولات التى قصد بها تدمير الكيان الإسلامى والروحى للمسلمين .

وقد استضاءت أقطار العالم بعلوم الأزهر وتراثه ، وبفضل جهوده المشكورة والموصولة فى نشر الإسلام وتعاليمه ظل يزداد عدد المسلمين فى القارة عدة ملايين . . وقد بعث كثير من أقطار العالم وشعوبه بعوثها لتنهل من علوم الأزهر ، وظل الأزهر يبعث بعلمائه إلى تلك البلاد والأقطار مما كان له أكبر الأثر فى توثيق علاقة مصر بأقطار العالم ، وطبقت شهرة الأزهر الآفاق ، واحتل مكانة مرموقة فى نفوس أبناء الدنيا .

وقد بدأ الأزهر أول ما بدأ كجامع للخلافة الفاطمية ، ولكن هذا لم يمنعه من قيام تلك الحلقات فى داخله التى تدرس فيها جميع المذاهب الفقهية وعلوم الدين واللغة والكتاب والسنة .

وفى عام خمس وتسعين وأربعمائة هجرية وجه حاكم مصر آنئذ وهو الخليفة المنصور الدعوة إلى حجاج بيت الله الحرام حيث كانوا يمرون بالقاهرة في طريقهم قادمين من شمال أفريقيا وغيرها . والتقى علماء مصر معهم فى مؤتمر عالمى تم فيه تبادل الرأى فى تفسير ماصنفه الفقهاء على مختلف مذاهبهم . . وظل هذا اللقاء السنوى حتى العصر الأيوبى حيث توحدت كلمة المسلمين لمواجهة التحديات الصليبية التى تربص بهم الدوائر .

وانتشر علم الأزهر وسار بجهوده الركبان فقصدته - فى عهد المماليك - طلاب من المغاربة سكان شمالى أفريقيا والزيالة سكان ساحل أفريقيا الشرقى لينهلوا من علومه .

وفى سنة أربع وألف من الهجرة قام والى مصر محمد باشا بتشجيع الطلاب من أبناء أفريقيا والبلاد المجاورة ليلتحقوا بالأزهر وقرر لهم إقامة على نفقته ورواتب أسبوعية .

وشجع حكام مصر وعلماء الأزهر طلاب العالم للالتحاق بالأزهر . .

وقامت حول الأزهر الشريف أروقة سميت بأسماء تلك البلاد التى وفد أبناؤها إلى الأزهر وأقاموا فيه طلبا للعلم .

وقد أثار حفيظة الاستعمار مارآه من إقبال أبناء العالم الإسلامى على الأزهر وتلك الروابط الوثيقة التى تمت بين مصر وبين العالم بسبب الأزهر . أزعج الاستعمار هذا ، فسعى بكل السبل والحيل إلى تدمير تلك الروابط ، والمحاولة أثر الأخرى على التقليل من مكانة الأزهر . . وحاول المستعمرون أن يوقفوا هذا التيار المتدفق من جميع بلاد الدنيا على الأزهر ، ومن ذلك نرى أن الإنجليز مثلاً فى السودان أنشأوا « المعهد العلمى » بأم درمان محاولين أن يكون صورة من الأزهر رغبة منهم أن يصرفوا الناس عن الالتحاق بالأزهر .

ولكن أهل السودان كانوا أقوى حرصاً وذكاء ففضوا على تلك الفكرة حيث كانوا يبعثون بأبنائهم لتلقى المعارف والعلوم فى « المعهد العلمى » ثم بعد ذلك يبعثون بأبنائهم ليكملوا علوم الإسلام ومعارفه فى القاهرة حيث الأزهر الشريف . .

واستمر الأزهر صابراً ومثابراً ومجاهداً فى تبليغ علوم الدين واللغة ، ومواجهتها كل الطعنات الاستعمارية . والمحاولات والمؤمرات الماكدة بقوة إيمان وصبر وجهاد ، فما قللت تلك المؤمرات من مركزه ومكانته ولا استطاعت أن تشنيه عن رسالته .

بل أقام الأزهر معهداً خاصاً بالبعوث الإسلامية يستقبل الطلاب الوافدين من بلاد أفريقيا ومن سائر أنحاء بلاد العالم الإسلامى حيث تبدأ الدراسة فى هذا المعهد بالقسم الأعدادى لمن لا يجيد اللغة العربية ثم بعد ذلك يتلقى الطلاب المناهج المعتادة فى الأزهر .

وإلى جانب هذا المعهد قامت مدينة لاقامة هؤلاء الطلاب الوافدين تسمى بمدينة البعوث
الاسلامية لراحة هؤلاء الطلاب واقامتهم ومساعدتهم ليستقروا . .

كما اضطلع الأزهر برسالة كبرى حيث بعث بعلمائه ومبعوثيه إلى البلاد الإسلامية لنشر علوم
الإسلام واللغة العربية في تلك البلاد وتصحيح ماأفسده الاستعمار في بعض تلك البلاد بفعل
سياسته الاستعمارية في أمر اللغة العربية والعلوم الإسلامية . كما استقبل على مر أدوار التاريخ
طلاب العالم الإسلامي نفروا إليه لينهلوا من مورده ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم حتى بلغ عدد
البلاد التي وفد منها طلاب العلم أكثر من مائة دولة .

مناهج تدوين الحديث في مصر وغيرها

كان الغرض من تدوين الحديث في مصر وغيرها في القرن الأول حفظ السنة النبوية من الضياع ، وصيانتها من أن يتطرق إليها الوضع ، فكانت كتابة الحديث آنئذ كتابة فردية ، ثم مالبت أن دونت في الصحف بجانب حفظها في الصدور .

أما في القرن الثاني فقد بدأ تدوين السنة فيه على يد الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ وكان منهج التدوين يقوم على جمع الأحاديث التي تدور حول موضوع واحد في مؤلف خاص ، فكان لكل باب من أبواب السنة مؤلف خاص به تدون فيه الأحاديث المتصلة بموضوعه مختلطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

ثم كانت المرحلة الثانية من مراحل التدوين في القرن الثاني ، بعد الزهري حيث قام الأئمة : مالك ، وابن جريج ، وسفيان الثوري وغيرهم فجمعوا أحاديث الأبواب وضموا بعضها إلى بعض فكانت مصنفًا واحدًا ومزجوا الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ونسج على هذا المنوال بقية أهل عصرهم . ولم يصلنا من مؤلفاتهم إلا موطأ الإمام مالك ومسنَد الإمام الشافعي . والآثار للإمام محمد بن الحسن الشيباني ووصف لبعض المؤلفات الأخرى وأغلب الظن أن العلماء أدمجوها في مؤلفاتهم بعد ذلك . بجانب حفظها في القلوب .

وكان الغرض من الجمع في هذا القرن الثاني هو خدمة التشريع وتسهيل استنباط الأحكام . ومن أمثلة ذلك « موطأ » الإمام مالك الذي يعتبر أول مصنف من المصنفات الصحيحة رتب على الأبواب .

قال أبو بكر العربي : الموطأ هو الأصل الأول واللباب ، وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذي^(١) .

(١) تنوير الحوالك ص ٥٥

وقد عنى الامام مالك في كتابه بتدوين الأحاديث القوية ، ومكث في تأليفه وتنقيحه وتهذيبه أربعين سنة ، وقد نهج في تدوين الحديث في كتابه أن يكون مرتبا على الأبواب فيذكر أحاديث كل باب ثم يتبعها بما ورد فيه من الآثار عن الصحابة والتابعين .

وأما في القرن الثالث الهجرى فقد أخذ التدوين شكلا جديدا غير الذى كان عليه فيما مضى ، فقام علماء هذا القرن وأفردوا أحاديث الرسول ﷺ عن أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وتصدى بعضهم لتدوين الأحاديث التى يوهم ظاهرها التناقض ، أو يقع فى حسابان البعض أنها غير صحيحة ، ويجمع الطعون الواردة عليها ويبين حقيقتها ويرد على تلك الطعون .

وكانت مناهج التدوين فى القرن الثالث ترجع إلى الطرق الآتية :

١- منهج التدوين على المسانيد : ويتحقق بجمع المؤلف ما يروى عن الصحابى فى باب واحد من غير تقييد بوحدة الموضوع ، واتسم هذا المنهج بإفراط الحديث وتجريده من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وجمع كل ما يروى عن الصحابى وإن اختلفت موضوعات الأحاديث فمثلا يوجد حديث للصلاة بجانب حديث الصوم وهكذا مع الجمع بين الحديث الصحيح وغيره .

فيذكر صاحب المسند مثلا أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ويجمع ما رواه من الأحاديث ثم عمر رضى الله تعالى عنه وهكذا .

وكان منهم من يرتب أسماء الصحابة على القبائل فيقدم بنى هاشم ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ فى النسب ، ومنهم من رتبها على السبق فى الإسلام فقدم العشرة المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ثم من أسلم يوم الفتح . ثم أصاغر الصحابة سنا ثم النساء ومن سار على هذه الطريقة الإمام أحمد بن حنبل .

ومنهم من رتبهم على حروف المعجم كالطبرانى فى المعجم الكبير ، ومن طرق التصنيف على المسانيد تصنيفه معللا بأن يجمع فى كل حديث طرقه واختلاف الرواة فيه ، فإن معرفة العلل أجل انواع علم الحديث وبها يظهر ارسال بعض ماعد متصلا ، أو وقف ماظن مرفوعا وغير ذلك من الأمور المهمة ، وقد ألف الحافظ الكبير يعقوب بن شيبه البصرى المتوفى سنة ٢٦٢هـ مسندا معللا غير أنه لم يتم ، ولو تم لكان فى نحو مائتى مجلد ، والذى سم منه مسند العشرة والعباس وابن مسعود وعتبة بن غزوان وبعض الموالى وعمار .^(١)

(١) تاريخ فنون الحديث (١٥) .

وطريقة المسانيد هذه هي التي ابتدأ التأليف عليها في القرن الثالث الهجري ، وأول من قام بذلك هو عبدالله بن موسى العيسى الكوفي ومسدّد بن مسرهد البصري وأسّد بن موسى الأموي ، ونعيم بن حماد الخزازي نزيل مصر ثم انتشر التأليف على هذه الطريقة بعد ذلك بين الأئمة والحفاظ كالإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ، وكان منهم من جمع بين طريقة المسانيد وطريقة الأبواب في مصنفه كأبي بكر بن أبي شيبة .^(١)

ومن أعظم المسانيد مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وهو المراد عند المحدثين على الإطلاق ، وإذا أرادوا غيره قيده باسم صاحبه^(٢) ، وقد يطلق المسند على الكتاب المرتب على الأبواب أو الحروف أو الكلمات لكون أحاديثه مسندة ومرفوعة إلى النبي ﷺ - كصحيح البخاري فإنه يسمى « المسند الصحيح » وصحيح مسلم ، وسنن الدارمي فإنها تسمى بالمسند ، وهناك مسندات لم تصل إلينا كمسند الحارث بن الحارث بن أبي أسامة المتوفى سنة ٢٨٢ ، ومسند عبد الحميد المتوفى سنة ٢٤٩^(٣) وكان لهذه الطريقة مزايا وعيوب :

أما مزاياها ، فهي تجريد الأحاديث النبوية عن غيرها ، فقد أفردت أحاديث الرسول ﷺ بالتدوين ، وجردت من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، ففي هذه الطريقة إذا نوع من استقلال الحديث عن الفقه .

وأما عيوب هذه الطريقة : فهي صعوبة الوقوف على الحديث في المسند ، لعدم جمع الأحاديث المتناسبة في موضوعاتها في باب خاص ، كما كان من عيوبها كذلك تعذر معرفة درجة الحديث من الصحة والضعف والاحتجاج به أو عدمه ، لاحتمال أن يكون كل حديث في نظر القارئ صحيحاً أو ضعيفاً لأنها جمعت بين الصحيح وغيره ، فلا يستطيع إدراك هذا كله إلا الحافظ المتضلع ، وكان الباعث لأصحاب هذه الطريقة على تدوين الأحاديث التي لم تبلغ مرتبة الصحة هو أن الطريق قد تعدد فيصل الحديث إلى درجة الصحة ، كما أنها صالحة للاعتبار بها وقد تبين صحة الحديث لنقاده بعد ذلك .

وبما هو جدير بالذكر أن العلماء في هذا العصر كانوا على درجة عالية في معرفة الصحيح من الأحاديث التي دونوها ، أو دونت لهم ، ومعرفة الضعيف منها ومعرفة عللها ، فكانوا على علم بحال المتن والأسانيد التي في هذه المسانيد .

(١) مقدمة فتح الباري لابن حجر ص ٥٠ .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٦١ -

(٣) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ٣٠٢ الدكتور على حسن عبدالقادر .

(٢) منهج التصنيف على الأبواب :

ويقوم على تخرّيج الحديث على أحكام الفقه وغير ذلك ، وتبويب الأحاديث وترتيبها ترتيباً موضوعياً ، وتنويعها أنواعاً مختلفة بحيث يجمع المصنف ماورد في كل حكم وفي كل باب على حدة ، فيجمع الأحاديث المتعلقة بالصلاة في باب ، والمتعلقة بالصوم في باب وهكذا ، وأهل هذه الطريقة منهم من اقتصر على إيراد ماصح فقط كالشيخين « البخارى ومسلم » .

ومنهم من لم يقتصر على ذلك كأبى داود والترمذى والنسائى ، وكان من مزايا هذه الطريقة سهولة الحصول على الحكم الشرعى وغيره من الباب الخاص به ، والوقوف على درجة الحديث بيسر وسهولة بخلاف الطريقة الأولى « طريقة المسانيد » حيث يصعب فيها الحصول على المطلوب ، وهذا مادعا الإمام البخارى إلى أن يتجه في كتابه إلى الاقتصار على الحديث الصحيح وتبعه الامام مسلم سيرا على منهجه .

وكان لهما الفضل في تمهيد الطريق أمام طلاب الحديث ليصلوا إلى الصحيح من الأحاديث دون عناء ، ولعل أقدم كتاب يمثل طريقة التصنيف على الأبواب هو « موطأ » الامام مالك ، غير أنه مزجه بأقوال الصحابة والتابعين ، بخلاف عمل الشيخين فقد أفردا الحديث عن تلك الأقوال والفتاوى .

وكان الداعى لهذه الطريقة هو أن تكون عوناً للفقهاء وتسهيلاً لهم في الوقوف على الأحاديث التى يستنبطون منها أحكامهم أو يستدلون بها أو يجتهدون على ضوءها .

(٣) الطريقة الثالثة :

طريقة الجمع لبعض الأحاديث والطعون الموجهة إليها والرد عليها كما في كتاب « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة المصنف على هذه الطريقة .

العلوم التي صاحبت تدوين السنة

كانت القرون الثلاثة الأولى أزهى وأسعد عصور السنة النبوية بأئمتها المحدثين ومصنفاتهم النفيسة الخالدة ، وقد تمخضت بحوث الأئمة وتدوينهم للسنة إلى علوم كانت قمة ماوصل إليه العقل البشرى ، وأصبح ماعرف في التاريخ من القواعد العلمية السليمة للرواية والأخبار ، لم يكن بعدها مجال للتثبت ، وقد نسج على منوال علماء الحديث كثيرون من علماء السلف في سائر مجالاتهم العلمية الأخرى كالتاريخ ، والفقه ، والتفسير ، والأدب وغير ذلك .

وهذه العلوم هي ما تسمى : « بعلم أصول الحديث » أو علم الحديث « دراية » ذلك أن علم الحديث ينقسم إلى قسمين :

الأول : علم الحديث رواية ، وهو علم يعرف به ما أضيف إلى النبي ﷺ - من قول ، أو فعل أو تقرير أو صفة ، ونقل ما أضيف من ذلك إلى الصحابة والتابعين على الرأى المختار .

الثانى : علم الحديث دراية وهو « علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن » كما قال الشيخ عزالدين بن جماعة ، وقال شيخ الاسلام أبو الفضل بن حجر : أولى التعاريف له أن يقال : « معرفة القوانين المعرفة بحال الراوى والمروى » والتعريفان بتفقان في البحث عن الراوى والمروى من حيث القبول أو الرد .

وقد نشأت أصول هذا العلم مع نشأة الحديث ، إذ كانوا يطلبون من الراوى التثبت وينقدون المرويات . وقد ازداد الحرص على هذا منذ وقوع الفتن ، فكانوا يقولون : سمو^(١) لنا رجالكم كما زاد الطلب أيضا عندما قام ابن شهاب الزهري بجمع الحديث من حامله في الدفاتر والصحف .

ثم بعد ذلك كتب الإمام الشافعى بعض المسائل في كتابيه : « الرسالة » و « الأم » وكان أول من ألف في بعض بحوث هذا العلم هو الإمام على بن المدينى ، كما تكلم في مسائله البخارى ومسلم والترمذى من علماء القرن الثالث ، وقام الترمذى فأشاع مسائل هذا العلم وجمع بعضها في خاتمة جامعة .

(١) تدريب الراوى ص ٥٥ .

فتدوين علوم الحديث إذاً ابتداءً في أبواب ، وفي بعض أنواع منه أثناء المائة الثالثة ، وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث في هذا العلم غير جامعة لكل أنواعه في كتب خاصة ، ولا مستقلة قائمة بذاتها ، وإنما تعرضوا لبحث هذه العلوم أثناء تأليفهم وجمعهم للمرويات ، فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه كما فعل الإمام مسلم ومنهم من جعلها خاتمة تبين مراده من المصطلحات كما صنع الترمذى في آخر جامعه .

وعنى الإمام البخارى فألف كتبه في التواريخ الثلاثة . الكبير والأوسط والصغير ، كما ألف أيضاً في تواريخ الرواة الإمام محمد بن سعد « كتاب الطبقات الكبرى » وألف البعض في الثقات كأبى حاتم بن حبان المتوفى سنة ٣٥٤ « كتاب الطبقات » وخصص البعض مؤلفات في الضعفاء والعلل ككتاب الضعفاء للبخارى ، وكتاب الضعفاء للنسائى .

ورأى بعض العلماء أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة بأهل الحديث وقواعد كثيرة لهم ، يعرف بها المقبول والمردود ، ففكروا في تلخيصها من هذه الكتب وجمعها في علم خاص وتدوينها في كتب مستقلة ، وكان ذلك في القرن الرابع . حيث نصبت العلوم واستقر الاصطلاح ، فألف القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرمهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ كتاب « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » فجمع كثيراً من أنواع هذا العلم ، وكان من وضع كتاباً مستقلاً في علوم الحديث ، ولكنه لم يستوعب جميع بحوثه ، ثم صنف الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ كتابه : « معرفة علوم الحديث » ولكنه لم يهذب ولم يرتب ثم ألف الحافظ الخطيب أبو بكر البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ كتاباً في أصول الحديث سماه « الجامع لأدب الشيخ والسامع » ثم كثر التصنيف بعد ذلك وتتابع .

وقد تفرعت الدراسة في هذا الفن إلى علوم كثيرة من أهمها :

علم الجرح والتعديل : وقد أدى حرص العلماء على معرفة أحوال الرواة لتمييز الصحيح من غيره إلى نشأة علم الجرح والتعديل ، أو علم ميزان الرجال ، وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ماورد في شأنهم من تعديل يزينهم ، أو تجريح يشينهم ، وتكلم في هذا العلم كثيرون من عهد الصحابة إلى المتأخرين من العلماء ، فمن الصحابة : ابن عباس ٦٨ هـ ، وعبد الله بن الصامت ٣٤ هـ ومن التابعين سعيد بن المسيب ٦٣ هـ ، والشعبي ١٠٤ هـ .

أما ابتداء التصنيف ووضع الكتب في الجرح والتعديل ، فلم يكن إلا في القرن الثالث . وكان من أوائل الذين ألفوا في هذا العلم : يحيى بن معين ٢٣٣ هـ ، وأحمد بن حنبل ٢٤١ هـ ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ، والبخارى ومسلم وأبو داود السجستاني والنسائى . ثم تابع التأليف بعد ذلك . . وألف كذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن البرقى الزهرى مولا هم المصرى الحافظ المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين .

وممن كتب في الثقات والضعفاء : أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي
الجزوزجاني المتوفى سنة تسع وخمسين ومائتين . ومن نأذج التأليف في هذا النوع كتاب الضعفاء
للإمام البخاري .

كتاب الضعفاء الصغير للإمام البخاري

وقد نهج البخاري في كتابه على ترتيب الأسماء حسب حروف الهجاء مبتدئاً بحرف الألف حتى
إذا ما استوعب من اسمه إبراهيم ، جاء بباب من اسمه إسماعيل ثم بباب من اسمه إسحاق ،
ثم أيوب ، حتى إذا ما انتهى من حرف الألف ، جاء بباب « الباء » وهكذا إلى باب الياء مثال
ذلك قوله :

« إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن جارية الأنصاري » يروى عنه وهو كثير الوهم يروى عن
الزهرى وعمر بن دينار يكتب حديثه .

إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة المدني الأنصاري الأشهلي عن داود بن الحصين ، منكر
الحديث . وهكذا إلى أن انتهى من الأسماء جاء في آخر الكتاب بالكنى من الضعفاء مثال ذلك :

أبو الرجال : سمع النضر بن النضر عن أنس عن أبيه عن النبي ﷺ - « منكر الحديث عنده
عجائب » .

أبو ماجد الحنفى عن ابن مسعود ، ضعيف . وكان في غالب الأحيان يراعى الترتيب في أسماء
الآباء .

وقد جعل لكل حرف باباً ، وتحت كل باب أبواب فرعية كل منها خاص باسم ومعنون به لكنه
لم يلتزم بترتيب أبواب الأسماء على حروف المعجم فقدم من اسمه إسماعيل على من اسمه إسحاق .
وطبع الكتاب بالهند سنة ١٣٢٥هـ .

كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي

رتب النسائي هذا الكتاب على حروف المعجم ، وقسمه إلى أبواب جاعلاً كل حرف من
الحروف الهجائية باباً ، فبدأ بالألف فالباء . . إلخ .

مثل : باب « إبراهيم » وذكر قائلًا :

« إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ضعيف مدني ، » إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة
ضعيف مدني و « إبراهيم بن عطية متروك الحديث واسطى » إبراهيم بن الفضل متروك الحديث

مدنى « فإذا ما انتهى من اسمه إبراهيم انتقل إلى باب من اسمه « أبان » . ثم إلى باب من اسمه « أبى » فقال : « أبى بن العباس بن سهل بن سعد الساعدي ليس بالقوى » ثم باب من اسمه « أيوب » ثم باب إسماعيل ثم باب إسحاق ، ثم باب أسامة وغيره ، ثم تتبع الحروف « بابا » « بابا » حسب ترتيبها الهجائي وهكذا . .

وبعد حرف الياء وهو الحرف الأخير أتى باب الكنى فقال : « أبو مطيع الخراساني ضعيف » وفى آخر الكتاب ذكر اسم أم الأسود « يروى عنها أحمد بن يونس غير ثقة فالإمام النسائي حين يقدم فى هذا الكتاب الضعفاء والمتروكين لا يقدم أسماء مجردة وإنما يردفها بالرواة الذين أخذوا عنهم حتى يقف الباحث على مصدر الأخذ ثقة هو أم لا أمكر هو ؟ أمترك ؟ وهكذا فيبين من روى عنه ويذكر حكمه عليه بالنكارة أو عدم الثقة وهكذا . .

ويلاحظ أنه فى ترتيب الأسماء رتبها حسب الحرف الأول منها فقط دون نظر إلى بقية الحروف وجعل لكل اسم بابا كصنيع البخارى ، ولم يراع فى الترتيب أسماء الآباء إلا قليلا . ومع ذلك فإن الباحث لا يلقى صعوبة فى الكشف فيه ، لأن اسم الراوى يذكر بخط كبير أول السطر ثم يتبعه ببيان حاله كما فى الطبعة الهندية سنة ١٣٢٥ .

معرفة الصحابة : وهو من العلوم التى تناولها علماء مصر وغيرها بالدراسة والتصنيف ، وتعتبر معرفة الصحابة ، « فنا هاما من أجل فنون علوم الحديث » .

وقد عنى به العلماء ، فى القديم والحديث ، ولهذا العلم ثمرته العظيمة وهى : معرفة الحديث المتصل والمرسل .

قال الحاكم : « ١ » ومن تبحر فى معرفة الصحابة فهو حافظ كامل الحفظ فقد رأيت جماعة من مشايخنا يروون الحديث المرسل عن تابعى عن رسول الله ﷺ يتوهمونه صحابيا ، وربما روى المسند عن صحابى يتوهمونه تابعيا .

وقد ألف فى معرفة الصحابة كتب ، مرتبة على الحروف أو على القبائل أو غير ذلك منها :
(١) كتاب أبى بكر أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن البرقى الحافظ الثقة المتوفى سنة سبعين ومائتين .

(٢) « كتاب المعرفة » لأبى محمد عبد الله بن محمد بن عيسى والمروزي الشافعى الحافظ المعروف بعبدان المتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

(١) علوم الحديث ص ٢٥ .

(٣) معرفة الصحابة لأبى بكر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحيم بن سعيد بن البرقى الحافظ المتوفى سنة سبعين ومائتين .

(٤) كما ألف في معرفة الصحابة أبو منصور محمد سعيد البارودى المتوفى سنة إحدى وثلاثمائة .

(٥) « علم تاريخ الرواة » وهو علم يعرف به تاريخ رواة الحديث ورحلاتهم ومواطنهم ومواليدهم ورغباتهم وكثير من أحوالهم مما له أثر فى توهينهم أو تقويتهم ، وأول من عرف عنه الاشتغال بذلك الإمام البخارى ، وابن سعد فى طبقاته « ١ » ومن ألف فى هذا : أبو الوليد أحمد بن محمد بن الوليد بن عتبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث الأزرقى المتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين وقبل سنة سبع عشرة ومائتين ولنقدم هنا كتاب : « التاريخ الكبير » للإمام البخارى كنموذج جى ، ومثال صحيح للتصنيف فى هذا القرن بالنسبة لعلم تاريخ الرواة .

● التاريخ الكبير

حاول الإمام البخارى فى هذا الكتاب أن يقدم ما استطاع أن يستوعبه من رواة - الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، ومن بعدهم إلى طبقة شيوخه ، وقام بترتيب هذا الكتاب على حروف المعجم مبتدئاً الكتاب بمن اسمه « محمد » تيمناً وتكريماً للنبي ﷺ ، وأعد البخارى فى هذا الكتاب لكل اسم باباً ، ورتب أسماء كل باب على حروف المعجم ، كما لاحظ هذا الترتيب كذلك فى الحرف الأول من أسماء الآباء ، ولكنه لم يراع ترتيب أبواب الأسماء على حسب حروف المعجم فذكر باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ، ثم باب إسحاق ، ثم باب أيوب ثم باب أشعث وهكذا .

وقد ألف البخارى هذا الكتاب فى فجر شبابه ومستهل حياته العلمية ، وكان ذلك قبل أن يؤلف الجامع الصحيح ، يقول البخارى : فلما طعنت فى ثمانى عشرة سنة صنفت قضايا الصحابة والتابعين ثم صنفت التاريخ الكبير فى المدينة عند قبر النبي ﷺ فى الليالى المقمرة ، وقل اسم فى التاريخ إلا وله عندى قصة إلا أنى كرهت أن يطول .

وكان تأليفه لهذا الكتاب حول مقام الرسول ﷺ مما يزيده يمناً ويمده بالروحانية ، ولهذا فإن الكتاب قد حظى بثقة كاملة من شيوخه وب تقدير عظيم ، ويدل تصنيفه هذا الكتاب على سعة علمه ، ونلاحظ على هذا الكتاب أن الإمام البخارى كان يذكر اسم من يترجم له وبعض من روى عنهم وبعض الذين روى عنه ، وقد يذكر حديثاً لأحدهم إلا أنه قلما يذكر جرحاً وتعديلاً وأرى أن هذا راجع إلى أنه استغنى عن ذلك بما ذكره فى كتابه الضعفاء .

(١) تدريب الراوى ص ٤٥٠ ، علوم الحديث ومصطلحه ص ٦١٠ .

وكان لهذا الكتاب أثره فيما ألف بعده من كتب ، فكان البخارى بحق باعث نهضة القرن الثالث فى تدوين السنة وفى تاريخ الرجال .

ورواة التاريخ الكبير هم :

(١) أبو الحسن محمد بن سهل بن كردى البصرى عنه .

(٢) أبو أحمد عبدالوهاب بن محمد بن موسى الغندجاني عنه .

(٣) ورواية الشيخ الجليل أبى الحسين عبدالحميد بن عبدالحالق بن أحمد بن عبدالقادر بن محمد بن يوسف عنه (١) .

كتاب التاريخ الصغير

وأما كتاب التاريخ الصغير للإمام البخارى فقد اختصر فيه تاريخ النبى ﷺ والمهاجرين والأنصار ، وطبقات التابعين ومن بعدهم ووفاتهم وبعض نسبهم ، وكناهم ومن رغب فى حديثه . والجزء الأول تحدث فيه عن أخبار مهاجرى الحبشة وفى آخره تحدث عن المهاجرين والأنصار الذين حدثوا عن الرسول ﷺ وتوفوا فى عهده . كما تحدث عن توفوا فى عهد أبى بكر الصديق - رضوان الله تعالى عليه - ومن بعده من الخلفاء .

وأما الجزء الثانى من هذا الكتاب فابتدأه بذكر من مات فى عهد عثمان بن عفان - رضى الله تعالى عنه - ثم بمن بعدهم إلى أن انتهى من الجزء السادس حيث ذكر الذين ماتوا فى سنة ست وخمسين ومائتين .

واسم أم هانى بنت أبى طالب « هند » . وقال البعض : اسمها فاختة « واسم أم حبيبة رملة » . ويلاحظ أنه فى آخر هذا الكتاب قال (هذا آخر كتاب التاريخ الكبير ، وعلى ذلك فهو جزء منه » .

● علم تأويل مشكل الحديث

ويسمى مختلف الحديث ، وهو التوفيق بين مآظاهرة التعارض من الأحاديث وأول من تكلم فى هذا العلم هو الإمام الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤هـ ، صنف فيه كتابه المعروف باختلاف الحديث ولم يقصد استيفاءه ، وإنما ذكر جملة منه ينبه بها على طريقة الجمع بين مآظاهرة التناقض . ثم صنف فيه من علماء القرن الثالث ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦هـ وسمى كتابه « تأويل مختلف الحديث » .

(١) التاريخ الكبير للبخارى ، طبع بمطبعة حيدر اباد الدكن بالهند سنة ١٣٦١هـ .

وصنف فيه أيضا ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ ، وأبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي المتوفى سنة ٣٠٧هـ .

● معرفة غريب الحديث

وهو علم يعنى ببيان معانى بعض الكلمات الغامضة ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه أفصح الناس وكان يخاطب الوفود على مختلف ألسنتهم بما يفهمونه ، فلما كانت الفتوحات ، ودخل في الإسلام كثير من العجم ونشأ جيل تشوب العجمة لسانهم خيف على الحديث النبوى أن يستغل في فهمه على بعض الناس فانبرى جماعة من أتباع التابعين ، فتكلموا في غريب الحديث أمثال : مالك بن أنس وسفيان الثوري وأول من صنف في غريب الحديث أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٢١٠هـ وألف فيه من علماء القرن الثالث أيضا : أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ كتابا كان عمدة في هذا الفن جمعه في أربعين سنة .

ثم جاء ابن قتيبة الدينوري فنهج منهج أبى عبيد ، وصنف كتابه المشهور ، ومن صنف فيه أيضا الإمام إبراهيم الحاربي المتوفى سنة ٢٨٥هـ ويقال : إن أول من ألف فيه : أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي الحافظ ، كتابه « غريب الحديث والآثار » ولعل من ذهب إلى ذلك يقصد أول من ألف في غريب الحديث مع الاستقصاء في الجملة ، وإلا فأول من ألف فيه على الصحيح النضر بن شميل المازني ، وكتاب أبى عبيد هذا هو القدوة في هذا الشأن وقد أفنى فيه عمره حتى لقد قال فيما يروى عنه : جمعت كتابي هذا في أربعين سنة .

وألف في غريب الحديث كذلك أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وأبو عمر شمر بن حمدويه ، قيل فيه أنه قدر كتاب أبى عبيد مرارا ، توفي سنة ست وخمسين ومائتين . وكتاب ذيل كتاب ابن قتيبة لأبى محمد قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطى الأندلسي واسم كتابه (الدلائل في شرح ما أغفله أبو عبيد وابن قتيبة الصوفي من غريب الحديث) وفيه قال أبو على القالى : ما أعلم أنه وضع بالأندلس مثل كتاب الدلائل ، قال ابن الفرضي : ولو قال : ما وضع مثله بالمشرق ما أبعدته ، مات ولم يكمله فأتمه أبوه أبو القاسم ، وتوفي أبو محمد سنة اثنتين وثلاثمائة .

كتاب غريب الحديث لابن قتيبة

وكتاب غريب الحديث لابن قتيبة ، هذا فيه حذو أبى عبيد ، ولم يدون فيه شيئا من الأحاديث المدونة عنه في كتاب أبى عبيد إلا مادعت إليه حاجة من زيادة أو شرح بيان ، ولهذا كان كتاب ابن قتيبة مثل كتاب أبى عبيد أو أكبر منه .

ويعتبر هذا الكتاب من أوائل ما ألف ابن قتيبة ، وأنه قد ألفه قبل تأليف كتاب تأويل مختلف

الحديث وقبل كتاب « الأثرية » والشعر والشعراء وقبل أدب الكاتب « وعيون الأخبار » وذلك لأننا نراه في هذه الكتب يشير إلى كتاب « غريب الحديث » .

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب النفيسة المفقودة التي لم تقع في أيدينا . وقد ذكر ابن الأثير أن ابن قتيبة قال في مقدمة كتابه « وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث ، وأن الناظر فيه مستغن به ، ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحوا مما ذكر فتتبعته ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر »^(١) .

● معرفة علل الحديث :

والعلة عبارة عن سبب غامض قادح في الحديث مع أن الظاهر السلامة منه ، ويتطرق ذلك إلى الإسناد الجامع شروط الصحة ظاهرا .

وقد تطلق العلة على غير مقتضاها ككذب الراوى ، وغفلته ، وسوء حفظه ونحوها من أسباب ضعف الحديث ، وقد يطلقها بعضهم على مخالفة لاتقده كإرسال ما وصله الثقة الضابط حتى قال : « من الصحيح صحيح معلل كما قيل منه صحيح شاذ »^(٢) .

أما كيفية إدراك العلة ومعرفتها فهو : تفرد الراوى ومخالفة غيره له مع قرائن تضم إلى ذلك تنبه العارف بهذا الشأن على وهم وقع بإرسال في الموصول أو وقف في المرفوع أو دخول حديث في حديث أو غير ذلك بحيث يغلب على علته فيحكم بعد صحة الحديث أو يتردد فيتوقف فيه ، والطريق إلى معرفته : جمع طرق الحديث والنظر في اختلاف رواته وضبطهم وإتقانهم .

والتصنيف على العلل هو جمع الأحاديث المعلة وتدوينها مرتبة ترتيبا موضوعيا مبينا فيها مع كل حديث علته ، وقد يلحق بعض المصنفين هذه الطريقة بطريقة المسانيد فيصنف مسنده معلا وممن صنف في العلل « الإمام على بن المدينى ، والإمام أحمد بن حنبل ، والإمام البخارى والإمام مسلم ، وأبو يحيى زكريا بن يحيى الضبى المتوفى سنة ٣٠٧ ، والأمام الترمذى ، ونقدم هنا نموذجا للتأليف على العلل .

العلل الكبير للإمام الترمذى :

سار الإمام الترمذى في تصنيف العلل على درب الإمام البخارى واعتمد عليه وعلى علمه وكتابه ، وكان يروى فيه كثيرا عن البخارى مما يدل على تأثره به وانتفاعه بعلمه . وقد أتقن الإمام الترمذى هذا الفن وحذقه كما هو الشأن في كتابه « الجامع » وغيره حتى قال فيه الحافظ الإدريسى :

(١) مقدمة النهاية لابن الأثير ص ٤ .

(٢) تدريب الراوى ص ١٦١ .

صنف الجامع ، والتواريخ والعلل ، تصنيف رجل عالم متقن كان يضرب به المثل في الحفظ وللترمذى كتابان في العلل :

أحدهما : العلل الصغير ، « وهو الكتاب الذى ألحقه بجامعه ، وجعله خاتمة له » .

والثانى : هو العلل الكبير ، وهذا هو الكتاب المقصود بقول المحدثين : رواه الترمذى في العلل ، ولكن مما يؤسف له أن هذا الكتاب غير موجود بأيدينا ، فهو من الكتب المفقودة ، ولعله يكون مخطوطا ضمن مخطوطات خزانات الكتب الأجنبية أو اندثر ضمن ما اندثر من تراثنا العزيز تحت غبار السنين والقرون .

وهذا هو مادعا البعض أن يقول : أنها كتاب واحد .

ونرى أن كتاب العلل الكبير ، غير كتاب العلل الصغير ، لما روى من الأحاديث عن (العلل الكبير) وهى غير موجودة في العلل الصغير .

ومثال ذلك ما رواه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمر عن أخته حفصة قالت : قال رسول الله ﷺ : (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) ^(١) .

وقد أهمل الترمذى وأحمد والنسائى هذا الحديث لمخالفته عبدالله بن أبى بكر بن عمر وابن حزم الذى تفرد به من هم أكبر منه قدرا كابن عيينة ويونس الأيلى وغيرهما ممن رواه موقوفا على حفصة ، ولما رواه نافع في رواية مالك موقوفا على ابن عمر ، كما ظهرت بعض القرائن في ذلك وهى كثرة الاختلاف في سند الحديث حتى رجحوا رواية الوقف على رواية عبدالله بن أبى بكر . قال الترمذى في العلل : (وهو خطأ ، وهو حديث فيه اضطراب ، والصحيح عن ابن عمر موقوفا) .

● المشيخات

ومن الأنواع التى صنف في القرن الثالث كذلك « كتب المشيخات » وهى التى تنص على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم ، وأجازوه وإن لم يلقيهم .

كمشيخة الحافظ أبى يعلى الخليلي ، ومشيخة أبى يوسف يعقوب بن سفيان بن حوان . المتوفى سنة سبع وسبعين ومائتين ومشيخته في ستة أجزاء مرتبة على البلاد .

● الطبقات

ومن الأنواع التى صنف في هذا القرن أيضا « كتب الطبقات » وهى التى تنص على ذكر الشيوخ وأحوالهم ، ورواياتهم طبقة بعد طبقة ، وعصرا بعد عصر إلى زمن المؤلف .

(١) رواه ابوداود ح-٢ ص ٣٢٩ ، والنسائى ح-١ ص ٣٢٠ والترمذى ح-١ ص ١٤١ ، وابن ماجه ح-١ ص ٥٢٠ .

ومن ألف كذلك في القرن الثالث أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري المصري الحافظ أحد شيوخ البخاري ألف : « طبقات الرواة » وتوفي سنة ثلاثين وقيل : سنة أربعين أو ست وأربعين ومائتين .

وألف، الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي الحنظلي كتاب « طبقات التابعين » توفي سنة خمس أو سبع وسبعين ومائتين .

● رواية الأكابر عن الأصاغر والآباء عن الأبناء

وهو من أهم الأنواع ، ومن فوائده ألا يتوهم أن المروى عنه أفضل وأكبر من الراوى لكونه الأغلب في ذلك ، ومنها ألا يظن أن في السند انقلابا . وهو أقسام :

(١) أن يكون الراوى أكبر سنا ، وأقدم طبقة من المروى عنه كالزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى في روايتهما عن مالك بن أنس .

(٢) أن يكون الراوى أكبر قدرا لاسنا كمالك في روايته عن عبدالله بن دينار ، وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه في روايتهما عن عبيد الله بن موسى العبسى .

(٣) أن يكون الراوى أكبر من المروى عنه من الوجهين معا كعبد الغنى في روايته عن الخطيب ، وكالخطيب في روايته عن ابن ماكولا^(١) .

ومن الكتب المصنفة في هذا النوع في القرن الثالث : كتاب (مارواه الكبار عن الصغار والآباء عن الأبناء) .

تأليف الحافظ أبى يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس بن المنجنيقى البغدادى الوراق نزيل مصر المتوفى سنة أربع وثلاثمائة^(٢) .

والحق أن أنواع علوم الحديث كثيرة لاتعد ، وكما قال الحازمى : علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة كل نوع منها علم مستقل ، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته .

(١) تدريب الراوى .

(٢) الرسالة المستطرفة .

علوم السنة

ولقد اجتهد المحدثون وصنفوا في الجرح والتعديل ، ومعرفة الصحابة ، وتاريخ الرواة ، ومعرفة الأسماء والكنى والألقاب ، وتأويل مشكل الحديث ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، ومعرفة غريب الحديث ومعرفة علل الحديث . وكانت مؤلفات علماء القرن الثالث في علم المصطلح غير مستقلة ، وإنما تابعة لمؤلفات كبيرة كالإمام مسلم في مقدمة صحيحه ، والإمام الترمذى في خاتمة جامعه ، وهكذا .

وأما استقلال هذا العلم والتصنيف في جميع بحوثه فلم يكن إلا في القرن الرابع على يدي الرامهرمزي ٣٦٠هـ .

وإذا ألقينا النظر على مؤلفات علوم السنة من لدن القرن الرابع إلى آخر العصور المتأخرة نرى أنها لم تبلغ نضجها وقامها في التصنيف إلا بعد القرن الثالث ، بخلاف المصنفات الأخرى في علم الحديث رواية فإنها وصلت إلى مرحلة النضج والتمام والنضج في القرن الثالث ، ولم تكن أعمال العلماء بعد هذا إلا جمعا وترتيباً وتهذيباً .

وفي رأينا أن هذا راجع إلى سببين :

الأول : أن علماء القرن الثالث حملوا على عاتقهم مهمة جليلة وشاقة ، وهى تدوين السنة النبوية وتصنيفها ، فعنى بعضهم بتخليصها من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وعن الأخرين بتخليص الصحيح من غيره وتمييزه منه وهكذا .

وفي سبيل هذا العمل المضنى عاشوا للسنة حراساً ساهرين ، لا ينطبق لهم جفن ولا تلين لهم عزيمة ، وجابوا الأقطار الإسلامية ، وقطعوا المفاوز النائية بل إن بعضهم ربما رحل الرحلات الطويلة لسماع حديث واحد ، فانشغلهم بهذا العمل الضخم لم يكن ليتمكن لهم من طول البحث أو كثرة التصنيف في علوم السنة خاصة وأنهم ليسوا في حاجة كبيرة إلى مثل هذه التصنيفات لأنهم حملوا مقاييسهم وشروطهم في السند والمتن وعلى ضوئها دونوا مادونوا مشافهة .

الثاني : أن علماء القرن الرابع لم ينشغلوا بمثل ماانشغل به أهل القرن الثالث الذين كفوهم عناء البحث فوجدوا في مصنفاتهم ما يريدون .

ثم إن الرواية الشفاهية في عهدهم فترت والرحلات العلمية قلت ، فكان لديهم نوع من الاستقرار دعاهم لأن يتموا مابدأه سلفهم بالنسبة لعلوم السنة ، فتوفر لهم الوقت وأنارت لهم

السبيل بعض بواكير سلفهم من أهل القرن الثالث فأخذوا في استكمال هذه العلوم حتى بلغت نضجها وكمالها .

وإذا تتبعنا مراحل التصنيف في هذه العلوم نرى أنها تمت ونضجت بعد القرن الثالث .

أولا : بالنسبة « للجرح والتعديل » صنف فيه ابن أبي حاتم ٣٢٧هـ ، وأحمد بن نصر البغدادي ٣٢٣هـ ، وابن منده ٣٩٥هـ ، وهؤلاء من أهل القرن الرابع ، كما صنف فيه من أهل القرن الخامس : أبوبكر البرقاني ٤٢٥هـ وأبو الفضل الفلكي ٤٣٨هـ ، وأبو الوليد الباجي ٤٧٤هـ ، وأبو عبدالله الحميدي ٤٨٨هـ .

ومن أهل القرن السادس : ابن طاهر المقدسي ٥٠٧هـ ، وأبوموسى المديني ٥٨١هـ ، وأبو القاسم بن عساكر ٥٢٣هـ ، وأبوبكر الحازمي ٥٨٤هـ ، وعبد الغني المقدسي ٦٠٠هـ .

ومن أهل القرن السابع : ابن الصلاح ٦٤٢هـ ، والحافظ المنذري ٦٥٦هـ ، وأبو شامة ٦٢٥هـ ، وابن دقيق العيد ٧٠٢هـ .

ومن أهل القرن الثامن : ابن تيمية ٧٢٨هـ ، والحافظ المزني ٧٤٢هـ وابن سيد الناس ٧٣٤هـ والعراقي ٨٠٦هـ وابن حجر ٨٥٢هـ وهكذا ظهر في كل عصر من الأئمة الأعلام من وزنوا الرواة بميزان العدل ، ومنهم من تكلم على الضعفاء ومنهم من اقتصر على الثقات ومنهم من جمع بين النوعين .

ثانيا : بالنسبة لمعرفة الصحابة : وهو فن رفيع من الفنون الحديثة يعرف به الاتصال والإرسال ألف فيه أبوموسى المديني ، وابن عبد البر وكتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » يعتبر من أحسن المؤلفات في هذا الفن ، و« أسد الغابة » لابن الأثير ٦٣٠هـ ، واختصره الحافظ الذهبي ٧٤٨هـ في كتابه « التحرير » وابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ ألف كتابه « الإصابة في معرفة الصحابة » .

ثالثا : علم تاريخ الرواة : ويبحث في تاريخ كل راو ورحلاته وتاريخ مولده ووفاته وأغلب أحواله التي لها دخل في تعديله أو تجريجه ، ومن ثمرات هذا العلم :

(أ) معرفة السابق واللاحق من الأحاديث ، وبذلك يمكن الوقوف على الناسخ والمنسوخ فلا يكون هناك تعارض .

(ب) معرفة ما يقبل من أحاديث الثقات قبل اختلاطهم .

(ج) معرفة الموضوع من الأحاديث وذلك عن طريق معرفة ما إذا كان البعض لم يلتق بمن حدث عنه ، ومن المصنفات في ذلك : « الوفيات » لعبدالله بن أحمد بن ربيعة الربعي الدمشقي ٣٧٣هـ ، ومن العلماء من ألف في رجال الصحيحين ، كابن طاهر المقدسي ٥٠٧هـ ،

ومنهم من ألف في رجال السنن الأربع كأحمد بن أحمد الكردي ٧٦٣هـ ، « تهذيب التهذيب » وتقريب التهذيب لابن حجر ٨٥٢هـ .

رابعا : معرفة الأسماء والكنى والألقاب : ومن الكتب المصنفة في ذلك : كتاب « المنى في الكنى » للسيوطي ، وكتاب « الأسماء والألقاب » لابن الجوزي ٥٩٧هـ .
ومن هذه الأنواع كتب مؤلفة في المتفق والمفترق للخطيب البغدادي وكتب في المؤلف والمؤلف للمدارق قطنى .

خامسا : تأويل مشكل الحديث ، ألف فيه ابن الجوزي ٥٩٧هـ كتابا سماه : « التحقيق في أحاديث الخلاف » .

سادسا : الناسخ والمنسوخ : ومن ألف فيه أبو بكر زين الدين محمد بن أبى عثمان الحازمى المتوفى سنة ٥٨٤هـ وسمى كتابه : « الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار » .

سابعا : معرفة غريب الحديث ، ومن ألف فيه أبو سليمان الخطابي ٣٧٨هـ ، وجار الله أبو القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ ، وابن الجوزي ، وابن الأثير ٦٠٦هـ وسمى كتابه « النهاية في غريب الحديث والأثر » ولخصه السيوطى المتوفى سنة ٩١١ فى كتاب سماه « الدر النثير تلخيص نهاية ابن الأثير » .

ثامنا : معرفة علل الحديث ، ألف فيه الدارقطنى وابن حجر ، واسم كتابه « الزهر المكلول فى الخبر المعلول » .

تاسعا : الموضوعات ، ألف فيه بعض العلماء كتباً حصرت الأحاديث المكذوبة ، ومنها « تذكرة الموضوعات » لابن طاهر المقدسى و« الموضوعات الكبرى » لابن الجوزي و« اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » للسيوطى و« تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين » لمحمد البشير ظافر أبى عبد الله المالكي المتوفى سنة ١٣٢٥هـ .

هذه نبذة عن بعض أنواع هذه العلوم ، وهى كثيرة لا تحصى ، وكما قال الحازمى : « علم الحديث يشتمل على أنواع كثيرة تبلغ مائة ، كل نوع منها علم مستقل ، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته ، وقد ذكر ابن الصلاح منها خمسة وستين »^(١) أهـ .

وقد سبق الكلام عن تاريخ نشأة هذا العلم ، وأن أول من صنف فيه القاضى أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي المتوفى سنة ٣٦٠هـ فى كتابه « المحدث الفاضل بين الراوى والسامع » نعم كانت هناك مصنفات قبله ، ولكنها كانت فى بعض الفنون ، أما كتاب

(١) تدريب الراوى ص ١٤ .

الرامهرمزى فيعتبر أعظم مآلف في زمانه جميعا لأنواع هذا العلم ، وإن لم يستوعب جميع المسائل ، ثم تتابع التأليف بعد ذلك ، فظهرت الكتب الكثيرة والمنظومات والمختصرات .

● أثر رواية الحديث في رواية العلوم الأخرى

لم يعن العرب قبل الإسلام بالرواية وتصحيح الأخبار وتمحيص المرويات ، لأن مروياتهم لم يكن لها من القداسة ما يدعوا إلى ذلك ، ففيها الأساطير والأحاديث المختلفة .

أما الرواية في الإسلام ، وفي الحديث خاصة فقد شدد العلماء فيها ، وقعدوا لها القواعد ، وصاغوا لها الشروط ، وأصلوها لها الأصول بعناية فائقة تعتبر أدق ما وصل إليه النقد في القديم والحديث ، وكان من مميزات الرواية في الإسلام وخصائصها (الإسناد الصحيح المتصل برواية العدول الضابطين) .

ولقد ظل العلماء يتحرون الدقة ، ويعنون بالتثبت من الأخبار ونقد سندها ومتنا ، ونظروا للاسناد على أنه من الدين ، قال عبدالله بن المبارك : « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » ^(١) .

وقال صالح بن أحمد الحافظ : « سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول : (بلغنى أن الله حفظ هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الاسناد ، والأنساب ، والإعراب) .

ويقول محمد بن حاتم بن المظفر : « إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالاسناد ، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم اسناد وإنما هي صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم وليس عندهم تمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها عن غير الثقات .

وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم ثم يبحثون أشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها وأكثر حتى يهذبوه من الغلط » ^(٢) .

ومما سبق يتضح أن الاسناد من خصائص هذه الأمة ، وقد رغب كثير من الأئمة الحفاظ في الرحلة إلى الأقطار الإسلامية طلبا لعلو الاسناد ، قال الإمام أحمد بن حنبل « الاسناد العالى سنة عمن سلف » ^(٣) .

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٧٩ مخطوط بدار الكتب المصرية .

(٣) الباحث الحديث لابن كثير ص ١٦٠ .

وللرواية في الإسلام أثرها الكبير في العلوم الأخرى :
فلقد تأثر بعلماء الحديث ومناهجهم وأساليبهم كثير من العلماء في كثير من علوم اللغة
والآداب والتاريخ والسير ، وقلدوا أئمة السنة فيما يأتي :

(١) كانوا يذكرون السند ، فمثلا يقول ^(١) ثعلب في أماليه : « حدثني أبو بكر بن الأنباري عن
أبي العباس عن ابن الأعرابي ، قال : يقال : لحن الرجل يلحن لحننا فهو لاحن إذا أخطأ ،
ولحن يلحن لحننا فهو لحن إذا أصاب وفطن » .

(٢) سار كثير من علماء اللغة على نمط علماء الحديث في ترتيب كلمات اللغة وأطلقوا اصطلاحات
يظهر فيها التأثير الكبير باصطلاحات الحديث ، قالوا : فصيح وأفصح وجيد وأجود ، وقالوا
أيضا : ضعيف ومنكر ومتروك ، كما صنع رجال الحديث في قولهم مثلا صحيح وحسن
وضعيف وقالوا : أوفى بالعهد أفصح من وفى بالعهد لأن الأولى لغة القرآن .

(٣) قاموا بتجريح بعض الرواة وتعديلهم شأنهم في ذلك شأن علماء السنة فعدلوا الخليل بن أحمد
وأبا عمرو بن العلاء ، وجرحوا قطربا .

(٤) كانت لهم محاولات في تدوين الكلمات ، وكانت لهم طريقتان :

الأولى : دونوا فيها الكلمات حسبما اتفق دون ترتيب .
الثانية : وضعوا الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد كما وضع المحدثون بالنسبة
لمرحلة التدوين على المسانيد وعلى الأبواب .

(٥) يظهر للناظر في كتب تراجم الأدب صيغة المحدثين واضحة ككتاب الأغاني فاننا نراه يسير
على غرار اسناد المحدثين ، كقوله مثلا : أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي
عبيدة ، قال : بلغني أن هذا البيت في التوراة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
وكانت المؤلفات في تراجم الشعراء وطبقاتهم على نمط طبقات المحدثين كما صنع ابن سلام
حيث وضع طبقات الشعراء ، وابن قتيبة ، كل ذلك على نمط صنيع المحدثين .

● المقارنة بين رواية الحديث ورواية العلوم الأخرى

لم تبلغ الرواية في العلوم الأخرى شأواً ما بلغت رواية الحديث ، ولم تلق من العناية ما لقيته لدى
المحدثين من دقة النقد وتمحيص الرويات ولم يتمسك رواة العلوم الأخرى بالاسناد طويلا كما

(١) ضحى الإسلام : أحمد أمين ج ٢ ص ٢٥٨ .

تمسك به المحدثون ، فلم نر لعلماء اللغة مثلاً معجماً مسنداً كما هو الشأن في صحيحى البخارى ومسلم ، بل إن مآجعه علماء اللغة لم يكن كله في درجة واحدة من الثقة والصحة ، فقد تسلل إليه الوضع والفساد ، وحامت حوله الشكوك والشبهات ، ويرجع ذلك إلى أسباب يمكن إجمالها فيما يأتى :

(أ) أن سائر العلوم واللغات فيما سوى القرآن الكريم والسنة النبوية لم تتمتع بالقداسة والإكبار كما هو الشأن في هذين الأصلين الشريفين .

(ب) أن الالفاظ اللغوية لاتقع تحت حصر ، فلو حاول العلماء تدوين كل كلمة وكل اشتقاق عن طريق الاسناد لوصل بهم الأمر مدى لا يحصى .

(ج) أن بعض علماء اللغة لم يكونوا على جانب كبير من الثقة فيما يروونه كما هو الحال بالنسبة للمحدثين .

(د) أخذ بعض علماء اللغة عن الكتب والصحائف في العصور الأولى ، ولم تكن يومئذ منقوطة ولا مشكولة ، إلا ما كان في القرآن الكريم فقط وهكذا نرى أن هذه المحاولات إنما كانت خطرات عابرة وأمثلة قاصرة ولم يبلغ هؤلاء ولا غيرهم من المؤرخين وكتاب السير شأوا المحاثين لأن النظرة عند كل منهم مختلفة .

فالمحدثون نظروا على أنه دين وتشريع له قداسته وصيانيته واحترامه ، أما كتاب التاريخ والأدب واللغة فلم تصل نظرهم فيما دونوه إلى ماوصلت إليه نظرة أهل الحديث .

ويتضح لنا الفرق بين النظرتين بما صنعه ابن جرير الطبرى في كتابه التفسير حيث تحرى الدقة في الرواية أكثر مما صنع في كتابه التاريخ ، وهذا راجع إلى تغاير النظرتين .

ومن أئمة القرن الثاني الهجري

مكحول أبو عبيد الله الفقيه

وهو أحد الأئمة ، ولد بمصر ، وروى عن ثوبان وأبى أمامة وواثلة ، وأنس وغيرهم ، وروى عنه الزهرى وأبو حنيفة ، مات سنة اثنتى عشرة ومائة .

نافع مولى ابن عمر

بعثه عمر بن عبدالعزيز إلى مصر يعلمهم السنن ، فأقام بها مدة . . مات سنة عشرين أو عشرة ومائة .

يزيد بن أبى حبيب

يزيد بن أبى حبيب ، واسمه سويد الأزدي ، أبو رجاء المصرى . فقيه مصر وشيخها ومفتيها . لقي عبدالله بن الحارث بن جزء ، وروى عن سالم ونافع وعكرمة وعطاء وخلق ، وعنه ابن بهيعة والليث وآخرون .

قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث وقال ابن يونس : كان مفتى أهل مصر ، وهو أول من أظهر العلم بمصر والمسائل فى الحلال والحرام . وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن ، وهو أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبدالعزيز الفتيا بمصر .

وقال الليث : هو سيدنا وعالمنا . مات سنة ثمان وعشرين ومائة ^(١) .

(١) طبقات ابن سعد ٧: ٥١٣ وفيها « مات فى خلافة مروان بن محمد » .

ابن لهيعة

- ابن لهيعة عبد الله بن عقبة^(١) بن لهيعة الحضرمي المصري أبو عبد الرحمن الفقيه ، قاضى مصر ومسندها . عن عطاء وعمرو بن دينار والأعرج وخلق ، وعنه الثوري والأوزعي وشعبة ، وماتوا قبله . وابن المبارك وخلق . وثقه أحمد وغيره ، وضعفه يحيى القطان وغيره . مات بمصر يوم الأحد نصف ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة^(٢) .

(١) تهذيب التهذيب عبد الله بن لهيعة بن عقبة .

(٢) تهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٣ .

الليث بن سعد

- الليث بن سعد عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث المصري . أحد الأعلام ، ولد بقلقشندة ، سنة أربع وتسعين ، وروى عن الزهري وعطاء ونافع وخلق ، وعنه ابنه شعيب وابن المبارك وآخرون . قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث صحيحه ، وكان قد اشتغل بالفتوى في زمانه بمصر ، وكان سريرا من الرجال ، نبيلاً سخياً له ضيافة .

وقال يحيى بن بكير : مارأيت أحداً أكمل من الليث ، كان فقيه النفس ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة .

وقال الشافعي : كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه ^(١) .

قال ابن كثير : وقد حكى بعضهم أنه ولى القضاء بمصر وهو غريب .

وقال الذهبي في العبر : كان نائب مصر وقاضيتها من تحت أوامر الليث ، وإذا رابه من أحد شئء كاتب فيه فيعزل ، وقد أراده المنصور أن يلى إمرة مصر فامتنع .

مات يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، كذا ذكره غير واحد .

وقال ابن سعد : سنة خمس وستين . وحكى ابن خلكان أنه سُمعَ قائل يقول يوم مات الليث .

ذهب الليث فلا ليث . لكم ومضى العلم غريباً وقبر

فالتفتوا فلم يروا أحداً ^(٢) .

والمشهور - كما يقول الخطيب البغدادي - أنه « فهمي » .

أما كونه « فهمي » فإن مما يؤيده ما ذكره القلقشندى ، قال :

« وقال القضاعي في خططه في الكلام على دار الليث بالفسطاط :

(١) طبقات ابن سعد ٥١٧:٧ .

(٢) ابن خلكان ٤٣٩:١ .

« وكان له دار بقلقشندة بالريف ، بناها ، فهدمها ابن رفاعة أمير مصر ، عنادا له ، وكان ابن عمه .

فبناها الليث ثانيا : فهدمها .

فلما كانت الثالثة أتاه آت في منامه فقال له : ياليث « وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . »

فأصبح وقد فلج ابن رفاعة ، فأوصى إليه ، ومات بعد ثلاث .

ويبدو أنه ندم على ماكان منه بالنسبة لليث ، يقول يحيى بن بكير :

كتب الوليد بن رفاعة وهو أمير مصر في وصيته ، قد أسندت وصيتي لعبدالرحمن بن خالد بن مسافر إلى الليث بن سعد ، وليس لعبدالرحمن أن يفتات على الليث فإن له نصحا ورأيا . . وكان الليث يومئذ ابن أربع وعشرين سنة .

يقول المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق :

« وابن رفاعة المقصود هنا هو الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن طاعن الفهمى الذى ولى مصر سنة ١٠٩هـ ، وتوفى وهو وال عليها سنة ١١٧هـ ، والوليد بن رفاعة عربى صراح ، من فهم ، ليس فى نسبه خلاف ، فإذا كان الليث ابن عمه فهو أيضا عربى فهمى .

ونقل البغدادي رواية عن أبى مسلم صالح بن أحمد بن عبدالله العجلي عم أبيه قال : « الليث بن سعد يكنى أبا الحارث ، مصرى فهمى ثقة » أهـ .

ونحن لانرى إلا أن الإمام الليث مصرى عربى من فهم .

وفهم بطن من قيس عيلان ومرجعهم إلى العدنانية .

ونحن إذا كنا نرى أن الإمام الليث مصرى عربى من فهم ، فإننا نوافق على ذلك بعض من كتبوا عنه ، بيد أن كثيرا من المؤرخين يرون رأيا آخر .

ويكفيانا « المشهور من أنه : عربى من فهم » وماروى من أنه ابن عم أمير مصر : ابن رفاعة العربى الأصيل .

أما ^(١) عن تاريخ ميلاده فإن أرجح الأقوال أنه ولد سنة (أربع وتسعين) هـ . وروى ذلك عن الليث نفسه ، يقول ابن بكير : سمعت الليث يقول :

« ولدت في شعبان سنة أربع وتسعين » .

وكذلك يقول عبدالله بن أحمد بن حنبل ، قال أبى : ولد ليث بن سعد سنة أربع وتسعين . . ويحدد ابن بكير أكثر فيقول : لأربع عشرة خلت من شعبان . ويزيد ابن حبان الأمر تحديدا فيقول : يوم الجمعة .

أما مكان ميلاده : قلقشندة . .

وهى بلدة أبى العباس القلقشندى .

وحينما يتحدث القلقشندى عن محافظة القليوبية فإنه يقول :

ومن بلادها بلدتنا قلقشندة ، ثم يصفها بقوله : « وهى بلدة حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه » .

ثم يقول : « وإليها ينسب الليث بن سعد ، الإمام الكبير » . وذكر ابن يونس فى تاريخه أن الليث ولد بها .

وقد كان الليث يحبها جدا كثيرا يدل عليه أنه حينما بنى بها بيتا وهدمه ابن عمه الحاكم أعاد بناءه ، ثم أعاد البناء للمرة الثالثة بعد أن هدمه الحاكم فى المرة الثانية . . وليس حبه لها بغريب ، فهى مهد ميلاده ، ومكان نشأته وصباه وكانت :

« حسنة المنظر ، غزيرة الفواكه » . . وبعض الناس يقول عنها قرشندة . .

ولقد أبدل ياقوت فى معجم البلدان اللام راء ، يقول صاحب صبح الأعشى : « وهو الجارى على السنة العامة . وعليه جرى القضاء فيما رأيته مكتوبا عنه فى خطه » .

ولكن ذلك خطأ يعلنه القلقشندى ، وهو العالم الكبير الذى يوثق بكلامه عن بلدته . ويوافقه فى ذلك ابن خلكان الذى يذكر ضبطها فيقول :

« بفتح القاف ، وسكون اللام ، وفتح القاف الثانية ، والشين المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، وبعدها هاء ساكنة » .

وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية .

(١) الليث ابن سعد للدكتور عبدالحليم محمود .

وهذا الضبط في الشكل هو نفس الضبط فيما جرى على السنة العامة ، أعنى « قرشندة »
وهذه البلدة تقع الآن في مركز طوخ .

ولد الإمام بهذه البلدة ، وأخذ يتعلم على الصورة المألوفة حينئذ : كانوا يبدءون بحفظ القرآن ، ويتعلمون عن طريق ذلك الكتابة والقراءة . . وكانوا يتعلمون علوم القرآن ، ويتعلمون الحديث والفقه وعلوم الإسلام والعربية على وجه العموم .

وبدت نجابة الليث في سن مبكرة ، بل كان إماما يفتى وهو في بواكير شبابه ، روى ابن حجر العسقلاني عن يحيى بن بكير أنه قال ، سمعت شرحبيل بن يزيد يقول :

أدركت الناس في زمن هشام بن عبد الملك وهم متوافرون مثل يزيد بن حبيب ، وعبيد الله بن أبي جعفر ، وجعفر بن أبي ربيعة ، والحارث بن يزيد ، وابن هبيرة ، ومن يقدم مصر من علماء أهل المدينة ومن علماء أهل الشام للرباط ، والليث بن سعد يومئذ حدث شاب ، وإنهم ليعرفون فضله ، ويقدمونه ويشار إليه .

وقال يعقوب بن سفيان : سمعت يحيى بن بكير يقول : سمعت الليث يقول : رآني يحيى ابن سعيد الأنصاري وقد فعلت شيئا من المباحات قال : لاتفعل ، فإنك إمام منظور إليك .

قلت : ويحيى بن سعيد تابعي من شيوخ الليث .

لقد كان إماما منظورا إليه وهو يومئذ حدث شاب .

وإذا كان هذا الحدث الشاب بلغ هذا المبلغ فإنه قد بلغه بجده واجتهاده ، وبلغه بذكائه المتوقد ، وذاكرته القوية .

ولم ينم الفتى الإمام على شهرته هذه التي بلغها ، ولا على تقديره هذا الذي كان له وسط العلماء ، وإنما واصل الليل بالنهار في الدراسة والأخذ عن العلماء ، وكان أستاذا يدرس للجمهور وللعلماء ، وتلميذا يتلقى عن العلماء ، واستمر كذلك إلى نهاية حياته ، وتروى عن ذلك بعض القصص :

لقد حج أول حجة سنة ثلاث عشرة ومائة ، وكما يقول الله تعالى في الحجاج : « لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » .

فإن الليث كانت منافعه التي شهدها في هذه الحجة هي أن يأخذ عن العلماء . .

قال البخاري : قال يحيى بن بكير عن الليث قال :

« سمعت من ابن شهاب الزهري بمكة سنة ثلاث عشرة ، وهي أول سنة حج » . وكان

الليث يجلب ابن شهاب ، ويحبه ، ويحترمه لعلمه وفضله ، روى ابن حجر عن عمرو بن خالد قال :

قال الليث : بلغنى أنك أخذت بركاب ابن شهاب الزهرى .

قال : نعم ، للعلم ، فأما لغير ذلك فلا ، والله ما فعلته بأحد قط . . ويقول ابن حجر عن الليث : وقد سمع من ابن شهاب الزهرى كثيرا ، ويدخل بينه وبين الزهرى الواسطة بواحد . . وبأثنين . . وبثلاثة . .

وكان من منافع الليث التى شهد بها بمكة فى حجته تلك أن أخذ عن نافع مولى ابن عمر ، ونافع هذا من أوثق الرواة عن ابن عمر : لم يختلف فى ذلك أحد من المحدثين ، والسلسلة الذهبية عند كثير من المحدثين : مالك عن نافع عن ابن عمر . . .

يقول الليث - فيما رواه غير واحد :

دخلت على نافع مولى ابن عمر ، فقال : من أين ؟

قلت من أهل مصر .

فقال : ممن .

قلت : من قيس .

قال : ابن كم ؟

قلت : ابن عشرين .

قال : أما لحيتك فلحية ابن أربعين .

كان نافع أسمر اللون ، ومن طريق ما يروى عن الليث فى حجته تلك أنه لم يحج وحده وإنما رافقه ابن لهيعة . . . ويقول :

حججت أنا وابن لهيعة ، فرأيت نافعا مولى ابن عمر ، فدخلت معه إلى دكان علاف ، فحدثنى ، فمر بنا ابن لهيعة . .

فقال : من هذا ؟

قلت : مولى لنا .

فلما رجعنا إلى مصر جعلت أحدث عن نافع ، فأنكر ذلك ابن لهيعة وقال : أين لقيته ؟

قلت : أما رأيت العبد الذى كان فى دكان العلاف ؟ هو ذاك . . ويقول ابن حجر :

وقعت لى نسخة الليث عن نافع ، فيها من الأحاديث المرفوعة والموقوفة نحو المائة ، ومع ذلك فكان الليث يروى عنه ما ليس عنده منه مشافهة بالواسطة - وربما روى عنه بأكثر من واسطة واحد .

وإذا كان ذلك وهو في سن العشرين فإن السنين تمضي وهو في نفس الأسلوب من الدراسة والتدريس ، وهاهو ذا قد نيف على الستين ، وقد سافر إلى العراق .

ويقول أبو صلاح :

خرجت مع الليث في سنة إحدى وستين « بعد المائة » فشهدنا الأضحى ببغداد ، فقال لي الليث :

سل عن منزل هشيم الواسطي فقل له : أخوك الليث المصري يقرأ عليك السلام ويسألك أن تبعث إليه شيئاً من كتبك .

فذهبت إليه ، ففعل ، فكتب لليث منها ، وسمعتها من هشيم مع الليث .

وفيما يتعلق برحلته إلى العراق نحب أن نذكر حادثتين ترك أمر التصديق بهما إلى القارئ ونذكر أن الأسباب التي دعتنا إلى ذكرهما هي :

١- طرافة هاتين القصتين .

٢- المشكلة فيهما في غاية التعقيد ، وقد استعصت على كثير من الفقهاء .

٣- الحل فيهما في غاية الذكاء والمهارة وسعة المعلم .

٤- كل الكتب التي كتبت عن الليث والتي بين أيدينا ذكرتها . . . وسواء أصبحت القصتان أم كانتا خيالاً فإن فيهما طرافة .

وهاهي ذى القصة الأولى ننقلها عن الحلية :

عن أبي على الحسن بن مليح الطرائفي بمصر حدثنا لؤلؤ الخادم - خادم الرشيد - قال : جرى بين هارون الرشيد وبين ابنة عمه زبيدة مناظرة وملاحاة في شيء من الأشياء ، فقال هارون لها في عرض كلامه : أنت طالق إن لم أكن من أهل الجنة ، ثم ندم واغتمها جميعاً بهذا اليمين ، ونزلت بهما مصيبة لموضع ابنة عمه منه ، وجمع الفقهاء وسألهم عن هذه اليمين فلم يجد منها مخرجاً ، ثم كتب إلى سائر البلدان من عماله أن يحمل إليه الفقهاء من بلدانهم ، فلما اجتمعوا جلس لهم وأدخلوا عليه ، وكنت واقفاً بين يديه لأمر إن حدث يأمرني بما شاء فيه ، فسألهم عن يمينه وكنت المعبر عنه ، وهل له منها مخلص فأجابه الفقهاء بأجوبة مختلفة ، وكان إذ ذاك فيهم الليث بن سعد فيمن أشخص من مصر ، وهو جالس في آخر المجلس لم يتكلم بشيء ، وهارون يراعى الفقهاء واحداً واحداً . . . فقال له : بقى ذلك الشيخ في آخر المجلس لم يتكلم بشيء فقلت له إن أمير المؤمنين يقول لك : مالك لا تتكلم كما تكلم أصحابك ؟ . .

فقال : قد سمع أمير المؤمنين قول الفقهاء وفيه مقنع ، فقال : قل إن أمير المؤمنين يقول :

لو أردنا ذلك سمعنا من فقهاءنا ولم نشخصكم من بلدانكم ، ولما أحضرت هذا المجلس ؟ فقال
يخلى أمير المؤمنين مجلسه إن أراد أن يسمع كلامي في ذلك ؟ . .

فانصرف من كان بمجلس أمير المؤمنين من الفقهاء والناس . . ثم قال : تكلم ، فقال :
يدينني أمير المؤمنين ، فقال : ليس بالحضرة إلا هذا الغلام وليس عليك منه عين ، فقال : يا أمير
المؤمنين أتتكلم على الأمان وعلى طرح للتعمل والهيبة والطاعة لي من أمير المؤمنين في جميع ما أمر به ؟
قال : لك ذلك .

قال : يدعوا أمير المؤمنين بمصحف جامع ، فأمر به فأحضر ، فقال : يأخذه أمير المؤمنين
فيتصفحه حتى يصل إلى سورة الرحمن ، فأخذه وتصفحه حتى وصل إلى سورة الرحمن ، فقال :
يقرأ أمير المؤمنين ، فقرأ فلما بلغ « وَلَئِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » قال : قف يا أمير المؤمنين ههنا
فوقف ، فقال : يقول أمير المؤمنين : والله . . فاشتد على الرشيد وعلى ذلك . . فقال له هارون
ماهذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، على هذا وقع الشرط ، فنكس أمير المؤمنين رأسه - وكانت زبيدة
في بيت مسبل عليه ستر قريب من المجلس تسمع الخطاب - ثم رفع هارون رأسه فقال : والله ،
قال : الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى أن بلغ آخر اليمين ، ثم قال : إنك يا أمير المؤمنين
تخاف مقام الله . .

قال هارون : إنني أخاف مقام الله .

فقال : يا أمير المؤمنين ، فهمي جنتان وليست بهجنة واحدة كما ذكر الله تعالى في كتابه . فسمعت
التصفيث والفرح من خلف الستر ، وقال هارون : أحسنت والله ، بارك الله فيك ، ثم أمر بالجوائز
والخلع لليث بن سعد .

ثم قال هارون : يا شيخ اختر ماشئت وسل ماشئت تجب فيه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، وهذا الخادم الواقف على رأسك . .

فقال : وهذا الخادم . .

فقال : يا أمير المؤمنين ، والضياح التي لك بمصر ولابنة عمك أكون عليها وتسلم إلى لأنظر
في أمورها .

فقال : بل نقطعك إقطاعا . .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ماأريد من هذا شيئا بل تكون في يدي لأمر المؤمنين فلا يجرى على
حيف العمال وأعز بذلك .

فقال : لك ذلك ، وأمر أن يكتب له ويسجل بها قال . وخرج من بين يدي أمير المؤمنين

بجميع الجوائز والخلع والخدام وأمرت زبيدة له بضعف ما أمر به الرشيد ، فحمل إليه واستأذن في الرجوع إلى مصر فحمل مكرما أو كما قال :

ويقول المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق معلقا على هذه القصة :

« أفتى الليث بن سعد هارون الرشيد في رد طلاقه مراعيًا في ذلك الناحية الروحية من قبل أن يراعى ظواهر الأحكام » . .

أما القصة الثانية فقد رواها يحيى بن عبدالله بن بكير قال : سمعت الليث بن سعد يقول : كنت أسمع بذكر أبي حنيفة وأتمنى أن أراه ، فكنت يوما في المسجد الحرام فرأيت حلقة عليها الناس مجتمعين ، فأقبلت نحوها فرأيت رجلا من أهل خراسان أتى أبا حنيفة فقال إنى رجل من أهل خراسان كثير المال وإن لى ابنا ليس بالمحمود وليس لى ولد غيره ، فذكر نحوه سوءا وزاد .

قال الليث : فوالله ما أعجبني قوله بأكثر مما أعجبني سرعة جوابه . . والقصة المشار إليها أن الرجل قال : يا أبا حنيفة ، قصدتك أسألك عن أمر قد أهمنى وأعجزنى . . قال : ماهو ؟

قال : لى ولد ليس لى غيره . . فإن زوجته طلق ، وإن سريته أعتق ، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة ؟ . .

فقال له للوقت : اشتر الجارية التى يرضاها هو لنفسك ثم زوجها منه ، فإن طلق رجعت مملوكتك إليك ، وإن أعتق أعتق مالا يملك .

والمتتبع لما يرويه الليث من الأحاديث يجد فيها كثيرا مما يتعلق بحسن السلوك وكمال الخلق إلى جانب ما يتعلق بأحكام الحدود والمعاملات !

وفى بغداد جرى حديث بين الإمام الليث وهارون الرشيد ، فيه حكمة ، وفيه من سداد الرأى مافيه .

روى ابن حجر عن الليث بن سعد قال :

لما قدمت على هرون الرشيد قال لى : ياليث ، ماصلاح بلدكم ؟ قلت : يأمر المؤمنين ، صلاح بلدنا اجراء النيل وصلاح أميرها ، ومن رأس العين يأتى الكدر فإذا صفا رأس العين صفت العين .

قال : صدفت يا أبا الحارث .

استفاد الليث من رحلاته صغيرا ، واستفاد من رحلاته كبيرا ، وكانت حياته كلها استفادة وإفادة .

يقول أبو نعيم فى الحلية :

« أدرك الليث نيفا وخمسين رجلا من التابعين » .

ويقول ابن حجر عمن تلقى عنهم الليث :

سمع ببلده من يزيد بن أبي حبيب ، وجعفر بن ربيعة ، والحارث بن يعقوب ، وعبيد الله ابن أبي جعفر . .

وبالحجاز من عطاء بن أبي رباح ، ونافع مولى ابن عمر ، وهشام بن عروة ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأبي الزبير محمد بن مسلم المكي ، وأيوب بن موسى الأموي ، وعبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة ، وعمرو بن شعيب ، وعمرو بن دينار ، وقتادة .

وسمع في رحلته إلى العراق وهو كبير من هشيم وهو أصغر منه .

ويقول ابن حجر أيضا :

وسمع من أبي الزبير ، وحديثه عنه من أصح الحديث ، فإنه لم يسمع منه شيئا دلس فيه . ويستفيض صاحب الرحمة الغيثية في ذكر من سمع منهم الليث . .

حياته

● كرمه

من جميل تجليات الله تعالى على أئمة الفقه أنهم كرماء ، ولقد كان الكرم صفة ظاهرة من صفات الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه . .

لقد كان ورعا يضرب بورعه الأمثال ، وكان كريما سخى النفس ، سخى اليد ، وكان يكسب حياته من التجارة .

وكان الامام مالك سخيا ، كريم النفس كريم اليد ، وكان تاجرا يقبل عليه الناس لصدقه وأمانته .

وكان الامام الشافعى كريما لا يبقى ولا يذر رغم فقره .

وكذلك كان الإمام محمد بن الحسن الشيبانى .

ومن أكثر الناس ثراء وكرما الامام الربانى الزاهد عبدالله بن المبارك . . وكان كريما بالنسبة لكل محتاج ، ولكنه كان يؤثر على الخصوص أهل العلم : طلبة وأساتذة ، ويرى أن الانفاق على أهل العلم من أنفس وجوه الانفاق .

ولانجد شبيها لعبدالله بن المبارك فى ثرائه العريض ، وكرمه الواسع ، إلا الليث بن سعد . وقد اختلفت الروايات فيما يتعلق بدخله السنوى ، وتراوحت الروايات فيما بين عشرين ألف دينار ومائة ألف دينار .

ونرى أن هذا الاختلاف مرده إلى فترات من حياته ، فهى تعبر مثلا عن دخله فى مقتبل عمره ، وعن دخله عندما كان فى دور الرجولة الناضجة . وعن دخله بعد لقائه بهارون الرشيد وهكذا . .

ولكن الروايات الكثيرة التى تتحدث عن دخله الواسع تذكر كلها تقريبا أنه لم يكن يدخر من دخله شيئا ، بل يذكر الكثير منها أنه فى آخر العام يكون مدينا ، ولهذا تذكر هذه الروايات أنه لم تحب عليه الزكاة قط فى ماله ، فما كان يحول الحول على شىء منه باق مخزون .

يقول شعيب بن الليث : قال أبى .

« ماوجبت على زكاة قط منذ بلغت » .

ونذكر هنا بعض هذه الروايات التي تتحدث عن كرمه : ونبدأ بها كان بينه وبين مالك :
لقد كان مالك كريما واسع الكرم كما ذكرنا ، ولكرمه هذا كان أحيانا يكون في حاجة للمال لينفق منه ، ويكرم منه ، فكان يكتب إلى الليث ، وكان الليث يلبي حاجة مالك سواء أكتب مالك إليه أم لم يكتب ؟
يقول ابن وهب :

« كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار في كل سنة ، فكتب مالك إليه : أن على دينا فبعث إليه بخمسمائة دينار » .
ويقول أبو صالح كاتب الليث :

كنا على باب مالك بن أنس فامتنع علينا - أى احتجب - فقلنا . ليس يشبه هذا صاحبنا .
قال : فسمع مالك كلامنا ، فأمر بادخالنا عليه ، فقال لنا : من صاحبكم ؟ قلنا : الليث ابن سعد .

قال : تشبهوننى برجل كتبت إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا فأنفذ إلينا منه ماصبغنا به ثياب صبياننا ، وثياب جيراننا ، وبعنا الفضل بألف دينار .
ويقول قتيبة بن سعيد : سمعت ابن الليث يقول :

خرجت مع أبى حاجا ، فقدم المدينة فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب ، قال فجعل على الطبق ألف دينار ، ورده إليه .
ويروى ابن حجر مائلى :
وقال أبو حاتم بن حبان :

كان الليث لا يتردد إليه أحد الا أدخله في جملة عياله مادام يتردد إليه ، ثم إن أراد الخروج زوده بالخير .

وقال عباس بن محمد الدورى : سمعت يحيى بن معين يقول :
كان الليث يصلى في المسجد كل صلاة يحبىء على فرسه ، فكان له مجلس يجلس فيه قربه يحيى ابن أيوب ، فغمزه ، فقام معه ، فسأله عن مسألة فأجابه ، فبعث إليه بمائة دينار .
وقال الترمذى : سمعت قتيبة يقول :

كان الليث في كل صلاة يتصدق على ثلاثمائة مسكين .

وقال أشهب :

كان الليث لا يرد سائلا ، وكان يطعم الناس الهرائس بعسل النحل وسمن البقر في الشتاء ، وفي الصيف بشيء من اللوز والسكر . .

وحدث إسحاق بن إسماعيل قال : سمعت محمد بن ربح يقول :

« كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه درهما قط بركة » .

ويروى منصور بن عمار الواعظ المشهور القصة الطريفة الآتية :

كان الليث إذا تكلم رجل في المسجد الجامع أخرجه ، قال : فلما دخلت تكلمت في الجامع فإذا رجلا قد دخلا فأخذا بي فقال : أجب أبا الحارث .

قال : فذهبت وأنا أقول : واسوأته ، أخرج من البلد هكذا . . قال . . فلما دخلت على الليث سلمت . .

فقال : أنت المتكلم في المسجد ؟

قلت : نعم . .

قال : أعد على ماقلت .

قال : فأعدته ، فرق الشيخ وبكى ، فقال : ما اسمك ؟

قلت : منصور بن عمار .

قال : أبو السرى .

قلت : نعم .

فدفع إلى كيسا وقال : صن هذا الكلام عن أبواب السلاطين ، ولا تمدحن أحدا من المخلوقين بعد مدحك لرب العالمين ، ولك على في كل سنة مثلها .

وكان الليث يواسى الغرباء والمحتاجين حتى وإن لم يكونوا محتاجين ، يقول أسد بن موسى :

كان عبدالله بن علي يطلب بنى أمية فيقتلهم فرحلت إلى مصر فدخلتها في هيئة رثة فدخلت على الليث ، فلما فرغ المجلس خرجت فتبعني خادم فقال : اجلس حتى أخرج إليك ، فجلست حتى خرج وأنا وحدي ، فدفع لي صرة فيها مائة دينار وقال : يقول لك الليث : أصلي هذه النفقة أمرك ولم شعرك . . وكان معي في حجرتي ألف دينار ، فأخرجتها له وقلت : استأذن لي على الشيخ فدخلت فأخبرته بنسبي ، فقال : إنها صلة وليست صدقة ، واعتذرت إليه عن قبول صلته . وقلت : أكره أن أعود نفسي عادة وأنا عنها غني .

قال : فادفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن تراه مستحقا لها ، فلم يزل بي حتى أخذتها ففرقتها في جماعة .

وكان يعين على نوائب الحق ، يقول قتيبة بن سعيد :

« لما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار » . وجاءت امرأة إلى الليث فقالت .

ياأبا الحارث ، إن ابنا لي عليلا وأشتهى عسلا ، فقال : ياغلام ، أعطها مرطا من عسل ، والمرط عشرون ومائة رطل .

وكان مع المرأة إناء صغير الحجم ، فلما رآه كاتب الليث راجع الليث قائلا ، إنها تطلب قليلا من العسل .

فقال الليث : إنها طلبت على قدرها ، ونحن نعطيها على قدرنا ، وأمره أن يعطيها المرط .

ومن أجل أنواع الكرم الليثى ماتعبر عنه القصة التالية التي يرويها الحارث بن مسكين يقول : اشترى قوم من الليث بن سعد ثمرة فاستغلوه ، فاستقالوها فأقاهم ، ثم دعا بخريطة فيها أكياس ، فأمر لهم بخمسين دينارا ، فقال له « الحارث » ابنه في ذلك .

فقال : اللهم غفرا ، إنهم قد كانوا أملوا فيه أملا ، فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا .

أما أسفار الليث في نهر النيل من القاهرة إلى الإسكندرية وبالعكس فلإنها تصور عادات جميلة ، وندع لأبي رجاء قتيبة الحديث عنها ، قال :

قفلنا مع الليث بن سعد من الإسكندرية ، وكان معه ثلاث سفائن ، سفينة فيها مطبخه وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه . وكان إذا حضرته الصلاة يخرج إلى الشط فيصلى . وكان ابنه شعيب أمامه ، فخرجنا لصلاة المغرب فقال : أين شعيب ؟ فقالوا : حم ، فقال الليث فأذن وأقام ثم تقدم فقرأ ، « والشمس وضحاها » فقرأ ، « فلا تخاف عقباها » وكذلك في مصاحف أهل المدينة يقولون هذا غلط من الكاتب عند أهل العراق .
ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، ويسلم تسليمه تلقاء وجهه .

كان الليث يعيش عيشة متزنة سوية ، وكان بعيدا عن الانفعالات ، ومن أجل ذلك تمتع بشباب طويل .

قال أبو رجاء :

وكان الليث أكبر من ابن لهيعة ، ولكن إذا نظرت إليهما تقول : ذا ابن وذا أب ، يعنى ابن لهيعة الأب . .

قال ابن بكير . سمعت الليث بن سعد كثيرا ما يقول :

أنا أكبر من «ابن لهيعة» فالحمد لله الذى متعنا بعقلنا .

وكان لهذه الحياة السوية نظام رتيب لا يكاد يتخلف ، يصفه أشهب بن عبد العزيز يقول :

كان الليث له كل يوم أربعة مجالس يجلس فيها ، أما أولها فيجلس لنائبه السلطان فى نوائبه وحوائجه ، وكان الليث يغشاه السلطان ، فإذا أنكر من القاضى أمرا من السلطان كتب إلى أمير المؤمنين فيأتيه العزل .

ويجلس لأصحاب الحديث ، وكان يقول : نجحوا أصحاب الحوانيت فإن قلوبهم معلقة بأسواقهم .

ويجلس للمسائل ، يغشاه الناس فيسألونه :

ويجلس لحوائج الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده كبرت حاجته أو صغرت .

قال : وكان يطعم الناس فى الشتاء الهرايس بعسل النحل ، وسمن البقر ، وفى الصيف سويق اللوز بالسكر .

وينعكس هذا الاتزان على حياته الفكرية ، ومن أمثلة ذلك مايقوله عثمان بن صالح قال :

كان أهل مصر ينتقصون عثمان حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان فكفوا عن ذلك .

وبعد ، فيقول شعيب بن الليث عن أبيه قال :

لما ودعت أبا جعفر ببيت المقدس قال : أعجبنى ما رأيت من شدة عقلك ، والحمد لله الذى جعل فى رعيتى مثلك .

قال شعيب : وكان أبى يقول : لا تخبروا بهذا مادمت حيا .

هذا هو الليث . تثقف كأحسن ما تكون الثقافة ، واستمر يدرس ويبحث إلى آخر حياته ، وسارت به الحياة فى اتزان تام فطالت به فترة الشباب وفترة الصحة ، وكان شهيا كريها بالنسبة للقريب وللبعيد وأثر مكارم الأخلاق طيلة حياته .

ولكنه كان من قبل ذلك ومن بعده : محدثا وفقها .

وفاته

رضي الله عنه

يرى جمهور المؤرخين ومنهم الخطيب البغدادي ، ومنهم أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي أن الليث بن سعد توفي سنة خمسة وسبعين ومائة .

ويحدد أبو عمر محمد الكندي وفاته في النصف من شعبان سنة خمس وسبعين ومائة هجرية وصلى عليه الوالي موسى بن عيسى .

أما عن وصف جنازته فإنه يكفيننا مانقله صاحب كتاب الرحمة الغيثية عن خالد بن عبد السلام الصديقي قال : « جالست الليث بن سعد ، وشهدت جنازته مع أبي مارأيت قط بعدها أعظم منها . . ورأيت الناس عليهم الحزن ، ويعزى بعضهم بعضا فقلت لأبي : يأبى كأن كل واحد من هؤلاء صاحب الجنازة . فقال : يابنى كان عالما ، كريما حسن العقل ، كثير الأفضال . يابنى لانرى مثله أبدا » .

بعد ذلك ننقل من كتاب الدكتور عبد الله شحاتة « الإمام المصري الليث بن سعد » مايلي :
توفي الإمام الليث يوم الخميس : منتصف شهر شعبان سنة ١٧٥هـ « ديسمبر ٧٩١م » ودفن يوم الجمعة في مقابر الصديين بالقرافة الصغرى .

وكان قبره كالمصطبة مكتوبا عليه « الامام الفقيه الزاهد العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث المصري مفتي أهل مصر »^(١) .

وبعد سنة ٦٤٠ هـ « ١٢٤٢م » أقام أبوزيد المصري كبير التجار بناء على القبر واستمر أهل الخير يتبارون في زيادة هذا البناء .

وحوالى سنة ٧٨٠ هـ (١٣٧٨م) جدد قبته الحاج سيف الدين المقدم^(٢) .

وفي سنة ٨٣٢ هـ (١٤٢٩م) أنشأ الأمير يشبك بن مهدي . أحد أمراء الملك الأشرف قايتباي منارة في الطرف القبلي الغربي للمسجد الحالى وهى منعزلة عنه .

(١) تاريخ المساجد الأثرية تأليف حسن عبد الوهاب . مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤٦ .

(٢) المقرئى ج-٢ ص ٣٦٣ .

وفى سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م) جدد المسجد السلطان الغورى .
وفى شهر ذى القعدة سنة ١١٣٨هـ (١٧٢٦م) جدد المسجد والقبة الأمير موسى جوريجى مرزا
مستحفظان . ومن أثر عمارته القبة والمقصورة الموجودتان حتى الآن .
وكذلك أجرى به عمارة الأمير مصطفى أغاقوردزلى سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) وبقي من عمارته
لوح يقرأ فيه :

هذا مقام فيه ليث ضارى أعنى وليا من عبيد البارى
وإذا ذهبت إلى مسجد الإمام الليث تهبط بضع درجات وأول مايقابلك باب جديد ثبتت عليه
لوحتان مؤرختان سنة ١١٩٤ ، ١٢٠١ تقرأ على السفلى منها :
إذا رمت المكارم من كريم فيمم من بنى للفضل بيتا
فذاك الليث من يحمى حماه ويكرم جاره حيا وميتا
وبلى باب المسجد باب آخر يجاوره مقصورة خشبية بها قبر للشيخ محمد الليثى - رضى الله
عنه .

أما قبة الإمام الليث فهي على يمين الواقف فى المسجد ، وترجع عمارتها إلى سنة ٦٤٠هـ
(١٢٤٢م) .

وتحت قبة الليث تركيبة رخامية كتب على دائرها آية الكرسي .
وحولها مقصورة خشبية مطعمة بالصدف عليها تاريخ ٢٥ من ذى القعدة سنة ١١٣٨هـ وهو
تاريخ العمارة التى أجزاها الأمير موسى جوريجى .
وأمام قبة الليث قبة أخرى صغيرة فيها قبر محمد بن هرون الصدفى والإمام المحدث شعيب بن
الإمام الليث بن سعد ومكتوب على بابها :

« هذا مقام سيدنا ومولانا الشيخ شعيب بن الإمام الليث بن سعد نفعنا الله ببركاتهم » .
أما باقى المسجد بمحرابه ومنبره فحديث يرجع إلى عمارة المرحوم إسماعيل بك ابن المرحوم
راتب باشا الكبير سنة ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) وهو الذى جدد الإيوان والقبة أيضا .
ومنذ سنة ٧٠٠م (١٣٠٠م) أو بعدها بقليل اعتاد القراء الاجتماع كل يوم جمعة بعد الظهر
بهذا المسجد لتلاوة القرآن تلاوة مجودة يختمون فيها عند السحر . وظلت هذه العادة إلى ما قبل خمسة
وعشرين عاما .

أما الآن فيجتمع كبار القراء بالمسجد كل يوم جمعة من قبيل العصر إلى قبيل الغروب
ويتناوبون قراءة القرآن ، ويأتى كثير من الصالحين لزيارة المسجد يوم الجمعة والاستماع لقراءة
القرآن فيه والتبرك بزيارة أولياء الله .

الليث

محدثا وفقهيا

وإذا كان الليث محدثا يروى أحاديث في الأخلاق جعلت الشيخ مصطفى عبدالرازق ، وجعلت أبا نعيم يضعانه في مصاف الصوفية الأوائل . . فإن الليث كان محدثا بأوسع مانتضمنه كلمة « محدث » أى أن دائرته في الحديث كانت أوسع من الجانب الأخلاقي . . إنه كان محدثا من طراز المحدثين المتخصصين في الحديث ، الذين لا يقتصرون على جانب دون آخر .

وكان فقيها من الطراز الأول . . لقد كان فقيها مجتهدا مثله في ذلك كمثل الإمام مالك ، والامام الثوري ، والامام الأوزاعي ، والامام ابن حنبل . . وغيرهم من الفقهاء الذين كانوا يلتصقون بالنص ، وكانوا يوصفون بأنهم أهل الأثر . .

يروى صاحب تاريخ بغداد أن الليث سمع العلماء المصريين والحجازيين . . وروى عن عطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وابن شهاب الزهري وسعيد المقبري وأبي الزبير المكي ونافع مولى بن عمر وعمرو بن الحارث بن أبي حبيب وعقيل بن خالد ويونس بن يزيد وعبدالرحمن بن خالد الفهمي ، وسعيد بن أبي هلال . .

أما من حدثوا عنه فيذكر الخطيب البغدادي مايلي :

حدث عنه هشيم بن بشير وعطاف بن خالد وعبدالله بن المبارك وعبدالله بن وهب وأبو عبدالرحمن المقرئ وعبدالله بن عبدالحكم وسعيد بن أبي مريم ويحيى بن بكير وعبدالله بن صالح الجهني وعمرو بن خالد بن يوسف التنيسي . .

ويقول أيضا :

وقدم بغداد وحدث بها ، فروى عنه من أهلها حجين بن المثنى ومنصور بن سلمة ويونس بن محمد وهاشم بن القاسم ويحيى بن إسحق البلخي وشبابة بن سوار وموسى ابن داود وجماعة من البصريين سمعوا منه ببغداد .

ويقول صاحب النجوم الزاهرة : قال الذهبي :

وحج سنة ثلاث عشرة ومائة فلقى عطاء ونافعا وابن أبي مليكة وأبا سعيد المقبري وأبا الزبير وابن شهاب فأكثر عنهم ، ثم ذكر جماعة كثيرة ممن روى عنه . .

إنه محدث ، فهل هو ثقة ؟ مآدرجته كمحدث ؟
ونبدأ بذكر رأي الإمام أحمد بن حنبل فيه : يقول أحمد بن سعد الزهري : سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الليث بن سعد فقال : ثقة ثبت . .
يقول :

الليث كثير العلم ، صحيح الحديث .
ويقول الحسين بن إدريس الأنصاري حدثنا أبو داود . قال : سمعت أحمد يقول :
ليس فيهم - يعني أهل مصر - أصح حديثاً من الليث بن سعد ، وعمرو بن الحارث يشاربه . .

ويروى صاحب تاريخ بغداد مايلي :
قال الفضل وهو ابن زياد قال أحمد :
« الليث بن سعد كثير العلم ، صحيح الحديث » .
ونذكر رأي يحيى بن معين :

عن عثمان بن سعيد الدارمي قال : قلت ليحيى : فالليث : أحب إليك أو يحيى بن أيوب ؟
فقال : الليث أحب إلي ، ويحيى ثقة . . قلت : : فالليث كيف حديثه عن نافع ؟ فقال : صالح ثقة . . .

ويروى النسائي كثيراً من الأحاديث التي رواها الليث ويقول :
« أبو الحارث الليث بن سعد المصري ، ثقة » .
ويقول صاحب كتاب الرحمة الغيثية :
قال ابن أبي حاتم : سألت أبا زرعة : الليث يحتج بحديثه . قال : أي لعمري . وقال يحيى بن معين : ثبت . .

وقال يعقوب بن شيبة ومحمد بن سعد وآخرون : ثقة . .
ويقول صاحب ميزان الاعتدال :
الليث بن سعد الفهمي أبو الحارث : أحد الأعلام والأئمة الأثبات ثقة ، حجة بلا نزاع . .
لقد كان الليث محدثاً ثقة . .

وكان واسع الأفق ، رحب الصدر ، يتصرف بذكاء وحكمة ، ومما يروى عنه في ذلك ما ذكره صاحب الحلية قال :

عن عمر بن سلمة قال :

تكلم الليث بن سعد في مسألة ، فقال له رجل : يا أبا الحارث في كتابك غير هذا ؟

قال في كتابي أو في كتبنا ما إذا مرّ بنا هذبناه بعقولنا وألستنا . .

وقال شعيب بن الليث : قيل لأبي : إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك . . قال : لو كتبت ما في صدرى في كتبي ما وسع هذا المركب . .

ولم يكن الليث في فقهه من أهل الرأي بل كان من أهل الأثر ، وكان في الذروة من أهل الأثر . ومن المشهور أن الإمام مالك هو إمام أهل الأثر ومع ذلك فإن الآراء تختلف في ذلك . يقول الشافعي رضي الله عنه :

الليث بن سعد اتبع للأثر من مالك بن أنس .

وقال في العبر :

كان أتبع للأثر من مالك . .

أما عن فقه الامام الليث فيروى ابن حجر مايلي :

عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال : سمعت الشافعي يقول : الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به . .

وفي رواية عن الشافعي . ضيعه قومه .

وفي أخرى : ضيعه أصحابه .

وقال أبو محمد بن حاتم : سمعت أبا زرعة يقول : سمعت يحيى بن بكير يقول : الليث أفقه من مالك ، ولكن كانت الخطوة لمالك . .
ويروى صاحب شذرات الذهب عن يحيى بن بكير نحوه .

أما عن تقدير الليث تقديرا عاما شاملا ، فإننا نذكر مايلي : قال أبو يعلى الخليلي : كان إمام وقته بلا مدافعة .

وقال ابن حبان :

كان من سادات أهل مصر فقها وعلميا ، وحفظا وفضلا وكرما . .
ويقول ابن سعد :

وكان ثقة ، كثير الحديث ، صحيحه ، وكان قد استقل بالفتوى في زمانه بمصر ، وكان سريا ^(١) من الرجال ، نبلا له ضيافة .

(١) صاحب سخاء ومروءة .

وقال النووي في تهذيبه :

أجمعوا على جلالته وأمانته وعلو مرتبته في الفقه والحديث ويقول يحيى بن بكير فيها رواه صاحب الشذرات :

ما رأيت أحداً أفضل من الليث :

كان فقيه النفس ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، وحسن المذاكرة .

ونتساءل :

هل هذه السعة في الأفق ، والرحابة في الصدر ، والغزارة في العلم ، جعلت في بعض آراء الليث شذوذاً ؟

وهذا تساؤل نراه ضرورياً . . أما الإجابة عنه فقد سبق بها ابن حجر حيث يقول :

ولقد تتبعنا كتب الخلاف كثيراً فلم أقف فيها على مسألة واحدة ، انفرد بها الليث عن الأئمة من الصحابة والتابعين ، إلا مسألة واحدة ، وهى أنه كان يرى تحريم أكل الجراد الميت وقد نقل ذلك أيضاً عن بعض المالكية ، والله سبحانه وتعالى أعلم . .

ونبدأ في بيان بعض ماكان بينه وبين الامام مالك :

كان بين الامام مالك والامام الليث رضى الله عنهما ، مودة واحترام ، يحل كل منهما الآخر ويقدره تقديراً عظيماً ، على الرغم من اختلافهما في بعض الأمور .

ولقد تبادل مالك والليث رسالتين حفظهما التاريخ من أمتع الرسائل التى تبودلت بين كبار العلماء ، فيهما تقدير متبادل ، وحسن بيان للرأى مع الأدب في التعبير . وحرص على وضوح الفكرة في أسلوب موجز .

بدأ مالك التراسل فأرسل إلى الليث هذه الرسالة التى تبدأ بتحية الإسلام وحمد الله تعالى والدعاء للمرسل والمرسل إليه ، إنه يقول في ذلك .

« من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد

سلام عليكم ، فإننى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو . .

أما بعد . عصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية ، وعافانا وإياكم من كل مكروه » .

ثم يبدأ الامام مالك بذكر مقدمة للأساس الذى يراه مقياساً لصحيح الآراء ، ولكنه في هذه المقدمة لا ينسى الثناء على الليث ، والاعتراف بمنزلته ، ولا ينسى الموعظة الحسنة والتخويف من الله تعالى فيقول :

« وأعلم رحمك الله أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مختلفة لما عليه الناس عندنا وبلدنا الذي نحن فيه .

وأنت في أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك وحاجة من قبلك واعتمادهم على ما جاءهم منك . حقيق بأن تخاف على نفسك » وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه ، فإن الله تعالى يقول في كتابه :
« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »^(١).

وقال تعالى :

« فَتَبَسَّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ »^(٢).

ثم يبدأ الامام مالك في شرح وجهة نظره ، ووجهة نظر الامام مالك معروفة منذ عهده ، وقد تحدث الأئمة عنها قديما وحديثا ، ولا تجد خيرا من شرح الامام مالك لها في رسالته هذه أنه يقول بعد المقدمة التي ذكرناها :

فإنما الناس تبع لأهل المدينة :

(أ) إليها كانت الهجرة .

(ب) وبها تنزل القرآن ، وأحل الحلال وحرم الحرام .

(ج) « وبها كان الصحابة » إنه رسول الله ﷺ بين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ، ويأمرهم فيطيعونه ، ويسن لهم فيتبعونه . . حتى توفاه الله ، واختار له ماعنده صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته .

(د) ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ممن ولى الأمر من بعده ، بما نزل بهم :

فما علموه أنفدوه ، وما لم يكن عندهم علم سألوا عنه ، ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك في اجتهادهم ، وحدائث عهدهم ، وإن خالفهم مخالف ، أو قال امرؤ غيره أقوى منه وأولى ترك قوله ، وعمل بغيره .

(هـ) ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبل ، ويتبعون تلك السنن .

أما النتيجة التي يصل إليها الامام مالك من كل ما تقدم فهي :

(١) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(٢) سورة الزمر اية ١٧ ، ١٨ .

فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا معمولاً به ، لم أر لأحد خلافه : للذى فى أيديهم من تلك الوراثة التى لا يجوز انتحالها ولا ادعاؤها .

ولو ذهب أهل الأمصار يقولون : هذا العمل ببلدنا ، وهذا الذى مضى عليه من مضى منا لم يكونوا فيه من ذلك على ثقة ، ولم يكن لهم من ذلك الذى جاز لهم .

والفكرة التى يدعو إليها الامام مالك ، والتى يجعلها إحدى أسس مذهبه هى أن : عمل أهل المدينة حجة ، وذلك لأن للأسباب التى ذكرها شأنها الكبير ووجاهتها التى لا تنكر .

ومع ذلك فإن العلماء أخذوا يفصلونها تفصيلا يستغرق الاحتمالات العقلية وأخذوا يقبلونها على مختلف وجوهها .

فيقولون مثلا : إن الإجماع الكامل لأهل المدينة حديث بالفعل فى أمور منها .

أوقات الصلاة وعدد الركعات فى الفروض.

ولكن هل شمل الإجماع بقية المسائل ؟

ألم يختلف أهل المدينة أنفسهم فى كثير من الأمور التى تكون موضع الفقه ؟

ثم أمر آخر : هل يستوى إجماع أهل المدينة - إذا حدث - المستند إلى نقل مع إجماع أهل المدينة المستند إلى استنباط ؟

ثم هل حدث إجماع حقيقى لأهل المدينة فيما عدا المسائل التى لم يختلف فيها أحد من المسلمين ؟

لقد دار حول ذلك وغيره مما يتعلق بإجماع أهل المدينة وحجته أبحاث مستفيضة فى كتب أصول الفقه :

وسنرى فيما بعد نظرة الإمام الليث للموضوع فإن فيها بيانا ونطقا لا يتأتى أن يفعله باحث اللهم إلا نادرا ، ولكننا قبل أن نذكر رد الليث على هذه الرسالة نذكر الختام الذى ختم به الإمام مالك رسالته وهو فى غاية النفاسة ، إنه يقول :

فانظر رحمك الله فيما كتبت إليك لنفسك ،

واعلم أنى أرجو ألا يكون قد دعانى إلى ما كتبت إلا النصيحة لله وحده ، والنظر لك ، والضم ، فأنزل كتابى منزلته : فإنك إن فعلت تعلم أنى لم آلك نصحا ، وفقنا الله وإياك لطاعته ، وطاعة رسوله فى كل أمر ، وعلى كل حال ، والسلام عليك ورحمة الله « إ . ه » .

إنها رسالة تتسم بالأدب العالى . .

فهل رسالة الليث مثلها ؟

إننا سنتبين ذلك من نصها وهو يبدوها بتحية الاسلام ثم بحمد الله تعالى ، ثم بالدعاء له والمالك ، وذلك بالضبط كما فعل مالك ، وكما كان يفعل سلفنا رضوان الله عليهم ، إنه يقول : « سلام عليكم » .

فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو .

أما بعد ، عافنا الله وإياك . وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة « ثم يبدأ الليث بذكر المراسلات بينه وبين الامام مالك ويذكر أشياء لم تذكر رسالة الامام مالك ، ويبدو أن المؤرخين الذين ذكروا رسالة الامام مالك لم يذكروا فيها ما يستدل عليه من رسالة . . « الليث » .

يقول الليث :

وقد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني ، فأدام الله ذاك لكم ، وأتمه بالعون على شكره ، والزيادة من إحسانه .

وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك ، وإقامتك إياها ، وختمك عليها بخاتمك ، وقد أتنا ، فجزاك الله عما قدمت منها خيرا ، فإنها كتب انتهت إلينا عنك ، فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها » .

ويبدو من هذا أن كتبنا نسبت إلى الامام مالك قد وصلت الليث فأحب أن يتثبت من أنها حقيقة بقلم الإمام مالك فأرسلها إليه مستوثقا .

ونظر فيها الامام و« أقامها » ومعنى أنه أقامها أنه أصلح منها ما قد عساه أن يكون من أخطاء كتابية جاءت عن النسخ ، ثم ختمها الإمام بختمه وذلك معناه : اعتمادها .

ثم يقول الامام الليث : وذكرت أنه قد أنشطك ما كتبت فيه من تقويم ما أتاني عنك ، إلى ابتدائي بالنصيحة ، ورجوت أن يكون لها عندى موضع ، وإنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن رأيك فينا جيلا ، وإلا لأنى لم أذكرك مثل هذا .

وإنه بلغك أنى أفتى بأشياء . .

وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك ، إن شاء الله تعالى ، ووقع منى بالموقع الذى تحب ، وما أجد أحدا ينسب إليه أكره لشواذ الفتيا ، ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذ بفتياتهم فيما اتفقوا عليه منى ، والحمد لله رب العالمين لا شريك له .

وأما ما ذكرت من مقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، ونزول القرآن بها عليه بين ظهرائى أصحابه ، وما علمهم الله منه ، وأن الناس صاروا به تبعا لهم به ، فكما ذكرت .

لقد وافق الليث الامام في أسلوب لطيف على ما ذكره من كل ذلك .

ثم بدأ يبين رأيه في موضوع الفكرة الأساسية وهى « عمل أهل المدينة حجة فقال : وأما ما ذكرت « وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

فإن كثيرا من أولئك السابقين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، فجندوا الأجناد ، واجتمع إليهم الناس ، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله ، وسنة نبيه ويجهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة ، وتقدمهم عليه أبوبكر وعمر ، وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم ، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ، ولا غافلين عنهم ، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين ، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه .

فلم يتركوا أمرا فسر القرآن أو عمل به النبى ﷺ أو اتتمروا فيه بعده إلا علموه فإذا جاء أمر عمل فيه أصحاب رسول الله ﷺ بمصر والشام والعراق على عهد أبى بكر وعمر وعثمان ولم يزلوا عليه حتى قبضوا ، لم يأمرهم بغيره ، فلا نراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا ، لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول ﷺ وسلم والتابعين لهم .

لقد خرج الآلاف من أصحاب رسول الله ﷺ إلى مشارق الأرض ومغاربها فاتحين ، وهؤلاء الآلاف عاشروا رسول الله ﷺ ، وأخذوا عنه وأفتوا في البقاع التى ذهبوا إليها بها سمعوا ووعوا ، وقد كانوا على صلة مستمرة بدار الهجرة وبالخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان ، وكان الخلفاء يعلمون ماعليه الناس من أمر دينهم ، فإذا عمل الجنود شيئا ومنهم الصحابة رضوان الله عليهم ، ولم ينههم عنه الخلفاء الراشدون كان هذا الأمر سليما لا يجوز تغييره .

هذا هو الرد الأول على الامام مالك .

ثم يقول الليث :

مع أن أصحاب رسول الله ﷺ قد اختلفوا بعد الفتيا فى أشياء كثيرة ولولا أنى قد عرفت أن قد علمتها لكتبت بها إليك .

وهذا هو الرد الثانى وهو متصل اتصالا وثيقا بالرد الأول .

أما الرد الثالث وهو أيضا مرتبط ومشابه لما قبله فهو ما يحدث به على النحو التالى :

ثم اختلف التابعون فى أشياء بعد أصحاب رسول الله ﷺ سعيد بن المسيب ونظراؤه أشد الاختلاف ، ثم اختلف الذين كانوا من بعدهم فحضرهم بالمدينة ، ورأسهم يومئذ ابن شهاب ، وربيعه بن أبى عبد الرحمن وكان من خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ما قد عرفت وحضرت

وسمعت قولك فيه ، وقول ذوى الرأى من أهل المدينة يحيى بن سعيد وعبدالله بن عمر وكثير من فرق وغير كثير ممن أحسن منه حتى اضطرك ماكرهت من ذلك إلى فراق مجلسه وذاكرتك أنت وعبدالعزیز بن عبدالله بعض ماتعيب على ربيعة من ذلك فكنتها من الموافقين فيما أنكرت ، تكرهان ماكرهه ، ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير ، وعقل أصيل ، ولسان بليغ ، وفضل مستبين ، وطريقة حسنة الاسلام ، ومودة صادقة لإخوانه عامة ، ولنا خاصة ، رحمه الله وغفر له وجزاه بأحسن من عمله .

وكان يكون من ابن شهاب اختلافا كثيرا إذا لقينا ، وإذا كاتبه بعضنا فربما إليه فى الشىء الواحد على فضل رأيه وعلمه بثلاثة أنواع ، ينقض بعضها بعضا ، ولا يشعر بالذى مضى من رأيه فى ذلك . .

أما النتيجة لكل ذلك فهى ماء ر عنه الليث بقوله :

فهذا الذى يدعونى إلى ترك ما أنكرت تركى إياه .

ثم يأخذ الليث فى ذكر بعض الجزئيات التى أنكرها عليه مالك ، وأول مسألة ذكرها هى مسألة الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء فى غير حالة السفر حينما يكون مطر ، وقد ورد فى هذا حديث أورده الإمام مسلم هذا نصه :

حدثنا أحمد بن يونس وعون بن سلام جميعا عن زهير قال ابن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير عن سعيد بن جبیر - عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلى الظهر والعصر جميعا بالمدينة فى غير خوف ولا سفر ، قال أبو الزبير فسألت سعيدا لم فعل ذلك ؟ فقال سألت ابن عباس كما سألتنى فقال : أراد ألا يخرج أحدا من أمته .

وقد ذكره الامام مسلم بروايات متعددة . .

ويقول الامام النووى :

وذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع فى الحضر للحاجة لمن لا يتخذ عادة وهو قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك ، وحكاه الخطابى عن القفال والشاشى الكبير من أصحاب الشافعى عن أبى إسحاق المروزى عن جماعة من أصحاب الحديث واختاره ابن المنذر ، ويؤيده ظاهر قول ابن عباس : أراد ألا يخرج أمته فلم يعمله بمرض ولا غيره . . والله أعلم .

وهذا هو رأينا :

وقد رأى الامام مالك أن الجمع بين المغرب والعشاء جائز حينما تكون الدنيا ممطرة مستندا إلى الحديث وإلى ما ذكره من عمل أهل المدينة . .

وخالفه في ذلك الليث ورد عليه في رسالته بقوله :

وقد عرفت أيضا عيب إنكارى أن يجمع أحد من أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر . ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله لم يجمع منهم إمام قط في ليلة ممطرة ، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال : « أعلمكم بالحلال معاذ بن جبل » .

ويقال : يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برقوة^(١) وشرحيل بن حسنة ، وأبو الدرداء ، وبلال بن رباح .

وكان أبو ذر بمصر ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وبحمص سبعون من أهل بدر ، وأجناد المسلمين كلها وبالعراق ابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، وعمران بن الحصين ، ونزلها أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة ، وكان معه من أصحاب رسول الله ﷺ فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط .

ثم ينتقل الليث إلى مسألة ثانية : وهي مسألة عبر عنها الليث بقوله :

« ومن ذلك القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق » .

وفي شرح هذه المسألة يقول المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة :

مسألة القضاء بشاهد واحد ويمين صاحب الحق ، واعتبار ذلك بينة كاملة من المسائل التي اختلف فيها الفقه المدني العراقي وهي موضع اختلاف بين الفقهاء عامة من بعد ، فقد قال مالك والشافعي وأحمد وداود وأبو ثور ، والفقهاء السبعة المديونيون من قبل : يقضى بالشاهد الواحد ويمين صاحب الحق في الأموال .

وقال أبو حنيفة والثوري والأوزاعي ، والليث بن سعد ، وجمهور أهل العراق : لا يقضى بيمين صاحب الحق وشاهد واحد في شيء . وحجة من اعتبر الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق حجة كاملة في الأموال آثار وردت عن ابن عباس وأبي هريرة وزيد بن ثابت وجابر . . وقد خرج مسلم حديث ابن عباس ونصه : « أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد » ولم يخرج البخاري ، وقد روى مالك مراسلا عن جعفر بن محمد أن رسول الله ﷺ قضى باليمين مع الشاهد ، والمرسل حجة عنده ، وحجة الذين لم يأخذوا بذلك تعول على الكتاب والسنة :

أما الكتاب فبقوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ » . وهذا يقتضى الحصر ، أى لا بينة أقل من ذلك ، فالأيتان بينة أقل نسخ للقرآن . والقرآن لا ينسخ

(١) الرفوة : كتلة من التراب تجتمع على شفير الوادي .

بحديث غير متواتر أو مشهور ، أما السنة فما أخرجه البخارى ، ومسلم عن الأشعث بن قيس . قال : كان بينى وبين رجل خصومة فى شىء فاخصمنا إلى النبى ﷺ فقال : شاهدك أو يمينه ، فقلت إذن يحلف ولا يبالى ، فقال ﷺ : « من حلف على يمين يقطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان » .

وفى المسألة يقول الليث فى رسالته إلى مالك :

وقد عرفت أنه لم يزل يقضى بالمدينة ، ولم يقض به أصحاب رسول الله ﷺ وسلم بالشام ، وبحمص ولا بمصر ، ولا بالعراق ، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون أبوبكر ، وعمر وعثمان وعلى ، ثم لما ولى عمر بن عبدالعزيز ، وكان كما قد علمت على إحياء السنة والجد فى إقامة الدين ، والإصابة فى الرأى ، والعلم بما مضى من أمر الناس ، فكتب إليه زريق بن الحكم إنك كنت تقضى بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق ، فكتب إليه عمر بن عبدالعزيز : إنا كنا نقضى بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك فلا تقض إلا بشهادة رجلين عدلين ، أو رجل وامرأتين . ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط ليلة المطر ، والمطر يسكب عليه فى منزله الذى كان فيه بخناصر ساكنا .

أما المسألة الثالثة فهى صداق المرأة المؤجل . متى يقضى للمرأة به ؟ وفى هذه المسألة نكتفى بكلام الليث فيها فإنه واضح .
ويقول الليث :

ومن ذلك أن أهل المدينة يقضون فى صداقات النساء أنها متى شئت أن تتكلم فى مؤخر صداقها تكلمت ، فدفع إليها ، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك وأهل الشام وأهل مصر . . ولم يقض أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا من بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر إلا أن يفرق بينهما موت أو طلاق فيقوم على حقها . .

وينتقل الليث إلى مسألة رابعة وهى : مسألة « الإيلاء » .

وقضية الإيلاء هذه مردها إلى اختلاف فهم الفقهاء فى قوله تعالى :

« لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . . وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

والإيلاء هو أن يحلف الرجل ألا يتصل بزوجه جنسيا مدة أربعة أشهر أو أكثر . . أو يحلف ألا يأتى زوجته غير محدد للمدة ، وتمر هذه المدة دون أن يأتىها : هل يعتبر هذا طلاقا ؟

يقول الامام الليث فى رسالته :

ومن ذلك قولهم فى الإيلاء أنه لا يكون عليه طلاق حتى يوقف وإن مرت الأربعة الأشهر قد

حدثني نافع عن عبدالله بن عمر - وهو الذي كان يروى عنه ذلك التوقيف بعد الأشهر أنه كان يقول في مسألة الإيلاء التي ذكر الله في كتابه :

« لايجل للمولى إذا بلغ الأجل أن يفىء كما أمر الله أو يعزم الطلاق ، وأنتم تقولون إن لبث بعد الأربعة الأشهر التي سمى الله في كتابه ولم يوقف لم يكن عليه طلاق ، وقد بلغنا أن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وقبيصة بن ذؤيب وأبا سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قالوا في الإيلاء . إذا مضت الأربعة فهي تطليقة بائنة . .

وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وابن شهاب . . إذا مضت الأربعة الأشهر فهي تطليقة ، وله الرجعة في العدة .

ومن ذلك أن زيد بن ثابت كان يقول : إذا ملك الرجل امرأته فاخترت زوجها فهي تطليقة ، وإن طلقت نفسها ثلاثا فهي تطليقة . . وقضى بذلك عبدالملك بن مروان وكان ربيعة بن أبي عبدالرحمن يقوله ، وقد كاد الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق ، وإن اختارت نفسها واحدة أو اثنتين كانت له عليها الرجعة ، وإن طلقت نفسها ثلاثا بانت منه ولم تحل له حتى تنكح زوجا غيره فيدخل بها ثم يموت أو يطلقها إلا أن يرد عليها في مجلسه فيقول : إنها ملكتك واحدة ، فيستحلف ويحلى بينه وبين امرأته . .

ثم يذكر الليث مسألة سادسة معبرا عنها بقوله :

ومن ذلك أن عبدالله بن مسعود كان يقول : أيما رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها فاشترأه إياها ثلاث تطليقات .

وكان ربيعة يقول ذلك .

وإن تزوجت المرأة الحرة عبدا فاشترته فمثل ذلك .

وفي كل ما ذكرنا كان الليث يرد على مسائل انتقدها مالك رضوان الله عليهما . .

ثم انتقل الليث من موقع المدافع إلى موقف الناقد ، وذكر في ذلك عدة مسائل هي الآتية :

وقد بلغنا عنكم شيء من الفتيا مستكرها ، وقد كتبت إليك في بعضها فلم تحبني في كتابي ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك ، فتركت الكتاب في شيء مما أنكرت وفيها أوردت فيه على رأيك :

١- وذلك أنه بلغني أنك أمرت زفر بن عاصم الهلالي - حين أراد أن يستسقى أن يقدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك ، لأن الخطبة والاستسقاء كهيئة يوم الجمعة ، إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة دعا ، ثم نزل فصلى . . وقد استسقى عمر بن عبدالعزيز وأبو بكر بن محمد بن

حزم وغيرهما ، فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة ، فاستهتر الناس كلهم فعل زفر بن عاصم واستنكروه .

٢- ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول في الخليطين في المال أنه لا تجب عليهما الصدقة حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة ، وفي كتاب عمر بن الخطاب أنه تجب عليهما الصدقة ويترادان بالسوية ، وقد كان ذلك يعمل به في ولاية عمر بن العزيز قبلكم وغيره ، والذي حدثنا يحيى بن سعيد ، ولم يكن بدون أفاضل العلماء في زمانه ، فرحمه الله ، وغفر له ، وجعل الجنة مصيره . .

٣- ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول ، إذا أفلس الرجل وقد باعه سلعة فتقاضى طائفة من ثمنها ، أو أنفق المشتري طائفة ، أنه يأخذ ما وجد من متاعه . . وكان الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئا أو أنفق المشتري منها شيئا فليست بعينها . .

٤- ومن ذلك أنك تذكر أن النبي ﷺ لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد ، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين ومنعه الفرس الثالث ، والأمة كلها على هذا الحديث : أهل مصر ، وأهل العراق ، وأهل أفريقية ، لا يختلف فيه اثنان ، فلم يكن ينبغى لك وإن كنت سمعته من رجل مرض أن تخالف الأمة أجمعين .

ثم يأتى الختام للرسالة ، هو ختام رائع فيه سمات المودة والأدب ، والحب والاحترام وذلك يدل على نفس كريمة نبيلة . إنه يقول :

وقد تركت أشياء كثيرة أشباه هذا ، وأنا أحب توفيق الله إياك وطويل بقائك لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة ، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك ، مع استثناسى بمكانك وإن ناءت الديار ، فهذه منزلتك عندي . ورأى فيك ، فاستيقنه ، ولا تترك الكتاب أن يخبرك وحالك ، وحال ولدك وأهلك ، وحاجة إن كانت لك أو لأحد يوصل بك فإنى أسر بذلك .

كتبت إليك ونحن صالحون معافون ، والحمد لله ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولينا . ونمام ما أنعم به علينا ، والسلام عليك ورحمة الله .

● الليث محدثا وفقهيا

ليس لدينا كتب للامام الليث ولكن آراءه منشورة بكثرة في كتب الحديث ، والفقهاء جميعا يقولون :

« إذا صح الحديث فهو مذهبي » .

وقد كان الامام الليث يتحرى الأحاديث الصحيحة من المصادر سواء كانوا في المدينة أم في غيرها من المدن ، وقد وضع هذا في صراحة لا لبس فيها في رسالته إلى مالك رضى الله عنه . .

وهو ، إذا صح الحديث عنده ، يأخذ به فالأحاديث التي رواها هي آراؤه في الفقه . .
وقد اتجهنا إلى كتب الأحاديث خصوصا الصحيحين : للبخارى ومسلم ، لنتبين منها آراءه
ولكننا لم نقتصر عليهما فكل حديث صحيح روى عنه في هذا الكتاب أو ذاك فهو رأيه ومن أجل
ذلك جمعنا كل ما أمكننا جمعه من مختلف المصادر التي كتبت عنه في الفقه ، أو حدثت عنه . .
وفي هذا الباب الذى عنوانه كسابقه « الليث محدثا وفقهيا » نذكر شيئا من تقدير المفكرين لليث
ونخلص من ذلك إلى رأى المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق ورأى صاحب الحلية عن : « الليث
صوفيا » فتحدث عنه ونبين تقديرنا للسنة الشريفة .

كان تقدير العلماء والأمرء لليث عظيما . . ولقد قال الليث : قال لى أبو جعفر المنصور حين
أردت أن أودعه : قد رأيت ماسرنى من سداد عقلك فأبقى الله فى الرعية أمثالك . .

وفى مرة أخرى قال له :

يعجبني ما رأيت من عقلك ، وأن يبقى الله عز وجل فى الرعية مثلك ^(١) . .

ويقول يعقوب بن داود - وزير المهدي - : قال لى أمير المؤمنين لما قدم « الليث بن سعد »
العراق :

« الزم هذا الشيخ فقد ثبت عند أمير المؤمنين أنه لم يبق أحد أعلم بما حمل منه » .

ويذكر كتاب البداية ما يلى :

عرض عليه المهدي أن يلى القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم ، فقال : إنى
عاهدت الله أن لا ألى شيئا ، وأعيذ أمير المؤمنين بالله أن أخيس بعهدى . .

فقال له المهدي : الله .

قال : الله .

قال : انطلق فقد أعفيتك .

ويذكر كتاب الحلية ما كان بينه وبين هارون الرشيد ، فيقول :

عن عبدالله بن صالح ، سمعت الليث بن سعد يقول ، لما قدمت على هارون الرشيد قال

(١) من كتاب الجرح والتعديل .

لى : ياليت ، ماصلاح بلدكم ؟ قلت : ياأمير المؤمنين ، صلاح بلدنا باجراء النيل ، وإصلاح أميرها . . ومن رأس العين يأتى الكدر ، فإذا صفا رأس العين صفت السواقي . .

· فقال : صدقت ياأبا الحارث . .

ومن التقديرات الجميلة مايلى :

وقال ابن أبى مريم : مارأيت أحدا من خلق الله أفضل من الليث ، وماكانت خصلة يتقرب بها إلى الله إلا كانت تلك الخصلة فى الليث . .

وعن أحمد بن صالح ، وذكر الليث بن سعد ، فقال : إمام ، قد أوجب الله علينا حقه . . فقلت لأحمد : إمام ؟ فقال لى نعم ، إمام ، لم يكن بالبلد بعد عمرو بن الحارث مثل الليث . .

وهذا التقدير لليث إنما كان لأمر :

١- الخلق الكريم .

٢- علمه الغزير بالحديث .

٣- علمه المستفيض بالفقه .

أما عن خلقه فيقول صاحب تاريخ بغداد عن أبى الوليد عبدالمكك بن يحيى بن بكير قال : سمعت أبى يقول :

« مارأيت أحدا أكمل من الليث بن سعد ، كان فقيه النفس صحيح البدن ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الشعر والحديث ، حسن المذاكرة . . ومازال يذكر خصالا جميلة ويعقد بيده ، حتى عقد عشرة لم أر مثله . .

وكثير من المؤرخين لليث يذكر عبارة كأنها متوارثة وهى :

« وكان سربا من الرجال ، نبىلا ، سخيا ، له ضيافة » .

وقد سبق أن ذكرنا الكثير من خلقه الكريم ، ومن كرمه الفياض ، ومن ذلك ماوروى عن الشافعى رضى الله عنه من أنه وقف على قبره وقال :

« لله درك ياإمام ، لقد حزت أربع خصال لم يكملن لعالم :

العلم ، والعمل ، والزهد ، والكرم » . .

ويذكر فضيلة الامام الأكبر المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق لمحات يوجه فيها الأنظار إلى

جانب من جوانب الليث في أحاديثه وفي فقهه ، لم يتحدث عنها السابقون ، أو على الأقل لم يجعلوها هدفا يوضحونه فيما يتعلق بفقه الليث وحديثه .

يقول الشيخ مصطفى بعد أن روى عدة أحاديث مما رواه الامام الليث .

« وهذا الذى نهض به الليث من توجيه الحركة الفقهية إلى الناحية الخلقية والروحية ، كان من حقه أن يجعل الليث معدودا في أئمة الصوفية الذين نهضوا بالتصوف نهضته الأولى . . ونهضة التصوف الأولى كانت أخلاقية » .

ويقول المرحوم الشيخ مصطفى أيضا :

« والمتتبع لما يرويه الليث من الأحاديث يجد فيها كثيرا مما يتعلق بحسن السلوك ، وكمال الخلق ، إلى جانب ما يتعلق بأحكام الحدود والمعاملات » .

والشيخ مصطفى - رحمه الله - يتناسق في هذا الرأي مع صاحب حلية الأولياء الذى عد الليث من الصوفية ، وأرخ له في كتابه ، إنه يقول : أبوالخارث الليث بن سعد . .

كان يعلم الأحكام مليا ، ويبدل الأموال سخيا .

وقيل : إن التصوف السخاء والوفاء . .

إن صاحب الحلية يعده من الصوفية ، ويأخذ من حياته وسلوكه وعلمه تعريفا للتصوف كعادته في كل من تحدث عنهم في الحلية : إنه يلخص حياتهم في كلمات هي طابعهم العام وهي تعريف من تعريفات التصوف . .

وطابع الليث العام يتلخص في كلمتين :

« السخاء ، والوفاء » .

وهذا الجانب هو طابعه في السلوك ، ويصوره في دقة من ناحية خلقه ، ولا يمنع من أن تكون سمات الليث الفكرية البارزة الواضحة ، والتي كانت همه الشاغل ، وشغله المقيم المقعد ، إنها كانت الحديث والفقه .

بل يمكن أن نقول : إن سلوكه الأخلاقي الكريم « السخاء والوفاء » . . إنها كان أثرا لدراسة الحديث الشريف ، وسماته السلوكية إنها هي سمات أهل الحديث الذين أخلصوا لله وجوههم في دراسته .

وسمات الليث ، وسمات أهل الحديث أوسع وأعم من « السخاء والوفاء » . .

نماذج من أحاديثه

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه :

« الرحمة الفيثية بالترجمة الليثية »

وقد وقعت لنا من عوالى حديثه إليه جملة بينى وبينه فيها ثمانية أنفس أكثرها بالساع المتصل إليه وفى بعضها الاجازة وقد انتقيت منها أربعين حديثا تكلمت على حالها ومن أخرجها من الأئمة وإذا قسمت المدة المذكورة على عدد الرواة كان قسط كل واحد منهم ثمانين سنة وزيادة . وقد عاش هو إحدى وثمانين سنة على ما بينت من مولده ووفاته فتناسب الأمر بعضه من بعض والله سبحانه وتعالى المستعان . .

● الحديث الأول :

قرأت على الشيخ أبى إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد التنوخى البعلبكى ثم الدمشقى ثم القاهرى بمنزله بالجامع الأغر غير مرة أن أحمد بن أبى طالب بن أبى النعم الصالحى أخبرهم سماعا عليه قال أخبرنا أبو المنجا عبدالله بن عمر بن على بن يزيد البغدادى قرأت عليه ونحن نسمع بدمشق أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب الهروى قراءة عليه .

ونحن نسمع ببغداد أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أبى مسعود عبدالعزيز الفارسى أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن أبى شريح الأنصارى أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن عبدالعزيز البغوى حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى بن عطية الباهلى إملاء حدثنا الليث بن سعد المصرى عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال : الرؤية الصالحة قال نافع حسبت ابن عمر قال جزء من سبعين جزءاً من النبوة هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمع ثلاثهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا بدرجتين على طريقى المسند والصحيح .

● الحديث الثانى :

وهذا الاسناد إلى أبى الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر قال كان رسول الله ﷺ ينهى إذا كان ثلاثة نفر أن يتناجى اثنان دون واحد هذا حديث صحيح أخرجه

أحمد عن يونس بن محمد المؤدب ومسلم عن قتيبة ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا
عاليا بدرجتين أيضا وأخرجه عوانة عن أبي الأحوص عن قتيبة فوقع لنا عاليا على طريقه بدرجتين
أيضا .

● الحديث الثالث :

وبه إلى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ
أنه قال لا يقيم أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه هذا صحيح أخرجه أحمد بن أبي النضر
هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث بن سعد فوقع لنا
بدلا عاليا .

● الحديث الرابع :

وبه إلى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله بن عمر عن رسول الله ﷺ
أنه قام فقال لا يجلبن أحد ماشية أحد بغير إذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فيكسر باب خزانته
فيتنقل طعامه وإنما يخزن لهم ضرع مواشيهم أطعمتهم فلا يجلبن أحد ماشية امرئ بغير إذنه هذا
صحيح أخرجه مسلم وابن ماجه عن محمد بن رمع وأخرجه مسلم أيضا عن قتيبة كلاهما عن
الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الخامس :

قرأت على أبي الحسن على بن محمد بن محمد الخطيب الدمشقي تدم علينا القاهرة وكتب إلينا
أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد المقدسي غير مرة كلاهما عن أبي الفضل سليمان بن أبي طاهر
المقدسي قال الأول كتابة والثاني سماعا قالوا أخبرنا عبدالله بن عمر البغدادى أخبرنا أبو القاسم
سعيد بن أحمد البناء أخبرنا أبو نضر محمد بن محمد بن علي الزينبي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن
دينور حدثنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني .

حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير هو يزيد بن
عبدالله عن عقبة هو ابن عامر الجهني رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوما يصلى على أهل
أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله ما أخاف
عليكم أن تنافسوا فيها . هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجاج بن محمد وأبي النضر هاشم
ابن القاسم وأخرجه البخارى عن عبدالله بن يوسف وسعيد بن شرحبيل وعمر بن خالد وأخرجه
هو ومسلم وأبو داود والنسائي كلهم عن قتيبة الستة عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث السادس :

قرأت على زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن جعوان الدمشقية
بصاحبة دمشق وعلى بن إبراهيم بن أحمد القارىء بالقاهرة كلاهما عن ابن العباس الصالحى سماعا

أخبرنا أبو محمد بن أبي شريح حدثنا أبو القاسم البغوي حدثنا أبو الجهم العللاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر قال أن امرأة وجدت في بعض مغازي رسول الله ﷺ مقتولة فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وعلى بن عباس الحمصي ويونس بن محمد المؤدب فرتبهم وأخرجه البخاري عن أحمد بن يونس ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبوداود عن يزيد بن خالد بن موهوب وأخرجه مسلم وأبوداود أيضا والترمذي والنسائي عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد فوقع لنا بدلا عاليا . وأخرجه أبو عوانة عن محمد بن إسحق الصنعائي عن أبي النضر وعن أبي أمية الطرسوسي عن أحمد بن يونس به .

● الحديث السابع :

وبه إلى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث سرية قبل نجد وفيهم عبد الله بن عمرو أن سهاهم بلغت اثني عشر بعيرا ونقلوا سوى ذلك بعيرا بعيرا فلم يغيره رسول الله ﷺ يعني ذلك هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح وأخرجه أبوداود عن يزيد بن خالد بن موهوب والقعنبي أربعتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثامن :

وبه إلى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمر الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم وامرأة الرجل راعية على بيت بعلمها وولده وهي مسئولة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح وأخرجه الترمذي عن قتيبة كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث التاسع :

وبه إلى أبي الجهم حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المنبر يقول ألا إن الفتنه ههنا مرتين من حيث يطلع قرن الشيطان هذا صحيح أخرجه أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخاري ومسلم جميعا عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن ربح ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه أبو عوانة عن الحرث بن أبي أسامة عن أبي النضر به .

● الحديث العاشر :

وبه إلى الليث بن سعد عن نافع عن عبدالله هو ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال الخليل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمع كلاهما عن الليث .

● الحديث الحادى عشر :

أنبأنا أبوهريرة عبدالرحمن بن الحافظ أبى عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي إجازة أذن في كتابتها لنا غير مرة عن القاسم بن مظفر بن عساكر وأبى نصر بن الشيرازى سماعا عليهما ح وقرأت على أم الحسن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عثمان بدمشق عن أبى الفضل بن قدامة قالوا أخبرنا محمد بن عبدالواحد المدينى إجازة مكاتبة أخبرنا إسماعيل بن الحمامى أخبرنا أبو مسلم محمد بن على النحوى حدثنا أبوبكر محمد بن إبراهيم بن على عاصم المقهى ح أخبرنا أبوهريرة ابن الذهبى إجازة . من دمشق وقرأت على أبى الحسن على بن محمد بن أبى المجد بالقاهرة أن أبا القاسم بن مظفر بن عساكر أخبرهم قال الأول سماعا عليه وأنا أسمع فى الرابعة وإجازة أخبرنا أبوبكر محمد بن عبيدالله بن الزغوانى كتابة أخبرنا أبوالقاسم على بن أحمد بن البسرى أخبرنا أبوطاهر محمد بن عبدالعزيز البغوى .

حدثنا كامل بن طلحة حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضى الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ فقال بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا أنا بامرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا القصر قالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرتك فوليت مدبرا قال أبوهريرة فبكى عمر وقال بأبى وأمى عليك أغار هذا حديث صحيح أخرجه البخارى عن سعيد بن أبى مريم وسعيد بن كثير بن عفير ويحيى بن عبدالله بن بكير وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن الحرث البصرى كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثانى عشر :

قرأت على أبى عبدالله بن بهادر المسعودى عن أحمد بن أبى طالب بن الشحنة سماعا أن عبدالله بن عمر بن على أخبرهم أخبرنا عبدالأول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبدالرحمن بن أحمد أخبرنا عبدالله بن محمد حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبى الزبير المكى عن جابر بن عبدالله الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل ممن بايع تحت الشجرة النار هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه أبو داود والترمذى والنسائي جميعا عن قتيبة وأبو داود أيضا عن يزيد بن خالد بن موهب كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثالث عشر :

وبه إلى الليث يزيد عن أبي الزبير عن جابر عبد الله رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر رجلا كان يتصدق بالنبل في المسجد أن لا يمر بها إلا وهو آخذ بنصوها هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجين بن المثنى ويونس بن محمد وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الرابع عشر :

وبه إلى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر عبد الله رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال خير ما ركبت إليه الرواحل مسجدي هذا والبيت العتيق هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن حجين بن المثنى ويونس ابن محمد وأخرجه النسائي عن قتيبة ثلاثتهم عن الليث وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أحمد بن علي الأبار عن أبي الجهم العلاء بن موسى فوقع لنا بدلا عاليا قال الطبراني لم يروه عن الليث إلا العلاء بن موسى « قلت » ورواية أحمد والنسائي واردة عليه وقد رواه أيضا عبد الله بن يزيد المقرئ عن الليث رويناه في الجزء الأول من فوائد أبي يحيى بن أبي مصرة فهؤلاء الأربعة روه عن الليث غير أبي الجهم .

● الحديث السادس عشر :

أخبرنا أبو بكر بن أحمد بن عبد الهادي وأبو هريرة بن الذهبي إجازة مكاتبة قالوا أخبرنا عيسى بن عبد الرحمن المطعم ح وأخبرنا علي بن محمد الخطيب فيما قرأت عليه عن التقي سليمان بن حمزة بن أبي عمر قال أخبرنا أبو المنجا بن الليثي أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن البناء أخبرنا أبو نصر الزينبي أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الوراق حدثنا أبو بكر بن داود حدثنا عيسى حدثنا الليث عن سعيد المقبري يعني عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذي والنسائي كلهم عن قتيبة عن الليث عن سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري عن أبيه عن أبي هريرة فوقع لنا بدلا عاليا وسقط من أصل سماعنا قوله في السند عن أبيه ولا بد منه والله أعلم .

● الحديث السابع عشر :

وبالسند الماضي إلى أبي الجهم العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من رآني في المنام فقد رآني فإنه لا ينفي للشيطان أن يتمثل في صورتي هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يونس بن محمد وحجين بن المثنى وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد ومحمد بن رمح كلهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثامن عشر :

وبه إلى أبي الجهم أخبرنا الليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال إذا احتلم أحدكم فلا يخبر الناس بتلاعب الشيطان به في المنام وبه أن رسول

الله ﷺ قال لأعرابي جاءه إنى حلمت أن رأسى قطع وأنا أتبعه فزجره النبي ﷺ وقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك فى المنام هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح وأخرجه النسائى عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث التاسع عشر :

وبه إلى أبى الجهم حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله الأنصارى رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرها فليصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحوّل عن جنبه الذى كان عليه هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى عن قتيبة وأبو داود أيضا عن يزيد بن خالد ومسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن ربح خستهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث العشرون :

وبه إلى أبى الجهم قال حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر أن النبي ﷺ دخل على أم مبشر الأنصارية فى نخل لها فقال لها النبي ﷺ من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر فقالت بل مسلم فقال لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعاً فأكّل منه إنسان ولادابة ولا شئء إلا كان له صدقة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن ربح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الحادى والعشرون :

قرأت على فاطمة بنت محمد بن عبدالهادى المقدسية بصاحلية دمشق عن أبى نصر محمد بن العمد ومحمد بن محمد الشيرازى أن محمود بن إبراهيم كتب إليهم أخبرنا مسعود بن الحسن الثقفى أخبرنا أبو عمرو عبد الوهاب بن أبى عبدالله بن منده سمعا عليه أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر الخفاف أجازة حدثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر وعن سعيد بن جبير وطاوس عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن وكان يقول التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة وأخرجه ابن ماجه عن محمد بن ربح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثانى والعشرون :

وهذا الاسناد إلى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن ابن عجلان عن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة أنه قال قال رسول الله ﷺ أيما رجل صلى صلاة بغير قراءة فهى خداج فهى خداج غير تمام قال قلت إنى لا أستطيع أن أقرأ مع الامام قال أقرأ فى نفسك فإن الله عز وجل يقول قسمت الصلاة بينى وبين عبدى فأولها لى وأوسطها

بنى وبين عبدى وآخرها لعبدى وله ماسأل قال الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى قال الرحمن الرحيم قال أثنى على عبدى قال مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى قال إياك نعبد وإياك نستعين قال أخلص العبادة لى واستعاننى عليها فهذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذا له وما سأل هذا حديث صحيح أخرجه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الثلاثة من طرق العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة عن أبى هريرة ومنهم من قال عن أبيه وأبى السائب به .

● الحديث الثالث والعشرون :

وبه إلى السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس قال رسول الله ﷺ إنما جعل الامام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا وإذا صلى قاعدا فصلوا قعودا أجمعين هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والترمذى عن قتيبة عن الليث فوق لنا بدلا عاليا .

● الحديث الرابع والعشرون :

وبه إلى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن أبى الزبير عن جابر أنه قال اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يكبر يسمع الناس تكبيره قال فالتفت إلينا فرآنا قياما فأشار إلينا فقعنا فصلينا بصلاته قعودا فلما سلم قال إن كدتم أنفسا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم إن صلى قائما فصلوا قياما وإن صلى قاعدا فصلوا قعودا هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى عن قتيبة عن الليث فوق لنا بدلا عاليا .

● الحديث الخامس والعشرون :

أخبرنى الشيخ أبو إسحق التنوخى أخبرنا أبو العباس الصالحى أخبرنا أبو المنجا الليثى أخبرنا أبو الوقت أخبرنا أبو عبد الله الفارسى أخبرنا أبو محمد الشريحي أخبرنا أبو القاسم البغوى حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان يقول من صلى من الليل فليجعل آخر صلاته وترا فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بذلك هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائى عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمع كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا .

● الحديث السادس والعشرون :

وبه إلى العلاء بن موسى حدثنا الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه ذكر عند رسول الله ﷺ يوم عاشوراء فقال ﷺ كان يوما تصومه أهل الجاهلية فمن أحب منكم أن يصومه

فليصمه ومن كرهه فليدعه هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا .

● الحديث السابع والعشرون :

وبه إلى الليث عن نافع عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ أنه أدرك عمر بن الخطاب في ركب وعمر يحلف بأبيه فنادهم رسول الله ﷺ إن الله عزوجل ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله وإلا فليصمت هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثامن والعشرون :

وبه إلى الليث عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول أيها مملوك كان بين شركاء فأعتق أحدهم نصيبه فإنه يقوم في مال الذي يعتق قيمة عدل فيعتق إن بلغ ذلك ماله هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبي النضر هاشم بن القاسم وأخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة زاد مسلم ومحمد بن رمح ثلاثتهم عن الليث فوق لنا بدلا عاليا وعلقه البخاري لليث .

● الحديث التاسع والعشرون :

وبه إلى الليث عن نافع إبراهيم بن عبدالله بن معبد عن ابن عباس أن امرأة اشتكت شكوى فنذرت إن شفاني الله لأخرجن ولأصلين في بيت المقدس فبرئت وصحت وتجهزت تريد الخروج فلما أتت ميمونة زوج النبي ﷺ أخبرتها بذلك فقالت انطلقى وكلى ما صنعت وصلى في مسجد الرسول فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا مسجد الكعبة هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوق لنا بدلا عاليا وأخرجه الطحاوي من طريق ابن وهب عن الليث وأخرجه النسائي من رواية ابن جريح فأدخل بين إبراهيم وميمونة رجلا قال سمعت نافعا يحدث عن إبراهيم بن عبدالله بن معبد أنه حدثه أن ابن عباس حدثه أن ميمونة قالت هكذا أخرجه النسائي من طريق عبدالرازق عن ابن جريح وأخرجه أحمد من طريق ابن المبارك عن ابن جريح كما قال الليث والله أعلم .

● الحديث الثلاثون :

قرأت على فاطمة بنت المنجا عن سليما بن حمزة أن محمد بن عمار كتب إليهم أخبرنا أبو القاسم ابن أبي شريك إذا هو آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن المنقور حدثنا أبو القاسم عيسى بن الجراح قال قرئ على أبي بكر بن أبي داود وسليمان بن الأشعث السجستاني وأنا أسمع في سنة ٢١٢ اثنتي عشرة وثلاثمائة قيل له حدثكم عيسى بن حماد قال أخبرنا الليث عن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبيه عن عائشة قالت طيبت رسول الله

ﷺ لحرمه وحله هذا حديث صحيح أخرجه باللفظ الأول النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه أحمد باللفظ الأول بمعناه من طريق الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم بسنده باللفظ الثاني .

● الحديث الحادى والثلاثون :

أخبرنى ابن بهادر المسعودى وزينب بنت العماد بن جعوان وإبراهيم بن أحمد القارىء بقراءاتى عليهم متفوقين كلهم عن أحمد بن الشحنة سمعا أخبرنا أبو المنجا بن الليثى أخبرنا عبد الأول بن عيسى أخبرنا محمد بن عبدالعزيز أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد أخبرنا عبد الله بن محمد البغوى حدثنا العلاء بن موسى حدثنا الليث عن نافع أن عبد الله بن عمر طلق امرأة له وهى حائض تطليقة واحدة فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض عنده حيضة أخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فإن أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها .

فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن ذلك قال أما أنت إن طلقت امرأتك تطليقة أو تطليقتين فإن رسول الله ﷺ أمرنى بهذا فإن كنت طلقته ثلاثا فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجا غيرك وعصيت الله تعالى فيما أمرك من طلاق امرأتك هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن أبى النضر هاشم بن القاسم وأخرجه البخارى ومسلم وأبو داود عن قتيبة زاد مسلم ويحيى بن يحيى ومحمد بن رمح أربعينهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وزاد مسلم فى رواية عن محمد بن رمح القصة الأخيرة وعلقها البخارى وقال وقال الليث وأخرجه الدارقطنى بتهامه عن البغوى فوقع لنا موافقة عالية .

● الحديث الثانى والثلاثون :

وبه إلى الليث عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر بن الخطاب سأل رسول الله ﷺ أيرقد أحدنا وهو جنب قال نعم إذا توضأ أحدكم فليرقد هذا حديث صحيح أخرجه البخارى عن قتيبة عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الثالث والثلاثون :

وبه إلى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سأل رجل رسول الله ﷺ عن أكل الضب فقال لا آكله ولا أحرمه هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن قتيبة ومحمد بن رمح كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الرابع والثلاثون :

وبه إلى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال لا يبيع بعضكم على بيع بعض ربه قال رسول الله ﷺ لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يونس بن محمد وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى عن قتيبة زاد مسلم

ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث جمعها مسلم والترمذي وفرقهما النسائي واقتصر أحمد على الأول فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث الخامس والثلاثون :

وبه إلى الليث عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن بيع حبل الحبلية هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والنسائي عن قتيبة وأخرجه مسلم أيضا عن يحيى بن يحيى ومحمد بن رمع ثلاثتهم عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا .

● الحديث السادس والثلاثون :

قرأت على أم الحسن التنوخية عن أبي الفضل بن أبي طاهر وهي آخر من حدث عنه مطلقا أخبرنا محمد بن عماد الحراني في كتابه وهو آخر من حدث عنه عن أبي القاسم هبة الله بن الحسين الحاسب وهو آخر من حدث عنه أخبرنا أبو الحسين أحمد بن المنصور البزار وهو آخر من حدث عنه السماع حدثنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود حدثنا عبد الله بن سليمان إملاء . . . حدثنا عيسى بن حماد أخبرنا الليث عن سعيد المقبري عن أبيه أن أبا هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال لا يحمل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة إلا ومعها رجل ذو محرم منها .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود عن قتيبة عن الليث وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمر بن محمد الهمداني عن عيسى بن حماد فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه البخاري من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد عن أبيه كذلك واختلف على مالك فيه فأخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى عنه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة لم يقل عن أبيه وفي بعض النسخ عن أبيه وحكى أبو داود الاختلاف فيه والأكثر لم يقولوا عن أبيه .

● الحديث السابع والثلاثون :

قرأت على أبي محمد عمر بن أحمد بن سليمان البلسي ثم الصالحى بها عن زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية سمعا عن عبد الخالق بن الأنجب المارديني أخبرنا أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامى ح وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد الفارقي إجازة عن أحمد بن ابن نعمة سمعا أخبرنا داود بن معمر بن الفاجر عموما قال قرىء على فاطمة بنت محمد البغدادي ونحن نسمع كلاهما عن أبي عثمان سعيد العيار سمعا أخبرنا أبو محمد الحسن ابن أحمد المجلدى حدثنا أبو العباس محمد بن إسحق السراج حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن عقيل عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن أخيه كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة هذا حديث صحيح أخرجه البخاري عن يحيى بن بكير عن الليث فوقع لنا بدلا عاليا وأخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي أربعتهم عن قتيبة عن الليث فوقع لنا موافقة عالية للجميع .

● الحديث الثامن والثلاثون :

وبه إلى السراج قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال لم أر رسول الله ﷺ يمسح من البيت إلا الركنين اليمانيين هذا حديث صحيح أخرجه البخارى وأبو داود جميعاً عن أبي الوليد الطيالسى ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن الليث فوقع لنا بدلاً عالياً وأخرجه مسلم أيضاً والنسائى عن قتيبة فوافقناهما فيه بعلو وهذا من الأمثلة التى قدمت الإشارة إليها فى آخر الترجمة أن الليث كان يحدث عن بعض شيوخه ثم يحدث عنه بواسطة فقد حدث فى هذا عن ابن شهاب وحدث فى الذى قبله عن عقيل عن الزهرى وهو ابن شهاب وكلا الحديثين صحيحان والله تعالى أعلم .

● الحديث التاسع والثلاثون :

وبه إلى السراج حدثنا قتيبة حدثنا الليث وبكر بن مضر كلاهما عن ابن الهاد هو يزيد بن عبدالله بن أسامة عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبى سلمة بن عبدالرحمن بن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يارسول الله قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا هذا حديث صحيح أخرجه مسلم والترمذى عن قتيبة بن سعيد فوقع لنا موافقة عالية .

● الحديث الأربعون :

قرأت على الشيخ أبى إسحق التنوخى أن أحمد بن أبى طالب أخبرهم سماعاً أخبرنا عبدالله بن عمر أخبرنا أبو الوقت أخبرنا عبدالله الفارسى أخبرنا أبو محمد الشريحي أخبرنا أبو القاسم البغوى حدثنا أبو الجهم الباهلى حدثنا الليث عن هشام بن عروة عن عروة عن المسور بن مخرمة أن سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حبلى فلم تلبث إلا ليالى حتى وضعت فلما حلت خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ فى النكاح حين وضعت فأذن لها فنكحت .

هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم من طريق مطولا ومختصراً من حديث سبيعة الأسلمية وأخرجه النسائى عن محمد بن وهب الخرائنى عن محمد بن سلمة الخرائنى عن أبى عبدالرحمن خالد بن يزيد الخرائنى عن زيد بن أبى أنيسة عن يزيد بن أبى حبيب عن الزهرى عن عبدالله بن عبدالله بن عبيد عن زفر بن أوس بن الحدثان عن أبى السنابل عن سبيعة وباعتبار العدد كأن شيخاً سمعه من النسائى وصافحه وبين وفاتها أربعاً سنة إلا يسيراً وهذا فى غاية العلو أنشدنا العلامة أبو إسحق إبراهيم بن أحمد بن عبدالواحد فيما قرئ عليه ونحن نسمع عن الشهاب أبى الثناء محمود بن سليمان قال أنشدنا العلامة مجد الدين محمد بن أحمد بن الظهير لنفسه .

أهل الحديث فلذ بهم أعلى الورى قدراً وأعلى

نقلوا لنا سنن الرسول وأحسنوا عدلا فعديلا
جاءوا لسميهم لذا لك حسبة حزنا وسهلا
وسروا كما تسرى النجوم فأرشدوا من كان ضالا
آيات فضلهم المبين بألسن الحساد تتلى

الامام الشافعى

وعنايته بالسنة

ومن كتب السنة التى وصلت إلينا ، مما صنف فى هذا العهد « مسند » الامام الشافعى رحمه الله تعالى . وقبل أن نوضح عناية الامام الشافعى بالسنة نعرف به ، فهو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافى بن السائب يلتقى نسبه مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف ولد بغزة سنة خمسين ومائة ١٥٠ هـ ، وتوفى والده وهو صغير ، فنقلته والدته إلى مكة المكرمة وهو ابن سنتين .

وفى مكة المكرمة قرأ القرآن الكريم وأقام فى هذيل نحو من عشر سنين فتعلم منهم اللغة والشعر وأخذ الفقه والحديث عن مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وغيره من الأئمة .

وفى المدينة المنورة أخذ العلم عن الامام مالك ، وقرأ عليه الموطأ ، كما أخذ عن إبراهيم بن أبى يحيى ، ولم يلبث أن ذاع صيته وصار يقصده الناس من كل مكان ، جلس أحمد بن حنبل مرة معه ، فجاء أحد إخوانه يعتب عليه تركه مجلس ابن عيينة شيخ الشافعى وجلسه إلى هذا الأعرابى فقال له أحمد : اسكت إنك إن فاتك حديث بعلو وجدته بنزول وإن فاتك عقل هذا أخاف ألا تجده ، مارأيت أحدا أفقه بكتاب الله من هذا الفتى .

وقد تولى الحكم بنجران من أرض اليمن ، وعاد إلى مكة ثم قدم العراق ثم رجع إلى مكة وفى سنة ثمان وتسعين ومائة رحل إلى العراق للمرة الثالثة وفى أواخر سنة تسع وتسعين ومائة انتقل إلى مصر فأقام بها إلى أن توفى سنة ٢٠٤ هـ أربع ومائتين .

وفى مصر كان مذهبه الجديد ، وكانت مصنفاته الخالدة التى رواها عنه تلاميذه « كالألم » و« الرسالة » وكتاب « السنن » وكانت له عنايته الفائقة بالسنة حتى غلب على متبعى مذهبه لقب « أصحاب الحديث » وكان أهل بغداد يطلقون عليه « ناصر السنة » .

وكان ينهى عن ترك الكتاب والسنة إلى غيرهما من آراء الناس وأهوائهم يقول : لو علم الناس مافى الكلام من الأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد .

ونظرته إلى أهل الحديث تشير إلى منزلتهم وأهميتهم فهو يقول : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جزاهم الله خيرا حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل ، ومن شعره فى ذلك :

(١) مناهج المحدثين د. أحمد عمر هاشم .

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث والا الفقه في الدين
العلم ماكان فيه « قال حدثنا » وماسوى ذاك وسواس الشياطين

● نشأته وطلبه للعلم ونبوغه

حدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله بن الزبير : أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحضر في طلب الشعر والنحو والغريب ، قال فقلت له إلى كم هذا . . لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك ، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به ، قال فما ترك من العلم عند مالك بن أنس إلا القليل ولا شيئا عند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه ، ثم شخص إلى العراق فانقط إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين .

قال فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذي صار إليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وحدث الأبري أبو الحسن محمد بن الحسن بن إبراهيم بن عاصم الأبري السجزي قال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن المولد الشرقي يحكي عن زكريا بن يحيى البصري عن زكريا النيسابوري كلاهما عن الربيع بن سليمان وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية قال :

سمعت الشافعي يقول : كنت وأنا في الكتاب أسمع المعلم يلحن الصبي الآية فأحفظها أنا ، ولقد كنت - قبل أن يفرغ المعلم من الاملاء - قد حفظت جميع ماأمل ، فقال لي ذات يوم : مايجل لي أن آخذ منك شيئا . فقال : ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخذف والدفوف وكرب النخل وأكتاف الجمال أكتب فيها الحديث وأجىء إلى الدواوين فاستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حجاب فملأتها أكتافا وخزفا وكربا مملوءة حديثا ، ثم إنني خرجت عن مكة فلزمت هذيل في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب .

قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار ، وأيام العرب ، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي فقال لي ، ياأبا عبدالله عز على ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه ، فتكون قد سدت أهل زمانك ، فقلت : عمن بقي نقصد ؟ فقال لي : مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ ، قال : فوق في قلبي فعمدت إلى الموطن فاستعرت من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهرا قال : ثم دخلت إلى وإلى مكة وأخذت كتابه إلى وإلى المدينة ، وإلى مالك بن أنس قال : فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي .

فما أن قرأ قال : يافتى إن مشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا راجلا أهون على من المشي إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذل حتى أقف على بابيه ، فقلت : أصلح الله الأمير

- إن رأى الأمير أنه يوجه إليه ليحضر ، فقال : هيهات ، ليت أنى إذا ركبت أنا ومن معى وأصابنا من تراب العقيق فلنا بعض حاجتنا . قال : فواعدته العصر وركبنا جميعا ، فوالله لكان كما قلنا فلقد أصابنا من تراب العقيق ، قال : فتقدم رجل ففرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير : قولى لمولاي إني بالباب قال : فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت : إن مولاي يقرؤك السلام ويقول إن كانت مسألة فارفعها فى رقعة يخرج إليك الجواب . وأن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف .

فقال لها : قولى له إن معى كتابا من والى مكة إليه فى حاجة مهمة . قال : فدخلت وخرجت وفى يدها كرسي فوضعته ، ثم إذا أنا بهالك قد خرج وعليه المهابة والوقار . وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالى الكتاب ، فبلغ الى هذا « إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع » فرمى بالكتاب من يده ثم قال : سبحان الله . . أوصار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل . قال : فرأيت الوالى وقد تهيىء أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت : أصلحك الله إني رجل مطلبى ومن حالى وقصتى ، فلما أن سمع كلامى نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لى : ما اسمك ؟ قلت محمد ، فقال لى يا محمد : اتق الله واجتنب المعاصى ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال : نعم وكرامة ، إذا كان غدا تجيء ويحيىء من يقرأ لك . قال : فقلت أنا أقوم بالقراءة .

قال فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه مظاهرا والكتاب فى يدي فكلما تهيئت مالك وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتى وإعرابى فيقول يافتى زد حتى قرأته فى أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس ، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لى بها الشأن وكان بها وال من قبل الرشيد ، وكان ظلوما غشوما وكنت ربها آخذ على يدي وأمنعه من الظلم .

قال : وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا - فكتب الوالى - وإنى أخاف أن يخرجوا وأن ههنا رجلا من ولد شافع المطلبى لا أمر لى معه ولا نهى . قال : فكتب إليه هارون الرشيد : أن أحمل هؤلاء وأحمل الشافعى معهم . فقرنت معهم ، قال : فلما قدمنا على هارون الرشيد : أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن . قال فدعا هارون الرشيد بالنطع والسيف ، وضرب رقاب العلوية ، ثم التفت محمد بن الحسن فقال : ياأمير المؤمنين ، هذا المطلبى لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن ، فقلت : مهلا ياأمير المؤمنين ، فإنك الداعى وأنا المدعو وأنت القادر على ماتريد منى ولست القادر على ماأريد منك .

ياأمير المؤمنين ، ماتقول . فى رجلين : أحدهما يرانى أخاه والآخر يرانى عبده ، أيهما أحب إلى ؟ قال : الذى يراك أخاه . قال : قلت فذاك أنت ياأمير المؤمنين . قال فقال لى : كيف ذاك ؟ فقلت : ياأمير المؤمنين ، إنكم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم . قال : فسرى

ماكان به فاستوى جالسا فقال : يا ابن ادريس : كيف علمك بالقران ؟ قلت : عن اى علومه تسألنى ؟ عن حفظه قد حفظته ووعيته بين جنبى وعرفت وقفه وابتدائه ، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه وماخوطب به العام يراد به الخاص ، وماخوطب به الخاص يراد به العام . فقال لى : والله يا ابن إدريس لقد ادعيت علما فكيف علمك بالنجوم ؟ فقلت إنى لأعرف منها البرى من البحرى والسهلى والجبلى والفيلق والمصبح وماتحب معرفته . قال فكيف علمك بانساب العرب ؟ قال : فقلت إنى لأعرف أنساب اللثام وأنساب الكرام ونسبى نسب أمير المؤمنين .

قال : لقد ادعيت علما فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين ؟ قال : فذكرت موعظة لطاووس اليمانى فوعظته بها ، فبكى وأمر لى بخمسين ألفا وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت فما أن وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفا على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه . قال : فلحقنى هرثمة وكان صاحب هارون الرشيد . فقال : أقبل هذه منى . قال فقلت له : إنى لأأخذ العطية ممن هو دونى وإنما أخذها ممن هو فوقى . قال : وخرجت كما أنا حتى جئت منزلى فوجهت إلى كاتب محمد بن الحسن بهائة دينار وقلت : اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لى ووجه بها إلى . قال : فكتبت لى ووجه بها إلى .

● جمعه لشتى العلوم

حدث الربيع بن سليمان أنه قال : كان الشافعى - رحمه الله تعالى - يجلس فى حلقة إذا صلى الصبح ، فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا ، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف ، رضى الله عنه .

وحديث محمد بن عبدالحكم قال : مارأيت مثل الشافعى كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث ، وكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيقومون وهم متعجبون منه وأصحاب الفقه الموافقون ، والمخالفون لا يقومون إلا وهم مذعنون له ، وأصحاب الأدب يعرضون عليه الشعر فيبين لهم معانيه . وكان يحفظ عشرة آلاف بيت لهذيل إعرابها ومعانيها ، وكان من أعرف الناس بالتواريخ ، وكان ملاك أمره إخلاص العمل لله تعالى .

وحدث محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى قال : أخبرنا أبو الحسن عن عبد الرحمن عن أبى محمد ابن ابنة الشافعى . قال : سمعت الجارودى أو عمى أو أبى أو كلهم عن مسلم بن خالد : أنه قال لمحمد بن إدريس الشافعى وهو ابن ثمان عشرة سنة : « أفت يا أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتى » .

وقال الحميدى : كنا نريد أن نرد على أصحاب الراى فلم نحسن كيف نرد عليهم ، حتى جاءنا الشافعى ففتح لنا .

وقال أبو إسماعيل الترمذى : سمعت إسحق بن راهويه يقول : كنا بمكة - والشافعى بها وأحمد بن حنبل بها - فقال لى أحمد بن حنبل : يا أبا يعقوب ، جالس هذا الرجل (يعنى الشافعى) قلت : ما أصنع به ، وسنه قريب من سننا ؟ أترك ابن عيينة والمقرئ ؟ فقال : ويحك إن ذاك يفوت وإذا لا يفوت ، فجالسته .

وحدث أبوبكر بن إدريس عن الحميدى . قال خرجت مع الشافعى إلى مصر وكان هو ساكنا فى العلو ونحن فى الأوسط فربما خرجت فى بعض الليل ، فأرى المصباح فأصبح بالغلام فيسمع صوتى فيقول بحقى عليه ارق فأرقى ، فإذا قرطاس ودواة فأقول : مه يا أبا عبد الله ، فيقول : تفكرت فى معنى حديث - أو مسألة - فحفت أن يذهب على ، فأمرت بالمصباح وكتبته .

وحدث محمد بن يحيى بن حسام قال : سمعت أحمد بن حنبل قال : « كان - محمد بن إدريس الشافعى - أفقه الناس ، فى كتاب الله « عز وجل » وفى سنة رسول الله ﷺ ما كان يكفيه قليل الطلب فى الحديث .

وحدث محمد بن الفضل البزار قال سمعت أبى يقول : حججت مع أحمد بن حنبل ، ونزلت فى مكان واحد معه أو فى دار « يعنى بمكة » وخرج أبو عبد الله « أحمد بن حنبل » باكرا ، وخرجت أنا بعده ، فلما صليت الصبح ، درت المسجد ، فجلت إلى مجلس سفيان بن عيينة وكنت أدور مجلسا مجلسا ، طلبا لأبى عبد الله « أحمد بن حنبل » حتى وجدت أحمد بن حنبل ، فقلت : يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وعنده من الزهرى وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعين - ما الله به عليم ؟ فقال لى : اسكت ، فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول - لا يضرك فى دينك ولا فى عقلك ، وإن فاتك أمر هذا الفتى ، أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة . مارأيت أحدا أفقه فى كتاب الله من هذا الفتى القرشى ، قلت : من هذا : قال : محمد بن إدريس الشافعى .

● تواضعه وخضوعه للحق

قال الحسن بن عبد العزيز الجروى « شيخ البخارى » المصرى قال الشافعى : ما ناظرت أحدا فأحببت أن يخطئ ، وما فى قلبى من علم إلا وددت أنه عند كل أحد ولا ينسب إلى .

وأخبر الربيع قال : سمعت الشافعى ودخلت عليه وهو مريض ، فذكر ما وضع من كتبه ، فقال لوددت أن الخلق تعلمه ولم ينسب إلى منه شئ أبدا .

ومن أقواله رحمه الله تعالى :

وددت أن كل علم أعلمه تعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدونى .

كل ماقلت لكم - فلم تشهد عليه عقولكم وتراه حقا فلا تقبلوه ، فإن العقل مضطر إلى قبول الحق . ماناظرت أحدا إلا على النصيحة .

● ورعه وعبادته

وحدث الربيع المرادى المصرى قال : كان الشافعى يختم القرآن فى شهر رمضان ستين مرة ، كل ذلك فى صلاة .

وحدث الربيع بن سليمان قال : قال الشافعى : ماشبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة طرحتها لأن الشيع يثقل البدن ، ويقسى القلب ، ويزيل الفطنة ، ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة .

● سخاء الشافعى

وحدث محمد بن عبدالله المصرى قال : كان الشافعى أسخى الناس بها يجد . وقال عمرو بن سواد السرجى : كان الشافعى أسخى الناس عن الدنيا والدرهم والطعام ، فقال لى الشافعى : أفلست فى عمرى ثلاث إفلاسات ، كنت أبيع قليلى وكثيرى ، حتى حلى ابنتى وزوجتى ولم أرهن قط .

وقال محمد البستى السجستانى نزيل مكة : « كان الشافعى قلما يمسك الشئ من سباحته » .

● فصاحته وشعره وبلاغته وشهادة العلماء له

حدث الربيع بن سليمان قال : سمعت عبد الملك بن هشام النحوى صاحب المغازى يقول : « الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة » . وقال أحمد بن حنبل : كان الشافعى « من أفصح الناس ، وكان مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحاً » .

وحدث أبو عبيد القاسم بن سلام قال : كان الشافعى ممن يؤخذ عنه اللغة « أو من أهل اللغة » .

وقال الربيع بن سليمان « كان الشافعى عربى النفس عربى اللسان » .

وقال أحمد بن أبى سريخ « مارأيت أحدا أفوه ، ولا أنطق من الشافعى » .

وحدث أبو نعيم الاسترابادى ، سمعت الربيع يقول : لو رأيت الشافعى وحسن بيانه وفصاحته - لعجبت منه ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته - التى كان يتكلم بها معنا فى المناظرة - لم يقدر على قراءة كتبه لفصاحته وغرائب ألفاظه - غير أنه كان فى تأليفه يجتهد فى أن يوضح للعوام » .

وقال أحمد بن سريع « مارأيت أحدا أفوه ، ولا أنطق منه فلم أر أحسن تأليفا من المطلبى الشافعى » كأن كلامه ينظم درا إلى در .

وقال الامام أحمد : « مامس أحد محبرة ولا قلما إلا وللشافعى فى عنقه منة » .

وقال الذهبى : كان حافظا للحديث بصيرا بعلمه ، لا يقبل منه إلا ما ثبت عنده ولو طال عمره لازداد منه .

● وفاته رحمه الله تعالى بمصر بالفسطاط سنة ٢٠٤ هـ

حدث المزنى قال : دخلت على الشافعى فى مرضه الذى مات فيه فقلت : كيف أصبحت ؟

قال أصبحت عن الدنيا راحلا وللاخوان مفارقا ولكأس المنية شاربا وعلى الله جل ذكره واردا ، ولا والله ما أدرى روحى تصير إلى الجنة أو إلى النار ، فأعزبها ، ثم بكى وأشد :

فلما قسا قلبى وضائق مذهبى جعلت رجائى نحو عفوك سلما

قال الربيع بن سليمان : « توفى الشافعى ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة - بعد ما حل المغرب - آخر يوم من رجب ودفناه يوم الجمعة فانصرفنا فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين » .

وحدث الربيع : كنا جلوسا فى حلقة الشافعى بعد موته ييسر فوقف علينا أعرابى فسلم . ثم قال أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ فقلنا توفى - رحمه الله تعالى - فبكى بكاء شديدا ، ثم قال : رحمه الله تعالى وغفر له . فلقد كان يفتح بيانه مغلق الحجة ويسد فى وجه خصمه واضح المحجة ويغسل من العار وجوها مسودة ويوسع بالرأى أبوابا منسدقة ثم انصرف .

وقال ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان : « وقد أجمع العلماء قاطبة من أهل المدينة والفقة والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدله وزهده وورعه وحسن سيرته وعلمه قدره وسخائه » .

ولما مات رحمه الله تعالى رثاه خلق كثير نكتفى بذكر واحد منهم محمد بن دريد .

ألم تر آثار ابن ادريس بعده	دلائلها فى المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهى خوالد	وتنخفض الأعلام وهى فوارع
مناهج فيها للهدى متصرف	موارد فيها للرشاد شرائع
ظواهرها حكم ومستبطناتها	لما حكم التفريق فيه بجوامع
لرأى ابن إدريس ابن عم محمد	ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطع
إذا المفطعات المشكلات تشابهت	سما منه نور فى دجاهن لامع
أبى الله إلا رفعه وعلوه	وليس لما يعليه ذو العرش واضع

توخى الهدى واستنقذته يد التقى
ولاذ بآثار الرسول فحكمه
وعول في أحكامه وقضائه
تسربل بالتقوى وليدا وناشئا
وهذب حتى لم تشر بفضيلة
فمن يك علم الشافعى أمامه
سلام على قبر تضمن جسمه
لئن فجعتنا الحادثات بشخصه
فأحكامه فينا بدور زواهر

من الزيف إن الزيف للمرء صارع
لحكم رسول الله في الناس تابع
على ما قضى في الوحي والحق ناصع
وخص يلب الكهل مذ هو يافع
إذا التمسست إلا إليه الأصابع
فمرتعه في ساحة العلم واسع
وجادت عليه المدجنات الهوامع
لهن لما حكمن فيه فواجه
وآثاره فينا نجوم طوالع^(١)

(١) من ديوان الشافعى تحقيق الأستاذ محمد عفيفى بتصرف .

نماذج من أشعاره

فى حسن الخلق

شعر هذا الباب يتحدث عن الأخلاق
الحسنة ، وهى تعكس السباحة وجو الكرامة
وهى تحوى حكما نافعة ، وجواهر غالية تفتح
البصر والبصيرة ، وتدفع بالإنسان إلى
التصرف السليم فى مواقف كثيرة .

● كتمان الأسرار

إذا المرء أفضى سره بلسانه
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

● حمل النفس على مايزينها

صن النفس واحملها على مايزينها
ولاتولين الناس إلا تحملا
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد
ولاخير فى ود امرئ متلون
وما أكثر الاخوان حين تعدهم

● تعريف الفقيه والرئيس والغنى

إن الفقيه هو الفقيه بفعله
وكذا الرئيس هو الرئيس بخلقه
وكذا الغنى هو الغنى بحاله

● القناعة

رأيت القناعة رأس الغنى
فلا ذا يرانى على بابه
فصرت غنيا بلا درهم

فصرت بأذيالها مُنمِسِكُ
ولا ذا يرانى بالمنهمِكُ
أمر على الناس شبه الملك

● مكارم الاخلاق

لما عفوت ولم أحقد على أحد
إنى أحببى عدوى عند رؤيته
وأظهر البشر للإنسان أبغضه
الناس داء وداء الناس قريهم

● تأتى العزة بالقناعة

أمت مطامعى فارحت نفسى
وأحييت القنوع وكان ميتا
إذا بطمع يحل بقلب عبد

● الاعراض عن الجاهل

أعرض عن الجاهل السفيف
قد خاض بحر الفرات يوما

كتب إلى البويطى وهو فى السجن : حسن خلقك مع الغرباء ووطن نفسك لهم فإننى كثيرا
ماسمعت الشافعى يقول :

أهين لهم نفسى وأكرمهم بهم

● توقير الرجال

ومن هاب الرجال تهبوه
ومن قضت الرجال له حقوقا

● السباحة وحسن الخلق

إذا سبنى نذل تزايدت رفعة
ولو لم تكن نفسى على عزيزة
ولو أننى أسمى لنفعى وجدتنى
ولكننى أسمى لأنفع صاحبنى

* * *

يخاطبنى السفيف بكل قبح
يزيد سفاهة فأزيد حلما

● الفضل

أرى الغر فى الدنيا إذا كان فاضلا
وإن كان مثلى لأفضيلة عنده

ترقى على روس الرجال ويخطب
يقاس بطفل فى الشوارع يلعب

● الزهد ومصير الظالمين

سوى من غدا والبخل ملء إهابه
قطعت رجائى منهم بدبابه
ولا ذا يرانى قاعدا عند بابيه
وليس الغنى إلا عن الشيء لابه
ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
ستدعى له مالم يكن فى حسابه
يرى النجم تيهها تحت ظل ركابه
أناخت صروف الحادثات ببابه
ولا حسنات تلتقى فى كتابه
وصب عليه الله سوط عذابه

بلوت بنى الدنيا فلم أر فيهم
فجردت من غمد القناعة صارما
فلا ذا يرانى واقفا فى طريقه
غنى بلا مال عن الناس كلهم
إذا ظالم يستحسن الظلم مذهبها
فكله إلى صرف الليالى فإنها
فكم قد رأينا ظالما متمردا
فعما قليل وهو فى غفلاته
فأصبح لا مال ولا شيء يرتجى
وجوزى بالأمر الذى كان فاعلا

● السكوت سلامة

إن الجواب لباب الشر مفتاح
وفيه أيضا لصون العرض إصلاح
والكلب يخشى لعمري وهو نباح

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم
والصمت عن جاهل أو أحق شرف
أما ترى الأسد تخشى وهى صامته

● الصمت خير من حشو الكلام

إذا اهتديت إلى عيونه
من منطق فى غير حينه
سمة تلوح على جبينه

لاخير فى حشو الكلام
والصمت أجمل بالفتى
وعلى الفتى لطباعه

● فضيل السكوت

إذا لم أجد ربحا فلست بخاسر
وتاجرهم يعلو على كل تاجر

وجدت سكوتى متجرا فلزمته
وما الصمت إلا فى الرجال متاجر

ومما تمثل به الإمام :

فخير من إجابته السكوت
وإن خيلته كمدا يموت

إذا نطق السفیه فلا تجبه
فإن كلمته فرجت عنه

وكتابه « الأم » جمعه صاحبه البويطى وبوبه الربيع بن سليمان وهو يشمل أبواب الفقه كلها ،
وأما كتاب الرسالة فهو أول كتاب ألف فى أصول الفقه وأصول الحديث .

ويعتبر الامام الشافعى أول من ألف فى أصول السنة ، وقوانين الرواية ومهد للعلماء من بعده
طريقة التأليف والتدوين فى علوم السنة . والإمام الشافعى فى مقدمة المحدثين الذين يرون صحة

الحديث برواية الثقة ولو كان الراوى واحدا ، وساق الأدلة على حجية خبر الواحد على المخالفين في كتابيه « الأم » و « الرسالة » .

ولا يحتج الإمام الشافعى بالأحاديث المرسلة أخذًا بالأحوط وخالف في ذلك الكثير من العلماء قبله .

ولكنه نص على أن الأحاديث المرسلة التى أرسلها سعيد بن المسيب حسنة لأنه تتبعها فوجدها مسندة ، كما يرى أن مراسيل كبار التابعين حجة إن جاءت من وجه آخر ولو مرسلة ، أو اعتضدت بقول صحابى أو أكثر العلماء ، أو كان المرسل لوسمى لا يسمى إلا ثقة ، فحينئذ يكون مرسله حجة ولا ينهض إلى رتبة المتصل . وأما مراسيل غير كبار التابعين فلا يحتج بها ، هكذا كانت موازينه العلمية الدقيقة . وعنايته بسنة رسول الله ﷺ .

وصية الشافعى

وروى الشيخ الحافظ أبو محمد عبدالغنى بن عبدالواحد بن على المقدسى عن أبى منصور محمد بن على بن صباح البلدانى قال : هذه وصية الامام الشافعى رضى الله عنه أوصى بها إلى أصحابه : أن يشهدوا أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وأن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين . وأن الله يبعث من فى القبور ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن عذاب النار حق ، وأن الحساب حق ، والميزان والصراط حق ، والله عز وجل يجزى العباد بأعمالهم ، عليه أحياء وعليه أموات ، وعليه أبعث إن شاء الله تعالى ، وأشهد أن الايمان قول وعمل ومعرفة القلب ، يزيد وينقص وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن الله تعالى يرى فى الآخرة ينظر إليه المؤمنون عيانا جهارا ، ويسمعون كلامه ، وأنه فوق عرشه . وأن القدر خيره وشره من الله عز وجل ، لا يكون إلا ما أراد الله وقضاه وقدره وإن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأتولاهم ، وأستغفر لهم ولأهل الجمل وصفين ، القتالين والمقتولين ، وجميع أصحاب النبى ﷺ ، والسمع لأولى الأمر ماداموا يصلون ، والموالات لهم ، ولا يخرج عليهم بالسيف ، والخلافة فى قریش وأن قليل ما أسكر كثيره خمر ، والمتعة حرام ، وأوصى بتقوى الله عز وجل ولزوم السنة والآثار عن رسول الله ﷺ وأصحابه ، وترك البدع والأهواء واجتنابها ، فاتقوا الله ما استطعتم ، وعليكم بالجمعة والجماعة ولزوم السنة ، والإيمان والتفقه فى الدين ، من حضرنى منكم فليلقنى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

وتعاهدوا الأظفار والشارب ، وإذا احتضرت فإن كانت عندى حائض فلتقم وأن تطيبوا وتدهنوا .

هذه وصية الامام الشافعى رضى الله عنه .

وروى الشيخ الزاهد : أبو الحسن على بن أحمد بن يوسف الهكارى عن أبى شعيب وأبى ثور عن أبى محمد بن إدريس الشافعى قال : القول فى السنة التى أنا عليها ، ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عليهم مثل سفيان بن عيينة ومالك وغيرهما ، الاقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الساعة لأربب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وأومن بجميع ما جاءت به الأنبياء ، وأعقد قلبى على ما ظهر من لسانى ، ولا شك فى إيمانى ولا أكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر ، وأكلهم إلى الله عز وجل وقدره وإرادته خيره وشره جميعا ، وهما مخلوقان مقدران على العباد من الله عز وجل ، من شاء الله أن يكفر يكفر ، ومن شاء أن يؤمن آمن ، ولم يرض الله عنه وجل بالشر ولا يأمر به ولا يحبه ، بل يأمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ولا أنزل المحسن من أمة محمد الجنة باحسانه ، ولا المسيء بأساءته النار ، خلق الخلق على ما أراد فكل ميسر لما خلق كما جاء فى الحديث ، وأعرف حق السلف الذين اختارهم الله تعالى بصحبة نبيه ﷺ والأخذ بفضائلهم ، وأمسك عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم . وأقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم ، فهم الخلفاء الراشدون ، وأعقد قلبى ولسانى على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق .

والكلام فى اللفظ والوقف بدعة ، والايان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وأومن برؤية الله تعالى فى الآخرة كما جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ ولما سمعت الله تعالى يقول فى كتابه العزيز عن الكفار : « كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ » . . دل على أنهم فى حال الرضا عن المؤمنين غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامون فى رؤيته ، والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ وأن المسح على الخفين فى الحضر والسفر جائز . . والجهاد مع كل بر وفاجر ، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة والبيع والشراء على حكم الكتاب والسنة ، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح .

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة .

أحيانا الله وأماننا عليها ، وجنبنا البدع ما ظهر منها وما بطن ، إنه جواد كريم ، ولا حول ولا قوة إلا الله العلى العظيم . وحسبنا الله ونعم الوكيل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

**المحدثون في مصر والازهر
من القرن الثالث
حتى آخر القرن العاشر**

المحدثون في مصر والأزهر من القرن الثالث حتى آخر القرن العاشر

يعتبر المحدثون والمؤرخون القرن الثالث العصر الذهبي لتدوين الحديث النبوي ، حيث أشرقت فيه أمهات الكتب والمراجع والمسانيد والصحاح الستة التي لم تدع من صحيح الحديث سوى القدر اليسير . .

فإذا ماجاء القرن الذي يليه ونهض فيه الأزهر الشريف ، وأشرق بحلقاته وأروقته ، واستقبل طلاب الحديث والعلم من سائر أنحاء العالم الإسلامي ، كان لهذه المراحل أهميتها الكبرى في إثراء الحياة الإسلامية بالمصنفات ، وكان طبعيا أن تضطلع مصر بدور مذكور مشكور في مضمار تدوين السنة وحفظها وإحيائها ونهضتها ، خاصة إذا علمنا عراققتها في هذا المجال من لدن عصر الصحابة الذين نزلوا فيها ونشروا الحديث والعلم في كل أرجائها ، وإذا علمنا أيضا نهضة الأزهر الكبرى التي أشرقت على العالم بأسره نشرا للإسلام والحديث وسائر العلوم .

ومن أعلام المحدثين في هذا العهد

الامام النسائي

● نسبه ونشأته :

هو ^(١) أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن بحر النسائي الحافظ ، صاحب السنن الصغرى والكبرى .

(١) السنة علومها د. احمد عمر هاشم .

ولد بنساء - من بلاد خراسان - سنة خمس عشرة ومائتين ؛ وقيل أربع عشرة ومائتين ونشأ محبا للعلم ، فطوف بكثير من الأقطار الإسلامية ، ورحل إلى قتيبة وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقال : أقمت عنده سنة وشهرين ، واستطاع بجهوده المخلصة للعلم ، وبها منحه الله تعالى من مواهب فطرية أن يحتل مكانة سامية في الحفظ والضبط والانتقان والدقة العالية ، والتحرى الشديد حتى قال فيه أبو على الحافظ النيسابورى : للنسائى شرط في الرجال أشد من شرط مسلم .

وجمع النسائى بين العلم والعمل ، فكان يجتهد في العبادة ليلا ونهارا ويكثر من العبادة حتى قيل : أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ، كما كان مواظبا على الحج والجهاد شجاعا متمرسا على أساليب الحرب ، خرج مع أمير مصر غازيا ، فوصفوا من شهامته وشجاعته وإقامته السنن الماثورة في فداء المسلمين واحترازه من مجالس الأمير الذى معه الشئ الكثير الذى يشهد بمكانته وعظمته .

● واستوطن النسائى مصر ، وأقام بزقاق القناديل ، قال الحاكم : كان النسائى أفاقه مشايخ مصر في عصره ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال .

● حياته العلمية

كان النسائى محبا للعلم والعلماء شغوبا بالمعرفة والتحصيل ، وما إن بلغ الخامسة عشرة إلا ورحل إلى العلماء في بلاد كثيرة ، فرحل إلى قتيبة بن سعيد البلخى ، ومكث عنده سنة وشهرين وأخذ عنه الحديث وشارك في السماع منه أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وأبى داود ورحل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر والجزيرة ، وضم ماسمعه من علماء بلده إلى ماسمعه من علماء هذه الأمصار ، فجمع ثروة علمية هائلة . وبرع في الحديث حتى قيل أنه أحفظ من مسلم بن الحجاج وقدم مصر ، وطاب له المقام بها فأقام طويلا ، وظل يمارس نشاطه العلمى بها ، وأخذ عنه الناس ثم خرج من مصر قبيل وفاته سنة ٣٠٢ ، وتوجه إلى دمشق .

● شيوخه وتلاميذه :

ومن شيوخه الذين تلقى عنهم ونهل من مواردهم : قتيبة بن سعيد وإسحق بن إبراهيم بن راهويه ، وحيد بن مسعدة ، وعلى بن خشرم ، ومحمد بن عبد الأعلى ، والحارث بن مسكين ، وهناد بن السرى ، ومحمد بن بشار ، وحمود بن غيلان ، وأبو داود السجستانى والترمذى صاحب الجامع ، وهشام بن عمار ، ومحمد بن النظر المروزي ، وأبو كريب ، وسويد بن نصر .

ومن تلاميذه : الذين أخذوا عنه الحديث وتلقوا منه : أبويسر الدولابى وأبو القاسم الطبرانى صاحب المعاجم الثلاثة ، وأبو جعفر الطحاوى ، ومحمد بن هارون بن شعيب ، وأبو الميمون بن راشد ، وإبراهيم بن محمد بن صالح بن سنان ، وأبو على الحسين بن محمد النيسابوى ، وحمزة الكنانى ، وأبو بكر أحمد بن إسحق السننى الحافظ ، وهو راوية السنن وغيرهم^(١) وكان الامام

(١) تذكرة الحافظ ج ٢ ص ٢٤ .

النسائي إلى جانب مكانته العلمية في السنة وعلومها فقيها ، ظاهر الاجتهاد، وما يدل على خبرته وعمقه في هذا الجانب انتقاؤه للتراجم ومختاراته من الأحاديث حتى قال فيه الدارقطني : « كان أفقه مشايخ عصره في مصر . وأعلمهم بالحديث والرجال » وقال الحاكم أبو عبدالله : أما كلام أبي عبدالرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر ، ومن نظر في كتابه « السنن » تحير في حسن كلامه .

● ومن مؤلفاته :

١- السنن الكبرى .

٢- السنن الصغرى المسماة « المجتبى » .

٣- الخصائص .

٤- فضائل الصحابة .

٥- المناسك .

واتهم النسائي بالتشيع ، وربما كان أساس هذا الاتهام أنه ألف كتاب الخصائص في فضل على وآل البيت .

وأرى أن النسائي براء من هذه التهمة ، أما الباحث له على تأليف كتاب الخصائص فهو مذكروه في إجابته على بعض السائلين ، فقد قيل له : كيف تركت تصنيف فضائل الشيخين ؟ فقال : « دخلت إلى دمشق . والمنحرف عن على رضى الله عنه كثير فصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله تعالى » ثم صنف بعد ذلك فضائل الصحابة رضى الله عنهم ^(١) .

وقال محمد بن إسحاق الأصبهاني : سمعت مشايخنا بمصر يقولون : أن أبا عبدالرحمن فارق مصر في آخر عمره ، وخرج إلى دمشق ، فسئل عن معاوية وما روى من فضائله فقال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأسا برأس حتى يفضل ؟ وفي رواية أخرى : ما أعرف له فضيلة ، ولعلمهم كانوا يرغبون أن يؤلف في فضائل معاوية ، فلما كان جوابه هكذا كان ذلك سببا فيا لاقاه من محنة ، وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : لما امتحن النسائي بدمشق قال : احملوني إلى مكة ، فحمل إليها ، فتوفي بها .

وقد شهد للنسائي كثير من العلماء بالثقة والحفظ وعرفوا له مكانته العلمية قال الدارقطني : كان أبوبكر بن الحداد الفقيه كثير الحديث ، ولم يحدث عن أحد غير أبي عبدالرحمن النسائي فقط ، قال : رضيت به حجة بيني وبين الله تعالى ^(٢) .

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ح ٣ ص ١٥ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ح ١ ص ١٣٨ .

وقال ابن خلكان : توفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة
بمكة حرسها الله تعالى .

وقيل : توفي بالرملة من أرض فلسطين .

والراجح انه توفي بالرملة - بلدة بفلسطين ، وصوب الذهبي هذا الرأي ، وجزم به ابن يونس
وممن قال بوفاة بفلسطين : أبوجعفر الطحاوي وأبو بكر بن نقطة رحمهم الله ^(١) .

وبعد هذه الجولة الطيبة في حياة هذا الامام الجليل نرى أنها قد ألفت أضواء مشرقة على أهم
مناحي العظمة في حياته العلمية ، وكتابه « المجتبى » قد اختصره من كتابه « السنن الكبرى »
و« المجتبى » كله صحيح عنده ودرجته بعد الصحيحين وهو مقدم على سنن أبي داود ، وسنن
الترمذي وسنن ابن ماجه ، لأنه أقل منها حديثا ضعيفا ورجلا مجروحا ، وعدة أحاديث المجتبى
٥٧٦١ حديثا .

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٥ ، البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٤ .

ابن الحداد

من المحدثين المصريين الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الكنانى المصرى شافعى المذهب عرف باشتغاله بالحديث وكثرة عبادته وقد تلقى العلم على كثير من شيوخ عصره منهم أبو يزيد القراطيسى ومحمد بن جعفر بن الامام ولزم المحدث الكبير أبا عبد الرحمن النسائى .
ومن العلوم التى أتقنها علم الحديث والرجال والكنى واختلاف العلماء وعلم القراءات والنحو والتاريخ .

وكان مشهورا بعبادته وكثرة صيامه يصوم يوما ويفطر يوما .

ومن مصنفاته « كتاب القضاء » فى أربعين جزءا .

« وكتاب الفرائض » فى نحو مائة جزء .

وقد انتقل إلى جوار ربه عند قدومه من أداء فريضة الحج سنة أربع وأربعين وثلاث مائة ٣٤٤هـ بعد أن عاش ثمانين عاما كانت تمثل حياته المشرقة الحافلة بخدمة الحديث والعلم والقضاء .

حمزة بن محمد بن علي بن العباس

ومن محدثي الديار المصرية الحافظ أبو القاسم الكنانى المصرى حمزة بن محمد بن علي بن العباس .

أخذ العلم على كبار علماء عصره وأئمة زمانه فقد تتلمذ على عبدالرحمن النسائى وأبى يعلى الموصلى وعمران بن موسى بن حميد الطبيب . وطوف فى كثير من الأقطار طلبا للعلم .

قال عنه الذهبى : أكثر التطواف وجمع وصنف وكما أخذ العلم فى رحلاته عن الشيوخ فقد كان يأخذ عنه العلم كثير من التلاميذ أمثال ابن منده ، وأبى الحسن الدارقطنى .

قال عنه الحاكم وحمزة المصرى على تقدمه فى معرفة الحديث كان أحد من يذكر بالزهد والورع والعبادة .

وقال عنه الحافظ عبدالغنى : كل شىء لحمزة فى سنة خمس . ولد سنة خمس وسبعين ومائتين ، وأول ما سمع منه سنة خمس وتسعين ، ورحل سنة خمس وثلاث مائة .

وقال عنه الصورى : كان حمزة ثبثا حافظا .

وقال عنه ابن زولاق : حدثنى حمزة الحافظ قال رحلت سنة خمس ودخلت حلب وقاضيتها أبو عبدالله محمد فكتبت عنه فكان يقول : لو عرفتكم بمصر لمألت ركابيك ذهباً فيقال أنه أعطاه مائتى دينار ترحل بها إلى العراق .

قال أبو عمر بن عبدالبر : سمعت عبدالله بن محمد بن أسد سمعت حمزة الكنانى يقول خرجت حديثا واحدا عن النبى ﷺ من نحو مائتى طريق فداخلى لذلك من الفرح غير قليل وأعجبت بذلك فرأيت يحيى بن معين فى المنام فقال :

يا أبا بكر خرجت حديثا من مائتى طريق فسكت عنى ساعة ثم قال :

أخشى أن يدخل هذا تحت « أهاكم التكاثر » .

وقال ابن منده : سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول : كنت أكتب الحديث ولا أكتب « وسلم » فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى :

أما تختتم الصلاة على فى كتابك .

وقال الذهبى : أنبأنى الخضر بن حمويه وطائفة عن القاسم بن عساكر أنا أبى أنا ابن الأكفانى أنا سهل بن بشر سمعت على بن عمر الحرانى سمعت حمزة بن محمد وجاءه ، غريب فقال :

عساكر المعز قد وصلوا إلى الإسكندرية فقال : اللهم لانحنى حتى ترينى الرايات الصفرة. فمات حمزة ودخل عسكرهم بعد موته بثلاثة أيام .

وهكذا عاش حياته الحافلة بخدمة السنة وعبادة الله تعالى والقرب منه إلى أن توفى فى شهر ذى الحجة فى عام سبع وخمسين وثلاثمائة ٣٥٧هـ .

الامام عبدالغنى بن سعيد المصرى

ومن أئمة الحديث النبوى الذين أنجبهم مصر الامام الحافظ أبو محمد عبدالغنى بن سعيد المصرى .

يرجع أصل قبيلته إلى اليمن ولذا يقال فى نسبته أيضا الأزدى .

ثم انتقلت قبيلته إلى مصر وفيها ولد عبدالغنى وعاش وكان مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٢هـ .

وبدأ حياته بحفظ القرآن الكريم وبتلقى العلم وكان سماعه من شيخه أحمد بن هزاذ السيرافى كما سمع من شيخه عثمان بن محمد السمرقندى بمصر وكان ثقة صدوقا .

قال الذهبى : ذكر عبدالغنى أبو الوليد الباجى فقال حافظ متقن .

قال البرفانى : سألت الدارقطنى لما قدم مصر هل رأيت فى طريقك من يفهم شيئا من العلم قال مارأيت فى طول طريقى إلا شابا بمصر يقال له عبدالغنى كأنه شعلة نار .

وقال منصور بن على الطرسوسى لما أراد الدارقطنى الخروج من عندنا من مصر خرجنا نودعه وبكىنا فقال لنا تبكون وعندكم عبدالغنى بن سعيد ، وفيه الخلف . . وقال العتبكى : كان عبدالغنى إمام زمانه فى علم الحديث وحفظه ثقة مأمونا مارأيت بعد الدارقطنى مثله .

وقال عبدالغنى . ابتدأت بعمل كتاب « المؤلف والمختلف » فقدم علينا الدارقطنى فأخذت عنه أشياء كثيرة منه فلما فرغت منه سألتنى أن أقرأه ليسمعه منى فقلت عنك أخذت أكثره ، فقال لا تقل هذا فإنك أخذته عنى مفرقا وقد أوردته مجموعا وفيه أشياء من شيوخك فقرأته عليه . وهكذا نرى ثناء العلماء عليه وتقديرهم له وتعديلهم إياه مما يدل على مكانته العلمية العظيمة .

ومن مؤلفات الإمام عبدالغنى بن سعيد كتاب « المؤلف والمختلف » فى أسماء نقلة الحديث ، وكتاب « مشبه النسبة » وكتاب « مسند حديث مالك خارج الموطأ » ومن مصنفاته كذلك كتاب

« الغوامض والمبهمات » وكتاب « إيضاح الاشكال فى الرواة » توجد نسخة منه فى مكتبة السعيدية بحيدر أباد وكتاب « الفوائد المنتقاة عن الشيوخ الثقاة » توجد نسخة منه فى مكتبة الأزهر .
وبعد هذه الحياة العلمية توفى الامام عبدالغنى بن سعيد فى شهر صفر سنة تسع وأربعمائة بمصر ٤٠٩هـ^(١) .

(١) تذكرة الحفاظ ، طبقات الحفاظ ، وفيات الأعيان ، السنة فى القرن الرابع الهجرى د. جلال عجموة

رسالة دكتوراه .

الامام الطحاوى

هو الامام حافظ الإسلام خاتمة الجهابذة النقاد الاعلام شيخ الحديث وطبيب علله في القديم والحديث ، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم بن سليمان بن خباب الأزدي الحجرى المصرى ، أبوجعفر الطحاوى الحنفى ، الفقيه الامام الحافظ ، تكرر ذكره فى « الهداية » و « الخلاصة » .

والأزدى ، بفتح الهمزة ، وسكون الزاى المعجمة ، نسبة إلى أزد شنوءه ، وهو أزد بن غوث ، ونسبة إلى أزد بن عمران ، ونسبة إلى أزد الحجر ، وهى نسبة أبى جعفر الطحاوى .

والحجرى بفتح الحاء المهملة ، وسكون الجيم آخرها راء ، هذه النسبة إلى ثلاث قبائل ، اسم كل واحد منها حجر ، أحدها حجر بن وحيير ، وثانيها حجر ذى رعين وثالثها حجر الأزد ، منهم الحافظ المصرى الطحاوى ، كان ثقة نبيلاً من أوعية الحديث ، كذا ذكره الشيخ عبد القادر فى الطبقات .

وقال المجد فى قاموسه : « ومن حجر الأزد الحافظان ، عبد الغنى : والامام أبوجعفر الطحاوى » انتهى بلفظه .

والمصرى بكسر الميم وسكون الصاد ، فى آخرها راء نسبة إلى مصر ، وسميت بها ، لأنها بناها المصر بن نوح ونسب إليها كثير من العلماء ، ولها تاريخ فى أهلها والواردين عليها .

والطحاوى : بفتح الطاء والحاء المهملتين ، وبعد الألف واو ، نسبة إلى « طحا » قرية بأسفل أرض مصر ينسب إليها جماعة .

منهم ، أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجرى الطحاوى صاحب « شرح معانى الآثار » .

كان إماماً فقيهاً من الحنفيين ، ولد سنة تسع وعشرين ومائتين ، ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ، صاحب نخاله المزنى ، وثفقه عليه ثم ترك مذهبه وصار حنفياً المذهب ، وكان إماماً ثقة

عاقلاً ، لم يخلف مثله ، كذا ذكره السمعاني وغيره ، كان مرجعاً لعلم الحديث ، ووعاء لعلوم الدين ، ذكره السيوطي في حفاظ الحديث .

قال : « وكان ثقة ثبتاً فقيهاً لم يخلف بعده مثله ، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر » انتهى .
برع في الفقه والحديث ، وصنف التصانيف البديعة ، والكتب المفيدة .
قال الشيخ أبو إسحق : « انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر » .

وقال غيره : كان شافعي المذهب ، يقرأ على المزني ، فقال له يوماً « والله لاجاء منك شيء » فغضب أبو جعفر من ذلك ، وانتقل إلى ابن أبي عمران فلما صنف مختصره ، قال : « رحم الله أبا إبراهيم (يعني المزني) لو كان حياً ، لكفر عن يمينه » .

وذكر أبو يعلى الخليلي في كتاب « الارشاد » في ترجمة المزني : أن الطحاوي ابن أخت المزني ، وأن محمد بن أحمد الشروطي قال للطحاوي : « لم خالفت مذهب خالك » قال : « لأنه كان يديم النظر في كتب الامام أبي حنيفة » ، كذا في « مرآة الجنان » و« تاريخ ابن خلكان » .

قال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » وكان رحمه الله ، ثقة ثبتاً ، فقيهاً عالماً ، لم يخلف مثله .
قال أبو إسحق الشيرازي في الطبقات : « انتهت إلى أبي جعفر رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر » إلى آخر ما أورده عن اليافعي .

قال العلامة الكفوي في الطبقات - بعد ماعده من أهل الطبقة الثانية - من أصحابنا « هو الشيخ الامام ، جليل القدر ، مشهور في الآفاق ، ذكره الجميل مملوء في بطون الأوراق » إلى أن قال :

« وتفقه في مذهب أبي حنيفة وصار إماماً ، أخذ الفقه عن أبي جعفر بن أبي عمران عن محمد بن سباعة عن أبي يوسف عن أبي حنيفة ثم خرج إلى الشام ، فلقى بها أبا حازم عبد الحميد ، قاضي القضاة بالشام ، وأخذ عن أبي حازم ، عن عيسى بن أبان ، عن محمد بن الحسن ، عن أبي حنيفة .

وكان رحمه الله إماماً في الأحاديث والأخبار ، سمع الحديث من خلق كثير ، من المصريين والغرباء القادمين إلى مصر ، منهم سليمان بن شعيب الكيساني ، وأبو موسى يونس بن عبد الأعلى الصدفي .

وتفقه عليه الشيخ الامام أبو بكر أحمد بن محمد بن منصور الدامغاني ، والشيخ الامام أوطالب سعيد بن محمد البردعي ، وابنه أبو الحسن علي بن أحمد الطحاوي انتهى .

قال الشيخ عبد القادر في الطبقات : تفقه أولاً على خاله المزني ، وروى عنه مسند الشافعي ،

وسمع الحديث من خلق من المصريين والواردين على مصر ، منهم سليمان بن شعيب الكيساني ، وأبوه محمد بن سلامة ، ويونس بن عبد الأعلى الصدفي ، شارك مسلماً وأكثر الرواية عنه ، وجمع بعضهم مشايخه في جزء وروى عنه الخلق الكثير .

فمنهم أبو محمد عبدالعزيز بن محمد التميمي الجوهري قاضي الصعيد وأحمد بن القاسم بن عبدالله البغدادي المعروف بابن الخشاب الحافظ ، وأبو بكر مكي بن أحمد البردعي ، وأبو القاسم ، مسلمة بن القاسم بن إبراهيم القرطبي ، وأبو القاسم عبيد الله بن علي الداودي القاضي ، والحسن بن القاسم بن عبدالرحمن ، وأبو محمد المصري الفقيه ، وابن أبي العوام القاضي الكبير ، وأبو الحسن محمد بن أحمد الأخيمي ، وأبو بكر محمد بن إبراهيم المقرئ الحافظ .

وسمع منه كتابه « معاني الآثار » ابنه أبو الحسن علي بن أحمد الطحاوي ، وأبو القاسم سليمان ابن أحمد بن أيوب الطبراني ، صاحب المعجم ، وأبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد المصري الحافظ ، وأبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادي الحافظ ، المعروف بـ « غندر » في آخرين من أهل الصلاح والدين ، وجمع بعضهم من روى عنه في جزء ، انتهى محصل كلامه .

قال العلامة الكفوي : وكان رحمه الله عالماً بجميع مذاهب الفقهاء ، وكان أعلم الناس بالكوفيين وأخبارهم .

وقال المحدث القاري في الطبقات : ونقل عن ابن عبدالبر أنه قال : كان الطحاوي كوفي المذهب ، عالماً بجميع مذاهب العلماء .

وقال الاتقاني في « غاية البيان » لأمعنى لانكارهم على أبي جعفر فإنه مؤتمن لامتهم ، مع غزارة علمه ، واجتهاده ، وورعه ، وتقدمه في معرفة المذاهب وغيرها ، فإن شككت في أمره ، فانظر « شرح معاني الآثار » هل ترى له نظيراً في سائر المذاهب فضلاً عن مذهبنا ، انتهى .

● مؤلفاته

وله رحمه الله تصانيف معتمدة ، ومسانيد معتبرة ، لم يأت بمثلها أحد من الفحول ، وتلقاها أهل الفقه والحديث بالقبول .

فمنها (١) « معاني الآثار » وشرحه بدر المحدثين الامام العيني ، كما شرح البخاري في مجلدات كبار ، واعتنى بأسماء رجاله ، زين المحدثين زين الدين المعروف بابن الهمام ، الثاني الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفى (٢) و« بيان مشكل الآثار » قال المحدث القاري في الطبقات ؛ الأول ، أول تصانيفه . والثاني آخر تصانيفه (٣) و« أحكام القرآن » في نيف وعشرين جزءاً (٤) والمختصر في الفقه ، وولع الفضلاء بشرحه . وعليه عدة شروح (٥) وشرح الجامع الكبير (٦) وشرح الجامع الصغير (٧) وله كتاب الشروط الكبير (٨) والشروط الأوسط (٩) والشروط الصغير

(١٠) وله المحاضر والسجلات (١١) والوصايا (١٢) والفرائض وله (١٣) نقض كتاب المدلسين على الكرايسى (١٤) وكتاب أصله كتب العزل (١٥) والمختصر الكبير (١٦) والمختصر الصغير وله (١٧) تاريخ كبير وله (١٨) مجلد في مناقب الامام الأقدم ، وفضائل المهام الأعظم الأفخم ، نائل الدرجات العلى بشهادة لو كان العلم عند الثريا كما رواه أهل الفضل والتقى فخر الأمة المحمدية وناشر السنة المصطفوية ، قوام الفقهاء والمحدثين ، ومعظم أهل الصلاح والدين ، إمامنا وإمام المسلمين ، من لدن عهد التابعين إلى يوم الدين ، أبى حنيفة الصوفى التابعى الكوفى ، رحمة الله عليه ، وعلى من يحبه ويترحم عليه وله (١٩) فى القرآن ألف ورقة ، حكاة صاحب الكمال القاضى عياض فى الإكمال وله (٢٠) النوادر الفقهية فى عشرة أجزاء وله (٢١) الحكايات فى نيف وعشرين جزءاً وله (٢٢) حكم أرض مكة وله (٢٣) قسم الفىء والغنائم وله (٢٤) الرد على عيسى بن أبان فى كتابه الذى سماه خطأ الكتب وله (٢٥) الرد على أبى عبيد فيما أخطأ فيه ، فى كتاب النسب وله (٢٦) اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين .

يقول المترجم الراجى شفاعة الأمم وصى أحمد السورتى موطناً ، والحنفى مذهباً ، الذى لاحظ له من الحسنات إلا تعمير ما ندرس من أبنية ألفاظ أخبار سيد المرسلين وتدبير تحديد ما انطمس من أساس آثار خاتم النبيين - لى قد تشرفت من مصنفاته بمطالعة « معانى الآثار » فرأيت وضعه على نمط منشط لم يظفر به أحد من أولى الأخبار وأودع فيه ما يكشف به قناع خرائد الأخبار ويعرف به رموز أبحار الآثار وسرد فيه الأحاديث بالفاظ رقيقة تقرر بسماعها عيون الأسماع وسلك فى سردها مسالك معجبة فائقة تطرب لملاحظتها الطباع ، ووجدته عينا تجرى منها أنهار الآثار أو محيطاً تشعب منه بحار الأخبار وشاهدته بحرأ فيه فرائد اللآلىء النفيسة وقصرأ فيه خرائد الفوائد الشريفة ينطق بفضل مصنفه وقوة حفظه وإتقانه وينادى بأعلى نداء بمهارة مؤلفه فى فنون الحديث بحيث لا يكاد يقاربه من سواه من أهل الحديث وقد سلك فيه مسلك خير الأوصاف وتجنب عن طريق الاعتساف ، وأورد فيه ما هو الأليق الأنيق ، ورجح ما هو عنده الحق الحقيق خلافاً لما يزعمه بعض الزاعمين من معاصرينا ، وتفوه فى بعض مؤلفاته من أنه عزل النظر فى بعض المواضع عن التحقيق وسلك المسلك غير الأنيق .

ولعل منشأ هذا قلة الاعتناء بشأن كلامه أو سوء الفهم فى درك مرامه فإن تصانيفه لما فيها من الغموضة والدقة كما لا يخفى على المهرة ، لا يظهر على ما فيها ظهوراً واقعياً إلا أولو الطباع السليمة المجبولة على السلامة .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم وكيف يظن به ما ظن به ، وأنه قد أوتى فى علوم الأحاديث والأخبار سعة باع لم يؤت أحد منذ أوتى إلى هذا الآن وأعطى فى متون الآثار وطرقها كثرة اطلاع لم يعط أحد منذ أعطى إلى هذا

الزمان مع مارزق من النظر الصائب والفكر الثاقب ولقد فاق من سواه من المحدثين حيث رزق الفقه في الدين وقد قال النبي ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ومع هذا فمن أساء الأدب في جنبه الأظهر ، ونسب إلى حضرته عزل النظر ، فهو - في الحقيقة - عازل النظر وفاقد البصر ومن أعمى الله بصر بصيرته ، فلم ير هذه الشمس إلا مظلمة فليبك على نفسه ، وأى ذنب للشمس لم يرها الخفاش ؟ !

وليس غرضي من هذا الكلام ، الخط على ذلك الزاعم المرجع للعوام ، فإن هذا من عادة اللثام ، بل الذب عن هذا الامام ، وتحذير الأنام عن أن يتبعوه في مثل هذا المقام .
فيا إخوان الإسلام ، إياكم إياكم أن تدعنوا له فيما أدرج في مؤلفاته من النقص والخط على العلماء الكرام أو أن تسلموا له فيما خلف فيه أساطين الملة وحمة الشريعة ، أئمتنا الفخام .
وله - رحمه الله - مناقب أكثر من أن يحصرها الحاصر ، كتب العلماء عنها مملوءة ، وأسفار الفضلاء بها مشحونة .

وإنما اكتفينا بهذا القدر من المآثر ، شفقة على الناظر .

قال المترجم : إنني قد حضرت بعدما فرغت من الكتب الدراسية حضرة سيد الفقهاء ، علامة الزمان ، ترجمان الحديث والقرآن ، حافظ الوقت ، مولانا الحافظ ، الشيخ المحدث ، أحمد على السهارنفوري ، تغمده الله بالغفران . المعنوي والصورى ، لتحصيل الفن الشريف ، والعلم المنيف ، الذى أحاديثه خير الأحاديث ، أعنى فن الحديث .

قرأت عليه الأمهات الست ، وموطأ الامام محمد قراءة وساعة ، ورضى عنى ورضيت عنه ، فأجازنى بمروياته ومسموعاته إجازة عامة ، وأمرنى بتدريسه وبالاشتغال بشره ، ودعا لى بالبركة ، فرخصنى .

وقد من الله على بأن قرأ على بعد فراغى عنه بعض الأذكياء ، صحيح البخارى ، وسنن ابن ماجه ، وموطأ الامام ، ووفقنى لخدمة كتبه .

فأول ما ابتدأت به تحشية سنن النسائى ، فجاء - بحمد الله - كما ينبغي ، ثم تصحيح أصل هذا المسند للطحاوى ، وأزينه - إن شاء الله - ببعض تعليقاتى ، وهذا هو مأمولى ، فالحمد لله الذى أنعم علينا بعلم أحاديث خير الأنام ، وأغنانا وإخواننا الحنفاء بنقود الآثار المروية ، لأبى جعفر الامام .

نماذج من كتاب

شرح معانى الآثار

للطحاوى رحمه الله تعالى

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي رحمه الله عليه : سألتني بعض أصحابنا من أهل العلم أن أضع له كتاباً أذكر فيه الآثار الماثورة عن رسول الله ﷺ في الأحكام التي يتوهم أهل اللحاد والضعفة من أهل الإسلام أن بعضها ينقض بعضاً لقلة علمهم بناسخها من منسوخها وما يجب به العمل منها لما يشهد له من الكتاب الناطق والسنة المجتمع عليها .

وأجعل لذلك أبواباً أذكر في كل كتاب منها ما فيه من الناسخ والمنسوخ وتأويل العلماء واحتجاج بعضهم على بعض وإقامة الحجة لمن صح عنده قوله منهم بما يصح به مثله من كتاب أو سنة أو إجماع أو تواتر من أقاويل الصحابة أو تابعيهم .

وإني نظرت في ذلك وبحثت عنه بحثاً شديداً ، فاستخرجت منه أبواباً على النحو الذي سأل ، وجعلت ذلك كتاباً ، ذكرت في كل كتاب منها جنساً من تلك الأجناس . فأول ما ابتدأت بذكره من ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ .

● في الطهارة

فمن ذلك ، باب الماء يقع فيه النجاسة .

حدثنا محمد بن خزيمة بن راشد البصري قال : ثنا الحجاج بن المنهال قال : ثنا حماد بن سلمة عن محمد بن إسحق عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ من بئر بضاعة فقليل يارسل الله إنه يلقي فيه الجيف والمخاض فقال : « إن الماء لا ينجس » .

حدثنا إبراهيم بن أبي داود الأسدي قال : ثنا أحمد بن خالد الوهبي قال : ثنا محمد بن إسحق عن سليط بن أيوب عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع عن أبي سعيد الخدري قال : قيل

يارسول الله ، إنه يستقى لك من بير بضاعة وهى بير يطرح فيها عذرة الناس ، ومخاض النساء ولحم الكلاب فقال : « إن الماء طهور لا ينجسه شئ » .

حدثنا إبراهيم قال : ثنا عيسى بن إبراهيم البركى قال : ثنا عبدالعزيز بن مسلم القسملى قال : ثنا مطرف عن خالد بن أبى نوف عن ابن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يتوضأ من بير بضاعة ، فقلت : يارسول الله ، أتتوضأ منها وهى يلقى فيها مايلقى من التتن ؟ فقال رسول الله ﷺ « الماء لا ينجسه شئ » .

حدثنا إبراهيم بن أبى داود قال : ثنا أصبغ بن الفرج قال : ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن محمد بن أبى يحيى الأسلمى عن أمه قال : دخلنا على سهل بن سعد فى أربع نسوة فقال : « لوسقيتكم من بير بضاعة لكرهتم ذلك وقد سقيت رسول الله ﷺ منها بيدى » .

حدثنا فهد بن سليمان بن يحيى قال محمد بن سعيد الأصبهانى قال أنا شريك بن عبد الله النخعى عن طريف البصرى عن أبى نضرة عن جابر أو أبى سعيد قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفرنا فانتبهينا إلى غدير وجيفة فكففنا وكف الناس حتى أتانا رسول الله ﷺ فقال : « مالكم لا تستقون ؟ » فقلنا : يارسول الله ، هذه الجيفة ، فقال « استقوا ، فإن الماء لا ينجسه شئ » فاستقينا وارتويينا .

فذهب قوم إلى هذه الآثار ، فقال : لا ينجس الماء شئ وقع فيه ، إلا أن يغير لونه ، أو طعمه أو ريحه ، فأى ذلك إذا كان ، فقد نجس الماء .

وخالفهم فى ذلك آخرون فقالوا أما ما ذكرتموه من بير بضاعة فلا حجة لكم فيه لأن بير بضاعة قد اختلفت فيها ماكانت فقال قوم كانت طريقاً للماء إلى البساتين فكان الماء لا يستقر فيها فكان حكم مائها كحكم ماء الأنهار وهكذا نقول فى كل موضع كان على هذه الصفة وقعت فى مائه نجاسة فلا ينجس ماؤه إلا أن يغلب على طعمه أو لونه أو ريحه أو يعلم أنها فى الماء الذى يؤخذ منها ، فإن علم ذلك كان نجسا ، وإن لم يعلم ذلك كان طاهراً .

وقد حكى هذا القول الذى ذكرناه فى بير بضاعة عن الواقدى ، حدثنيه أبوجعفر أحمد بن أبى عمران عن أبى عبد الله محمد بن شجاع الثلجى عن الواقدى أنها كانت كذلك .

وكان من الحجة فى ذلك أيضا أنهم قد أجمعوا أن النجاسة إذا وقعت فى بير فغلبت على طعم مائها أو ريحه أو لونه ، أن ماءها قد فسد .

وليس فى حديث بير بضاعة من هذا شئ إنما فيه أن النبى ﷺ إنما سئل عن بير بضاعة فقيل له : إنه يلقى فيه الكلاب والمخاض فقال : « إن الماء لا ينجسه شئ » .

ونحن نعلم أن بيراً لو سقط فيها ما هو أقل من ذلك لكان محالاً أن لا يتغير ريح مائها وطعمه ، هذا مما يعقل ويعلم .

فلما كان ذلك كذلك وقد أباح لهم النبي ﷺ ماءها وأجمعوا أن ذلك لم يكن وقد داخل الماء التغيير من الجهات اللاتى ذكرنا ، استحال عندنا - والله أعلم - أن يكون سؤالهم النبي ﷺ : عن مائها وجوابه إياهم وذلك عما أجابهم ، كان والنجاسة فى البير .

ولكنه - والله أعلم - كان بعد أن أخرجت النجاسة من البير فسألوا النبي ﷺ عن ذلك : هل تطهر بإخراج النجاسة منها فلا ينجس ماؤها الذى يطرأ عليها بعد ذلك ؟ وذلك موضع مشكل لأن حيطان البير لم تغسل وطينها لم يخرج فقال لهم النبي ﷺ : « إن الماء لا ينجس » يريد بذلك الماء الذى طرأ عليها بعد إخراج النجاسة منها لا أن الماء لا ينجس إذا خالطته النجاسة وقد رأيناه ﷺ قال : « المؤمن لا ينجس » حدثناه ابن أبى داود قال : ثنا المقدمى قال ثنا بن أبى عدى عن حميد بن وحيد ثنا ابن خزيمة قال : ثنا الحجاج بن منهال قال ثنا حماد بن حميد عن بكر بن أبى رافع عن أبى هريرة قال لقيت النبي ﷺ وأنا جنب فمد يده إلى فقبضت يده عنه وقلت إني جنب فقال : « سبحان الله ، إن المسلم لا ينجس » وقال عليه الصلاة والسلام فى غير هذا الحديث : « إن الأرض لا تنجس » .

حدثنا بذلك أبوبكرة بكار بن قتيبة البكرائى ، قال : ثنا أبوداود ، قال : ثنا أبو عقيل الدورقى قال : ثنا الحسن أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ : ضرب لهم قبة فى المسجد فقالوا : يارسول الله ، قوم أنجاس فقال رسول الله ﷺ : « إنه ليس على الأرض من أنجاس الناس شىء ، إنما أنجاس الناس على أنفسهم » .

فلم يكن معنى قوله « المسلم لا ينجس » يريد بذلك أن بدنه لا ينجس وإن أصابته النجاسة إنما أراد أنه لا ينجس لمعنى غير ذلك .

وكذلك قوله الأرض لا تنجس « ليس يعنى بذلك أنها لا تنجس ، وإن أصابته النجاسة . وكيف يكون ذلك ، وقد أمر بالمكان الذى بال فيه الأعرابى من المسجد أن يصب عليه ذنوب من ماء ؟

حدثنا بذلك أبوبكرة قال ثنا عمر بن يونس اليهامى قال ثنا عكرمة بن عمار قال ثنا إسحق بن عبد الله بن أبى طلحة قال حدثنى أنس بن مالك قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ جلوس إذا أعرابى فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ « مَهْ مَهْ » فقال رسول الله ﷺ « دعوه » فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول والعذرة ، إنما هى لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » .

قال عكرمة : أو كما قال رسول الله ﷺ فأمر رجلا فجاءه بدلو من ماء فشنه عليه .

حدثنا على بن شيبه قال : ثنا يحيى قال : ثنا عبدالعزيز بن محمد عن يحيى بن سعد ، أنه

سمع أنس بن مالك يذكر عن رسول الله ﷺ نحوه غير أنه لم يذكر قوله : « إن هذه المساجد » إلى آخر الحديث .

وروى طاووس أن النبي ﷺ أمر بمكانه أن يحفر .

حدثنا بذلك أبو بكر بن قتيبة البكراني ، قال : ثنا إبراهيم بن بشار ، قال : ثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن دينار عن طاووس بذلك ، وقد روى عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ بذلك أيضا .

حدثنا فهد بن سليمان قال ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال ثنا أبو بكر بن عياش عن سمعان بن مالك الأسدي عن أبي وائل عن عبدالله قال : بال أعرابي في المسجد فأمر به النبي ﷺ فصب عليه دلو من ماء ، ثم أمر به فحفر مكانه .

قال أبو جعفر : فكان معنى قوله « إن الأرض لاتنجس » أي أنها لاتبقى نجسة إذا زالت النجاسة منها لا أنه يريد أنها غير نجسة في حال كون النجاسة فيها .

فكذلك قوله في بير بضاعة « إن الماء لا ينجسه شيء » ليس هو على حال كون النجاسة فيها ، إنما هو على حال عدم النجاسة فيها .

فهذا وجه قوله ﷺ في بير بضاعة « الماء لا ينجسه شيء » - والله أعلم - وقد رأيناه بين ذلك في غير هذا الحديث .

حدثنا صالح بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث الأنصاري ، وعلى بن شيبه بن الصلت البغدادي قال حدثنا عبدالله بن يزيد المقرئ ، قال : سمعت ابن عون يحدث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة أنه قال : نهى ، أو نهى أن يبول الرجل في الماء الدائم أو الراكد ثم يتوضأ منه أو يغتسل منه .

وحدثنا علي بن معبد بن سيرين نوح البغدادي ، قال : ثنا عبدالله بن بكر السهمي قال : ثنا هشام حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول ﷺ قال : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ، ثم يغتسل فيه » .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى أبو موسى الصدفي قال أخبرني أنس بن عياش الليثي عن الحارث بن أبي ذباب وهو رجل من الأزد ؛ عن عطاء بن منيا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه أو يشرب » .

حدثنا يونس قال : أنا عبدالله بن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن بكير بن عبدالله بن الأشج حدثه أن أبا السائب مولى هشام بن زهرة ، حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول قال

رسول الله ﷺ « لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب » فقال كيف يفعل يا أبا هريرة ؟ فقال : يتناوله تناولا .

حدثنا ابن أبي داود قال : ثنا سعيد الحكم بن أبي مريم قال أخبرنا عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : ثنا أبي موسى بن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ، ثم يغتسل منه » .

وكما حدثنا حسين بن نصر بن المقرئ البغدادي قال : ثنا محمد بن يوسف الفريابي قال : ثنا سفیان رحمہ اللہ ، وحدثنا فهد قال : ثنا أبو نعیم قال ثنا سفیان عن أبي الزناد ؛ فذكر بإسناده مثله .

حدثنا الربيع بن سليمان المؤذن قال : ثنا أسد بن موسى قال : ثنا عبد الله بن لهيعة قال : ثنا عبد الرحمن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ، ثم يغتسل منه » .

حدثنا الربيع بن سليمان الجيزي قال : ثنا أبو زرعة ، وهب الله بن راشد قال : أنا حيوة بن شريح قال : سمعت بن عجلان يحدث عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لا يبولن أحدكم في الماء الراكد ولا يغتسل فيه » .

حدثنا إبراهيم بن منقذ العصفري قال حدثني إدريس بن يحيى قال : ثنا عبد الله عياش ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ مثله ، غير أنه قال : « ولا يغتسل فيه جنب » .

حدثنا محمد بن الحجاج بن سليمان الحضرمي ، قال : ثنا علي بن معبد قال : ثنا أبو يوسف عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه نهى أن يبال في الماء الراكد ثم يتوضأ فيه » .

قال أبو جعفر : فلما خص رسول الله ﷺ الماء الراكد الذي لا يجري دون الماء الجاري ، علمنا بذلك أنه إنما فصل ذلك لأن النجاسة تداخل الماء الذي لا يجري ، ولا تداخل الماء الجاري .

وقد روى عن رسول الله ﷺ أيضاً في غسل الإناء من ولوغ الكلب ماسنذكره في غير هذا الموضع من كتابنا هذا إن شاء الله تعالى ، فذلك دليل على نجاسة الإناء ونجاسة مائه وليس ذلك بغالب على ريحه ولا على لونه ، ولا على طعمه .

فتصحیح معانی هذه الآثار يوجب فيما ذكرنا من هذا الباب من معاني حديث بير بضاعة ما وصفنا لتتفق معاني ذلك ، ومعاني الآثار ، ولا تتضاد .

فهذا حكم الماء الذي لا يجري إذا وقعت فيه النجاسة من طريق تصحيح معاني الآثار .

غير أن قوماً وقتلوا في ذلك شيئاً فقالوا : إذا كان الماء مقدار قلتين لم يحمل خبثاً ، واحتجوا في ذلك بما :

حدثنا بحز بن نصر بن سابق الخولاني ، قال : ثنا يحيى بن حسان قال : ثنا أبو أسامة حماد بن أسامة عن الوليد بن كثير المخزومي عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ سئل عن الماء وما ينوبه من السباع ، فقال : « إذا بلغ الماء قلتين فليس يحمل الخبث » .

وكما حدثنا الحسين بن نصر سمعت يزيد بن هارون قال : أنا محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ أنه سئل عن الحياض التي بالبادية تصيب منها السباع فقال : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً » .

حدثنا محمد بن الحجاج ثنا علي بن معبد ، ثنا بن عباد المهلبى عن محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر عن عبيد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ مثله .

وكما حدثنا يزيد بن سنان بن يزيد البصرى قال : ثنا حماد بن سلمة أن عاصم بن المنذر أخبرهم قال كنا في بستان لنا أو بستان لعبيد الله بن عبد الله بن عمر ، فحضرت الصلاة ، صلاة الظهر ، فقام إلى بير البستان فتوضأ منه وفيه جلد بعير ميت فقلت : أتتوضأ منه وهذا فيه ؟

فقال عبيد الله أخبرني أبى ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كان الماء قلتين لم ينجس » .

وكما حدثنا ربيع المؤذن قال : ثنا يحيى بن حسام قال : ثنا حماد بن سلمة ، فذكر بإسناده مثله ، غير أنه لم يرفعه إلى النبي ﷺ وأوقفه على ابن عمر .

فقال : هؤلاء إذا بلغ الماء هذا المقدار ، لم يضره ما وقعت فيه من النجاسة ، إلا ما غلب على ريحه أو طعمه أو لونه .

واحتجوا في ذلك بحديث ابن عمر هذا ، فكان من الحجة عليهم لأهل المقالة التي صححناها أن هاتين القلتين لم يبين لنا في هذه الآثار ما مقدارهما .

فقد يجوز أن يكون مقدارهما ، قلتين من قلال هجر ، كما ذكرتم ، ويحتمل أن تكونا قلتين ، أريد بها قلنا الرجل ، وهى قامته فأريد إذا كان الماء قلتين أى قامتين لم يحمل نجساً لكثرتة ، ولأنه يكون ذلك في معنى الأنهار .

فإن قلتم : إن الخبر عندنا على ظاهره ، والقلال الحجاز المعروفة .

قليل لكم : فإن كان الخبر على ظاهره كما ذكرتم ، فإنه ينبغي أن يكون الماء إذا بلغ ذلك المقدار لا يضره النجاسة ، وإن غيرت لونه أو طعمه أو ريحه ، لأن النبي ﷺ لم يذكر ذلك في هذا الحديث ، فالجديد على ظاهره .

فإن قلتم ، فإنه وإن لم يذكر في هذا الحديث ، فقد ذكره في غيره ، فذكرتم ما حدثنا محمد بن الحجاج قال : ثنا علي بن معبد قال ثنا عيسى بن يونس عن الأحوص بن حكيم عن راشد بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « الماء لا ينجسه شيء ، إلا ما غلب على لونه أو طعمه أو ريحه » .

قيل لكم : هذا منقطع ، وأنتم لا تثبتون المنقطع ولا تحتجون به فإن كنتم قد جعلتم قوله في القلتين على خاص من القلال جاز لغيركم أن يجعل الماء على خاص من المياه ، فيكون ذلك عنده على ما يوافق معاني الآثار الأول ولا يخالفها فإذا كانت الآثار الأول التي قد جاءت في البول في الماء الراكد وفي نجاسة الماء الذي في الاناء من ولوغ الهر فيه عاما ، لم يذكر مقداره ، وجعل على كل ماء لا يجري ثبت بذلك أن ما في حديث القلتين هو على الماء الذي يجري ولا ينظر في ذلك إلى مقدار الماء كما لم ينظر في شيء مما ذكرنا إلى مقداره ، حتى لا يتضاد شيء من الآثار المروية في هذا الباب .

وهذا المعنى الذي صححنا عليه هذه الآثار ، هو قول أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد رحمهم الله .

وقد روى في ذلك عن تقدمهم ما يوافق مذهبهم .

فما روى في ذلك ما حدثنا صالح بن عبد الرحمن قال : ثنا سعيد بن منصور قال : ثنا هشيم قال : ثنا منصور عن عطاء أن حبشيا وقع في زمزم ، فمات فأمر ابن الزبير فنزع ماؤها فجعل الماء لا ينقطع ، فنظر فإذا عين تجري من قبل الحجر الأسود فقال ابن الزبير « حسبكم » .

وما قد حدثنا حسين بن نصير . ثنا : الفريابي ثنا سفيان ، أخبرني جابر عن أبي الطفيل قال : وقع غلام في زمزم فنزفت ، أي نزع ماؤها .

وما قد حدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا بن المنهال قال : ثنا بن سلمة ، عن عطاء بن السائب عن ميسرة أن عليا رضي الله عنه قال في بير وقعت فيها فأرة فماتت . قال : ينزع ماؤها .

وما قد حدثنا محمد بن حميد بن هشام الرُّعيني . قال ثنا علي بن معبد . قال : ثنا موسى بن أعين . عن عطاء عن ميسرة عن علي رضي الله عنه قال : « إذا سقطت فأرة ، أو الدابة في البير ، فانزحها حتى يغلبك الماء » .

حدثنا محمد بن خزيمة قال ثنا حجاج قال ثنا عن أبي المهزم قال سألنا أبا هريرة عن الرجل يمر بالغدير : أيبول فيه ؟ قال : ، فإنه يمر به أخوه المسلم فيشرب منه ويتوضأ ، وإن كان جاريا فليبل فيه إن شاء .

وما قد حدثنا محمد قال : ثنا حجاج قال : ثنا حماد ، عن أيوب عن محمد ، عن أبي هريرة

مثله .

وما قد حدثنا أبو بكرة قال ثنا أبو عامر العقدي قال ثنا سفيان عن زكريا ، عن الشعبي في الطير والنسور ونحوهما . يقع في البير قال « ينزح منها أربعون دلواً » .

حدثنا حسين بن نصر قال : ثنا الفريابي . ثنا سفيان عن زكريا عن الشعبي قال : « ينزح منها أربعون دلواً » .

وما قد حدثنا صالح عبد الرحمن قال : ثنا سعيد بن منصور قال : ثنا هشيم عن عبد الله بن سبرة الهمداني عن الشعبي قال : يدلو منها سبعين دلواً .

وما قد حدثنا فهد بن سليمان قال : ثنا محمد بن سعيد بن الاصبهاني قال : ثنا حفص بن غياث النخعي عن عبد الله بن سبرة الهمداني عن الشعبي قال : سألتاه عن الدجاجة تقع في البير فتموت فيها ؟ قال : ينزح منها سبعون دلواً .

وما قد حدثنا صالح قال : ثنا سعيد بن منصور قال : ثنا هشيم قال : أنا مغيرة عن إبراهيم في البير يقع فيه الجرذ أو السنور فيموت ؟ قال : يدلو منها أربعين دلواً ، قال المغيرة حتى يتغير الماء .

وما قد حدثنا محمد بن خزيمة قال : ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن إبراهيم في فأرة وقعت في بير ، قال : « ينزح منها قدر أربعين دلواً » .

وما قد حدثنا حسين بن نصر ، قال ثنا الفريابي قال : ثنا سفيان عن المغيرة عن إبراهيم في البير تقع فيه الفأرة قال ينزح منها دلاء .

وما قد حدثنا ابن خزيمة قال : ثنا حجاج قال : ثنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان أنه قال في دجاجة وقعت في بير فماتت ؟ قال ينزح منها قدر أربعين دلواً أو خمسين ، ثم يتوضأ منها .

فهذا من رويناه عنه ، من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيه ، قد جعلوا مياه الآبار نجسة بوقوع النجاسات فيها ولم يراعوا كثرتها ولا قلتها ، وراعوا دوامها وركودها ، وفرقوا بينها وبين ما يجري مما سواها .

فلما هذه الآثار مع ماتقدمها مما رويناه عن رسول الله ﷺ ذهب أصحابنا في النجاسات التي تقع في الآبار ولم يميز لهم أن يخالفوها لأنه لم يرو عن أحد خلافها .

فإن قال قائل : فأنتم قد جعلتم ماء البير نجساً بوقوع النجاسة فيها ، فكان ينبغي أن لا تطهر تلك البير أبداً لأن حيطانها قد تشربت ذلك الماء النجس ، واستكمن فيها ، فكان ينبغي أن تطم .

قيل له : لم تر العادات جرت على هذا قد فعل عبد الله بن الزبير ما ذكرناه في زمزم بحضرة أصحاب النبي ﷺ فلم ينكروا ذلك عليه ولا أنكروه من بعدهم ولا رأى أحد منهم طمها . وقد أمر

رسول الله ﷺ في الإناء الذي قد نجس من ولوغ الكلب فيه ، أن يغسل ، ولم يأمر بأن يكسر ،
وقد شرب من الماء النجس .

فكما لو يؤمر بكسر ذلك الإناء ، فكذلك لا يؤمر بطم تلك البير .

فإن قال قائل : فإننا قد رأينا الإناء يغسل ، فلم لا كانت البير كذلك ؟

قيل له : إن البير لا يستطيع غسلها لأن ما يغسل به يرجع فيها وليست كالإناء الذي يهراق
منه ما يغسل به .

فلما كانت البير مما لا يستطيع غسلها . وقد ثبت طهارتها في حال ما . وكان كل من أوجب
نجاستها بوقوع النجاسة فيها وقد أوجب طهارتها بنزحها وإن لم ينزح ما فيها من طين .

فلما كان بقاء طينها فيها ، لا يوجب نجاسة ما يطرأ فيها من الماء وإن كان يجري على ذلك الطين
كان إذا ما بين حيطانها أخرى أن لا ينجس ، ولو كان ذلك مأخوذاً من طريق النظر ، لما طهرت
حتى تغسل حيطانها ويخرج طينها ويحفر ، فلما أجمعوا أن نزح طينها وحفرها غير واجب ، كان غسل
حيطانها أخرى أن لا يكون واجباً .

وهذا كله قول أبي حنيفة ، وأبي يوسف ومحمد ، رحمهم الله تعالى .

البويطى

البويطى أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشى الامام الجليل ، أحد أئمة الإسلام وأركانه وزهاده . كان خليفة الشافعى فى حلقة بعده . قال الشافعى : ليس أحد أحق بمجلسى من أبى يعقوب ، وليس أحد من أصحابى أعلم منه .

وكان ابن أبى الليث الحنفى قاضى مصر يحسده ، فسعى به إلى الوائق بالله أيام المحنة بخلق القرآن ، فأمر بحمله إلى بغداد مغلولاً مقيداً ، وأريد منه القول بذلك ، فامتنع ، فجلس ببغداد إلى أن مات فى القيد والسجن .

وكان الشافعى له كرامة « يقول له » : أنت تموت فى الحديد ^(١) .

الحارث بن مسكين

هو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف الأموى أبوعمر المصرى .

الحافظ الفقيه العلامة ، روى عنه أبوداود والنسائى . قال الخطيب : كان فقيهاً على مذهب مالك . ثقة فى الحديث ، ثبتاً ، وله تصانيف . ولد سنة أربع وخمسين ومائة ، ومات ليلة الأحد لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين ^(٢) .

(١) طبقات الشافعية ١ : ٢٧٥ .

(٢) الديباج المذهب ٦٠٦ ، طبقات الشافعية ١ : ٢٤٩ .

أبو الطاهر أحمد بن عمرو

هو أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح الأموي مولا هم المصري الحافظ الفقيه العلامة (م ، د ، ن) روى عن ابن عيينة وابن وهب ، وعن مسلم وأبوداود والنسائي وابن ماجه ، والسرحد هو طاهر بن وهب .

قال أبوحاتم : كان ثقة فهما من الصالحين الأثبات . مات يوم الاثنين رابع عشرة ذى القعدة سنة خمسين ومائتين . وذكره ابن فرحون فى طبقات المالكية ، فقال : كان فقيها ثقة صدوقاً ^(١) .

محمد بن نصر المروزى

هو محمد بن نصر المروزى الامام أبوعبدالله . أحد أئمة الفقهاء . ولد ببغداد ، ونشأ بنيسابور ، وأقام بمصر مدة ، ورجع فاستوطن سمرقند . كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وله تصانيف جلية . وكان رأساً فى الفقه ، رأساً فى الحديث ، ورأساً فى العبادة ، وقال شيخه فى الفقه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم : كان محمد بن نصر عندنا إماماً ، فكيف بخراسان . . وقال غيره : لم يكن للشافعية فى وقته مثله . وعنه أنه قال : مكثت فى مصر مدة أنفق فيها كل سنة عشرين درهما ومات فى المحرم سنة أربع وتسعين ومائتين .

قال ابن كثير فى تاريخه : روى أنه اجتمع فى الديار المصرية محمد بن نصر ومحمد بن جرير ومحمد بن المنذر ، فجلسوا فى بيت يكتبون الحديث ، ولم يكن عندهم فى ذلك اليوم شىء يقتاتون ، فاقترعوا فيما بينهم من يسعى لهم فى شىء يأكلونه ، ليدفعوا عنه ضرورتهم ، فجاءت القرعة على أحدهم ، فنهض إلى الصلاة ، فجعل يصلى ويدعو الله وذلك وقت القيلولة ، فرأى نائب مصر وهو نائم وقت القيلولة رسول الله ﷺ وهو يقول أنت هاهنا والمحمدون ليس عندهم شىء يقتاتونه . . فانتبه الأمير من منامه ، فسأل : من هاهنا من المحمدين ؟ فذكر له هؤلاء الثلاثة ، فأرسل إليهم فى الساعة بألف دينار ^(٢) .

ويشبه هذا ما حكاه ابن كثير أيضاً فى ترجمة الحسن بن سفيان الفسوى محدث خراسان ، قال : من غريب ما اتفق له أنه كان هو وجماعة من أصحابه بمصر فى رحلتهم للحديث ، منهم محمد بن خزيمة ومحمد بن جرير ومحمد بن هارون الرويانى ، فضاق عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون شيئاً ، واضطروهم الحال إلى السؤال ، فأنفقت نفوسهم من ذلك ، ثم

(١) طبقات الشافعية ١٩/١ الديباج المذهب ٣٥ ، وفيه « أحمد بن عمر » .

(٢) تاريخ ابن كثير ١١ : ١٠٢-١١١٣ .

الجاتهم الضرورة إلى تعاطى ذلك ، فاقترعوا فيما بينهم ، فوقعوا القرعة على الحسن بن سفيان فقام فاحتل في زاوية المسجد الذى هم فيه فصلى ركعتين طال فيهما ، واستغاث بالله وسأله بأسمائه العظام ، فما انصرف من الصلاة حتى دخل المسجد رجل ، فقال : أين الحسن بن سفيان ورفقته ؟ فقالوا هانحن ، فقال : الأمير ابن طولون يقرأ عليكم السلام ، ويعتذر إليكم فى تقصيره ؟ وهذه مائة دينار ، لكل واحد منكم فقالوا له : ما الحامل له على هذا ؟ فقال : إنه أحب اليوم أن يحتل بنفسه ، فبينما هو الآن إذ جاءه فارس فى الهواء بيده رمح ، فدخل عليه المنزل ، ووضع عقب الرمح فى خاصرته ، فوكزه به وقال : قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه ، قم فأدركهم ، قم فأدركهم ، فأنهم منذ ثلاثة أيام جياح فى المسجد الفلانى ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا رضوان خازن الجنان ، فاستيقظ الأمير وخصرته تؤله ألما شديدا ، فبعث بالنفقة فى الحال ، ثم جاء لزيارتهم ، واشترى ماحول ذلك المسجد ، ووقفه على الواردين إليه (١)

(١) طبقات الشافعية ٢ : ٢٤٠

الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء

هو الشيخ عز الدين بن عبد السلام بن عبدالعزيز بن القاسم بن حسن بن مهذب السلمى أبو محمد ، شيخ الإسلام ، سلطان العلماء . ولد سنة سبع - أو ثمان - وسبعين وخمسة و توفقه الفخر بن عساكر ، وأخذ الاصول عن السيف الابدئى ، وسمع الحديث من عمر بن طبرزد وغيرهم ، وبرع فى الفقه والاصول والعربية .

قال الذهبى فى العبر : انتهت إليه معرفة المذهب مع الزهد والورع ، وبلغ رتبة الاجتهاد ، وقدم مصر ، فأقام بها أكثر من عشرين سنة ، ناشر العلم ، أمرا بالمعروف ، ناهيا للمنكر ، يغلظ على الملوك فمن دونهم . ولما دخل مصر بالغ الشيخ زكى الدين المنذرى فى الأدب معه ، وامتنع من الافتاء لأجله ، وقال : كنا نفتى قبل حضوره ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه . وألقى التفسير دروسا . وهو أول من فعل ذلك .

وله من المصنفات : تفسير القرآن ، ومجاز الفرسان والفتاوى الموصلية ، ومختصر النهاية وشجرة المعارف ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وبيان أحوال الناس يوم القيامة .

وكان يحضر عند الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، ويسمع كلامه فى الحقيقة ، ويعظمه وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : قيل لى : ماعلى وجه الأرض مجلس فى الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وماعلى وجه الأرض مجلس فى الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكى الدين عبدالعزيز ، وماعلى وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك .

وقال ابن كثير فى تاريخه : انتهت إليه رئاسة المذهب ، وقصد بالفتاوى من الآفاق ، ثم كان فى آخر عمره لا يتقيد بالمذهب ، بل اتسع نطاقه ، وأفتى بما أدى إليه اجتهاده . وقال تلميذ ابن دقيق العيد : كان ابن عبد السلام أحد سلاطين العلماء .

وقال الشيخ جمال الدين بن الحاجب : ابن عبد السلام أفقه من الغزالى . وحكى القاضى عز الدين البكارى أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أفتى مرة بشئ ثم ظهر له أنه أخطأ ، فنادى فى مصر والقاهرة على نفسه : من أفتى له ابن عبد السلام بكذا ، فلا يعمل به فإنه خطأ .

قال القطب اليوناني : وكان مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار .
وقال ابن كثير : كان لطيفا يستشهد بالأشعار ، توفي بمصر/عاشر جمادى الأولى سنة ستين
وستائة^(١) .

(١) البداية النهاية لابن كثير ١٣ : ٢٣٥ .

ابن دقيق العيد

هو ابن دقيق العيد :الشيخ تقى الدين أبوالفتح محمد بن الشيخ مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشيري القوصى . قال ابن السبكي فى الطبقات : شيخ الإسلام الحافظ الزاهد الورع الناسك المجتهد المطلق ذو الخبرة التامة بعلوم الشريعة ، الجامع بين العلم والدين ، والسالك سبيل السادة الأقدمين ، أكمل المتأخرين . ولد بظهر البحر الملح قريبا من ساحل البنيج وأبواه متوجهان من قوص للحج يوم السبت فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة ، ونشأ بقوص وتفقه بها ، ثم رحل إلى مصر والشام ، وسمع الكثير ، وأخذ من الشيخ عز الدين بن عبدالسلام وحقق العلوم ، ووصل إلى درجة الاجتهاد ، وانتهت إليه رياسة العلم فى زمانه ، وشدت إليه الرحال .

قال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس : لم أر مثله فيمن رأيت ، ولا حلت عن أجل منه فيمن رويت . وكان للعلوم جامعا ، وفى فنونها بارعا ، مقدما فى معرفة علم الحديث على أقرانه ، منفردا بهذا الفن النفيس فى زمانه ، بصيرا بذلك ، شديد النظر فى تلك المسالك ، أذكى ألمعية وأذكى لودعية ، لا يشق له غبار ، ولا يجرى معه سواه فى مضمار ، وكان حسن الاستنباط والأحكام والمعانى من السنة والكتاب ، بنكت تسحر الألباب ، وفكر تستفسح له ما استغلق على غيره من الأبواب ، مستعينا على ذلك بما رواه من العلوم ، مبينا ما هنالك بها حواه من مدارك الفهوم ، مبرزاً فى العلوم الثقيلة والعقلية ، والمسالك الأثرية والمدارك النظرية ، بحيث يقضى له من كل علم بالجميع ، وسمع بمصر والشام والحجاز ، على تحر فى ذلك واحتراز ، ولم يزل حافظا للسانه ، مقبلا على شأنه ، وقف نفسه على العلوم وقصرها ، ولو شاء لعاد أن يحصر كلماته لحصرها ، ومع ذلك فله بالتجريد تخلق ، وبكرامات الصالحين تحقق ، وله مع ذلك فى الأدب باع ، وكرم طباع ، ولم يخل فى بعضها من حسن انطباع ، حتى لقد كان الشهاب محمود الكاتب المحمود فى تلك المذاهب ، يقول : لم تر عيني آدب منه .

وقال أبوحيان : هو أشبه من رأيناه يميل إلى الاجتهاد .

قال الشيخ تاج الدين السبكي : ولم أر أحدا من أشياخنا يختلف فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة ، المشار إليه فى الحديث : فإنه أستاذ زمانه علما ودينا .

وله مصنفات ، منها الإمام في الحديث وشرحه ، الذى لم يؤلف أعظم منه لما فيه من الاستنباطات العظيمة ، وشرح العمدة والاقتراح في مصطلح الحديث ، وكتاب في أصول الفقه ، وكتاب في أصول الدين ، وله ديوان خطب ، وشعر حسن .
مات يوم الجمعة حادى عشر من صفر سنة اثنين وسبعمائة ^(١) .

(١) طبقات الشافعية ٦ : ٢-٢٢٠

الامام السبكي

السبكي العلامة تقي الدين أبوالحسن على بن عبد الكافي بن تمام بن حماد بن يحيى بن عثمان بن على بن سوار بن سليم الانصارى . قال ولده فى الطبقات : الامام الفقيه المحدث الحافظ المفسر الأصولى المتكلم النحوى الأديب الجدل الخلافى النظر ، شيخ الإسلام بقيّة المجتهدين ، المجتهد المطلق . ولد بسبك من أعمال المنوفية فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستائة وتفقه على ابن الرفعة ، وأخذ الحديث عن الشرف عن العلاء الباجى ، والنحو عن أبى حبان . وصحب فى التصوف الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ، وانتهت إليه رياسة العلم بمصر . قال الأسنوى : كان أنظر من رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم ، وأحسنهم كلاما فى الأشياء الدقيقة وأجلدهم على ذلك . وقال الصلاح الصفدى : الناس يقولون : ماجاء بعد الغزالى مثله ، وعندى أنهم يظلمونه بهذا وما هو عندى إلا مثل سفيان الثورى ، وقال ابنه فى الترشيح : قال الشيخ شهاب الدين بن النقيب ، صاحب مختصر الكفاية وغيرها من المصنفات : جلست بمكة بين طائفة من العلماء وقعدنا نقول : لو قدر الله تعالى بعد الأئمة الأربعة فى هذا الزمان مجتهدا عارفا بمذاهبهم أجمعين يركب لنفسه مذهباً من الأربعة ، بعد اعتبار هذه المذاهب المختلفة كلها ، لازدان الزمان به ، وانقاد الناس ، فاتفق رأينا على أن هذه الرتبة لاتعدو الشيخ تقي الدين السبكي ، ولا ينتهى لها سواء .

وله من المصنفات: الجليلة الفائقة التى حقها أن تكتب بهاء الذهب ، لما فيها من النفائس البديعة ، والتدقيقات النفيسة ، منها الدرا لنظيم فى تفسير القرآن العظيم ، تكملة شرح المذهب للنووى وصل فيه إلى أثناء التفليس ، الابتهاج فى شرح المنهاج وصل فيه إلى الطلاق . الرقم الابريزى شرح مختصر التبريزى ، التحقيق فى مسألة التعليق ، رفع الشقاق فى مسألة الطلاق أحكام كل ماعليه تدل ، بيان حكم الربط فى اعتراض الشرط ، شفاء السقام فى زيارة خير الأنام ، السيف المسلول على من سب الرسول ، التعظيم والمنة ، فى « لتؤمنن به ولتنصرنه » ، منية الباحث عن حكم دين الوارث ، الرياض الأنيقة وقسمة الحديث ، الاقناع فى إفادة « لو » للامتناع « وشى الخلا فى تأكيد النفى بلا » ، الاعتبار ببقاء الجنة والنار ، ضرورة التقرير فى تقويم الخمر

والخنزير ، كيف التدبير في تقويم الخمر والخنزير ، السهم الصائب في قبض دين الغائب ، الغيث المغدق في ميراث ابن المعتق ، فصل المقال في هدايا العمال ، مختصرة ، نور المصابيح في صلاة التراويح ، ضياء المصابيح ، ضوء المفاليح ، تقييد التراجيح .

ومصنفان : آخران في ذلك ، تكملة سبعة أجزاء ، إبراز الحكم من رفع القلم ، الكلام على حديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » كشف الغمة في ميراث أهل الذمة ، الاتساق في بقاء وجه الاشتقاق ، الطوالع المشرقة في الوقف على طبقة بعد طبقة ، النقول والمباحث المشرقة ، طليعة الفتح والنصر في صلاة الخوف والقصر ، القول الصحيح في تعيين الذبيح ، القول المحمود في تنزيه داود ، قطف النور مسائل الدور ، وله فيه مؤلف ثالث ورابع وخامس ، عقود الجمان في عقود الرهن والضمان ، ورد الغلل في العلل ، الجمع في الحضر بعذر المطر ، حسن الصنيعة في ضمان الوديعة ، التهدى إلى معنى التعدي ، بيان المحتمل في تعديّة العمل ، الحكم والأناة في إعراب قوله : « غير نَاطِرِينَ إِنَاهُ » القول الجذ في تبعية الجذ ، الأغريض في الفرق بين الكناية والتعريض ، المواهب الصمدية في الموارث الصفدية ، تفسير « يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِّنَ الطَّيِّبَاتِ » الآية ، كشف الدسائس في هدم الكنائس ، تنزيل السكينة على قناديل المدينة ، الطريقة النافعة في المساقاة والمخابرة والمزارعة ، من أقسطوا ومن غلوا في حكم من يقول لو ، نيل العُلا في العطف بلا ، حفظ الصيام عن فوت التهام ، معنى قول الامام المطلبى : إذا صح الحديث فهو مذهبي . القول المختطف في أدلة « كان إذا اعتكف » ، كشف اللبس عن المسائل الخمس ، غيرة الايمان الجلى لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، بيع المرهون في غيبة المديون ، الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص ، تسريح الناظر في انعزال الناظر ، جزء في تعدد الجمعة ، وغير ذلك . وله فتاوى كثيرة جمعها ولده في ثلاثة مجلدات .

توفي بجزيرة الفيل على شاطئ النيل ، يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين بهجئة^(١) .

(١) طبقات الشافعية ١٤٦/٦ - ٢٢٧ .

الإمام شهاب الدين البوصيري

هو ^(١) شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم - ككبير - ابن قايماز بن عثمان بن عمر الشهاب أبو العباس الكنانى البوصيرى القاهرى الشافعى .

ولد فى العشر الأوسط من المحرم سنة اثنين وستين وسبعمائة ، بأبوصير من الغربية ونشأ بها ، فحفظ القرآن وجوده ببوصير على الشيخ عمر بن الشيخ عيسى وقرأ عليه الميقات ، وانتفع بلحظه ودعائه . ثم انتقل بأشارته بعد استرضاء والده إلى القاهرة ، فأخذ الفقه عن النور الأدمى ، وحصلت بركاته وطرفا من النحو عن البدر القدسى الحنفى ، وسمع دروس العزبن جماعة فى المنقول والمقول ، ولزم الشيخ يوسف إسماعيل الانبأى فى الفقه وسمع الكثير من جماعة منهم التقى بن حاتم ، والتونخى ، والبلقىنى والعراقى ، والهيشمى . وكثرت عنايته بهذا الشأن ، ولزم فيه ابن العراقى على كبر كثيرا ، وولده الولى ، وكذا لازم شيخنا قديما فى حياة شيخهما المذكور ، ثم بعد إلى أن مات حتى كتبه عنه ، من تصانيفه : اللسان والنكت للكاشف ، وزوائد البزار على الستة ، وأحمد وغير ذلك ، وقرأ عليه أشياء ، ووصفه بالشيخ المفيد الصالح المحدث الفاضل ، وكتب بخطه أيضا من تصانيف غيره الكثير كالفرودس ، وفسنده بحيث علق بذهنه من أجاديثهما أشياء كثيرة كان يذاكر بها مع عدم مشاركة فى غيره ولاخبرة بالفن كما ينبغى لكنه كان كثير السكون والتلاوة والعبادة والانجتماع على الناس والاقبال على النسخ ، والاشتغال مع حدة فى خلقه ، وخطه حسن مع تحريف كثير فى المتن والأسماء .

ومما جمعه زوائد ابن ماجه على باقى الكتب الخمسة مع الكلام على أسانيدها ، وزوائد السنن الكبرى للبيهقى على الستة فى مجلدين أو ثلاثة وزوائد مسانيد الطيالسى ، وأحمد ومسدد ، والحميدى ، والعدنى ، والبزار ، وابن منيع ، وابن أبى شيبه ، وعبد ، والحارث بن أبى أسامة ، وأبى يعلى ، مع الموجود من مسند ابن راهويه على الستة أيضا فى تصنيفين :

أحدهما : يذكر أسانيدهم ، والآخر بدونها ، مع الكلام عليها ، والتقط من هذه الزوائد ، ومن مسند الفروودس ، كتابا جعله ذيلًا على الترغيب : للمندرى ، سماه تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد فى الترغيب والترهيب ، ومات قبل أن يهذه ويبيضه ، فبيضه من مسودته ولده على خلل

(١) الضوء اللامع ١/٢٥١-٢٥٢ .

كثير فيه فإنه ذكر في خطبته أنه يقتفى أثر الأصل في اصطلاحه وسرده ، ولم يوف بذلك ، بل أكثر من إيراد الموضوعات وشبهها بدون بيان ، وعمل جزءاً في خصال تعمل قبل الفوت فيمن يجرى عليه بعد الثلاث ، وآخر في أحاديث الحجامة إلى غير ذلك ، وحدث باليسير ، سمع منه الفضلاء كابن فهد وناب في الإمامة بالحمينية ، وكان قاطناً بها ، ثم أم بالقبة منها ، وتنزل في صوفية الشيعونية ، ثم المؤيدية أول ما فتحت ، واستمر على طريقته حتى مات وقت الزوال من يوم الأحد سابع عشر من المحرم ، وذلك يوم فتح السد عام أربعين ٨٤٠ بالحسينية بعد أن نزل به الحال ، ونخفت ذات يده جدا ، وطالت عليه ، ودفن بترية طشتمر الدوادار رحمه الله وإيانا .

وقد ذكر شيخنا في أنبائه ، والمقریزی في عقوده ، وابن فهد وآخرون أ . هـ .

وقال في حسن المحاضرة : توفي في ليلة الأحد ثامن عشرين ، المحرم .

أما ابن العماد فإنه يقول عنه في شذراته .

وفيها - أى سنة أربعين وثمانمائة - توفي شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل بن سليم بن قابياز بن عثمان بن عمر البوصيرى الشافعى ، ولد في المحرم سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، وسكن القاهرة ، ولازم العراقي على كبر فسمع منه الكثير ، ولازم ابن حجر فكتب عنه لسان الميزان ، والنكت على الكاشف والكثير من التصانيف ثم أكب على نسخ الكتب الحديثة وكان كثير السكون والعبادة والتلاوة مع حدة الخلق وجمع أشياء منها زوائد سنن ابن ماجة على الكتب الأصول الستة ، وعمل زوائد المسانيد العشرة ، وزوائد السنن الكبير للبيهقى ، وكتاب تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب لم يبيضه ولم يزل مكبا على الاشتغال والنسخ إلى أن توفي في شهر المحرم بالقاهرة . والله سبحانه وتعالى نسأل ، وإليه نضرع ، أن ينفعنا بعلمه ، وأن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين من تراث إسلامى أصيل ، خير ما يجزى به الصالحين المخلصين والعلماء العاملين من عباده ، والأولياء المتقربين من أهل وده ووداده إنه حسبنا ونعم الوكيل .

وقال الشيخ الامام العالم العامل المحدث الحافظ المحقق المحرر ، المخرج المقرر مفيد الطالبين ، مفتى المسلمين ، شهاب الدين أحمد الكنانى البوصيرى الشافعى رحمه الله .

يقول الفقير إلى مغفرة الكريم أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل البوصيرى رحمه الله :

الحمد لله الذى شرفنا بها خاطبنا به من كلامه المجيد ، وعرفنا فيه دلائل ربوبيته لنعبده على بساط التمجيد ، وقضى فى سابق أجله بما شاء من آثار الفضل والعدل على العبيد ، فهذا شقى وهذا سعيد ، وهذا غوى وهذا رشيد ، وهذا صفى وهذا طريد ، وهذا وفى وهذا عنيد ، وهذا ذكى وهذا بليد ، وهذا أعمى وهذا بصره حديد ، لا يسأل عما يفعل ، إن الله يفعل ما يريد . .

فأحمده وأشكره وإن شكره لاحق . . وأستفتح به باب المزيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الولي الحميد ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المسددة كل أقواله وأفعاله بغاية التسديد ، فلقد حق لنا أن نقتدى بسنته فيها نبدي ومانعيد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأيد ذلك بمدد لا ينفد ولا يبيد .

وبعد . فقد استخرت الله عز وجل في إفراذ الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني على الخمسة الأصول :

صحيحى البخارى ومسلم

وأبى داود .

والترمذى .

والنسائى الصغرى رواية بن السنن .

فإذا كان الحديث فى الكتب الخمسة أو أحدها من طريق صحابى واحد لم أخرجه إلا أن يكون فيه زيادة عند ابن ماجه تدل على حكم .

وإن كان من طريق صحابييين فأكثر وانفرد ابن ماجه بإخراج طريق منها أخرجه ولو كان المتن واحد وأنه عقب كل حديث أنه فى الكتب الخمسة المذكورة أو أحدها عن طريق فلان مثلا إن كان .

فإن لم يكن ورأيت الحديث فى غيرهما نهت عليه للفائدة ، وليعلم أن الحديث ليس بفرد .

ثم أتكلم على كل إسناد بما يليق بحاله من صحة وحسن وضعف وغير ذلك وماسكت عليه فقيه نظر .

وهذا ترتيب كتبه أذكرها ليسهل الكشف عنها ، وهى :

كتاب اتباع السنة وفضل الصحابة والعلماء .

كتاب الطهارة .

كتاب المواقيت .

كتاب الأذان .

كتاب إقامة الصلاة .

كتاب الجنائز .

كتاب الصيام .

كتاب الزكاة .

- كتاب النكاح .
- كتاب الطلاق .
- كتاب الكفارات
- كتاب التجارات .
- كتاب الأحكام .
- كتاب الشفعة .
- كتاب العتق .
- كتاب الحدود .
- كتاب الديات .
- كتاب الوصايا .
- كتاب الفرائض .
- كتاب الجهاد .
- كتاب الحج .
- كتاب الضحايا .
- كتاب الذبح والعقيقة .
- كتاب الصيد .
- كتاب الأطعمة .
- كتاب الأشربة .
- كتاب الطب .
- كتاب اللباس .
- كتاب الأدب .
- كتاب الدعاء .
- كتاب التعبير .
- كتاب الفتن .
- كتاب الزهد .
- كتاب الموت .
- صفة أمة محمد ﷺ
- كتاب الحوض .
- كتاب الشفاعة .
- صفة النار .

صفة الجنة .

وسميته مصباح الزجاجاة ، في زوائد ابن ماجه .

وقد اخبرني بجميع سنن الامام أبى عبدالله ابن ماجه إذنا خاصا شيخنا الامام الحافظ أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين بن العراقي ، وولده شيخنا ، الإمام الحافظ أبوزرعة أحمد أبقاه الله تعالى ورحم سلفه قالوا : أنبأنا أبو إسحق إبراهيم بن عبدالله بن بدران المقدسى ، قال : ثنا عبدالحافظ بن بدران قال ثنا العلامة : أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة .

وأخبرني شيخنا الإمام الحافظ أبو الفضل، أحمد بن العسقلاني أبقاه الله تعالى إجازة معينة . قال : أنبأنا أبو الحسن على بن محمد بن أبى المجد قراءة عليه ، وأخبرنا به ابن أبى المجد مشافهة عن القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة وغيره عن عبدالعزيز بن أحمد بن باقا والامام شيخ الإسلام شهاب الدين عمر السهروردي والأنجب الجامي قالوا كلهم :

أنبأنا : أبوزرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى غير أن ابن باقا فاته منه شيء يسير قال أبوزرعة أنبأنا أبو منصور محمد بن الحسين بن المقومى أنبأنا أبو طلحة القاسم بن أبى المنذر الخطيب أنبأنا أبو الحسن على بن إبراهيم بن سلمة القطان أنبأنا أبو عبدالله ابن ماجه قال :

نماذج من كتاب

« مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه »

للבוصري

كتاب اتباع السنة

١- حدثنا هشام بن عمار الدمشقي ثنا محمد بن عيسى بن سميع ثنا إبراهيم بن سليمان الأفيطس عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشى عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الفقر ونتخوفه فقال : آلفقر تخافون ؟ والذى نفسى بيده لتصبنَّ عليكم الدنيا صبا حتى لا يُزيغ قلب أحدكم إزاغة إلهية ، وإيمُ الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء .

قال أبو الدرداء : صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء .

٢- حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا زكريا بن عدى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن أبي جعفر قال : كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثا لم يعده ولم يقصر دونه .

قلت رواه سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن معمر وغير واحد عن محمد بن سوقة عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بتهامه وفيه قصة عبيد بن عمير مع عبد الله بن عمر .

ورواه أبوداود الطيالسى فى مسنده عن المسعودى عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بتمامه بقصة عبيد كما بينته فى زوائد المسانيد العشرة .

٣- حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا أبو علقمة نصر بن علقمة عن عمير بن الأسود وكثير بن مرة الحضرمى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لاتزال طائفة من أمتى على أمر الله عز وجل لا يضرها من خالفها :

٤- حدثنا هشام بن عمار ثنا الجراح بن مليح ثنا بكر بن زرعة قال سمعت أبا عتبة الخولانى وكان قد صلى القبليتين مع رسول الله ﷺ يقول : لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسا يستعملهم فى طاعته .

هذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، وقد توبع هشام عليه فرواه ابن حبان في صحيحه من طريق الهيثم بن خارجة عن الجراح به .

٥- حدثنا أبو سعيد عبد الله بن سعيد ثنا أبو خالد للأحمر ، سمعت مجالدًا يذكر عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبي ﷺ فخط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال : هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » .
هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعيد .

● باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ

٦- حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة حدثني برد بن سنان عن إسحاق بن قبيصة عن أبيه أن عبادة بن الصامت الأنصاري النقيب صاحب رسول الله ﷺ غزا مع معاوية أرض الروم فذكر الحديث في إنكار عبادة بيع الذهب بالفضة وفيه : فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن الخطاب ما أقدمك يا أبا الوليد ، فقص عليه القصة ومقال من مسأكلته فقال : ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك ، قبح الله أرضا لست فيها وأمثالك ، وكتب إلى معاوية : لا إمرة لك عليه واحمل الناس على ما قال فإنه هو الأمر .

قلت : أصله في الصحيحين من حديث عبادة سوى هذه القصة التي ذكرناها وصورته مرسل لأن قبيصة لم يدرك القصة .

٧- حدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن ابن عجلان أنبا عون بن عبد الله عن عبد الله بن مسعود قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فظنوا برسول الله ﷺ الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه .

هذا إسناد فيه انقطاع :

عون بن عبد الله لم يسمع من عبد الله بن مسعود ، رواه ابن أبي عمر في مسنده عن سفيان عن ابن عجلان بإسناده ومثله .

٨- حدثنا محمد بن بشار ثنا يحيى بن سعيد عن عمرو بن مرة عن أبي البختری عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذي أهناه وأهداه وأتقاه .

هذا إسناد صحيح ورجالهم محتج بهم في الصحيحين .

رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة بإسناده ومثله .

ورواه مسدد في مسنده عن يحيى عن مسعد عن عمرو بن مرة فذكره بإسناده ومثله .
ورواه أحمد بن منيع في مسنده حدثنا أبو مطر ثنا شعبة فذكره ، وزاد : وخرج إلينا حين
ثوب المؤذن فقال : أين السائل عن الوتر ؟ هذا حين وتر حسن .

● باب التوفى في الحديث عن رسول الله ﷺ

٩- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، ثنا معاذ بن معاذ عن ابن عون ثنا مسلم البطين عن إبراهيم
التيمي عن أبيه عن عمرو بن ميمون قال : ما أخطأني ابن مسعود عشية خيس إلا أتيته فيه ،
قال : فما سمعته يقول بشيء قط قال رسول الله ﷺ فلما كان ذات عشية قال : قال رسول
الله ﷺ فنكس ، فنظرت إليه وهو قائم محلة أزرار قميصه ، قد اغرورقت عيناه وانتفخت
أوداجه .

قال : أو دون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريبا من ذلك ، أو شبيها بذلك .

هذا إسناد صحيح ، احتج الشيخان بجميع رواته ، رواه الحكم من طريق ابن عون ،
وفي آخره : أو كما قال رسول الله ﷺ .

قلت : وقد اختلفت فيه على مسلم بن عمران البطين اختلافا كثيرا :

ف قيل : عنه عن أبي الشيباني .

وقيل : عنه عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود .

وقيل : عنه عن أبي عبد الرحمن السلمى .

وقيل : عنه عن إبراهيم التيمي عن عمر بن ميمون .

وقيل : عنه عن عمرو بن ميمون كلهم عن ابن مسعود .

قال البيهقي في المدخل : رواية ابن عون أكملها إسنادا ومتنا وأحفظها ، والله أعلم .

ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن المسعودي ثنا مسلم البطين عن عمرو بن ميمون

قال : اختلفت إلى عبد الله سنة لا أسمعه يقول فيها قال رسول الله ﷺ إلا أنه جرى ذات يوم

حديثه فقال : قال رسول الله ﷺ فعراه كرب ، وجعل العرق ينحدر عن جبينه ، ثم قال :

إما فوق ذلك ، أو دون ذلك ، أو قريب من ذلك .

١٠- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا معاذ بن معاذ عن ابن عون عن محمد بن سيرين قال : كان

أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثا ففرغ منه قال : أو كما قال رسول الله

ﷺ .

هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا بجميع رواته وقد روينا عن جماعة

من الصحابة نحو ما فعله أنس من الحذر والاحتياط ، منهم ابن مسعود .

١١- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا غندر عن شعبة .

وحدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : قلنا لزيد بن أرقم :
حدثنا عن رسول الله عليه وسلم ، قال : كبرنا ونسبنا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد .

هذا إسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات ، محتج بهم في الكتب الستة .
١٢- حدثنا أحمد بن عتبة ثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن قرظة بن كعب قال : بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيعنا ، فمشى معنا إلى موضع يقال له صرار ، فقال : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال قلنا : لحق صحبة رسول الله ﷺ ، ولحق الأنصار . . قال : لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به فأردت أن تحفظوه لمشاي معكم ، إنكم ستقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز الرجل ، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم ، وقالوا : أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم .

هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد لكن لم ينفرد به مجالد عن الشعبي ، فقد رواه الحاكم في المستدرک عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبد الله الحكم عن ابن وهب عن ابن عيينة عن بيان عن الشعبي به وقال : هذا حديث صحيح الإسناد وله طرق تجمع ويذكر بها ، قال : وقرظة بن كعب صحابي سمع رسول الله ﷺ ، قال : وأما رواه فقد احتج بهم .

١٣- حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الرحمن ثنا حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن السائب بن يزيد قال : صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن النبي ﷺ بحديث واحد .

هذا إسناد صحيح موقوف ، رواه البيهقي في سننه من طريق ابن لهيعة عن يحيى بن سعيد بزيادة في الزكاة في صدقة الخلطاء .

● باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ

١٤- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا محمد بن بشر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ

من تقول على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار

رواه أبو داود في سننه بغير هذا السياق من طريق مسلم بن يسار عن أبي هريرة .

ورواه الحاكم في المستدرک من طريق عمرو بن أبى نعيم مسلم بن يسار به ، وسياقه أتم .

ورواه البيهقي في سننه عن الحاكم بالاسناد فذكره .

١٥- حدثنا أبوبكر بن أبى شيبه ثنا يحيى بن يعلى التيمي عن محمد بن اسحق عن معبد بن كعب عن قتادة سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر : إياكم وكثرة الحديث عني ، فمن قال على فليقل حقاً أو صدقاً ، ومن تقول على مالم أقل فليتبوأ مقعده من النار .

هذا إسناد ضعيف لتدليس ابن اسحق ، ورواه أبوبكر بن أبى شيبه في مسنده هكذا .

١٦- حدثنا سويد بن سعيد ثنا علي بن مسهر عن مطرف عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

هذا إسناد ضعيف لضعف عطية رواه أبوبكر بن أبى شيبه في مسنده عن أسباط بن محمد عن مطرف .

● باب اجتناب البدع والجدل

١٧- حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون المدني أبو عبيدة ثنا أبى عن محمد بن جعفر ابن أبى كثير عن موسى بن عقبة عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : إنما هما اثنتان الكلام والهدى ، فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، ألا إن ماهوأت قريب ، وإنما البعيد مالميس بأت ، ألا إنما الشقى من شقى في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره ، ألا إن قتال المؤمن كفر ، وسبابه فسوق ، ولا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح بالجد ولا يلهزل ولا يعد لرجل صبيه ثم لا يفي له ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة ، وإنه يقال للصادق صدق وبر ، ويقال للكاذب كذب وفجر ، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

هذا إسناد ضعيف : عبيد بن ميمون أبو عبيدة قال فيه أبو حاتم مجهول .

١٨- حدثنا محمد بن محصن عن إبراهيم بن أبى عبله عن عبد الله الديلمي عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا ، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين .

هذا إسناد ضعيف فيه محمد بن محصن وقد اتفقوا على ضعفه .

١٩- حدثنا . . بشر بن منصور الحناط عن أبي زيد عن أبي المغيرة عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أباي الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته .

هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون ، قاله الذهبي في الكاشف .

وقال أبو زرعة : لا أعرف أبا زيد ولا المغيرة .

٢٠- حدثنا الحسن بن حماد شخاربه ثنا يحيى بن سعيد الأموي عن محمد بن سعيد بن حسان عن عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم ثنا معاذ بن جبل قال : لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال : لاتقضي ولا تفصلن إلا بما تعلم ، وإن أشكل عليك أمر فقف حتى تبينه أو تكتب لي فيه .

هذا إسناد ضعيف ، محمد بن سعيد هو المصلوب ، اتهم بوضع الحديث .

٢١- حدثنا سويد بن سعيد ثنا ابن أبي الرجال عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فقالوا بالرأى ، فضلوا وأضلوا .

هذا إسناد ضعيف لضعف أبي الرجال واسمه حارثة بن محمد بن عبد الرحمن .

٢٢- حدثنا محمد بن أبي عمر العدني عن سفيان بن عيينة قال : لم يزل أمر الناس معتدلا حتى نشأ فلان بالكوفة وربيعه الرأى بالمدينة وعثمان البتي بالبصرة فوجدناهم من أبناء سبايا الأمم .

● باب في الايمان

٢٣- حدثنا علي بن محمد ثنا وكيع ثنا حماد بن نجيح . . وكان ثقة عن أبي عمران الجوني عن جندب بن عبد الله قال : كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن . . ثم تعلمنا القرآن فازدونا به إيماننا .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

رواه البيهقي في سننه من طريق الحسين بن حريث عن وكيع به .

٢٤ حدثنا سهل بن أبي سهل ومحمد بن إسماعيل قالوا ثنا عبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي ثنا علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ . . الايمان معرفة بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالأركان .

قلت : أبو الصلت هذا متفق على ضعفه ، واتهمه بعضهم ، تابعه محمد بن سهل بن عامر البجلي . . ومحمد بن زياد السلمى عن على بن موسى الرضا .

٢٥- حدثنا نصر بن على الجهضمي ثنا أبو أحمد ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده . . وعبادته لاشريك له . . وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . . مات والله عنه راضٍ .

قال أنس : وهو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء . . وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما نزل الله : « فإن تابوا - قال : خلع الأوثان وعبادتها - وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة » . .

وقال فى رواية أخرى : « فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ » .

هذا إسناد ضعيف ، الربيع بن أنس ضعيف هنا . . .

رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده ثنا إسحاق بن أبى إسرائيل ثنا عبدالله بن موسى ثنا أبو جعفر فذكره بتهامه .

ورواه الحاكم فى المستدرک من طريق أبى جعفر عن الربيع . . وقال صحيح الاسناد :

٢٦- حدثنا أحمد بن الأزهر ثنا محمد بن يوسف ثنا عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل ، قال . . قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله . . وأنى رسول الله . . ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . .

هذا إسناد حسن رواه الدار قطنى فى سننه من هذا الوجه .

ورواه الشيخان من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

● باب فى القدر

٢٧- حدثنا محمد بن إسماعيل الرازى أنبأنا يونس بن محمد ثنا عبدالله بن الليثى ثنا نزار بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس . . وعن جابر بن عبدالله قال . . قال رسول الله ﷺ صنفان من أمتى ليس لهما فى الاسلام نصيب : أهل الارزاء وأهل القدر .

هذا إسناد ضعيف : نزار بن حيان الأسدى . . قال ابن حيان فى كتاب الضعفاء : يأتى عن عكرمة بها ليس من حديثه حتى يسبق القلب أنه المتعمد لذلك . . لا يجوز الاحتجاج به بحال وعبدالله بن محمد الليثى مجهول ، قاله الذهبى .

قلت : لم ينفرد ابن ماجه بإخراج هذا الحديث . . فقد رواه الترمذى فى جامعه من طريق

ابن عباس فقط . . وقال حسن غريب . . انتهى ، وإنما أوردته لاضمام جابر بن عبد الله وابن عباس في هذا الحديث معا . .

٢٨- حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا مالك بن إسماعيل ثنا يحيى بن عثمان مولى أبي بكر ثنا يحيى بن عبد الله بن أبي مليكة عن أبيه أنه دخل على عائشة فذكر لها أشياء من القدر ، فقالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تكلم في شيء من القدر سئل عنه يوم القيامة . . ومن لم يتكلم فيه لم يسأل عنه .

قال أبو الحسن القطان : حدثنا حازم بن يحيى ثنا عبد الملك بن سنان ثنا يحيى بن عثمان . . فذكره بنحوه .

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف يحيى بن عثمان . قال فيه ابن معين والبخارى وابن حبان . . منكر الحديث . .

زاد ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به ويحيى بن عبد الله بن أبي مليكة . . قال ابن حبان يعتبر حديثه إذا روى عنه غير يحيى بن عثمان .

٢٩- حدثنا علي بن محمد ثنا أبو معاوية ثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنها يفتقأ في وجهه حب الرمان من الغضب . . فقال : بهذا أمرتم ؟ . . أم لهذا خلقتم ؟ . . تضربون القرآن بعضه ببعض . . بهذا هلك الأمم قبلكم .

قال : فقال عبد الله بن عمرو : وما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفى عنه .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . . رواه الامام أحمد في مسنده من هذه الوجه بزيادة في آخره .

وكذا رواه الحارث بن محمد بن أبي أسامة في مسنده . . كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة .

٣٠- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة أوعلى بن محمد قال ثنا وكيع يحيى بن أبي حية أبو جناب الكلبي عن أبيه عن ابن عمر قال . . قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة . . فقام إليه رجل أعرابي . . فقال . . يا رسول الله . . أرأيت البعير يكون به الجرب فيجرب الإبل كلها . . قال : ذلكم القدر . . فمن أجرب الأول .

هذا إسناد ضعيف لضعف يحيى بن أبي حية . . ولكنه روى عن أبيه بصيغة العننة . . فإنه كان يدللس .

وله شاهد من حديث عبدالله بن مسعود رواه الترمذى فى الجامع .

٣١- حدثنا على بن محمد ثنا يحيى بن عيسى الخزاز عن عبد الأعلى ابن أبى المساور عن الشعبى قال : لما قدم عدى بن حاتم الكوفة أتيناها فى نفر من فقهاء أهل الكوفة . . فقلنا له . حدثنا بها سمعت من رسول الله ﷺ فقال : أتيت النبى ﷺ . . فقال : ياعدى بن حاتم ، أسلم تسلم . . قلت : وما الإسلام ؟ . . قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . . وتؤمن بالأقدار كلها خيرها وشرها . . حلوها ومرها . .
هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبد الأعلى . . وله شاهد من حديث جابر رواه الترمذى فى جامعه .

٣٢- حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا أسباط بن محمد ثنا الأعمش عن يزيد الرقاش عن غنيم بن قيس عن أبى موسى الأشعرى . . قال : قال رسول الله ﷺ مثل القلب كالريشة تقلبها الرياح بفلاة .

هذا إسناد فيه يزيد بن أبان الرقاش . . وقد أجمعوا على ضعفه ، لكن لم ينفرد به ، فقد رواه مسدد فى مسنده ثنا خالد الحريرى عن غنيم بن قيس عن أبى موسى . . فذكره موقوفا بلفظ . . إنما مثل القلب كمثل الريشة تقلبها الرياح ظهراً لبطن .

ورواه سعيد الجريرى وإن اختلط بآخره . . فقد روى له البخارى ومسلم من طريق خالد بن عبدالله عنه .

٣٣- حدثنا على بن محمد ثنا خالى يعلى عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال . . جاء رجل من الأنصار إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ، إن لى جارية أعزل عنها . . قال سيأتيها ماقدر لها ، فأتاه بعد ذلك . . فقال : قد حملت الجارية ، فقال النبى ﷺ ماقدر لنفس شيئا إلا هى كائنة .

هذا إسناد صحيح رجاله موثقون .

٣٤- حدثنا على بن محمد ثنا وكيع عن سفيان عن عبدالله بن عيسى عن عبدالله ابن أبى الجعد عن ثوبان قال . . قال رسول الله ﷺ لا يزيد فى العمر إلا البر ، ولا يرد القدر إلا الدعاء ، إن المؤمن ليحرم الرزق للخطيئة يعلمها .

قلت : رواه النسائى فى الرقائق عن سويد بن نصر عن عبدالله بن المبارك عن سفيان به . . بالقصة الثالثة فقط ، وسيأتى فى كتاب الفتن إن شاء الله ، وسألت شيخنا : أبا الفضل العراقى رحمه الله عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن ، انتهى .

ورواه أحمد بن منيع فى مسنده ثنا أبو أحمد الزبيرى ثنا سفيان فذكره بتمامه .

٣٥- حدثنا هشام بن عمار ثنا عطاء بن مسلم الخفاف ثنا الأعمش عن مجاهد عن سراقه بن جعشم قال . . قلت . . يارسول الله ، العمل فيما جف به القلم وجرت به المقادير أم في أمر مستقبل ؟ . . قال بل فيما جف به القلم وجرت به المقادير . . قال : وكل ميسر لما خلق له .

هذا إسناد فيه مقال ، مجاهد لم يسمع من سراقه والاسناد منقطع ، وعطاء بن مسلم يختلف فيه . . ولكن لم ينفرد به مجاهد ، فقد رواه مسدد في مسنده ثنا إسماعيل عن روح ابن القسم عن أبي الزبير قال : قال سراقه بن جعشم يارسول الله ﷺ . . فذكره مطولا كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة . .

٣٦- حدثنا محمد بن المصنف الحمصي ثنا بقية بن الوليد عن الأوزاعي عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ أن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله . . إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم ، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم . .

هذا إسناد ضعيف فيه بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه ، لكن لم ينفرد ابن ماجه بإخراج هذا المتن ، فقد رواه أبو داود في سننه من حديث عمر بن الخطاب وسكت عليه فهو عنده صالح . . ومن حديث حذيفة : ورواه الحاكم في المستدرک من حديث ابن عمر . . وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، إنه صحيح سماع أبي حازم من ابن عمر . قلت لم يصح سماعه كما جزم المزى .

ثم قال الحاكم : وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

باب فضل أصحاب النبي ﷺ

فضل أبي بكر رضي الله عنه

٣٨- حدثنا أبو شعيب صالح بن الهيثم الواسطي ثنا عبد القدوس بن بكر بن خنيس ثنا مالك بن مغول عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال . . قال رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين .

٣٩- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد قالا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ مانفعني مال قط . . . مانفعني مال أبي بكر ، قال : فبكا أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله .

قلت : رواه الترمذي إلى قوله فبكا أبو بكر .

رواه النسائي في المناقب عن محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة .

وهذا إسناد رجاله ثقات .

رواه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

باب فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٣٩- حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحي ثنا عبد الله بن خراش الحوسبي عن العوام بن حوشب عن مجاهد عن ابن عباس قال : لما أسلم عمر بن الخطاب نزل جبريل فقال : يا محمد ، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر .

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبد الله بن خراش ، إلا ابن حبان فإنه ذكره في الثقات ، وأخرج هذا الحديث من طريقه في صحيحه .

٤٠- حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحي أنبا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال . . . قال رسول الله ﷺ أول من يصافحه الحق عمر . . . وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة .

هذا إسناد ضعيف فيه داود بن عطاء المديني ، وقد اتفقوا على ضعفه ، وباقي الرجال ثقات .

رواه الحاكم من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب به .

٤١- حدثنا علي بن محمد ثنا شعبة عن عمرو بن عروة عن عبدالله بن سلمة قال . . سمعت عليا رضي الله عنه يقول : خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر . . وخير الناس بعد أبي بكر عمر .

رواه أحمد بن منيع في مسنده من طريق أبي جحيفة عن علي وزاد بعد أبي بكر وعمر آخر ولم يسمه . .

٤٢- حدثنا محمد بن عبيد أبو المديني ثنا عبد الملك بن الماجشون حدثني الزنجي بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قال رسول الله ﷺ اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة .

هذا إسناد ضعيف ، عبد الملك بن الماجشون ضعفه الساجي . . وذكره ابن حبان في الثقات .

ومسلم بن خالد الزنجي ، وإن وثقه ابن معين وابن حبان واحتج به في صحيحه فقد قال فيه البخاري منكر الحديث وضعفه أبوحاتم والنسائي وغيرهم .

والمتن رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرک من طريق عبد الملك بن الماجشون به .

ورواه الترمذي في الجامع من حديث ابن عمر . . وقال : حسن صحيح غريب ، ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقال حديث غريب . .

باب فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه

٤٣- حدثنا أبو مروان محمد بن عثمان العثماني ثنا أبي عثمان بن خالد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان .

هذا إسناد ضعيف . . فيه عثمان بن خالد وهو ضعيف باتفاقهم .

رواه الترمذي في الجامع من طريق طلحة بن عبيد الله قال النبي ﷺ فذكره وقال : هذا حديث غريب ليس إسناده بالقوى وهو منقطع .

٤٤- وبه إلى أبي هريرة أن النبي ﷺ لقي عثمان عند باب المسجد فقال . . ياعثمان ، هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صدق رقية على مثل صاحبها .

هذا الإسناد حكمه حكم الإسناد الذي قبله . .

٤٥- حدثنا علي بن محمد ثنا عبد الله بن إدريس عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقر بها ، فمر رجل مقتع رأسه ، فقال رسول الله ﷺ هذا يومئذ على الهدى ، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت : هذا ؟ . . فقال : هذا .

هذا إسناد منقطع . قال أبو حاتم : محمد بن سيرين لم يسمع من كعب بن عجرة ، ورجال الإسناد ثقات .

رواه الامام أحمد في مسنده من حديث كعب بن عجرة .

رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن إسماعيل بن علية عن هشام به .

رواه أحمد بن منيع في مسنده ثنا يزيد بن هارون ثنا هشام بن حسان ، فذكره بزيادة كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة .

ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا هدية همام ثنا قتادة عن محمد بن سيرين به .

٤٦- حدثنا علي بن محمد ثنا أبو معاوية ثنا الفرج بن فضالة عن ربيعة بن يزيد الدمشقي عن النعمان بن بشير عن عائشة قالت . . قال رسول الله ﷺ ياعثمان ، إن ولاك الله هذا الأمر يوما فأرادك المنافقون (على) . . أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه ، يقول ذلك ثلاث مرات .

قال النعمان : فقلت لعائشة : مامئيك أن تعلمي الناس بهذا ؟ قالت : أنسيته والله .

قلت رواه الترمذي في الجامع بزيادة رجل في الإسناد فقال : ثنا محمود بن غيلان ثنا حجيج بن المثنى ثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير فذكره بتمامه دون قوله . . فقلت لعائشة إلى آخره . . وقال حديث حسن غريب .

قال : وفي الحديث قصة طويلة .

قلت : رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بتمامه وذكر القصة في أوله عن زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد ثنا عبد الله بن قيس أنه سمع النعمان ابن بشير فذكره كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة .

٤٧- حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير وعلى بن محمد قالا ثنا وكيع ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عائشة . . قالت . . قال رسول الله ﷺ في مرضه : وددت أن عندى بعض أصحابى ، قلنا يا رسول الله ، ألا ندعوك أبا بكر ؟ . . فسكت ، فقلنا ألا ندعوك لك عمر ؟ . . فسكت . . قلنا : ألا ندعوك لك عثمان ؟ . . قال : نعم ، فجاء عثمان فخلا به ، فجعل النبي ﷺ يكلمه ووجه عثمان يتغير .

قال قيس . . فحدثني أبوشهلة مولى عثمان بن عفان أن عثمان بن عفان قال يوم الدار : إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدا . . وأنا صائر إليه .

وقال على في حديثه : وأنا صابر عليه .

قال قيس : فكانوا يرونه ذلك اليوم .

هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات .

رواه ابن حبان في صحيحه من طريق وكيع فذكره بإسناده ومثته .

ورواه الترمذى في الجامع من طريق إسماعيل بن أبي خالد بن قيس بن أبي حازم عن أبي شهلة مقتصرًا على ما رواه قيس عن أبي شهلة فقط . . وقال هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث إسماعيل بن أبي خالد .

ورواه الامام أحمد في مسنده من حديث عائشة أيضا .

باب فضل على بن أبي طالب رضى الله عنه

٤٨- حدثنا على بن محمد ثنا (أبو) الحسين أخبرني حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حج فنزل في بعض الطريق فأمر الصلاة جامعة ، فأخذ بيد على فقال . . أأنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ . . قالوا : بلى ، قال . . أأنت أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ . . قالوا : بلى ، قال : فهذا مولى من أنا مولاه . . اللهم وال من والاه ، اللهم عاد من عاداه .

هذا إسناد ضعيف لضعف على بن زيد بن جدعان ، رواه الامام أحمد في مسنده من حديث البراء أيضا .

وروى الحاكم في المستدرک بعضه من حديث بريدة . . ومن حديث زيد بن أرقم .

ورواه أبوبكر بن أبي شيبة في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة به ، وسمى هذه الصلاة صلاة الظهر وذكر زيادة في آخره كما أخرجه في زوائد المسانيد العشرة على الكتب الستة .

٤٩- حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا وكيع ثنا بن أبي ليلى ثنا الحكم عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال : كان أبوليلي يسمر مع علي بن أبي طالب . . . فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء و ثياب الشتاء في الصيف ، فقلنا : لو سأله ، فقال : إن رسول الله ﷺ بعث إلى وأنا أرمد العين يوم خير فقلت : يارسول الله ، إنى أرمد العين . . فتفل في عيني ثم قال . . اللهم أذهب عنه الحر والبرد . . قال : فما وجدت حرا ولا بردا بعد يومئذ .

وقال : لأبعثن رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ليس بفرار ، فتشوف لها الناس ، فبعث إلى علي فأعطاها إياه .

هذا إسناد ضعيف : ابن أبي يعلى شيخ وكيع هو محمد ، وهو ضعيف الحفظ لا يحتج بها ينفرد (به) .

٥٠- حدثنا محمد بن موسى الواسطي ثنا المعلى بن عبدالرحمن ثنا ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر قال . . قال رسول الله ﷺ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وأبوهما خير منهما .

رواه الحاكم في المستدرك من طريق المعلى بن عبدالرحمن ، وهذا إسناد ضعيف . . المعلى بن عبدالرحمن اعترف بوضع سبعين حديثا في فضل علي ابن أبي طالب ، قاله ابن معين . . وأصل الحديث في الترمذي والنسائي من طريق زر بن حبيش عن حذيفة .

٥١- حدثنا محمد بن إسماعيل (الرازي) ثنا عبدالله بن موسى أنبا العلاء بن صالح عن المنهال عن عباد بن عبدالله قال . . قال علي . . أنا عبدالله وأخو رسول الله ﷺ وأنا الصديق الأكبر . . لايقولها بعدى إلا كذاب ، صليت قبل الناس بسبع سنين . . .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، رواه أبوبكر بن أبي شيبة في مسنده من طريق أبي سليمان الجهيني عن علي فذكره وزاد : لايقولها قبلى ، ورواه محمد بن يحيى بن أبي عمر في مسنده من طريق أبي سميا عن علي بن أبي طالب بإسناده ومثنه ، وزاد في آخره : فقاها رجل فأصابته جنة .

ورواه الحاكم في المستدرك من طريق المنهال بن عمرو به وقال : صحيح على شرط الشيخين .

والجملة الأولى في جامع الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعا : أنت أخى في الدنيا والآخرة وقال حديث حسن غريب .

باب فضل العباس بن عبد المطلب

٥٢- حدثنا محمد بن طريف ثنا محمد بن فضيل ثنا الأعمش عن أبي سبرة النخعي عن محمد بن كعب القرظي عن العباس بن عبد المطلب قال : كنا نلقى النفر من قريش وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم ، والله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبهم الله ولقرايتي .

هذا إسناد رجاله ثقات إلا أن محمد بن كعب روايته عن العباس يقال مرسله . . رواه الامام أحمد في مسنده من حديث العباس أيضا .

ورواه أحمد بن منيع في مسنده ثنا يزيد أنبا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس فذكره بإسناده ومعناه .

وله شاهد في جامع الترمذي من حديث عبد المطلب بن ربيعة . .

٥٣- حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن كثير بن مرة الحضرمي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ إن الله اتخذني خليلا . . كما اتخذ إبراهيم خليلا . . فمنزلي ومنزل إبراهيم في الجنة يوم القيامة تجاهين ، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين .

هذا إسناد ضعيف لاتفاقهم على ضعف عبد الوهاب . . بل قال فيه أبوداود : يضع الحديث .

وقال الحاكم : روى أحاديث موضوعة وشيخه إسماعيل كان يدلّس .

باب فضل الحسن والحسين

٥٤- حدثنا علي بن ثنا وكيع عن سفيان عن داود بن أبي عوف أبي الجحاف ، وكان مرضيا عن أبي حازم عن أبي هريرة قال . . قال رسول الله ﷺ من أحب الحسن والحسين فقد أحبني . . ومن أبغضهما فقد أبغضني .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه النسائي في المناقب عن عمرو بن منصور عن أبي نعيم عن سفيان به .

٥٥- حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب ثنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد أن يعلى بن مرة حدثهم أنهم خرجوا مع النبي ﷺ إلى طعام دعوا له . .

فإذا حسين يلعب في السكة . . قال : فتقدم النبي ﷺ أمام القوم وبسط يديه . . فجعل الغلام يقرها هنا . . ويضاحكه النبي ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى في فأس رأسه . . فقبله وقال : حسين مني وأنا من حسين . . أحب الله من أحب حسيناً ، حسين سبط من الأسباط .

هذا إسناد حسن رجاله ثقات .

رواه الامام أحمد في مسنده من حديث يعلى بن مرة .

أخرجه الترمذى من هذا الوجه عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عباس عن عبدالله ابن عثمان بن خثيم به مقتصر على قوله : « حسين مني » . . إلى آخره . . ولم يذكر القصة الأولى وقال : حديث حسن .

ورواه الحاكم في المستدرك من طريق المنهال بن عمرو عن يعلى بن مرة عن أبيه .

قال شيخنا أبو الفضل العسقلاني في الأطراف كذا فيه وأظنه عن ابن يعلى بن مرة عن أبيه فيكون من مسند يعلى ، قال : ولست أعرف لمرة صحبة ولا أدرك المنهال يعلى .

باب فضل عمار بن ياسر

٥٦- حدثنا نصر بن علي الجهضمي ثنا عثام بن علي عن الأعمش عن أبي إسحق عن هانيء بن هانيء قال . . دخل عمار على : علي بن أبي طالب فقال : مرحباً بالطيب المطيب ، سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ملئ عمار إيماناً إلى مشاشه^(١) .

قلت : قوله مرحباً بالطيب والمطيب موقوف في هذه الرواية ، وقد رواه ابن ماجه والترمذى من طريق سفيان الثوري عن أبي إسحق مرفوعاً وصححه .

ورواه النسائي في الصغرى من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال رسول الله

ملئ عمار إيماناً إلى مشاشه . فحسب ولم يذكر الصحابي . . فكذاك أورده .

(١) المشاش : رؤوس العظام .

باب فضل جماعة من الصحابة رضى الله عنهم

٥٧- حدثنا أحمد بن سعيد الدارمى ، ثنا يحيى بن أبى بكير ثنا زائدة بن قدامة عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبیش عن عبدالله بن مسعود قال : كان أول من أظهر إسلامه سبعة . رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . .
فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم فى الشمس فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه فى الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد .
هذا إسناد رجاله ثقات .

رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم فى مستدركه من طريق عاصم بن أبى النجود به .
ورواه الامام أحمد فى مسنده من حديث عبدالله بن مسعود أيضا .

ورواه الحاكم فى المستدرک من طريق الحسين بن على الجعفى عن زائدة بالاسناد والمتن سواء .
٥٨- حدثنا على بن محمد وعمرو بن عبدالله قالنا ثنا وكيع ثنا سفيان عن أبى إسحاق عن أبى لیلی الكندى قال . . جاء خباب إلى عمر . . فقال : ادن . . فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار . . فجعل خباب يريه آثارا يظهره مما عذبه المشركون .
هذا إسناد صحيح .

٥٩- حدثنا على بن محمد ثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة عن سالم أن شاعرا مدح بلال بن عبدالله فقال : بلال بن عبدالله خير بلال . . فقال ابن عمر : كذبت . . لا بل بلال رسول الله ﷺ خير بلال .

هذا إسناد فيه مقال : عمر بن حمزة ضعفه ابن معين والنسائى .

وقال أحمد : أحاديثه مناكير .

وقال ابن حبان فى الثقات : كان ممن يخطئ .

قلت . . وأخرج الحاكم حديثه فى المستدرک وقال : أحاديثه كلها مستقيمة .

باب فضل الأنصار

٦٠- حدثنا علي بن محمد وأبو كريب قالا : ثنا وكيع ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن عباية بن رفاع عن جده رافع بن خديج قال . . جاء جبريل أو ملك إلى النبي ﷺ فقال : ماتعدون من شهد بدرا فيكم ؟ . . قالوا خيارنا . . قال : كذلك هم عندنا خيار الملائكة . .

قلت : أخرجه البخاري في باب فضل من شهد بدرا من حديث يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاع ورفاعة بن رافع عن أبيه ، فإن كان محفوظا فيجوز أن يكون ليحيى بن سعيد فيه شيخان فإن الجميع ثقات .

رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث رافع بن خديج .

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن وكيع به وقال جبريل أو ملك على الشك . . كما رواه ابن ماجه .

٦١- حدثنا علي بن محمد وعمرو بن عبدالله قالا ثنا وكيع قال . . ثنا سفيان عن تسير بن زعلوق . . قال سمعت ابن عمر يقول : لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره .

هذا إسناد صحيح رجاله ثقات :

والطرف الأول رواه مسدد في مسنده عن يحيى القطان عن سفيان عن تسير فذكره بإسناده ومثله .

ورواه الترمذي في الجامع من حديث أبي سعيد : حسن صحيح .

٦٢- حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم ثنا ابن أبي فديك عن عبدالمهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الصاعدي عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال :

الأنصار شعار . . والناس دثار . . ولو أن الناس استقبلوا واديا أو شعبا واستقبلت الأنصار واديا لسلكت وادي الأنصار . . ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار :

هذا إسناد ضعيف والآفة فيه من عبدالمهيمن بن عباس . . وباقي رجال الاسناد ثقات :

رواه الترمذي في الجامع من حديث أبي بن كعب إلا أنه لم يقل الأنصار شعار والناس دثار . . وقال : لو سلك الناس بدلا استقبلوا . . والباقي نحوه . . وقال حديث حسن .

٦٣- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا خالد بن مخلد كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال . . قال رسول الله ﷺ رحم الله الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء الأبناء :
هذا إسناد ضعيف فيه كثير بن عبدالله وهو متهم .

رواه البخارى ومسلم من حديث زيد بن أرقم بلفظ . . اللهم اغفر للأنصار . . والباقي نحوه . . وهروفي جامع الترمذى من حديث أنس كما هو في الصحيحين وقال : حسن غريب من هذا الوجه .

باب ذكر الخوارج

٦٤- حدثنا أبو بكر بن شيبة وسويد بن سعد قالوا ثنا أبو الأحوص عن سهاك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : ليقرأن القرآن ناس من أمتي يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية .

هذا إسناد ضعيف ، والعلة فيه من سهاك .

قال النسائي ويعقوب بن شيبة : روايته عن عكرمة مضطربة وروايته عن غيره صالحة .

رواه أبوداود في سننه من حديث أبي سعيد الخدرى ومن حديث على بن أبى طالب .

٦٥- حدثنا محمد بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن أبى الزبير عن جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله ﷺ بالجرعانة وهو يقسم التبر والغنائم وهو في حجر بلال ، فقال رجل : اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ، فقال : ويلك ، ومن يعدل بعدى إذا لم أعدل ؟ فقال عمر : دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ إن هذا في أصحاب أو أصحاب له يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

هذا إسناد صحيح ، والجملة الأولى رواها الترمذى في جامعه من حديث عبدالله بن مسعود وقال حسن صحيح .

٦٦- حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا اسحق الأزرق عن الأعمش عن ابن أبى أوفى قال : قال رسول الله ﷺ الخوارج كلاب النار .

رواه عبدالله بن نمير عن الأعمش عن حسين بن واقد عن أبى غالب عن أبى أمامة عن النبى ﷺ ، وإسناد بن أبى أوفى رجاله ثقات إلا أنه منقطع : الأعمش لم يسمع من أبى أوفى ، قاله غير واحد .

رواه الامام أحمد في مسنده من حديث ابن أبي أوفى أيضا .
ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن الحشر عن سعيد بن جهمان عن ابن أبي أوفى
وسياقه أتم .

وكذا رواه أحمد بن منيع في مسنده ثنا شريح ثنا حشر بن نباتة فذكره .

قال وثنا اسحق الأزرق عن الأعمش عن عبد الله فذكره . .

٦٧- حدثنا هشام بن عمار ثنا يحيى بن حمزة ثنا الأوزاعي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله
ﷺ قال : ينشأ نساء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، كلما خرج قرن قطع .

قال ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة
ثم يخرج في عراضهم الدجال .

هذا إسناد صحيح احتج البخاري بجميع رواته .

باب فيما أنكرت الجهمية

٦٨- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا يزيد بن هارون أنبأ حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن
وكيع بن عُدُس عن أبي رزين قال : قال رسول الله ﷺ ضحك ربنا من قنوط عبده وقرب
غيره ، قال : قلت يا رسول الله ، أو يضحك الرب ؟ قال : نعم ، قلت : لن نعدم من
رب يضحك خيرا . .

هذا إسناد فيه مقال : وكيع ذكره ابن حبان في الثقات وذكره الذهبي في الميزان ، وباقي
رجال الإسناد احتج بهم مسلم .
رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده من هذا الوجه .

٦٩- حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ثنا أبو عاصم العباداني ثنا الفضل الرقاشي عن
محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ

بين أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب قد أشرف
عليهم من فوقهم : السلام عليكم يا أهل الجنة ، قال : وذلك قوله تعالى : « سَلَامٌ قَوْلًا
مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ » . . قال : فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم
ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم .
هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي .

٧٠- حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ويحيى بن حبيب بن عربي قالوا ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري الحزامي قال : سمعت طلحة بن خراش قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد لقيني رسول الله ﷺ فقال : يا جابر ، ألا أخبرك ما قال الله لأبيك ، وقال يحيى في حديثه : فقال يا جابر ، مالي أراك منكسرا ؟ قال : قلت يا رسول الله ، استشهد أبي وترك عيالا ودينا ، قال : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا . . فقال : يا عبدى ، تمن على أعطك ، قال يارب تحييني فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب تبارك وتعالى : إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب ، فأبلغ من ورائي . . قال : فأنزل الله تعالى :

«وَلَا تَحْسَنَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» .

هذا إسناد ضعيف ، طلحة بن خراش قال فيه الأزدي : روى عن جابر من أكبر ، وذكره الذهبي في الميزان .

وموسى بن إبراهيم قال فيه ابن حبان في الثقات يخطيء .

٧١- حدثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا ابن جابر قال : سمعت بشر بن عبد الله يقول سمعت أبا ادريس الخولاني يقول حدثني النواس بن سمعان الكلابي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

مامن قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه . وكان رسول الله ﷺ يقول : يامثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك . .

قال : والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة :

هذا إسناد صحيح رواه النسائي في النعوت عن محمد بن حاتم عن حبان عن ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به .

٧٢- حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا عبد الله بن إسماعيل عن مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله ليضحك إلى ثلاثة : الصف في الصلاة ، والرجل يصلي في جوف الليل ، والرجل يقاتل [أراه قال] : خلف الكتيبة .

هذا إسناد فيه مقال :

مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم في صحيحه فإنها روى له مقرونا بغيره .

قال ابن عدى : عامة ما يرويه غير محظوظ .

وعبدالله بن إسماعيل قال أبوحاتم مجهول ، وذكره في الميزان .
 رواه أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع في مسنده ثنا هشام بن بشير أنبا المجالد فذكره
 بالاسناد والمتن .
 رواه أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع في مسنده ثنا هشام بن بشير أنبا المجالد فذكره
 بالاسناد والمتن .

٧٣- حدثنا هشام بن عمار ثنا الوزير بن صبيح ثنا يونس بن حليس عن أم الدرداء عن أبي
 الدرداء عن النبي ﷺ في قوله تعالى : « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » قال : من شأنه أن يغفر ذنبا
 ويفرج كربا ، ويرفع أقواما ويخفض آخرين . .

هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والاتقان .
 قال فيه أبو حاتم : صالح ، وقال دحيم : ليس بشيء .
 وقال أبونعيم : كان يعد من الأبدال ، ربما أخطأ ، وذكره ابن حبان في الثقات .
 روى البخاري هذا الحديث تعليقا في تفسير سورة الرحمن .
 ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق أم الدرداء به ، انتهى . .

لكن لم ينفرد به الوزير بن صبيح ، فقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا عبدالله بن
 إبان الكوفي ثنا اسحق بن سليمان عن معاوية بن يحيى عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس
 الخولاني عن أبي الدرداء موقوفا فذكره . .

باب من سن سنة حسنة أو سيئة

٧٤- حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي عن أيوب عن محمد بن سيرين
 عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فحث عليه ، فقال رجل : عندي كذا وكذا . .
 قال : فما بقى في المجلس رجل إلا تصدق عليه بما قل أو كثر ، فقال رسول الله ﷺ :
 من استن خيرا فاستن به كان له أجره كاملا ومن أجور من استن به ولا ينقص من
 أجورهم شيئا ، ومن استن سنة سيئة فاستن به فعليه وزره كاملا ومن أوزار الذين استن
 به ولا ينقص من أوزارهم شيئا .
 هذا إسناد صحيح ، رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي في جامعه من حديث جرير بن
 عبدالله .

٧٥- حدثنا عيسى بن حماد المصري نبأ الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال : أيها داع إلى ضلالة فاتبع فإن له مثل أوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيئا ، وأيها داع إلى هدى فاتبع فإن له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئا .

هذا إسناد ضعيف لضعف سعد بن سنان ، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

٧٦- حدثنا محمد بن يحيى ثنا أبو نعيم ثنا إسماعيل أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي جحيفة قال رسول الله ﷺ :

من سن سنة حسنة عمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزره ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا .

هذا إسناد ضعيف لضعف إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملائى ، وله شاهد فى الصحيح من حديث جرير بن عبد الله .

٧٧- حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ثنا أبو معاوية عن ليث عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ .

مامن داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوته مادعا إليه وإن دعا رجل رجلا .

هذا إسناد ضعيف ، ليث هو ابن أبى سليم ضعفه الجمهور .

باب فى فضل من تعلم القرآن وعلمه

٧٨- حدثنا أزهر بن مروان ثنا الحارث بن نبهان ثنا عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قال : رسول الله ﷺ :

خياركم من تعلم القرآن وعلمه ، قال : وأخذ بيدي فأقعدنى مقعدى هذا أقرىء .

هذا إسناد ضعيف لضعف الحارث بن نبهان ، رواه الدارمى عن المعل بن راشد عن الحارث بن نبهان به .

والجملة الأولى فى الصحاح من حديث عثمان .

٧٩- حدثنا بكر بن خلف أبوبشر ثنا عبدالرحمن بن مهدي ثنا عبدالرحمن بن بديل عن بديل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله أهلين من الناس ، قالوا : يا رسول الله ، من هم ؟ قال : هم أهل القرآن ، أهل الله وخاصته .

هذا إسناد صحيح رجاله موثقون .

رواه النسائي في الكبرى في فضائل القرآن عن أبي قدامة عن عبيد الله بن سعيد عن ابن مهدي به ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن عبدالرحمن بن بريك بإسناده ومثله .

٨٠- حدثنا عباس بن عبدالله الواسطي ، ثنا عبدالله بن غالب العباداني عن عبدالله بن زياد البحراني عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي ذر قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا أباذر ، لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم يعمل به أولم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة .

هذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد وعبدالله بن زيد .

وله شاهد في جامع الترمذي من حديث ابن عباس وقال غريب ، وآخر عنده من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب .

باب فضل العلماء والحث على طلب العلم

٨١- حدثنا بكر بن خلف أبوبشر حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

وهذا إسناد ظاهره الصحة ، ولكن اختلف فيه على الزهري فرواه النسائي من حديث شعيب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة وقال : الصواب رواية الزهري عن حميد بن عبدالرحمن عن معاوية كما في الصحيحين .

٨٢- حدثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة بن صليس أنه حدثه قال سمعت معاوية بن أبي سفيان يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال :

الخير عادة والشر بلحاجة ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

رواه ابن حبان في صحيحه من طريق هشام بن عمار فذكره بإسناده ومثله سواء ، والجملة الثانية في الصحيح من حديث معاوية عن طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عنه . وكذا رواه الدارمي في مسنده عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن حنظلة بن عطية عن ابن محيريز عن معاوية .

ورواه صاحب مسند الشهاب للقضاعي جميعه فروى الجملة الأولى منه من طريق الوليد ابن مسلم به ، وروى الجملة الثانية من طريقين :

أحدهما : من طريق الربيع بن سليمان المرادي عن عبدالله بن وهب عن محمد بن كعب عن معاوية به .

والطريقة الثانية : من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني وأبو داود الطيالسي ومسدد وأبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن منيع وأبو يعلى الموصلي كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة .

٨٣- حدثنا هشام بن عمار ثنا حفص بن سليمان البزاز ثنا كثير بن شطيير عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب .

هذا إسناده ضعيف لضعف حفص بن سليمان البزاز .

روى الجملة الأولى منه محمد بن يحيى بن أبي عمر ثنا الحكم بن القاسم عن المستلم بن سعيد الواسطي عن زياد عن أنس به دون قوله : وواضع العلم . . إلى آخره .

٨٤- حدثنا محمد بن يحيى ثنا عبد الرزاق بن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال : ماجاء بك ؟ قلت : أنبسط العلم ، قال : فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامن خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنتها رضا بما يصنع .

رواه الترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عاصم ولم يرفعه .

ومن حديث حماد بن زيد عن عاصم عن زر عن صفوان قال : بلغني فذكره .

ورواه النسائي من طريق شعبة عن عاصم مثل رواية سفيان بن عيينة .

ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن همام وحماد بن سلمة وشعبة عن عاصم به .

ورواه الإمام أحمد في مسنده مرفوعا من حديث صفوان .

ورواه أبو داود من حديث أبي الدرداء مرفوعاً .

٨٥- حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حاتم بن إسماعيل عن حميد بن صخر عن المقبري عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول ، :

من جاء مسجدي هذا لم يأت به إلا خير ، يعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره .

هذا إسناد صحيح احتج مسلم بجميع رواته .

ورواه الحاكم في المستدرك من طريق حميد بن صخر وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجنا بجميع رواته ثم لم يخرجها قال : ولا أعلم له علة .

قلت : قد أعلمه الدارقطني في علله بأنه اختلف فيه على سعيد المقبري فرواه حميد عن هكذا ، وخالفه عبيد الله بن عمر فرواه عن المقبري عن عمر بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن كعب الأحبار قوله .

ورواه ابن عجلان عن المقبري عن أبي بكر بن عبد الرحمن عن كعب قوله وقول عبيد الله بن عمر أشبه بالصواب .

وقول الحاكم إن الشيخين احتجنا بجميع رواته فيه نظر ، فلم يحتج البخاري بحميد ولا أخرج له في صحيحه ، وإنما روى له في كتاب الأدب المفرد حديثين . نعم ، أخرج له مسلم في صحيحه .

رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر في مسنده عن المقرئ عن حبة عن أبي صخر حميد بن صخر به ، وأبو يعلى الموصلي ثنا أبو بكر بن أبي شيبة فذكره .

٨٦- حدثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد عن ابن أبي عاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يرفع وجمع بين أصبعيه الوسطى والى تلى الابهام هكذا ، ثم قال : العالم والمتعلم شريكان في الأجر ، والآخر في سائر الناس .

هذا إسناد فيه علي بن زيد بن جدعان والجمهور على تضعيفه .

٨٧- حدثنا بشر بن هلال الصواف ثنا داود بن الزبرقان عن بكر بن خنيس عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن يزيد . عن عبد الله بن عمرو قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين : إحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله عز وجل ، والأخرى يتعلمون ويعلمون ، فقال النبي ﷺ :

كل على خير ، هؤلاء يقرءون ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون ، وإنما بعثت معلما ، فجلس معهم .
هذا إسناد فيه بكر وداود وعبدالرحمن وهم ضعفاء .
رواه أبو داود الطيالسي والحارث بن أبي أسامة في مسنديهما من طريق عبدالرحمن الأفریقی به .

باب من بلغ علما

٨٨- حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير وعلى بن محمد قالا ثنا محمد بن فضيل ثنا ليث بن أبي سليم عن يحيى بن عباد أبي هبيرة الأنصاري عن أبيه عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

زاد فيه على بن محمد : ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصح لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم .

هذا إسناد فيه ليث بن أبي سليم وقد ضعفه الجمهور ، وهو مدلس رواه بالنعنة ، لكن لم ينفر ابن ماجه بهذا الحديث من طريق زيد بن ثابت فقد روى بعضه أبوداود والترمذي والنسائي وأبويعلى الموصلى في مسنده ، من طريق أبان بن عثمان بن عفان عن زيد بن ثابت ، وسيأتي بقية الحديث في كتاب الزهد بسند صحيح .

ورواه ابن حبان في صحيحه بتمامه والبيهقي بتقديم وتأخير .

ورواه أبوداود الطيالسي بزيادة طويلة كما ذكرته في زوائد المسانيد العشرة .

ورواه الحاكم في المستدرک من حديث النعمان بن بشير قال : وفي الباب جماعة من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلى وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل وابن عمرو وابن عباس وأبو هريرة وأنس وغيرهم :

قلت : وفي الباب أيضا مما لم يذكره الحاكم عن أبي بن كعب وبشير بن سعد الأنصاري وجابر بن عبدالله وزيد بن ثابت وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن مرة الفزاري وأبى أمامة الباهلي وأبى الدرداء وأبى سعيد الخدري وأبى قرصافة وغيرهم .

٨٩- حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير ثنا أبي محمد بن اسحق عن عبدالسلام عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قام رسول الله ﷺ وسلم بالخيف من منى فقال :

نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . .

حدثنا علي بن محمد ثنا خالي يعلى .

وثنا هشام بن عمار ثنا سعيد بن يحيى قال : ثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي ﷺ نحوه .

هذا إسناد ضعيف لضعف عبدالسلام وهو ابن أبي الجنوب لكن لم ينفرد عبدالسلام عن الزهري ، فقد رواه الحاكم في المستدرک عن عبدالله بن اسحق بن إبراهيم عن أبي الأحوص محمد بن الهيثم القاضي عن نعيم بن حماد عن إبراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن الزهري به وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

قلت : إنما أخرج البخاري لنعيم مقرونا بغيره ، وإنما روى له مسلم في مقدمة كتابه ، والطريق الثانية دلسها ابن اسحق وسيأتي في كتاب الحج . .
رواه أبوبكر بن أبي شيبة في مسنده عن عبدالله بن نمير عن محمد بن اسحق بإسناده ومثنته ، وزاد في آخره :

« ثلاث لا يغفل عليهن قلب المؤمن : إخلاص العمل ، والنصيحة لأولى الأمر ، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تكون من ورائهم » . .

وكذا رواه أبو الموصلي كابن أبي شيبة كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة . .
ثم رواه عن أبي حاتم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي عن ابن اسحق حدثني عمرو ابن أبي عمر مولى المطلب عن عبدالرحمن بن الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم فذكره . .

٩٠- حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة أبو أسامة ح .

وحدثنا اسحق بن منصور أنبأنا النضر بن شميل عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية القشيري قال : قال رسول الله ﷺ : ألا ليبلغ الشاهد الغائب . .
هذا حديث حسن .

٩١- حدثنا محمد بن إبراهيم الدمشقي ثنا مبشر بن إسماعيل الحلبي عن معان بن رفاعة عن عبدالوهاب بن بخت [المكي] عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني ، فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

هذا إسناد فيه محمد بن إبراهيم الشامي ، وهو متهم ، ونسبه ابن حبان بالوضع .

الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني

هو الامام أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني الأصل ، المصري المولد والمنشأ ، نزيل القاهرة ، ولد بمصر في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، ومات أبوه في رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل فنشأ يتيمًا ، ولم يدخل الكتاب حتى أكمل خمس سنين فأكمل حفظ القرآن وله تسع سنين ، ثم لم يتهيا له أن يصلى بالناس التراويح إلا في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ، وقد أكمل ثنتي عشرة سنة ، وكان وصيه الرئيس الشهير أبوبكر نور الدين على الخروبي كبير التجار بمصر قد جاور في تلك السنة واستصحبه معه ، إذ لم يكن له من يكلفه. ويسمع في تلك السنة صحيح البخاري على مسند الحجاز عفيف الدين عبدالله الشاوري خاتمة أصحاب إمام المقام رضى الدين الطبري . ولم يضبط سماعه لكنه يتحقق لم يسمع الجميع ، بل له فيه اجازة شاملة لمروياته ، وكان سماعه بقراءة الشيخ شمس الدين محمد بن عمر السلاوي الدمشقي تحت سكن الخروبي في البيت الذي بباب الصفا على يمنة الخارج إلى الصفا ويعرف ببيت عيناء ، وهى الشريفة بنت الشريف عجلان ، وبالبیت المذكور شبك يطل على المسجد الحرام ويشاهد من يجلس فيه الكعبة والركن الأسود ، فكان المستمع والقارئ يجلسان عند الشباك دون مصطبة تحت الشباك المذكور . وكان يجلس فيه مؤدب صاحب الترجمة ومن يدرس معه فكان المؤدب يأمرهم عند قراءة القارئ بالانصات إلى أن يفرغ حتى ختم الكتاب ، لكن صاحب الترجمة ربما خرج لقضاء حاجة ولم يكن هناك ضابط للأسماء ، والاعتماد في ذلك كان على الشيخ نجم الدين المرجاني ، فإنه أعلمني بعد دهر طويل بصورة الحال فاعتمدت عليه وثوقا به .

وحفظ بعد ذلك كتباً من مختصرات العلوم ، ولازم أحد أوصيائه أيضا ، وهو الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن محمد بن عيسى بن أبى بكر بن القطان المصري فحضر دروسه .

ثم حبب إليه النظر في التواريخ ، وهو بعد في المكتب فعلق بذهنه شيء كثير من أحوال الرواة .

وفي غضون ذلك سمع من نجم الدين بن رزين وصلاح الدين الزفتاوى وزين الدين بن الشحنة ونظر في فنون الأدب من سنة اثنتين وتسعين فقال الشعر ونظم مدائح نبوية ومقاطيع .

ثم اجتمع بحافظ العصر زين الدين العراقي وذلك في شهر رمضان سنة ست وتسعين . فلأزمه عشرة أعوام ، وحبب إليه فن الحديث فما انسلخت تلك السنة حتى خرج لشيخه مسند القاهرة أبى اسحق التنوخى المائة العشارية .

وكان أول من قرأها في جمع حافل الحافظ أبوزرعة ابن الحافظ العراقي .

ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من مسنديها إذ ذاك ثم حج ودخل اليمن فسمع بمكة والمدينة وينبع وزبيد وتعز وعدن وغيرها من البلاد والقرى .

ولقى باليمن إمام اللغة غير مدافع مجد الدين بن الشيرازي ، فتناول منه بعض تصنيفه المشهور المسمى « القاموس في اللغة » ولقى جمعا من فضلاء تلك البلاد ثم رجع إلى القاهرة ، ثم رحل إلى الشام فسمع بقطية وغزة والرملة والقدس ودمشق والصالحية وغيرها من القرى والبلاد .

وكانت إقامته بدمشق مائة يوم ومسموعه في تلك المدة نحو ألف جزء حديثية : منها من الكتب الكبار المعجم الأوسط للطبراني ، ومعرفة الصحابة لأبى عبدالله بن منده وأكثر مسند أبى يعلى وغير ذلك . ثم رجع وأكمل كتابه « تعليق التعليق » في حياة كبار مشايخه فكتبوا عليه ولازم الشيخ سراج الدين البلقيني إلى أن أذن له ، وأذن له بعد إذنه شيخه الحافظ زين الدين العراقي .

ثم أخذ في التصنيف وأملى الأربعين المتباينة بالشيخونية من سنة ثمان وثمانائة ثم أملى من عشاريات الصحابة نحو مائة مجلس عدة سنين ، ثم ولى درس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة فأملى فيها ، ثم قطعه لما تركها في سنة أربع عشرة وثمانائة ، وتشاغل بالتصنيف ثم ولى مشيخة البيهرسية ، ثم تدريس الشافعية بالمدرسة المؤيدية الجديدة .

ثم ولى القضاء في السابعة والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانائة ، فباشر القضاء بالديار المصرية مدة كبيرة .

« ابن حجر المحدث وخطيب الأزهر »

تولى ابن حجر الخطابة في عدة مساجد من أكبر المساجد بالقاهرة مثل الجامع الأزهر وجامع عمرو وغيرهما من المساجد الكبرى بالقاهرة فقد كان متبحرا في العديد من العلوم وكان يفد إليه طلاب العلم وأهل الفضل من سائر الانحاء ، وكان يتسم بالحلم والتواضع والصبر كثير الصيام والقيام .

وكان مرجعا في الحديث النبوي ، حتى لقب بلقب « أمير المؤمنين » في الحديث . وهذا اللقب لا يظفر به إلا أكبر المحدثين الأفاضل وقد حجب إلى ابن حجر الحديث وأقبل عليه بكلية وطلبه من سنة ثلاث وتسعين ولكنه لم يلزم الطلب إلا من سنة ست وتسعين فعكف على الزين العراقي وتخرج به وانتفع بملازمته . وتحول إلى القاهرة فسكنها قبيل القرن وارتحل إلى البلاد الشامية والمصرية والحجازية وأخذ عن الشيوخ والأقران وأذن له جل هؤلاء في الافتاء والتدريس .

وتصدر لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعة وقراءة وإقراء وتصنيفا وإفتاء وزادت تصانيفه التي معظمها في فنون الحديث وفيها من فنون الأدب والفقه - على مائة وخمسين تصنيفا . وقد عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه وأثنى عليه شيوخه في هذا الشأن وقد سبق أنه ولى تدريس الفقه بالمدرسة الشيعونية وتدريس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة ثم تدريس الشافعية بالمؤيدة الجديدة ومشيخة البيرونية في دولة المؤيد وتدريس الفقه بالمدرسة الصلاحية المجاورة للإمام الشافعي . كما تولى الخطابة بالجامع الأزهر وبين التدريس والافتاء ولى منصب القضاء . وكانت أول ولايته القضاء في السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة بعد أن امتنع أولا لأنه كان لا يؤثر على الاشتغال بالتأليف والتصنيف شيئا غير أن ابن حجر كما يقول السخاوي قد ندم على قبوله وظيفة القضاء ويقول ابن حجر إن من آفة التلبس بالقضاء أن بعضهم ارتحل إلى لقائي وأنه بلغه تلبس بوظيفة القضاء فرجع . وعزل عن القضاء وأعيد إليه مرات وكان آخر ولايته القضاء إذ عزل نفسه في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة .

● تقدير العلماء وثناؤهم عليه

عرف ابن حجر بالحفظ وكثرة الاطلاع والسماع وبرع في الحديث وتقدم في جميع فنونه ووصل إلى مرتبة الذهبى وأثنى عليه شيوخه في هذا الشأن . فقد شهد له أستاذه الحافظ العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث وقد سئل العراقي أيضا : من تخلف بعدك ؟ قال : ابن حجر ثم أبو زرعة ثم الهيثمي ويقول فيه الحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن فهد :

وكان في حال طلبه مفيدا في زى مستفيد إلى أن انفرد بين علماء زمانه بمعرفة فنون الحديث لاسيما رجاله وما يتعلق بهم فألف التأليف المفيدة المليحة الجليلة السائدة الشاهدة له بكل فضيلة الدالة على غزارة فوائده والمعربة عن حسن مقاصده جمع فيها فأوعى وفاق أقرانه جنسا ونوعا التي تشنفت بسماعها الأسماع وانعقد على كمالها لسان الاجماع .

ويقول في موضع آخر من ترجمته « وهو إمام علامة حافظ محقق متين الديانة حسن الأخلاق لطيف المحاضرة حسن التعبير عديم النظر لم تر العيون مثله ولا رأى هو مثل نفسه » ويقول صاحب المنهل الصافي . .

كان رحمه الله حافظ العصر حافظ المشرق والمغرب أمير المؤمنين في الحديث انتهت إليه رئاسة علم الحديث من أيام شبينته بلا مدافعة ، ويقول ابن المناوى الشافعي في كتابه اليواقيت والدرر : شيخ الاسلام شباب الدين أبو الفضل ابن حجر فريد زمانه حامل لواء السنة في أوانه ذهبى عصره نضاره وجوهره مرجع الناس في التصنيف والتصحيح وأعظم الشهود والحكام في التعديل والتجريح قضى له كل حاكم بارتقائه في علم الحديث إلى أعلى الدرج . ويقول السيوطى عنه : شيخ

الإسلام وإمام الحفاظ في زمانه وحافظ الديار المصرية بل حافظ الدنيا مطلقا قاضى القضاة . .
ثم يقول في ختام ترجمته .

وإن يكن فائى حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه فقد انتفعت فى الفن بتصانيفه
واستفدت منها الكثير . وقد غلق بعده الباب وختم به فى هذا الشأن .

● بعض صفاته الخلقية والخلقية

كان ذا وقار ومهابة مع ما احتوى عليه من العقل والحلم والسكون والسياسة والدربة بالأحكام
ومدارة الناس قل أنه يخاطب الشخص بما يكره بل كان يحسن لمن يسىء إليه ويتجاوز عمن قدر
عليه .

وكان جيد الذكاء عظيم الخلق عن ناظره أو حاضره راوية للشعر وأيام من تقدمه ومن عاصره
فصيح اللسان شجى الصوت هذا مع كثرة الصوم ولزوم العبادة واقتفاء طرق من تقدمه من
الصلحاء والسادة .

● وفاته

وتوفى فى ليلة السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة وحضر
الصلاة عليه السلطان وصلى عليه العلم البلقينى بإذن ونقل نعشه إلى القرافة الصغرى فدفن
بالقرب من الامام الليث بن سعد .

● مؤلفاته

سردها السخاوى فى الباب الخامس من كتاب « الجواهر والدرر » فى نحو عشر ورقات وقال
كان ابتداءه فى التصنيف فى حدود سنة ست وتسعين وسبعائة ومن تصانيفه ماكمل قبل المات ومنها
مابقى فى المسودات ومنها ماشرع فيه فكاد ومنها ماسطر ومنها ماصلح أن يدخل تحت الاعداد وهذا
إيرادها على ترتيب اختره وتقريب ابتكرته وقد جمع هو أساء معظمها فى كراسة افتتحها على سبيل
التواضع والهضم لنفسه بقوله وأكثر ذلك - يعنى تصانيفه - مما لا يساوى نسخة لغيرى لكن جرى
القلم بذلك . وقد سمعته يقول لست راضيا عن شىء من تصانيفى لأننى عملتها فى ابتداء الأمر
ثم لم يتهىأ لى من يحررها معى سوى شرح البخارى والمشتبه والتهذيب ولسان الميزان بل كان يقول
فيه : لو استقبلت من أمرى مااستدبرت لم أتقيد بالذهبى ولجعلته كتابا مبتكرا . ثم قال وأما سائر
المجموعات فهي كثيرة العدد واهية العدد ضعيفة القوى وقد تصفحت أنا هذه الورقات فوجدته
يقول أحيانا عقيب الكتاب وموضوعه : استوفيت تبييضه أو قد بيضته أو بيض اليسير من أوائله
أو مسودة .

● من أهم مؤلفاته

١- فتح البارى لشرح البخارى .

٢- تهذيب التهذيب .

٣- لسان الميزان .

٤- تعجيل المنفعة .

٥- تقريب التهذيب .

٦- الاصابة في تمييز الصحابة .

٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة .

٨- نزهة الألباب في الألقاب .

٩- رفع الإصر .

١٠- تبصير المنتبه .

وغيرها كثير ويمكن لمن يشاء أن يرجع إليها في الجواهر والدرر للسخاوى ففيه الغنية عن غيره .

وستتكلم عن بعض هذه المؤلفات في الرجال وهو كتابه :

تقريب التهذيب . وفي شرح الحديث كتابه . « فتح البارى » كما سنعطى نموذجاً من كتابه « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » ونهاذج من « حقيقة السنة والبدعة » .

كتاب تقريب التهذيب لابن حجر

وقد ترجم في هذا الكتاب للرواة تراجم موجزة ومركزة موضحة للحكم على كل راو من جهة الجرح والتعديل .

كما وضع مراتب الرواة وطبقاتهم ، وقد بين الحافظ ابن حجر الباعث له على تصنيف هذا الكتاب ومنهجه فيه في مقدمته التي قال فيها :

الحمد لله الذى رفع بعض خلقه على بعض درجات ، وميز بين الخبيث والطيب بالدلائل الواضحات والبيّنات ، وتفرد بالملك فإليه منتهى الطلبات والرغبات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له ذو الأسماء الحسنی والصفات الناقدة البصیر لأخفى الخفيات الحكم العدل فلا يظلم مثقال ذرة ولا يخفى عنه مقدار ذلك فى الأرضین والسّموات وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات البینات والحجج النیرات الأمر بتنزیل الناس ما یلیق بهم من المنازل والمقامات صلی الله علیه وعلى آله وصحبه السادة الأنجاء الکرماء الثقات .

أما بعد : فإننى لما فرغت من تهذیب « تهذیب الکمال » فى أسماء الرجال الذى جمعت فيه مقصود التهذیب لحافظ عصره ابن الحجاج المزى من تمیز أحوال الرواة المذكورین فيه وضممت إلیه مقصود إكمالہ للعلامة علاء الدین مغلطای مقتصرًا منه على ما اعتبرته علیه وصححته من مظانه من بیان أحوالهم أيضا وزدت علیهما فى كثير من التراجم ما یتعجب من كثرتہ لديهما ويستغرب خفاؤه علیهما ووقع الكتاب المذكور من طلبه الفن موقعا حسنا عند المميز البصیر إلا أنه جاوز ثلث الأصل « والثلث كثير » فالتمس منى بعض الاخوان أن أجرد الأسماء خاصة فلم أؤثر ذلك لقلة جدواه على طالبی هذا الفن ثم رأیت أن أجيبه إلى مسألته وأسعفه بطلبته على وجه یحصل مقصوده بالافادة ويتضمن الحسنی التى أثار وزيادة وزيادة وهى : أنى أحکم على كل شخص منه بحکم یشمل أصح ما قيل فيه وأعدل ما وصف به بأخلص عبارة وأخلص إشارة بحيث لا تزيد كل ترجمته على سطر واحد غالبا یجمع اسم الرجل واسم ابیه وجده ومنتھى أشهر نسبته ونسبه وكنيته ولقبه مع خبط ما یشکل من ذلك بالحروف ثم صنعتہ التى یختص بها من جرح أو تعديل ثم التعریف بعصر كل راو منهم بحيث یكون قائما مقام ماحذقته من ذكر شیوخه والرواة عنه إلا من لا یؤمن لبسه . وباعتبار ما ذكرت انحصرت لى الکلام على أحوالهم فى اثنتى عشرة مرتبة وحصر طبقاتهم فى اثنتى عشرة طبقة . فأما المراتب .

فأولها : الصحابة : فأصرح بذلك لشرفهم .

الثانية : من أكد مدحه إما بأفعل كأوثق الناس أو بتكریر الصفة لفظا : كثقة ثقة أو معنى كثقة حافظ .

الثالثة : من أفرد بصفة كنقة أو متقن أو ثبت أو عدل .

الرابعة : من قصر عن درجة الثالثة قليلا وإليه الإشارة بصدوق أو لا بأس به أو : ليس به بأس .

الخامسة : من قصر عن درجة الرابعة قليلا وإليه الإشارة بصدوق ، سىء الحفظ أو صدوق بهم أو له أوهام أو یخطئ أو تغیر بآخره ویلتحق بذلك من رمى بنوع من البدعة كالتشيع والقدر والنصب والارجاء والتهجم مع بیان الداعية من غيره .

السادسة : من ليس له من الحديث إلا القليل ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله وإليه الإشارة بلفظ مقبول حيث يتابع وإلا فلين الحديث .

السابعة : من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق وإليه الإشارة بلفظ مستور أو مجهول الحال .

الثامنة : من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر ووجد فيه إطلاق الضعف ولو لم يفسر وإليه الإشارة بلفظ ضعيف .

التاسعة : من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق وإليه الإشارة بلفظ مجهول

العاشرة : من لم يوثق ألبته وضعف مع ذلك بقادح وإليه الإشارة بمتروك أو متروك الحديث أو وإهى الحديث أو ساقط .

الحادية عشرة : من اتهم بالكذب .

الثانية عشرة : من أطلق عليه اسم الكذب والوضع .

وأما الطبقات : فالأولى : الصحابة على اختلاف مراتبهم وتميز من ليس له منهم إلا مجرد الرواية من غيره .

الثانية : طبقة كبار التابعين كابن المسيب فإن كان مخضرمًا صرحت بذلك .

الثالثة : الطبقة الوسطى من التابعين كالحسن وابن سيرين .

الرابعة : طبقة تليها بكل روايتهم يعنى كبار التابعين كالزهرى وقتادة .

الخامسة : الطبقة الصغرى منهم ، كالذين رأوا الواحد والاثنين ولم يثبت لبعضهم السماع من الصحابة كالأعمش .

السادسة : طبقة عاصروا الخامسة لكن لم يثبت لهم لقاء أحد من الصحابة كابن جريج .

السابعة : طبقة كبار أتباع التابعين كمالك والثورى .

الثامنة : الطبقة الوسطى منهم كابن عيينة وابن عُلَية .

التاسعة : الطبقة الصغرى من أتباع التابعين كيزيد بن هارون والشافعى وأبى داود الطيالسى وعبدالرزاق .

العاشرة : كبار الأخذيين عن تبع الأتباع ممن لم يلق التابعين كأحمد بن حنبل .

الحادية عشرة : الطبقة الوسطى من ذلك كالذهلى والبخارى .

الثانية عشرة : صغار الأخذيين عن تبع الأتباع كالترمذى .

وألحقت بها باقى شيوخ الأئمة الستة الذين تأخرت وفاتهم قليلا كبعض شيوخ النسائي و ذكرت وفاة من عرفت سنة وفاته منهم فإن كان من الأولى والثانية منهم قبل المائة وإن كان من الثالثة إلى آخر الثامنة منهم بعد المائة وإن كان من التاسعة إلى آخر الطبقات منهم بعد المائتين ومن ندر عن ذلك بينته وقد اكتفيت بالرقم على أول اسم كل راو إشارة إلى من أخرج حديثه من الأئمة فللبخارى فى صحيحه (خ) فإن كان حديثه عنده معلقا (خت) وللبخارى فى الأدب المفرد (بخ) وفى خلق أفعال العباد (عخ) وفى جزء القراءة (ز) وفى رفع اليدين (ى) ولسلم (م) ولأبى داود (د) وفى المراسيل له (مد) وفى فضائل الأنصار (صد) وفى الناسخ (خد) وفى القدر (ق) وفى التفرد (ف) وفى المسائل (ل) وفى مسند مالك (كد) وللترمذى (ت) وفى الشئائل له (تم) وللنسائي (س) وفى مسند على له (عس) وفى مسند مالك (كن) ولا بن ماجه (ق) وفى التفسير له (فق) .

فإن كان حديث الرجل فى أحد الأصول الستة اكتفى برقمه ولو أخرج له فى غيرها وإذا اجتمعت فالرقم (ع) وأما علامة ٤ فهى لهم سوى الشيخين ومن ليست له عندهم رواية مرقوم عليها تميز إشارة إلى أنه ذكر ليميز عن غيره ومن ليست عليه علامة نُبه عليه وترجم قبل أو بعد .

وسميته « تقريب التهذيب » والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع به قارئه وكتابه والناظر فيه وأن يبلغنا من فضله وإحسانه مانؤمله ونرتجيه إنه ولى ذلك والقادر عليه لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب .

كتابه « فتح البارى »

ألف الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث النبوى كتابه القيم النفيس : « فتح البارى » وهو أحد مؤلفاته التى بلغت خمسين ومائة كتاب ١٥٠ كتابا ، مترك نوعا من أنواع الحديث ولا فنا من فنونه إلا وألف فيه .

ففى تراجم الرجال والكلام عن رجال الحديث وتراجم الصحابة ألف كتابا من أهم المراجع فى بابها ومن أعظمها فائدة منها الاصابة فى تمييز الصحابة « تعجيل المنفعة برجال الأربعة » .
وفى مجال مصطلح الحديث ألف « نخبة الفكر » وشرحها وفى مجال السنة والبدعة ألف كتابه « حقيقة السنة والبدعة » وفى مجال الدفاع عن كتب السنة وأتمتها ألف كتابه :

« القول المسدّد فى البذب عن المسند » وفى أحاديث الأحكام ألف « بلوغ المرام فى أدلة الأحكام » وفى مجال شرح الأحاديث النبوية ألف كتابه النفيس « فتح البارى فى شرح صحيح البخارى » ولو لم يكن له من المؤلفات إلا هذا الكتاب لكفى فى عظمته وأمانته فهذا الكتاب يعتبر

بحق أعظم كتاب ألف في شرح الحديث بصفة عامة ، وفي شرح صحيح البخارى بصفة خاصة ،
إنه قاموس السنة .

أبتدأ الامام الحافظ ابن حجر في تأليفه في أول سنة سبع عشرة وثمانمائة ٨١٧هـ وانتهى منه
في عام ٨٤٣هـ وعندما ختم تأليف هذا الكتاب العظيم المبارك أعدّ وليمة عقب ختمه حضرها
وجوه المسلمين من أهل العلم والفضل وقد اشتمل هذا الكتاب على فوائد حديثية واستنباطات
فقهيّة ، ونكات بلاغية وأدبية .

كما امتاز باستقراء الأحاديث التي رويت في الباب وبيان منزلتها من القوة والضعف .
وقد نهج ابن حجر في كتابه بالنسبة للأحاديث المكررة أن يقوم بشرح مايتصل بمقصد
البخارى منها في كل مناسبة ، ثم يميل الباحث على المواضيع الأخرى .

ولكتاب فتح البارى مقدمة نفيسة تضمنت بحوثا قيمة ، واشتملت على بيان منزلة صحيح
البخارى وبيان التراجم والتعليقات والأحاديث المنتقدة والرجال الذين انتقدوا ، والاجابة على ذلك
وترجمة الامام البخارى وما إلى ذلك . . .

وقد احتل كتاب « فتح البارى » مكانته في نفوس العلماء والباحثين بحيث يدرك كل واحد
منهم عظيم قدره وسمو مادته العلمية .

ولما طلب من الشيخ محمد بن على الصنعانى الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٥هـ صاحب « نيل
الأوطار » شرح « منتقى الأخبار » أن يشرح صحيح البخارى ، التزم مكانه وقال : « لاهجرة بعد
الفتح ، معترفا لابن حجر بالامامة والمكانة ، ومعترفا للكتاب بالسبق والعظمة ، ويقع الشرح في
ثلاثة عشر مجلدا ، ومقدمته في مجلد .

نماذج من كتابه

« تبصير المنتبه لتحرير المشتبه »

● قال في المقدمة :

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير ولا شبيه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المكمل الوجيه ، المصطفى على جميع الخلق فجلاً مصطفىه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم من متفقه وفقهه ، وخامل ونبه .

أما بعد فإنني لما علقت كتاب المشتبه الذي لخصه الحافظ الشهير أبو عبد الله الذهبي رحمه الله وجذت فيه إعوازاً من ثلاثة أوجه :

أحدها - وهو أهمها : تحقيق ضبطه ، لأنه أحال في ذلك على ضبط القلم ، فما شفى عن ألم .

ثانيها : إجحافه في الاختصار ، بحيث إنه يعتمد إلى الاسمين المشتبهين إذا كثر فيقول في كل منهما : فلان وفلان وفلان وغيرهم - وهذا لا يروى الغلة ، ولا يشفى العلة ، بل يبقى اللبس على المستفيد كما هو ، وكان ينبغي أن يستوعب أقلهما .

وثالثها - وفيه مالا يرد عليه إلا أن ذلك من تمة الفائدة - مافاته من التراجم المستقلة التي لم يتضمنها كتابه من كونها في أصل ابن ماكولا وقيل ابن نقطة اللذين لخصهما ، وزاد من ذيل أبي العلاء الفرضي وغيره ما استدرك عليهما .

فاستخرت الله تعالى في اختصار ما أسهب فيه ، وبسط ما أحجف في اختصاره ، بحيث يكون ما اقتصر عليه من ذلك أزيد من حجمه قليلاً . فأعان الله على ذلك ، وله الحمد .

فكل اسم كان شهيراً بدأت به ، ولا أحتاج إلى ضبطه ، بل أضبط ما يشتبه به بالحروف . وكل حرف لم أتعرض له فهو نظير الذي قبله ، أهمالاً واعجافاً ، وحركة وسكوناً .

وعبرت عن الباء بالموحدة ، وعن التاء بالمثلثة ، وعن الثاء بالثلثة ، وأما الياء - آخر الحروف - فبالياء بلا وصف غالباً .

وقد ميزت مازدته عليه بقولي في أوله : قلت ، وفي آخره : انتهى ، إلا الضبط فإنه مدمج .

واعتمدت على نسخة المصنف التى بخطّه ، وعلى الأصول التى نقل هو منها ، وعلى غيرها مما غلب ظنّى أنه لم يراجعه حالة تصنيفه ، كالأنساب للرشاطى ولابن السمعانى ، وكالذيل الذى ذُيِّل به الحافظ منصور بن سليم الاسكندراني على ذيل ابن نقطة ، وكالذيل الذى ذيل به العلامة علاء الدين مغلطاي أجزاء ، وهو ذيل كبير لكنه كثير الأوهام والتكررات والاعادة والايراد لما لا تمس الحاجة إليه غالبا .

فتحرّيت فيه الصوابَ بجهدى مع اعترافى بفضل المتقدم ، ولم أغير ترتيبه إلا نادرا . ولكنى أسرد فى كل حرفٍ الأسماء وغيرها على الولى ، ثم أسرد الانساب ، منفردة متوالية أيضا ، وسميته : « تبصير المنتبه بتحرير المشتبه » .

والله أسأل أن ينفع بن كاتبه وناظره وأن يجمع لكل منا خيرى الدنيا والآخرة ، إنه قريب مجيب ، عليه توكلت وإليه أنيب .

● حرف الألف

قلت :

والمشهور أن أول من سُمّي به بعد نبي الله ﷺ والد الخليل بن أحمد لكن زعم الواقدي أنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد . أفاد ذلك أبو بكر بن فتحون فى ذيله على الاستيعاب . وحكى أن اسم أبى حفص أحمد ، وفى والد أبى السفر أن اسمه أحمد .

قال الترمذى : أبو السفر هو سعيد بن يُمُود . ويقال ابن أحمد . انتهى .

وبالجيم : أحمد بن عُجبان ، شهد فتح مصر ، وأبوه بوزن عثمان ، وقيل . وزن عُليان . وأحمر ، بالراء المهملة ، غير ملتبس .

أبان ، بَيْن . وبضم ومثلثة ، أثنان بن نعيم ، أدرك عليا . وبياء مشددة وفتح أوله (أيان) : أبو بكر أحمد بن أبى القاسم بن أيان الدّشتى ، حدّث عن أبى القاسم بن راحة .

قلت : وأيان أيضا فى نسب خاله محمود الدّشتى الذى سمع أبو بكر بإفادته .

أبا ، بفتح الهمزة وتشديد الموحدة ، وقيل بتخفيفها مقصور : هو ابن جعفر النّجيمى أحد الضعفاء .

وأبا الذى ينسبُ إليه نهر أبا .

وسالم بن عبد الله من أبا ، أندلسى روى ابن مُزَيْن .

وبالمد : أباء بن أبى بن فضلة بن جابر ، كان شريفا فى زمانه وأبى بن أبا بن أبى له خبر مع الحجاج ، ذكره أبو العيّن ، ولعله ولّد الذى قبله .

وبياء أخيرة بلا مدّ (أيّا) : على ابن محمد بن الحسين بن عبدوس بن إسماعيل بن أيّا بن سيّحت ، شيخ ليحيى الحضرمي ، ذكره في مؤلفه في هذا الفن .

أُبرّجة ، بالفتح وسكون الموحدة وفتح الراء وتخفيف الجيم : لقب إبراهيم بن محمد بن الحارث الأصبهاني الحافظ المعروف بابن نائلة وهي أمه .

وإبراهيم بن يوسف الأصبهاني أُبرّجة ، روى عنه ابنه أبوعلى .

وبضم الهمزة والراء ومثناة وتثقل الجيم : أترجة - لقب لعبدالله بن محمد بن داود ، ولعيسى بن حُشنام المدائني ، ولداود بن عيسى الهاشمي الذي كان يصُحّب المستعين ، انتهى أبة ، بالفتح وتثقل الموحدة : إبراهيم بن محمد بن فيرة الأصبهاني الطيان يعرف بابن أبة .

قلت :

الصواب يقال له : أبة . انتهى .

وبنوني : عمرو بن سعيد بن أبة الجمال ، روى عن يعقوب الحضرمي قراءته .

قلت :

وأنة المخنث عدّة في الصحابة الباوردي ، وضبطه السهيلي .

وبالضم ومثلثة : أنة بن سعد بن محمد بن بُحر الرعيّني ، ذكره ابن عفير في الأخبار . انتهى أبيّ واضح .

وبالمد وكسر الموحدة وتخفيف الباء : أبي اللحم الغفاري ، صحابي .

قلت :

وله ذرية .

وعُمير مولى أبي اللحم صحابيّ أيضا .

وأبي الخُسف لَقْبُ خويلد بن أسد بن عبد العزّي ، والد خديجة زوج النبي ﷺ وجدّ الزُّبير بن العوام بن خويلد ، وفيه يقول يحيى بن عروة بن الزبير :

أب لي أبي الخُسف قد يَعْلُمُونه وفارسٌ معروفٌ رئيس الكتائب ، انتهى .

وبكسر الموحدة وتشديد الياء بلا مد (أبي) : محمد بن يعقوب بن أبي ، شيخ لأبي الطاهر الذهلي .

قلب .

أَبِينُ ، بوزن أحمد ، الذى تُنسب إليه عَدَنُ أَبِينُ هو ابن زهير بن الهمَيسع بن جُمَيْر .
وبالضم ، وفتح الموحدة ، وسكون الياء : أَبِينُ بن سفيان أحد الضعفاء . انتهى أثاثه ، بالضم
ومُثَلَّثَتَيْن : مسطح بن أثاثه بن عبّاد بن المطلب ، بَدْرَى .

قلت :

وأخته هند بنت أثاثه .

وعمر بن أبى أثاثه العدوى صحابى أيضا انتهى .

وبكسر الهمزة وموحدة وياء (إبائية) : أبوالقاسم بن إباية الأشبيلي مَقْرَى ، أخذ عن أبى
عبدالله بن شريح .

الأثير لقب جماعة .

وباسكان الموحدة وفتح المثناة : الأثير هو العاص بن وائل السهمى .

أثير ، بالضم وفتح المثناة ، هو ابن عمرو السُّكُونى الكوفى ، تنسب إليه صحراء أثير .
ومغيرة بن جميل بن أثير شيخ لأبى سعيد الأشبح تَحْتَهُ .

ابن حجر المدافع عن السنة **دفاع ابن حجر عن مسند ابن حنبل**

وقد أجاب ابن حجر - فى دفاعه عن الأحاديث التى أوردها ابن الجوزى - إجابة إجمالية أولا ،
ثم تناول الأحاديث بعد ذلك بالتفاصيل ، أما الإجابة الاجمالية :

فبين فيها أن الأحاديث المذكورة « ليس فيها شيء من أحاديث الأحكام فى الحلال والحرام
والتساهل فى إيرادها مع ترك البيان بحالها شائع ، وقد ثبت عن الامام أحمد وغيره من الأئمة أنهم
قالوا : إذا روينا فى الحلال والحرام شددنا وإذا روينا فى الفضائل ونحوها تساهلنا وهكذا حال هذه
الأحاديث » ^(١) .

وأما الإجابة التفصيلية : فلنضرب عليها بحديث من الأحاديث التى كان الحق فيها مع
الحافظ ابن حجر ، بل وأخرجه الامام مسلم فى صحيحه :

(١) القول المسدد لابن حجر ص ١١٠

قال الامام أحمد : حدثنا أبو عامر ثنا أفلح بن سعيد نا عبد الله بن رافع سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « ان طالت بك مدة أو شئت أن ترى قوما يفدون في سخط الله عز وجل ويروحون في الفتنة في أيديهم مثل أذناب البقر^(١) » ذكره ابن الجوزي في الموضوعات بإسناد المسند أيضا ، ونقل عن ابن حبان أنه قال : « ان هذا الخبر باطل » وأفلح « كان يروى عن الثقات الموضوعات » وهذا الحديث أخرجه مسلم عن جماعة من مشايخه عن أبي عامر العقدي بهذا أو أخرجه من وجه آخر وقال ابن حجر :

ولم أقف في كتاب الموضوعات لابن الجوزي على شيء حكم عليه بالوضع وهو في أحد الصحيحين غير هذا الحديث ، وإنما لغفلة شديدة منه ، « وأفلح » المذكور يعرف بالقبايى مدنى من أهل قباء ثقة مشهور ، وثقه ابن معين وابن سعد ، وقال ابن معين أيضا والنسائي : لا بأس به وقال أبو حاتم شيخ صالح الحديث . وأخرج له مسلم في صحيحه وقد روى عبد الله بن مبارك . وطبقته ولم أر للمتقدمين فيه كلاما إلا أن العقيلي قال : لم يرو عنه ابن مهدي وقال ابن حجر : وليس هذا بجرح ، وقد غفل ابن حبان فذكره في الطبقة الرابعة من الثقات وقد أخطأ ابن الجوزي في تقليده لابن حبان في هذا الموضع خطأ أو غلط ابن حبان في « أفلح » فضعفه بهذا الحديث وعقبه بأن قال : هذا بهذا اللفظ باطل والمحفوظ عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ : « اثنان من أمتي لم أرهما : رجال بأيديهم سياط مثل أذناب البقر ونساء كاسيات عاريات » وتعقب الذهبي في الميزان كلام ابن حبان هذا فقال : « حديث أفلح حديث صحيح غريب ورواية سهيل شاهدة له وابن حبان ربما جرح الثقة » . وقد صححه من طريق أفلح « أيضا الحاكم في المستدرک وصححه من طريق سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال حدثنا أبو حيثمة ثنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ؛ قال رسول الله ؛ صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مؤلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا كذا . وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة من طريق الحسن بن سفيان عن محمد بن عبد الله نمير ثنا زيد بن الحباب حدثنا أفلح بن سعيد فذكره ولفظه : « يوشك أن طالت بك مدة أن ترى قوما في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخطه » قال البيهقي رواه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير وهو كما قال ابن حجر : « فلقد أساء ابن الجوزي لذكره في الموضوعات حديثا من صحيح مسلم^(٢) . أ . هـ .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/٢٠٨ رقم ٨٠٥٩ والإمام مسلم في صحيحه ٢/٣٥٥ .

(٢) القول المسدد ٣٣ .

وهذا الذى قدمناه نموذج لاجابة ابن حجر التفصيلية على الأحاديث التى أوردها بين الموضوعات وقد رأينا إلى أى حد كان ابن حجر موفقا فى دفاعه .

● وخلاصة الآراء

(١) أن العلماء يقررون فى شبه اتفاق على أن فى المسند الضعيف لأن الامام أحمد كان يروى عن من لا يعرف بالكذب ، ويروى عن ضعف حفظه ويعتضد به .

(٢) يرى البعض أن المسند ليس فيه موضوع قط ومن ذهب إلى ذلك الحافظ أبو موسى المدينى وأبو العلاء الهمداني ونحوهما .

(٣) ويرى البعض أن فى المسند الأحاديث الموضوعة كأحاديث فضائل مرووعسقلان وغير ذلك . وهؤلاء يختلفون : هل هى برواية أحمد أم لا ؟ فىرى البعض : أن المسند ليس فيه موضوع برواية أحمد ، وإنما هو من زيادة القطيعى . ويرى البعض الآخر أن فى المسند الموضوع برواية أحمد أو ابنه ومن ذهب إلى ذلك العراقى فقد رد عليه ابن حجر كما سبق .

والذى أرجحه هو أن بعض الأحاديث كان الحق فيها مع الحافظ ابن حجر ، وهى لاتصل إلى حد أن يحكم عليها بالوضع ، وأن البعض الآخر تكلف الحافظ فى الرد عليهما ، ويدل على رجوعه فى رأى وحكمه بالوضع على بعض الأحاديث .

ويمكن التقريب بين الآراء فى درجة أحاديث المسند بحيث لا يكون هناك كبير اختلاف بينهما وذلك بارجاع الرايين :

الأول والثانى إلى الثالث .

فمن قال بأن فى المسند بعض الأحاديث الموضوعة نظر إلى زيادات القطيعى وعبدالله ، ومن قال : بأن مافيه صحيح يحتج به لايتنافى قوله مع وجود الضعيف ، لأن الضعيف دائر بين الحسن لذاته والحسن لغيره .

وإذا كنا قد وقفنا الآن على النقد القديم ، فلننظر بعد ذلك إلى النقد الحديث الذى وجه إلى المسند ، ثم نرد عليه . . .

« نقد الجامع الصحيح للإمام البخارى » ودفاع الحافظ ابن حجر

تلقت الأمة كتاب الجامع الصحيح للإمام البخارى بالقبول واحتل هذا الكتاب النفيس مكانته الجليلة وتقديره العظيم عند أئمة الحديث ولذا عنوا به عناية عظيمة فكان منهم من دفعه اهتمامه بالكتاب وتقديره له إلى أن قام بتطبيق مافيه من الأحاديث على ما اشترطه البخارى في صحيحه ، فإذا ما بدا له أن بعض الأحاديث لا تتفق وما اشترطه البخارى وتبين له أنها نزلت عن الدرجة العالية التى التزمها ، إذا ما بدا له ذلك تناول هذا الأحاديث بالنقد ، وليس معنى نقدهم لها أنها قد وصل بها الضعف إلى حد الموضوع أو المنكر كما سيتضح ذلك .

وقد كان من بين الأحاديث المتقدمة على البخارى ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثا ومنها ما انفرد البخارى بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثا وقبل بيان الرد الاجمالى والتفصيلى على هذا النقد أحب أن أقر الدافع لهؤلاء النقاد الذى حفزهم على هذا النقد هو شدة حذرهم ويقتضتهم ، وكما اهتمهم وعنايتهم بهذه المصنفات النفيسة ، وعلى أساس من الاخلاص وليس بدافع القدر أو الحسد .

رد الحافظ ابن حجر ودفاعه

ذكر ابن حجر في مقدمة فتح البارى جوابا إجماليا قال فيه : « لاريب في تقديم البخارى ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل فإنهم لا يختلفون في أن على بن المدينى كان أعلم أقربانه بعلم الحديث وعنه أخذ البخارى ذلك حتى يقول : ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى ، ومع ذلك فكان على بن المدينى إذا بلغه ذلك عن البخارى يقول : دعوا قوله فإنه مارأى مثل نفسه وكان محمد بن يحيى الذهلى أعلم أهل عصره بعلم حديث الزهرى وقد استفاد منه ذلك الشيخان جميعا . وروى الفربرى عن البخارى قال : ما أدخلت في الصحيح حديثا إلا بعد أن استخرت الله تعالى وتيقنت صحته ، وقال مكى بن عبدالله سمعت مسلم بن الحجاج يقول : عرضت كتابى هذا على أبى زرعة الرازى فكل ما أشار أن له علة تركته فإذا عرف وتقرر إنها لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علة أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ولاريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة » أ.هـ ^(١) .

(١) هدى السارى ص ٣٤٥ .

وأما من حيث التفاصيل فإن الاحداث المتقدمة تنقسم إلى ستة أقسام :

القسم الاول :

ماختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد ، فإن أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيده وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطني لأن الرواي ان كان سمعه فالزيادة لاتضر لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمعه منه وإن كان لم يسمعه في الطريق الناقصة فهو منقطع ، والمنقطع من قسم الضعيف والضعيف لايعل الصحيح ، وأن اخرج صاحب الطريق الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيده تضمن اعتراضه دعوى انقطاع فيما صححه المصنف فينظر إن كان ذلك الراوى صحابيا أو ثقة غير مدلس قد ادرك من روى عنه ادراكا بينا أوضح بالسماع أن كان مدلسا من طريق أخرى فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض بذلك وإلا لم يوجد ، وكان الانقطاع فيه ظاهرا فيحصل الجواب عن صاحب الصحيح أنه إنما أخرج مثل ذلك في باب ماله متابع وعاضد أو ماحفته قرينه في الجملة تقويه ويكون التصحيح وقع من حيث المجموع وربما علل بعض النقاد ، أحاديث ادعى فيها الانقطاع لكونها غير مسموعة كما في الأحاديث المروية بالمكاتبه والاجازة وهذا لايلزم منه الانقطاع عند من يسوغ الرواية بالاجازة بل في تخريج صاحب الصحيح لمثل ذلك دليل على صحة الرواية بالاجازة عنده .

القسم الثانى :

ماختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الإسناد ، فالجواب عنه ان امكن الجمع بأن يكون الحديث عند ذلك الرواي على الوجهين جميعا فأخرجهما المصنف ولم يقتصر على احدهما حيث يكون المختلفون في ذلك متعادلين في الحفظ والعدد ، وان امتنع بأن يكون المختلفون غير متعادلين بل متقاربين في الحفظ والعدد فيخرج المصنف الطريق الراجحة ويعرض عن الطريق المرجوحة أو يشير إليها ، فالتعليل بجميع ذلك من أجل مجرد الاختلاف غير قادح إذ لايلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف الاعراض ايضا عما هذا سبيله .

القسم الثالث :

مانفرد بعض الرواة بزيادة فيه دون من هو أكثر عددا أو أضبط ممن لم يذكرها فهذا لا يؤثر التعليل به إلا إن كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع أما إن كانت الزيادة لامنافية فيها بحيث تكون كالحديث المستقل فلا ، اللهم إلا إن وضع بالدلائل القوية أن تلك الزيادة مدرجة في المتن من كلام بعض رواته فما كان من هذا القسم فهو مؤثر .

القسم الرابع :

ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف منهم ، وليس في هذا « الصحيح » من هذا القبيل غير حديثين وتبين أن لكل منهما متابعا أحدهما حديث أبي بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : كان للنبي ﷺ فرس يقال له اللحييف ، قال الدارقطني وأبى هذا ضعيف ، قال الحافظ وقد تابعه عليه أخوه عبدالمهيمن بن عباس ، وثانيهما : حديث إسماعيل بن أبي أويس عن مالك وعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الخمسة الحديث قال الدارقطني وإسماعيل ضعيف قال الحافظ : لم ينفرد به بل تابعه عليه معن بن عيسى فرواه عن مالك كرواية إسماعيل سواء .

القسم الخامس :

ما حكم فيه بالوهم على بعض رواته ، والجواب أن الوهم إنما يؤثر إذا لم يرو الحديث من غير طريق الذى حكم عليه بالوهم وقال ابن حجر وليس في الصحيح منه بحمد الله شىء . وأما إذا روى الحديث من غير طريق فذلك لا يؤثر ويكون المعتمد عليه أصل الحديث لخصوص ذلك الطريق .

القسم السادس :

ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن والجواب : إن هذا أكثره لا يترتب عليه قدح لا مكان الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح ، أ . هـ ^(١) وبعد أن ذكر ابن حجر الأحاديث المنتقدة وأجاب عنها بيد أن هذا هو جميع ماتعقبه الحفاظ النقاد العارفون بعلى الأسانيد وقد ظهر واضحا أنه مامن حديث إلا وورد من طريق آخر وثبتت صحة المتن كلها فضلا عن رد كل نقد وجه إلى الأحاديث ولا يغض هذا النقد من قيمة الجامع الصحيح وأصحيته فهو في الدرجة الأولى من الصحة .

● ومن أمثلة الأحاديث المنتقدة

١- قال الدارقطني : « وأخرجنا جميعا - أى البخارى ومسلم - حديث الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس يعنى في قصة القبرين وإن أحدهما كان لا يستبرىء من بوله . قال وقد خالفه منصور فقال عن مجاهد عن ابن عباس وأخرج البخارى حديث منصور على اسقاطه طاوسا ، وهذا الحديث قد أخرجه البخارى في كتاب الطهارة عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير وأخرجه في كتاب الأدب عن كثير بن سلام عن عبيدة بن حميد كلاهما عن منصور به ، ورواه من طريق أخرى من حديث الأعمش وأخرجه باقى الستة من حديث الأعمش أيضا وأخرجه أبو داود

(١) هدى السارى ص ٣٤٦-٣٤٨-

والنسائي وابن خزيمة في صحيحه من حديث منصور أيضا ، وقال بعد أن أخرجه : رواه منصور عن مجاهد عن ابن عباس وحديث الأعمش أصبح يعنى المتضمن للزيادة قال الحافظ وهذا في التحقيق ليس بعلّة لأن مجاهدا لم يوصف بالتدليس وسمعه من ابن عباس صحيح في جملة من الأحاديث ومنصور عندهم أتقن من الأعمش مع أن الأعمش أيضا من الحفاظ فالحديث كيفما دار على ثقة والإسناد كيفما دار كان متصلا فمثل هذا لا يقدح في صحة الحديث إذا لم يكن راويه مدلسا ، وقد أكثر الشيخان من تخريج مثل هذا ولم يستوعب الدارقطني انتقاده ^(١) .

٢- قال الدارقطني : وأخرجنا جميعا حديث ابن جريج عن الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه وعمه عبيدالله بن كعب ، عن كعب أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر ضحى بدأ بالمسجد الحديث . . وقد خالفه معمر فقال عن الزهري عن عبدالرحمن بن كعب عن أبيه وقال عقيل عن الزهري عن ابن كعب عن أبيه وهو يشبه رواية معمر ، قال الدارقطني ورواية ابن جريج أصح ولا يضره من خالفه ، قال ابن حجر قول معمر وغيره عن عبدالرحمن بن كعب يحمل على أنه نسبه إلى جده فتكون روايتهم منقطعة وهذا الجواب صحيح من الدارقطني في أن الاختلاف في مثل هذا لا يضر ^(٢) .

● نقد الرجال

وجه بعض النقاد الطعن في بعض رجال البخارى الذى خرج لهم في كتابه « الجامع الصحيح » ومعظمهم من شيوخه الذين لقيهم وجالسهم وخبرهم وميز بين صحيح مروياتهم من سقيمها وقد أخرج لبعضهم في أصول الكتابة وأخرج لبعضهم الآخر في المتابعات والشواهد .

وانبرى الحافظ ابن حجر في مقدمته للإجابة عن تلك الاعتراضات والطعون وتناول الدفاع عنهم واحدا واحدا ورتبهم على حروف المعجم مما يشهد له بدقة النقد العلمى ونزاهته ، يقول الحافظ ابن حجر ^(٣) : ينبغى لكل منصف أن يعلم أن تخريج صاحب الصحيح لأى رواية كان مقتضى لعدالته عنده وصحة ضبطه وعدم غفلته ولاسيما ما انضاف إلى ذلك من اطباق جمهور الأئمة على تسمية الكتابين بالصحيحين ، وهذا معنى لم يحصل لغير من خرج عنهم في الصحيح فهو بمثابة اطباق الجمهور على تعديل من ذكر فيهما هذا إذا خرج له في الأصول إما أن خرج له في المتابعات والشواهد والتعليق فهذا تتفاوت درجات من أخرج له منهم في الضبط وغيره مع حصول إسم الصدق لهم ، وحيثئذ إذا وجدنا لغيره في أحد منهم طعنا فذلك الطعن مقابل لتعديل هذا

(١) هدى السارى ص ٣٤٦ ، ٣٤٨ .

(٢) هدى السارى ص ٣٦٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٣٨١ .

الامام فلا يقبل إلا مبين السبب مفسرا بقادح في عدالة هذا الراوى أو في ضبطه مطلقا ، أو في ضبطه لخبر بعينه لأن الأسباب الحاملة للأئمة على الجرح متفاوتة منها ما يقدر . وقد كان الشيخ أبو الحسن المقدسى يقول في الرجل الذى يخرج عنه في الصحيح هذا جاز القنطرة يعنى بذلك أنه لا يلتفت إلى ما قيل فيه .

وقد وضع ابن حجر مقاييس دقيقة لنقد الرجال يزن بها رجال الصحيح فقال لا يقبل الطعن في أحد منهم إلا بقادح واضح لأن أسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة أشياء :

(١) البدعة (٢) المخالفة (٣) الغلط (٤) جهالة الحال (٥) دعوى الانقطاع في السند بأن يدعى في الراوى أنه كان يدلس أو يرسل . فاما جهالة الحالة فمندفعة عن جميع من أخرج لهم في الصحيح لأن شرط الصحيح أن يكون راويه معروفا بالعدالة فمن زعم أن أحدا منهم مجهول فكأنه نازع المصنف في دعواه أنه معروف ولا شك أن المدعى لمعرفته مقدم على من يدعى عدم معرفته لما مع الثبوت من زيادة العلم ومع ذلك فلا تجرد في رجال الصحيح أحدا يسوغ لإطلاق اسم الجهالة عليه أصلا . وأما الغلط : فتارة يكثر من الرواية وتارة يقل فحيث يوصف بكونه كثير الغلط فيها أخرج له إن وجد مرويا عنده ، وعند غيره من رواية غير هذا الموصوف بالغلط علم أن المعتمد أصل الحديث لا خصوص هذه الطريقة وإن لم يوجد إلا من طريقه ، فهذا قادح يوجب التوقف عن الحكم بصحة ما هذا سبيله وليس في الصحيح بحمد الله من ذلك شيء .

وحيث يوصف بقلة الغلط كما يقال سىء الحفظ أو له أوهام أو له مناكير وغير ذلك من العبارات ، فالحكم فيه كالحكم في الذى قبله أى تارة يكثر وتارة يقل وينظر فيما أخرج له . إلخ . إلا أن الرواية عن هؤلاء في المتابعات أكثر منها عند المصنف من الرواية عن أولئك مع عدم التفرد فلا طعن - إلا أن الرواية عنهم إنما هى للاستثناس والشواهد وتكثير الطرق فهى معادة .

وأما المخالفة : فيثبت بها الشذوذ والنكارة ، فإذا روى الضابط والصدوق شيئا فرواه من هو أحفظ منه وأكثر عددا بخلاف ما روى، بحيث يتعذر الجمع على قواعد المحدثين فهذا شاذ ، وقد تشتد المخالفة بأن يضعف الحفظ فيحكم على من يخالف فيه يكون منكرا ، وهذا ليس في الصحيح منه إلا نذر يسير . وكان البخارى بعد ذكر الروايات جميعها ينبه عليها ويذكر رأيه فلا اعتراض عليه . وأما دعوى الانقطاع فمندفعة عمن أخرج لهم البخارى كما علم من شرطه (وهو أن العنينة تفيد الاتصال بشرط المعاصرة واللقاء) ومع ذلك ، حكم من ذكر من رجاله بتدليس أو إرسال أن تسير أحاديثهم الموجودة عنده فإن وجد التصريح بالسماع فيها - بأن يوجد هذا طرق أخرى - اندفع الاعتراض وإلا فلا . وقد ثبت السماع في المعنعن فلا وجه للاعتراض .

وأما البدعة : فالموصوف بها إما أن يكون ممن يكفر بها أو يفسق فالمكفر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول

الألوهية في على أو غيره أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة أو غير ذلك وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء ألبتة .

والمفسق بها : كبدع الخوارج والروافض الذين لا يغفلون ذلك الغلو ، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفة لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند إلى تأويل ظاهره سائغ فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث ما هذا سبيله إذا كان معروفا بالتحرز من الكذب مشهورا بالسلامة من خوارم المروءة موصوفا بالديانة والعبادة فقليل يقبل مطلقا وقيل يرد مطلقا ، والثالث التفصيل بين أن يكون داعية لبدعته أو غير داعية فيقبل غير الداعية ويرد حديث الداعية ، وهذا المذهب هو الأعدل وصارت إليه طوائف من الأئمة وادعى ابن حبان إجماع أهل النقل عليه . لكن في دعوى ذلك نظر فقد روى عن الامام مالك رد روايتهم مطلقا . ثم اختلف القائلون بهذا التفصيل فبعضهم أطلق ذلك وبعضهم زادهم تفصيلا فقال إن اشتهرت رواية غير الداعية على ما يشيد ببدعته ويزينها ويحسنها ظاهرا فلا تقبل وإن لم تشتمل فتقبل هذا وطرد بعضهم هذا التفصيل بعينه في عكسه في حق الداعية فقال : إن اشتهرت روايته على ما يريد ببدعته قبل وإلا فلا وعلى هذا إذا اشتهرت رواية المبتدع سواء كان داعية أم لم يكن على ما لا تعلق له في بدعته أصلا هل ترد مطلقا أو تقبل مطلقا ؟

مال أبو الفتح القشيري إلى تفصيل آخر فيه فقال : إن وافقه غيره فلا يلتفت إليه هو اخمادا لبدعته واطفاء لناره وإلا لم يوافقه ولم يوجد ذلك الحديث إلا عنده مع وصفا من صدقه وتحريزه عن الكذب واشتهاره بالدين وعدم تعلق ذلك الحديث ببدعته فينبغي أن تقدم مصلحة تحصيل ذلك الحديث ونشر تلك السنة على مصلحة إهانتة وإطفاء بدعته . .

وإعلم أنه قد وقع من جماعة الطعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبيه لذلك وعدم الاعتداد به إلا بحق . وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة وخذلوا في الدنيا فضعفوهم لذلك ولا أثر لذلك التضعيف مع الصدق والضبط والله الموفق . وأبعد من ذلك كله من الاعتبار تضعيف من ضعف بعض الرواة بأمر يكون الحمل فيه على غيره أو التحامل بين الأفراد ، وأشد من ذلك تضعيف من ضعف من هو أوثق منه أو أعلى قدرا أو أعرف بالحديث فكل هذا لا يعتبر به .

وقد عقد ابن حجر فصلا مستقلا جمع فيه أسماء الرجال الذين طعن فيهم مع ذكر الطعن الموجه إليهم وسببه ، وقام بالاجابة عنه ومن أمثله ذلك :

(١) أحمد بن بشير الكوفي أبو بكر مولى عمرو بن حريث المخزومي ، قال النسائي : ليس بذلك القوى وقال عثمان الدارمي متروك وقواه ابن معين وأبو زرعة وغيرهما وأخرج له البخاري حديثا واحدا تابعه عليه مروان بن معاوية وأبوسلمة وهو في كتاب الطب أما تضعيف النسائي له فمشعر بأنه غير حافظ ، وأما كلام عثمان الدارمي فقد رده الخطيب بأنه اشتبه عليه براو آخر اتفق اسمه واسم أبيه وهو كما قال الخطيب رحمه الله تعالى وقد روى له الترمذي وابن ماجه .

(٢) أحمد بن شبيب بن سعيد الحلبي روى عنه البخارى أحاديث بعضها قال فيه حدثنا وبعضها قال فيه : قال أحمد بن شبيب ووثقة أبو حاتم الرازى وقال ابن عدى : وثقه أهل العراق ، وكتب عنه على بن المدينى وقال أبو الفتح الأزدى : منكر الحديث غير مرضى ، ولا عبرة بقول الأزدى لأنه هو ضعيف فكيف يعتمد على تضعيف الثقات .

وأرى بعد هذا النقد والاجابة عليه : أن كتاب الجامع الصحيح للإمام البخارى هو أول الكتب الستة فى الصحة ، ولا يغض من قيمته مثل هذا النقد ، فقد وردت الاحاديث المنتقدة من طرق أخرى ، وقد تبين عن الاجابة عليها ، وعلى الرجال المنتقدين أن الامام البخارى كان شديد التحرى مبالغ الحيلة ، فى روايته .

الامام العيني

هو الامام المحدث العلامة بدر الدين أبو محمود بن أحمد الحلبي الأصل ، نسب إلى بلدة عين تاب على ثلاث مراحل من حلب ، القاهري الدار والوفاة .

ولد في السابع عشر من شهر رمضان سنة ٧٦٢هـ ونشأ وتفقه على يد والده وغيره من شيوخ العلم .

وقد سافر إلى القاهرة ونشأ بها ، وتلقى العلم على أكابر شيوخها ومن شيوخ العيني : الحافظ زين الدين عبدالرحيم العراقي وسراج الدين البلقيني .

وكان بين العيني والحافظ ابن حجر منافسة كالتى تكون بين الأقران والمتعاصرين منافسة شريفة نقية ، وكان الحافظ ابن حجر أصغر من العيني باثنتى عشرة سنة وسمع منه بعض الأحاديث . وأخذ العلم عن العيني . كذلك الامام كمال الدين بن الهمام والسخاوى .

وكان عالما بالحديث وفقهه ، ملما بأحاديث الأحكام ، عالما بعلل أسانيدها ومتونها .

تولى العيني « الحسبة » بالقاهرة ، كما تولى مشيخة نظر الأعباس وهى وظيفة تعادل وزارة الأوقاف اليوم . ودرس الحديث بالمؤيدية ، وفى آخر عام تقلد فيه تدريس الحديث بالمؤيدية كادت تسقط مثذنة الجامع المؤيدى ، فهدمت وبنيت من جديد فقال الحافظ بن حجر .

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزین

تقول وقد مالت عليهم تمهلوا فليس على حسننى أضر من العين

فتحدث الناس أن ابن حجر قصد التورية بالعين التى تصيب الأشياء فتتلفها و« بالشيخ العيني » فقال العيني معارضا :

منارة كمروس الحس إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر

قالوا : أصيبت بعين قلت ذاغلط مآفة الهدم إلا خسة الحجر

وهى فكاهة أدبية بين هذين الامامين المحدثين الأديبين رضى الله عنهما وجزاها خيرا على ما قدماه من جهود تذكر فتشكر لخدمة السنة المطهرة . وفى عهد السلطان الأشرف كانت للعيني مكانته ، فقد عرف له فضله وقال عنه السلطان الأشرف :

« لولا العيني لكان فى إسلامنا شىء » وولاه قضاء القضاة فباشر القضاء والحسبة ونظر الاحباس .

ولما تقلد الأمر سلطان آخر وأذى بعض العلماء ، أعفى العيني من مناصبه ، فانتقل إلى مدرسة قريبة من الأزهر ووقف كتبه لطلاب العلم ، ونقلت كتبه إلى دار الكتب المصرية وتوفى العيني سنة ٨٨٥هـ وكان عمره ثلاثة وتسعين عاما وصلى عليه المسلمون بالجامع الأزهر ودفن بمدرسته .

● عمدة القارىء

وللعيني مؤلفات كثيرة أهمها وأعظمها فى مجال السنة النبوية « عمدة القارى » شرح الجامع الصحيح للإمام البخارى وهو من أعظم وأهم الشروح لصحيح البخارى .

عنى الامام العيني فى كتابه القيم « عمدة القارى » بما يستنبط من الأحاديث من الأحكام الفقهية ، والآداب ، وبيان النواحي اللغوية والأعرابية ووجوه المعانى والبيان .

ويقوم منهج العيني فى شرحه على تخريج الحديث وذكر من خرجه من أصحاب الكتب المشهورة ، وعند شرح الأحاديث المكررة ينص على سياق الحديث بأكمله ، ولا يميل على المواضع الأخرى .

وقد سار فى شرحه على طريقة السؤال والجواب ، وهى طريقة حسنة ومجدية .

وابتداً فى كتابه هذا سنة ٨٢١هـ وانتهى منه سنة ٨٤٧ ، وهذا مطبوع فى استانبول ومصر .

« الإمام السيوطي »

● نسبه ومولده

هو عبدالرحمن بن أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناصر الدين محمد بن يوسف الدين خضر بن نجم الدين بن أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الخضيرى الاسيوطى .

ولقب بجلال الدين ، وكنى بأبى الفضل ، وأما جده الأعلى وهو همام الدين فكان من أهل الحقيقة ، ومن مشايخ الطرق . وأما من دون هذا الجد ، فقد كانوا أهل وجاهة ورياسة ، وليس من بينهم من عرف بخدمة العلم خدمة عظيمة إلا والده .

وأما نسبته بالخضيرى ، فقد تحدث هو عنها فى ترجمته لنفسه ، إذ يقول : « وأما نسبتنا بالخضيرى فلا أعلم ماتكون إليه هذه النسبة الا الخضيرية محلة بغداد وقد حدثنى من أثق به أنه سمع والدى رحمه الله تعالى يذكر أن جده الأعلى كان أعجميا أو من الشرق ، فالظاهر أن النسبة إلى المحلة المذكورة »^(١) .

واشتغل والده ببلدة أسيوط ، وتولى بها القضاء ، ثم قدم القاهرة ، فلازم العلامة القاياتى وأخذ عنه الكثير من الفقه والأصول والنحو والأعراب والمعانى والمنطق وأجازه بالتدريس فى سنة ٨٢٩ تسع وعشرين وثمانمائة - كما قال الجلال - كما أخذ عن الحافظ ابن حجر العسقلانى علم بالحديث وسمع عليه صحيح مسلم ، ولم تقف حال أبيه عند قضاء اسيوط وإجازة القاياتى أباه بالتدريس ، بل إنه أفتى ودرس سنين كثيرة ، وناب فى الحكم بالقاهرة عن جماعة وولى درس الفقه بالجامع الشيوخونى ، وخطب بالجامع الطولونى ، وأم بالخليفة المتكفى بالله ، وكان يحمله إلى الغاية ، ويعظمه ، ولم يكن يتردد إلى أحد من الأكابر غيره ، وعين لقضاء مكة فلم يتفق له ، وتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة .

ولد جلال الدين السيوطى بعد مغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، أى قبل وفاة أبيه بست سنين .

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ١٠٤ .

قال السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة » : وكان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، وحملت في حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسى فذك على : أى : يباركه ، فإن التبرك بأهل الصلاح والخير مستحب ، ففيها رواه الامام مسلم رحمه الله بسنده عن عائشة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم . . . إلخ الحديث ، أى كان يدعو لهم ويمسح عليهم ، وأصل البركة ثبوت الخير وكثرته . قال الامام النووى رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث :

فيه استحباب تحنيك المولود ، وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل . وهكذا استقبل بيت العلم والورع والفضل العلامة الحافظ جلال الدين الذى كان بهجة لوالده وقرة عين له .

● نشأته

نشأ جلال الدين السيوطى نشأة علمية منذ نعومة أظفاره ، فقد كان والده أحرص ما يكون على أن يوجهه وجهة شديدة صالحة فكان يحفظه القرآن الكريم في صغره ، ويصحبه معه في مختلف مجالسه العلمية والقضائية .

وقد طلب والده من الحافظ ابن حجر العسقلانى أن يدعو له بالبركة والتوفيق ، وكان السيوطى يرى في ابن حجر مثله الأعلى حتى أنه لما شرب من ماء زمزم كان ينوى ويدعو الله أن يجعله مثل ابن حجر حتى صار من أبرز العلماء ، ومن أكبر الحفاظ .

ومات والده وله من العمر حوالى خمس سنوات وسبعة أشهر ، ولكن الله تعالى قد كلاًه بعنايته ، وأحاطه برعايته ، فقد قيض الله تعالى له العلامة كمال الدين بن الهمام الحنفى صاحب « فتح القدير » فكان يرعاه ويتابعه في تحفيظ القرآن الكريم ، وكانت مخايل الذكاء فيه ظاهرة ، وقد منحه الله تعالى حافظه قوية ، وقريحة سيالة تحفظ وتستظهر بصورة فذة ، ولا غرابة في هذا فقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان سنين ، ثم حفظ العمدة والمنهاج الفقهى ، المنهاج الأصولى ، وألفية ابن مالك .

وابتدأ الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤هـ : فأخذ الفقه عن الشيخ سراج الدين البلقينى وقد لازمه إلى أن توفى ، فلازم من بعده ولده علم الدين الذى توفى سنة ٨٦٨هـ ، وقد سمع منه الكثير مثل الحاوى الصغير ، والمنهاج ، وشرح المنهاج والروضة . وأخذ الفرائض عن الشيخ شهاب الدين الشارماحى ولزم الشرف المناوى أبا زكريا يحيى بن محمد جد عبدالرؤوف شارح الجامع الصغير وتوفى الشرف سنة ٨٧١هـ .

ولزم في العلوم العربية والحديث تقى الدين الشمنى الحنفى المتوفى سنة ٨٧٢هـ . ثم لازم الشيخ محبى الدين محمد بن سليمان الرومى الحنفى أربع عشرة سنة ، فأخذ عنه التفسير والأصول العربية وعلوم المعانى .

وأخذ عن جلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤هـ ، وعن المعز الكنانى أحمد بن إبراهيم الحنبلى .

وقرأ صحيح مسلم والشافى وألفية ابن مالك والتسهيل والتوضيح على الشمس السيرامى . ولم يدع السيوطى فرعاً من فروع المعرفة ولا نوعاً من أنواع العلم إلا وأدلى منه بدلوه ، واتجه ينهل منه كالفرائض والحساب ، كما أخذ عن المجد بن السباع وعبدالعزیز الوقائى الميقات وأخذ الطب عن محمد بن إبراهيم الدوانى الرومى .

هذا والمتتبع لنشأة السيوطى يجد أنه قد أخذ الكثير من العلوم عن الكثير من الشيوخ ، فلم يقتصر فى علمه ودراسته وتعلمه على علوم الدين واللغة ، كما لم يقتصر فى الشيوخ على علماء مصر ، بل إنه رحل فى طلب العلم ورواية الحديث إلى المغرب واليمن والهند والشام والحجاز والمحلة ودمياط والفيوم من المدن المصرية ، وغير ذلك من الأقطار الإسلامية ، وقد حج وشرب من ماء زمزم رجاء أن يصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ البلقينى ، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر . وهكذا طوف هذا الإمام الجليل ، ورحل الترحلات الكثيرة وركب المركب الصعب من أجل تحصيل العلم ، ولذا كثر شيوخه الذين أخذ عنهم وروى عنهم وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى الطبقات أن شيوخه قد وصلوا نحو ستائة ، وقد قسمهم إلى طبقات .

الطبقة الأولى : من يروى عن أصحاب الفخر ابن البخارى والشرف الديماطى ووزيره والحجار وسليمان بن حمزة .

الطبقة الثانية : من يروى عن السراج البلقينى والحافظ ابن الفضل العراقى .

الطبقة الثالثة : من يروى عن الشرف بن الكويك ونحوه .

الطبقة الرابعة : من يروى عن أبى زرعة بن الزين العراقى وابن الجزيرى ونحوهما^(١)

وقد تحدث السيوطى عن هذه المرحلة فى كتابه : « حسن المحاضرة » فقال : « ونشأت يتيماً فحفظت القرآن ولى دون ثمان سنين ، ثم حفظت العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك ، وشرعت فى الاشتغال بالعلم من مستهل سنة أربع وستين فأخذت الفقه والنحو عن جماعة

(١) طبقات الشعرانى وإمام السيوطى للدكتور على صافى حسين .

من الشيوخ وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشارمساحى الذى كان يقال أنه بلغ السن العالية وجاوز المائة بكثير « أ. هـ » ٥

وإلى جوار ماسبق من شيوخه الكثيرين الذين أخذ منهم وروى عنهم ، وبالإضافة إلى رحلاته الواسعة التى قام بها ، فإنه يضاف إلى هذا وبإك انتفاعه بمكتبة المدرسة المحمودية ، التى كان مقرها بقصبة رضوان مكان الجامع المعروف باسم « جامع الكردى » فى أول الخيمية من ناحية باب زويلة .

وقال المقرئى : وبهذه الخزانة كتب الإسلام من كل فن ، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر ، وتنسب إلى محمود بن الاستادار الذى أنشأها سنة ٧٩٧ هـ وقال عنها الحافظ ابن حجر فى « أنباء القمر » :

إن الكتب التى بها وهى كثيرة جدا من أنفس الكتب الموجودة الآن بالقاهرة ، وهى من جمع البرهان ابن جماعة ، واشتراها محمود الاستادار من تركته بعد موته ووقفها . . وقد كانت هذه الخزانة فى أمانة الحافظ بن حجر ، وبها نحو من أربعة آلاف مجلد . وقد عمل لها ابن حجر فهرستا ، وللسيوطى فيها رسالة تسمى « بذل المجهود فى خزانة محمود » .

وقد نضجت شخصية السيوطى ، واكتملت ملامح تكوينه العلمى ، حتى تمت لديه أدوات الاجتهاد ، وحصل علومه وكان سريع البديهة ، قوى الحافظة ، منحه الله تعالى عقلا علميا خصبا ، وذكاء حادا ، وإلى جانب هذه الخصائص فقد كان عابدا زاهدا متواضعا لا يقبل جوائز الملوك ، وقد أهدى له السلطان الغورى خصيا وألف دينار ، فرد الألف وأخذ الخصى فأعتقه ، وجعله خادما فى الحجرة النبوية ، وقال لقاصد السلطان : لاتعد فتأتينا بهدية قط فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك ^(١) .

● حياته العلمية

وقد ذكرت مصادر عديدة مثل : « شذرات الذهب » لابن العماد الحنبلى وغيرها أن السيوطى أجز بالتدريس فى مستهل سنة ست وستين وثمانائة ، وذلك بتدريس العربية فى سن مبكرة ، وعمره سبعة عشر عاما . أما بالنسبة لتدريس الفقه واملاء الحديث ، فقد كان ذلك سنة اثنين وسبعين وثمانائة ^(٢)

(١) مقدمة تدريب الراوى بتحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف .

(٢) الطبقات للشعرانى والضوء اللامع للسخاوى .

وأجيز بالتدريس والافتاء سنة ست وسبعين ، وسنه سبعة وعشرون عاما أجاز بهما ابن شيخ الإسلام البلقيني وحضر نصديره ، وشرع في التأليف والتصنيف في سنة ست وستين وأول شيء ألفه رسالة في شرح الاستعاذة والبسملة ، ورآها شيخ الإسلام البلقيني فاستحسنها وكتب عليها تقریظاً^(١) .

وعرف بشجاعته الأدبية ، وقوته في إقامة أحكام الشريعة الإسلامية وتطبيقها دون أن يجامل أحدا ، فلم يخش في الحق لومة لائم ، فقد تصدى للافتاء وشئون القضاء ، فحرص على إقامة الحدود ، وتطبيق الأحكام الدينية ، مهما كلفه ذلك ، ولم يكتثر بغضب الأمراء أو السلاطين ، بل كان إذا رأى قاضيا ماتأول في حكم أرضاء لأمر ، أو زلفى لسلطان قاوم مثل ذلك وأعلن إنكاره ومعارضته ، وبين خطأه ، وقد ذكر في مقامته « الاستنصار بالواحد القهار » أنه قاسى كثيرا من جراء الفتوى . وقد استهل السيوطى مشغلا بالتدريس والافتاء إلى أن بلغ من العمر أربعين سنة ، فاعتذر بعد ذلك وترك التدريس والافتاء ، وتفرغ للعبادة والتأليف ، وألف رسالة تسمى « التنفيس في الاعتذار من ترك الافتاء والتدريس » ومؤلفات السيوطى تزيد على الخمسمائة ، وهذه المؤلفات الكثيرة تدل على رسوخ قدمه في العلم ، وتبحره في سائر فنونه ، يقول السيوطى « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولى ولا بقوتى ، فلا حول ولا قوة إلا بالله » .

● مؤلفات السيوطى : ومنهجه

ولقد فطر الله تعالى إمامنا السيوطى على حب القرآن الكريم ، ووفقه إلى حفظه منذ الصغر ، فقد ابتداء فجر حياته التعليمية بكتاب الله حفظا ودراسة ، كما ابتداء حياته العلمية وحياة التأليف بالقرآن كذلك ، فكان أول شيء قام بتأليفه هو كتابه الذى كتبه في تفسير الاستعاذة والبسملة وقد عرضه على شيخ الإسلام علم الدين صالح البلقينى فأقر تأليفه وامتدحه . ثم توالى تأليفه بعد ذلك . . وقد رزقه الله تعالى عقلية خصبة ، وفكرا معطاء ، مما جعله يتبحر في كثير من العلوم والمعارف ، وقد كان علم التفسير من العلوم التى تبهر فيها السيوطى : قال : ورزقت التبهر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدیع على طريقة العرب والبلغاء لاعلى طريقة العجم وأهل الفلسفة . والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنحو التى اطلعت عليها فيما لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياء فضلًا عما هو دونهم وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه بل شيخى فيه أوسع نظرا وأطول باعا ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ودونها الانشاء والترسل والفرائض ودونها القراءات ولم أخذها عن شيخ . .^(٢) هـ .

(١) مقدمة الجامع الصغير بتحقيق الشيخ محيى الدين عبد الحميد .

(٢) حسن المحاضرة ١٤١ -

وقد ألف السيوطى فى التفسير وعلوم القرآن كتباً كثيرة وهى :

- ١- الاتقان فى علوم القرآن .
- ٢- الدر المنثور فى التفسير المأثور .
- ٣- ترجمان القرآن فى التفسير .
- ٤- أسرار التنزيل ، ويسمى قطف الأزهار فى كشف الأسرار .
- ٥- لباب النقول فى أسباب النزول .
- ٦- مفحمت الأقران فى مبهمات القرآن .
- ٧- المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب .
- ٨- الاكلیل فى استنباط التنزيل .
- ٩- تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلى .
- ١٠- التبحر فى علوم التفسير .
- ١١- حاشية على تفسير البيضاوى .
- ١٢- تناسق الدرر فى تناسب السور .
- ١٣- مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع .
- ١٤- مفاتيح الغيب فى التفسير .
- ١٥- مجمع البحرين ومطلع البدرين فى التفسير .
- ١٦- الأزهار الفاتحة على الفاتحة .
- ١٧- شرح الاستعاذة والبسملة .
- ١٨- الكلام على أول الفتح ، وهو تصدير ألقاه السيوطى عندما باشر التدريس بجامعة شيخون بحضرة شيخه البلقينى .
- ١٩- شرح الشاطبية .
- ٢٠- الألفية فى القراءات العشر .
- ٢١- خمائل الزهر فى فضائل السور .
- ٢٢- فتح الجليل للعبد الذليل فى الأنواع المستخرجة من قوله تعالى : « الله وَلِىِّ الَّذِينَ آمَنُوا » الآية وعدتها مائة وعشرون نوعاً .
- ٢٣- القول الفصيح فى تعيين الذبيح .
- ٢٤- اليد البسطى فى الصلاة الوسطى .
- ٢٥- معترك الأقران فى مشترك القرآن .

وإذا كان الناس بالنسبة لجواز تفسير القرآن لكل أحد أو عدم جواز ذلك ، قد اختلفوا فمنهم من قال بعدم جواز التفسير لأى أحد وإن كان عالما واسع المعرفة والأدلة وعارفا بالأحكام والأخبار فليس له إلا أن ينتهى إلى ما روى عن النبى ﷺ فى ذلك .

ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعاً للعلوم التى يحتاج إليها ، فقد بين الامام السيوطى هذه العلوم التى يحتاج إليها المفسر ، وهى خمسة عشر علماً .

الأول : اللغة ، لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، قال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب ، وتقدم قول الامام مالك فى ذلك ، ولا يكفى فى حقه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركاً ، وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

الثانى : النحو ، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب فلا بد من اعتباره ، أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال : حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعى بوجهها فيهلك منها .

الثالث : التصريف ، لأن به تعرف الأبنية والصيغ ، قال ابن فارس : ومن فاته علمه فاته المعظم لأنه إن وجد مثلاً كلمة مبهمة فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها . وقال الزخشرى : من بدع التفاسير قول من قال ان الامام فى قوله تعالى : « يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ اُنَاسٍ بِاِمَامِهِمْ » جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم قال : وهكذا غلط أوجهه جهله بالتصريف فإن أما لا تجمع على إمام .

الرابع : الاشتقاق ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمرسح هل هو من السياحة أو المسح .

الخامس : عام المعانى .

السادس : علم البيان .

والسابع : علم البديع .

وهذه علوم البلاغة ، فيعرف بالمعانى خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى ويعرف بالبيان خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الأدلة وخفائها ، ويعرف بالثالث وجوه تحسين الكلام . وهذه العلوم من أعظم أركان المفسر لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك بهذه العلوم .

وقال السكاكي : اعلم أن شأن الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن ، تدرك ولا يمكن وصفها ، كالملاحة ، ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة إلا التمرن على علمى البيان والمعانى .

الثامن : علم القراءات ، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

التاسع : أصول الدين بما فى القرآن من الآية الدالة بظاهرها على مالا يجوز على الله تعالى فالأصولى يؤول ذلك ويستدل على مايستحيل ومايجب ومايجوز .

العاشر : أصول الفقه ، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط .
الحادى عشر : أسباب النزول والقصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ماأنزلت فيه .

الثانى عشر : الناسخ والمنسوخ ، ليعلم المحكم من غيره .

الثالث عشر : الفقه .

الرابع عشر : الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

الخامس عشر : علم الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، وإليه الإشارة بحديث : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ^(١) . هـ .

وإلى هذا النوع من العلم الإشارة بقول الله تعالى : « وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا اللَّهَ » ^(٢) وقد قال السيوطى - بعد أن بين علم الموهبة : « ولعلك تستشكل علم الموهبة ، وتقول : هذا شىء ليس فى درة الإنسان ، وليس الأمر كما ظننت من الاشكال والطريق فى تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد ، قال فى البرهان : أعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحي ولا يظهر له أسرارها ، وفى قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا ، أو وهو مصر على ذنب ، أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق ، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض قلت : وفى هذا المعنى قوله تعالى : « سَأَصْرِفُ ^(٣) عَنْ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^(٤) » .

(١) الاتقان ٢ / ١٨٠ .

(٢) الآية ٢٨٢ سورة البقرة .

(٣) الآية ١٤٦ من الأعراف .

(٤) الاتقان ٢ / ١٨١ .

وحول دراستنا هذه عن الامام السيوطي ، سنتناول بعون الله تعالى وتوفيقه دراسة بعض كتبه في هذا الشأن :

- * ففى مجال علوم القرآن سنقدم دراسة عن كتابه النفيس : « الاتقان فى علوم القرآن » .
- * وفى مجال أسباب النزول سنقدم دراسة عن كتابه القيم : « لباب النقول فى أسباب النزول » وهم ينم عن مكانته الكبرى فى الحديث .
- * وفى مجال التفسير وماقدمه من خدمة جليلة لكتاب الله تعالى سنتناول دراسة كتابين من كتبه ، كل واحد من هذين الكتابين يمثل اتجاها معينا فى التفسير :
- الكتاب الأول : « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » وهذا الكتاب يمثل اتجاها من اتجاهات التفسير ، وهو التفسير بالمأثور . وهو قائم على أساس تضلعه فى الحديث .
- والكتاب الثانى : « تفسير الجلالين » وهو يمثل اتجاها التفسير بالرأى .
- وفى مجال الحديث وعلومه : « جمع الجوامع » و« تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى » .

الاتقان فى علوم القرآن

إن العلوم تشرف بشرف موضوعها ، وترقى منزلتها بدرجة ماتعاجله من معارف ، وماتقدمه من فوائد وثمرات ، وإذا كانت علوم القرآن يدور البحث فيها حول مايتعلق بكتاب الله تعالى ونزول آياته الشريفة ، وأسباب هذا النزول وتاريخه ، ومكانه وما إلى ذلك من الأنواع . فهذا يدل على عظمة هذا العلم وعلى رفعة شأنه ، وعلى أهميته فى معاونته العلماء والباحثين ، فى تفسير آياته ، وبيان مايرشد إليه من العقيدة والعبادة والأخلاق وتلك فوائد من أعظم ماتصبو إليه نفس المسلم .

وقد قدم الامام السيوطي لكتابه : « الاتقان » بمقدمة بين فيها الداعى إلى تأليف هذا الكتاب ؟

حيث ذكر فى مقدمة الاتقان تشوقه وتطلعه إلى أهمية علوم القرآن والحاجة إلى التأليف فى هذا المضمار ، كما دون العلماء وكتبوا فى علم الحديث ، فقال :

ولقد كنت فى زمن الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابا من أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ، فسمعت شيخنا أستاذ الاستاذين ، وانسان عين الناظرين ، خلاصة الوجود علامة الزمان فخر العصر وعين الأوان أباعبدالله محبى الدين الكافيجى - مد الله فى أجله وأسبغ عليه ظله ، يقول: قد دونت فى علوم التفسير كتابا لم أسبق إليه فكتبته عنه فإذا هو صغير الحجم جدا ، وحاصل ما فيه بابان :

الأول : في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية .

والثاني : في شروط القول فيه بالرأى وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم فلم يشف لي ذلك غليلا ولم يهدني إلى المقصود سبيلا . . ثم ذكر مأوقفه الشيخ علم الدين البلقيني من كتاب لأخيه جلال الدين سماء مواقع العلوم من مواقع النجوم ومقاله في خطبة هذا الكتاب : « قد اشتهرت عن الامام الشافعي رضى الله عنه مخاطبة لعلماء بنى العباس فيما ذكر بعض أنواع القرآن كما وضع السيوطي أن علم التفسير لم يدونه أحد لافي القديم ولا في الحديث حتى جاء .

» شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني فعمل فيه كتابه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » فنقحه وهذبه وقسم أنواعه ورتبه ولم يسبق إلى هذه المرتبة ، فإنه جعله نيفا وخمسين نوعا منقسمة إلى ستة أقسام ، وتكلم في كل نوع منها بالمتين من الكلام لكن كما قال الامام أبوالسعادات ان الأثير في مقدمة نهايته : كل مبتدئ بشيء لم يسبق إليه ، ومبتدع أمر لم يتقدم فيه عليه ، فإنه يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر . .

ثم أشاد الامام السيوطي بجهود من سبقه في هذا الشأن وخاصة الشيخ الزركشى . . قال : ثم خطر لي بعد ذلك أن أولف كتابا مبسوطا ومجموعا ومضبوطا أسلك فيه طريق الإحصاء ، وأمشى فيه على منهاج الاستقصاء ، هذا كله وأنا أظن أنى متفرد بذلك غير مسبق بالخوض في هذه المسالك فبينما أنا أجيل في ذلك فكرى أقدم رجلا وأؤخر أخرى ، إذ بلغنى أن الشيخ الامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشى أحد متأخري أصحابنا الشافعيين ألف كتابا في ذلك حافلا يسمى « البرهان في علوم القرآن » فتطلبت حتى وقفت عليه . .

ولما وقف على هذا الكتاب ازداد سرورا وفرحا ، وحمد الله وقويت عزمته في تصنيف ماأراد ، فوضع كتابه النفيس « الاتقان » ورتب الامام السيوطي كتابه هذا ترتيبا أنسب من ترتيب البرهان ، فأدمج هذا الفن ما يحتاج إلى ادماج ، وفصل ما يحتاج إلى تفصيل وزيادة بيان .

والحقيقة : أن كل نوع من الأنواع التي تناولها السيوطي بالدراسة في كتابه يمكن أن تفرد بالتأليف .

وكان هدفه من وراء تأليف هذا الكتاب ، أن يجعله مقدمة للتفسير الكبير الذي كان قد شرع في تأليفه وسماه : « مجمع البحرين ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية ، وتقدير الدراية » وقد ذكر السيوطي في مقدمة الاتقان ، ما شتمل عليه هذا الكتاب من علوم القرآن وهي :

النوع الاول : معرفة المكى والمدنى . الثاني : معرفة الحضرى والسفرى . الثالث : النهارى والليلى . الرابع : الصيفى والشتائى . الخامس : الفراشى والنومى . السادس : الارضى والسماوى . السابع : أول مانزل . الثامن : آخر مانزل . التاسع : أسباب النزول .

العاشر : منازل على لسان بعض الصحابة . الحادى عشر : ماتكرر نزوله . الثانى عشر : ماتأخر حكمه عن نزوله وماتأخر نزوله عن حكمه . الثالث عشر : معرفة منازل مفردا ومنازل جمعا . الرابع عشر : منازل مشيعا ومنازل مفردا . الخامس عشر : ماأنزل منه على بعض الانبياء ومالم ينزل منه على أحد قبل النبى ﷺ . السادس عشر : فى كيفية انزاله . السابع عشر : فى معرفة أسمائه وأسماء سوره . الثامن عشر : فى جمعه وترتيبه . التاسع عشر : فى عدد سوره وآياته وكمياته وحروفه . العشرون : فى حفاظه ورواته . الحادى والعشرون : فى العالى والنازل . الثانى والعشرون : معرفة المتواتر . الثالث والعشرون : فى المشهور . الرابع والعشرون : فى الأحاد . الخامس والعشرون : المدرج . السادس والعشرون : فى معرفة الوقف والابتداء . السابع والعشرون : فى بيان الموصول لفظا المقصول معنى . الثامن والعشرون : فى الإمالة والفتح وما بينهما . التاسع والعشرون : فى الادغام والاظهار والاختفاء والاقلاب . الثلاثون : فى المد والقصر . الحادى والثلاثون : فى تخفيف الهمزة . الثانى والثلاثون : فى كيفية تحمله . الثالث والثلاثون : فى آداب تلاوته . الرابع والثلاثون : فى معرفة غريبه . الخامس والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز . السادس والثلاثون : فيما وقع فيه بغير لغة العرب . السابع والثلاثون : فى معرفة الوجوه والنظائر . الثامن والثلاثون : فى معرفة معانى الأدوات التى يحتاج إليها المفسر . التاسع والثلاثون : فى معرفة إعرابه . الأربعون : فى قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها . الحادى والأربعون : فى المحكم والمتشابه . الثانى والأربعون : فى مقدمه ومؤخره . الثالث والأربعون : فى خاصه وعامه . الرابع والأربعون : فى جملة ومبينه . الخامس والأربعون : فى ناسخه ومنسوخه . السادس والأربعون : فى مشكله وموهم الاختلاف والتناقض . السابع والأربعون : فى مطلقه ومقيد . الثامن والأربعون : فى منطق ومفهومه . التاسع والأربعون : فى وجوه مخاطباته . الخمسون : فى حقيقته ومجازه فى كنياته وتعريضه . الحادى والخمسون : فى الحصر والاختصاص . الثانى والخمسون : فى الإيجاز والاطناب . الثالث والخمسون : فى الخبر والانشاء . الرابع والخمسون : فى بدائع القرآن . الخامس والخمسون : فى فواصل الآى . السادس والخمسون : فى فواتح السور . السابع والخمسون : فى خواتم السور . الثامن والخمسون : فى مناسبة الآيات والسور . التاسع والخمسون : فى الآيات المشتبهات . الستون : فى إعجاز القرآن . الحادى والستون : فى العلوم المستنبطة من القرآن . الثانى والستون : فى أمثاله . الثالث والستون : فى أقسامه . الرابع والستون : فى جدله . الخامس والستون : فى الأسماء والكنى والألقاب . الثامن والستون : فى فضائل القرآن . التاسع والستون : فى أفضل القرآن وفاضله . السبعون : فى مفردات القرآن . الحادى والسبعون : فى خواصه . الثانى والسبعون : فى رسم الخط وآداب كتابته . الثالث والسبعون : فى معرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحجة إليه . الرابع والسبعون : فى شروط المفسر وآدابه . الخامس والسبعون : فى غرائب التفسير . السادس والسبعون : فى طبقات المفسرين .

وقد بين أن هذه الانواع إنما ذكرها على سبيل الادماج ، ولو أنها نوعت وفصلت لزادت على الثلاثة .

ومن الملاحظ أن الامام السيوطي ، قد وصف ودون في هذا الكتاب ما لم يسبق إليه ، نعم كانت هناك مصنفات في هذا العلم قبله إلا أنها كانت نبذا وشذرات ، ومختصرات وعجالات وكانت المؤلفات من قبله عبارة عن تصنيف مفرد لنوع منها أو لبعضها . وقد ذكر في مقدمة كتابه « الاتقان » الكتب التي زجع إليها ، والمراجع التي اعتمد عليها ، ما بين كتب التفسير والحديث والقراءات واللغات ، والأحكام وتعلقاتها ، وكتب في الاعجاز وفنون البلاغة ، وغير ذلك من أنواع العلوم .

وقد أبدع الإمام السيوطي في كتابه هذا ، حيث فصل ما أجمله المصنفون في هذا العلم قبله ، وأتى بأمور جديدة في هذا الشأن سكت عنها السابقون ، فجاء الكتاب حافلا بهادة علمية خصبة ، تدل على ما أوتي مؤلفه من فكر ثاقب ، وحافظة قوية ، وبصيرة نافذة ، ألهمه الله تعالى إياها . فهو يعتبر أول كتاب متكامل في هذا الشأن ، ولئن كان قبله كتب في هذا المضمار إلا أنها كانت بحوثا متفرقة .

كما يعتبر الكتاب المذكور خلاصة كتب كثيرة ، وعصارة معلومات حصلها السيوطي ممن سبقه ومن عاصره ، ومن شتى أنواع الكتب والعلوم حتى جاء في ثوبه المتكامل وقد قال في آخر كتابه :

« . . . محضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمارها وزهرها وغصت بحار فنون القرآن ، فاستخرجت جواهرها ودررها وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها وسبكت فقرها ، فقد تحصل فيه من البدائع ماتبت^(١) عنده الأعناق بتا وتجمع في كل نوع منه ماتفرق في مؤلفات شتى ، على أني لأبيعه بشرط البراءة من كل عيب ، ولا أدعى أنه جمع سلامة كيف ، والبشر محل النقض بلا ريب . هذا وإني في زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد ، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ماكان يعرف طيب عرف العود

إلى أن قال : وأنا أضرع إلى الله جل جلاله وعز سلطانه كما من باتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله وأن يجعلنا من السابقين الأولين من أتباع رسوله^(٢) .

(١) تبت : أي نقطع .

(٢) الاتقان ج ٢ ص ٢٠٦ .

فى أسباب نزول القرآن الكريم **كتاب** **« لباب النقول فى أسباب النزول »**

معرفة أسباب النزول كتب فيها السيوطى كتابة مركزة ضمن الأنواع التى تعرض لها فى كتابه « الاتقان » فذكرها تحت النوع التاسع ، ووضح أن جماعة قد أفردوها بالتصنيف أقدمهم على بن المدينى شيخ البخارى ، ومن أشهر ماكتب : كتاب الواحدى ، وقد اختصره الجعبرى فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئا ، وألف فيه أبو الفضل بن حجر كتابا ولكنه كما قال السيوطى مات عنه وهو مسودة . .

ثم جاء السيوطى فألف كتابه الحافل الموجز « لباب النقول فى أسباب النزول » ، وهو كتاب لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، وإن كان كتاب الواحدى يعتبر أشهر كتاب فى هذا الفن إلا أن كتاب السيوطى يتميز عليه بأمر :

أحدها : الاختصار .

ثانيها : الجمع الكثير فقد اشتمل على زيادات كثيرة على ما ذكره الواحدى وميزها حين رمز إليها بالرمز (ك) .

وثالثها : أن السيوطى عزا كل حديث إلى من أخرجه من أصحاب الكتب المعتمدة كالكتب الستة ، والمستدرک ، وصحيح ابن حبان ، وسنن البيهقى ، والدارقطنى ، ومسند أحمد ، والبزار ، وأبى يعلى ، ومعاجم الطبرانى ، وتفاسير ابن جرير ، وابن حاتم وابن مردويه ، وأبى الشيخ ، وابن حبان ، والفريابى وعبدالرزاق ، وابن المنذر ، وغيرهم .

وأما الواحدى فإنه تارة يورد الحديث باسناده وتارة يورده مقطوعا فلا يعلم إن كان له اسناد أم لا .

رابعها : تمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود .

خامسها : الجمع بين الروايات المتعددة .

سادسها : تنحية ما ليس من أسباب النزول ^(١) .

(١) لباب النقول بتصرف .

وقد ابتدأ كتابه هذا بمقدمة موجزة ، بين فيها أهمية أسباب النزول ، وفوائد هذا العلم حيث قال : « ومن فوائده الوقوف على المعنى أو إزالة الاشكال ، قال الواحدي : لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها ، وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى فى أهم معانى القرآن ، وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب .

ثم نبه - قبل الشروع فى موضوعه - على أمور ذكرها بقوله .

الأول : ماجعلناه من قبيل المسند من الصحابى إذا وقع من تابعى فهو مرفوع أيضا لكنه مرسل ، فقد يقبل إذا صح السند إليه ، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة : كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك .

الثانى : كثيرا ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسبابا متعددة وطريق الاعتداد فى ذلك أن تنظر إلى العبارة الواقعة فإن عبر أحدهم بقوله : نزلت فى كذا ، والآخر نزلت فى كذا وذكر أمرا آخر ، فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول ، فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما كما بينته فى كتابى « الاتقان » . وحينئذ فحق مثل هذا أن لا يورد فى تصانيف أسباب النزول وإنما يذكر فى تصانيف أحكام القرآن . . »^(١)

ولنضرب أمثلة متنوعة لما أورده فى كتابه هذا :

* فمن ذلك مانبه عليه السيوطى بأنه إن ذكر واحد سببا للآية وذكر آخر سببا غيره ، فقد تكون نزلت عقب تلك الأسباب وذلك كما فى آية اللعان : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) الآية .

أخرج البخارى من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبى ﷺ ، فقال له النبى ﷺ البينة أو حد فى ظهرك ، فقال : يارسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبى ﷺ يقول : البينة أو حد فى ظهرك ، فقال هلال : والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله مايرىء ظهرى من الحد ، فنزل جبريل فأنزل الله عليه :

« وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ . . » فقرا حتى بلغ . . . إن كان من الصادقين . ثم ذكر سببا آخر رواه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلى عاصم بن عدى فقال : اسأل نى رسول الله ﷺ ، أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله أيقتل به أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم

(١) لباب النقول للسيوطى ص ٥٠

رسول الله ﷺ ، فعاب رسول الله ﷺ السائل ، فلقبه عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال : ما صنعت إنك لم تأتني بخبر سألت رسول الله ﷺ فعاب السائل ، فقال عويمر : فوالله لآتين رسول الله ﷺ فلا سأله ، فسأله فقال : إنه أنزل فيك وفي صاحبك الحديث . قال الحافظ ابن حجر : اختلف الأئمة في هذه المواضع ، فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال ، ومنهم من جمع بينها بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنها معا ، وإلى هذا جنح النووي وتبعه الخطيب ، فقال : لعلهما اتفقا لهما ذلك في وقت واحد . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال ، فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال ، أعلمه النبي ﷺ بالحكم ، ولهذا قال في قصة هلال ، فنزل جبريل ، وفي قصة عويمر : قد أنزل الله فيك فيؤول قوله قد أنزل الله فيك : أى فيمن وقع له مثل ما وقع لك . وبهذا أجاب ابن الصباغ في الشامل ، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين^(١) . هـ .

وقد يكون النزول حدث مرتين وذلك كما في آية الروح أخرج البخاري عن ابن مسعود قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو متوكىء على عسيب ، فمر بنفر من قريش ، فقال بعضهم : لو سألتموه ؟ فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ثم قال : الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا . وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود علمونا شيئا نسأل هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح فسألوه ، فأنزل الله « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي . » قال ابن كثير : يجمع بين الحديثين بتعدد النزول ، وكذا قال الحافظ ابن حجر ، أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك وإلا فما في الصحيح أصح . قلت : ويرجح ما في الصحيح بأن راويه حاضر القصة بخلاف ابن عباس^(٢) . هـ .

هذا وقد تعرض الإمام السيوطي في كتابه « لباب النقول » إلى جميع سور القرآن الكريم مع زيادات كثيرة على ما أورده الواحدى ومع الفرد إلى كتب السنة الصحيحة .

(١) لباب النقول ص ١٥٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤١ .

فى التفسير بالمأثور كتاب « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور »

التفسير بالمأثور : هو توضيح معنى الآية القرآنية بما جاء فى القرآن الكريم ، لأنه قد يكون مجاء مجملا فى موطن فصل فى آخر أو بما جاء فى السنة النبوية الصحيحة ، فإن السنة مبينة وموضحة للقرآن ، ومفصلة لمجمله ، ومقيدة لمطلقه ، ومخصصة لعامه ، وموضحة لأحكامه .

أو بما ورد من أقوال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، وأما ما جاء عن التابعين ، فقد عده بعض العلماء من المأثور ، لأن التابعين قد أخذوه عن الصحابة فى الغالب . وعده البعض من التفسير بالرأى ، لكثرة اختلافهم أكثر من الصحابة أو لأنهم أخذوه عن أهل الكتاب الذين أسلموا^(١) .

وقد أبرز لنا السيوطى الداعى إلى تأليف كتاب الدر المنثور ، إذ يقول فى مقدمته : « فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم وتم بحمد الله فى مجلدات فكان مأوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات رأيت قصور أكثر المهم عن تحصيله ، ورغبتهم فى الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله ، فلخصت منه هذا المختصر مقتصر فيه على متن الأثر مصدرا بالعزو والتخريج إلى كتاب معتبر وسميته الدر المنثور فى التفسير بالمأثور^(٢) أ. هـ .

فالسوطى إذا اختصر كتابه هذا من كتابه « ترجمان القرآن » وحذف أسانيد الروايات خشية السآمة والملل ، وعزا كل رواية إلى أصلها ومرجعها ، ولم يخلط السيوطى بالروايات التى نقلها شيئا من عمل الرأى كما فعل غيره . وإنما قام بجمع الروايات على السلف فى التفسير بدون أن يعقب عليها ، ولا يجرح ولا يعدل ولا يضعف ولا يصحح ، وقد أخذ عن البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وأبى داود ، وأحمد ، وابن أبى حاتم ، وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا وغيرهم ممن تقدمه ودون التفسير .

(١) تاريخ التفسير ومناهج المفسرين للدكتور عبد العظيم الغباشى .

(٢) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ص ٢.

« التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي ح ١ ص ٢٥٤ .

❖ فمنهج السيوطى فى هذا الكتاب : يتلخص فى سرد الروايات عن السلف بدون تعقيب عليها ، فقد كان مولعا بتدوين الروايات دون فحص وتمحيص مما أدى إلى اختلاط الصحيح بغيره ، فقد جمع فيه عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين .

ولكن يؤخذ على السيوطى فى هذا الكتاب : أنه وإن عزا الروايات إلى مصادرهما إلا أنه لم يوضح درجة كل الرواية من حيث الصحة أو الضعف وما إلى ذلك . وفى الكتاب اسرائيليات ولاسيما فى قصص الانبياء ، كما فى قصة هارون وماروت وفى قصة الذبيح وأنه إسحق ، وفى قصة يوسف ، وفى قصة داود ، وسليمان وفى قصة إلياس ^(١) .

فالكتاب فى حاجة إلى تنقية وتمحيص ، وبيان درجة ماجاء فيه من الأحاديث .

(١) الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للدكتور محمد أبوشهبة .

فى التفسير بالرأى كتاب تفسير الجلالين

التفسير بالرأى : هو تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد معرفة المفسر للعلوم التى ينبغى معرفتها لمن يتصدى للتفسير وقد بيّنتها فيما سبق ووضحت ما اشترطه السيوطى للمفسر هذا بالاضافة إلى معرفة المفسر لكلام العرب وفنونه ، والوقوف على أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وغير ذلك ^(١) .

وقد اشترك الإمامان الجليلان جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى فى هذا التفسير وقد اختلف الكتاب فى تعيين القدر الذى فسر كل واحد منهما فى كتاب الله تعالى قال صاحب كشف الظنون : « تفسير الجلالين من أوله إلى آخر سورة الاسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى المتوفى سنة ٨٦٤هـ أربع وستون وثمانمائة ولما مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ إحدى عشرة وتسعمائة . . ثم قال : وكان المحلى لم يفسر الفاتحة وفسرها السيوطى تفسيراً مناسباً ^(٢) ولكن الحقيقة أن جلال الدين المحلى فسر النصف الثانى وفسر سورة الفاتحة والسيوطى فسر النصف الأول غير الفاتحة وعلى ذلك فرأى صاحب كشف الظنون يجافى الصواب وذلك لأن السيوطى فى مقدمة هذا التفسير قال : هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين فى تكملة تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الإمام العلامة الجليل المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى رحمه الله وتم ما فاتته من أول سورة البقرة إلى آخر الاسراء واعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القرارات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية والله أسأل النفع به فى الدنيا وأحسن الجزاء عليه فى العقبى بمنه وكرمه ^(٣) .

كما قال أيضاً فى آخر سورة الإسراء هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه .

(١) تاريخ التفسير ومناهج المفسرين للدكتور عبدالعظيم الغباشى .

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ٢٣٦ .

(٣) مقدمة تفسير الجلالين .

وبهذا يتبين لنا مقدار ما ألفه كل منها على الحقيقة وهو أن السيوطى قد فسر النصف الأول غير الفاتحة والمحلى فسر النصف الثانى مضاف إليه الفاتحة. وقد وضع الشيخ سليمان الجمل من مقدمة حاشيته على هذا التفسير بأن الفاتحة فسرهما المحلى وجعلها السيوطى فى آخر تفسير المحلى لتكون منضمة إلى تفسيره .

وقد التزم السيوطى منهج المحلى فى الاختصار والعبارة المختصرة الدقيقة وعدم التوسع فسار على نفس النمط وذكر فى خاتمة سورة الإسراء أنه ألف الجزء الذى ألفه فى قدر ميعاد الكليم وهو أربعون يوما وذكر أنه استفاد من تفسير الجلال المحلى واعترف أنه اعتمد على طريقته فى الآية المتشابهة وأن الذى وصفه الجلال المحلى فى قطعه أحسن مما وصفه هو بطبقات كثيرة وهذا إنما يدل على نبل العلماء وأدبهم الرفيع وخلقهم الجم وحسن تواضعهم وعرفانهم للفضل والجميل والذى يقرأ تفسير الجلالين لا يكاد يرى فرقا كبيرا بين الشيخين ولا مخالفة إلا فى القليل. ومن المواضع التى لوحظ فيها الاختلاف بينهما : أن المحلى فسر الروح فى سورة «ص» بأنها جسم لطيف يحى به الإنسان بنفوذ فيه والسيوطى تابعه على هذا التفسير فى سورة الحجر ثم ضرب عليه لقوله تعالى فى سورة الإسراء « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » فهى صريحة أو كالصرحة من أن الروح من علم الله تعالى فالامساك عن تعريفها أولى .

ومنها أن المحلى قال فى سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود وتابعه السيوطى على ذلك فى سورة البقرة وزاد عليه « أو النصارى » وهذا بيان منه لقول ثان وقد ذكر صاحب كشف الظنون عن بعض علماء اليمن أنه قال عددت حروف القرآن وتفسيره للجلالين فوجدتها متساويين إلى سورة المزمل ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن فعلى هذا يجوز حمله بغير الوضوء^(١) .

وبالجملة فهو كتاب قيم فى بابه نال من عناية العلماء والباحثين الكثير وظفر بشروح وحواش وتعليق من أهمها حاشية الجمل وحاشية الصاوى .

● مؤلفات السيوطى فى علم الحديث

نشير إلى بعضها لتبين مدى تحليقه فى سماء الحديث النبوى فى علم أصول الحديث وقواعده الأصلية .

وفى معرفة رجال الحديث .

وفى معرفة الأحاديث الموضوعة .

(١) كشف الظنون ح ١ ص ٢٣٦ .

وفي جمع الحديث ، له في هذه المجالات كتب تتلمذ عليها أجيال في الأزهر الشريف والعالم الإسلامي عامة .

في علم أصول الحديث كتاب « تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطى »^(١) احتل مكانة سامية في جامعة الأزهر والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي كمقياس لقواعد الحديث وأصوله ومعرفة الصحيح والحسن والضعيف ومسائل الحديث . وقد درسناه في قسم الحديث في كلية أصول الدين وقسم الدراسات العليا للحديث ، وعنه ينقل المؤلفان في أصول الحديث في العالم الإسلامي .

قال السيوطى في مقدمته : أما بعد . . فإن علم الحديث رفيع القدر عظيم الفخر شريف الذكر ، لا يعتنى به إلا كل حبر ولا يجرمه إلا كل غمر « غير مجرب » ولا تفنى محاسنه على مر الدهر ، وكنت ممن عبر إلى لجة قاموسه « معظم ماء البحر » . . مع ما مدنى الله تعالى به من العلوم . ثم يقول : فرأيت كتاب التقريب والتيسير لشيخ الإسلام الحافظ ولى الله تعالى أبى زكريا النووى كتابا جل نفعه وعلا قدره وكثرت فرائده وغزرت للطالبيين فوائده . . فقوى العزم على كتابة شرح كافل بايضاح معانيه وتحريروا ألفاظه ومعانيه . . فشرعت في ذلك مستعينا بالله وسميته « تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى » وجعلته شرحا لهذا الكتاب خصوصا ، ثم لمختصر ابن الصلاح ولسائر كتب الفن عموما .

والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه . .

وفي علم رجال الحديث نذكر له « طبقات الحفاظ » .

حقق طبقات الحفاظ للسيوطى الأستاذ على محمد عمر ونشر في مكتبة وهبة بمصر - قال المحقق للكتاب في المقدمة وكتاب طبقات الحفاظ للسيوطى الذى نقدمه اليوم:رتب التراجم فيه طبقا لأجيال المحدثين وطبقاتهم ، وقد لخص الإمام السيوطى طبقاته هذه من طبقات الحفاظ لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، وجمع فيها تراجم من يرجع إلى اجتهادهم في التوثيق والتجريح والتضعيف والتصحيح ، وذيلها بذكر من جاء بعدهم من الحفاظ والأصوليين والمحدثين ، ورتبها على أربع وعشرين طبقة تبتدىء الطبقة الأولى من كبار الصحابة وتنتهى الطبقة الأخيرة بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣هـ . ويقول أن السيوطى كان يختار ويؤلف ولا يلخص فقط .

ومن هنا يمكن أن نستنتج أن لاغنى للباحثين عن كل من الكتابين (طبقات الحفاظ للذهبي وطبقات الحفاظ للسيوطى) وأن لكل منهما مزاياه الخاصة وثمة مظهر آخر من مظاهر شأن طبقات

(١) المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

السيوطى ، هو أنه ذيل عليها بالحفاظ الذين تلوا عصر الذهبى إلى طبقة ابن حجر . وقد طبع هذا الكتاب « طبقات الحفاظ للسيوطى » فى أوروبا مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٣٣م والكتاب تحقيق للنسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٩ تاريخ مصطفى فاضل بعنوان « طبقات الحفاظ لشيخ الإسلام حافظ العصر بقية المجتهدين أبى الفضل جلال الدين السيوطى الشافعى » .

● رواية السيوطى وعلمه بالأحاديث :

السيوطى من أقدر العلماء على معرفة الأحاديث الموضوعة فى كتاب سماه « اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » ليتجنبها العلماء . وعندما يقول عالم أن السيوطى جمع الموضوعات ، فلا يصدق هذا القول إلا على كتاب « اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » والكتاب قد طبعته المكتبة التجارية الكبرى من أجل الحفاظ على السنة ، يقول السيوطى فى مقدمته « فإن من مهيات الدين التنبيه على ماوضع من الحديث واختلق على سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحابه أجمعين . وقد جمع فى ذلك الحافظ أبو الفرج الجوزى كتابا فأكثر فيه من اخراج الحديث الضعيف الذى لم ينحط إلى رتبة الوضع ، بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبه على ذلك أئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح فى علوم الحديث وأتباعه ، وطالما اختلج فى ضميرى انتقاؤه وانتقاده واختصاره لينتفع به مرتاده ، إلى أن استخرت الله تعالى وانشرح صدرى لذلك وهيا لى أسباب المسالك : فأورد الحديث من الكتاب الذى أورده هو منه كتاريخ الخطيب والحاكم والكمال لابن عدى والضعفاء للعقلى ولا بن حبان وللأزدى وأفراد الدارقطنى والحلية لأبى نعيم وغيرهم بأسانيدهم . ضامًا إسناد أبى الفرج إليهم ثم أعقبهم بكلامه ، ثم ان كان متعقبا نبهت عليه وأقول فى أول ماأزيده « قلت » وفى آخره « والله أعلم » .

وسميته (اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) ثم يقول : واعلم أنى كنت شرعت فى هذا التأليف سنة سبعين وثمانائة وفرغت منه فى سنة خمس وسبعين ، وكانت التعقيبات فيه قليلة وعلى وجه الاختصار . وكتبت منه عدة نسخ ومنها نسخة راحت إلى بلاد التكرور . ثم بدا لى فى هذه السنة وهى سنة خمس وتسعمائة استئناف التعقبات على وجه مبسوط ، وإلحاق موضوعات كثيرة فاتت أبا الفرج فلم يذكرها . ففعلت ذلك فخرج الكتاب عن هيئته التى كان عليها أولا ، وتعذر إلحاق مازدته فى تلك النسخ التى كتبت الا باعدام تلك ، وانشاء نسخ مبتدأة ، فأبقيت تلك على ماهى عليه ، ويطلق عليها الموضوعات الصغرى وهذه الكبرى وعليها الاعتماد (أ.هـ) .

فالسيوطى مدافع عن سنة رسول الله ﷺ . وهو كعالم للحديث له مقاييسه الصحيحة المتفق عليها عند علماء الحديث ، فهو يفرق بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، ولا يخلط بين الحديث الضعيف والمكذوب .

ويعرف ذلك كل من يرجع إلى أمهات أصول الحديث ومنها كتاب تدريب الراوى فى شرح
تفريب النواوى للسيوطى وإن تعدد الخلط بين أنواع الحديث يعتبر من الكذب على رسول الله
ﷺ .

يقول الامام الحافظ أبوالعلى محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى فى مقدمته تحفة
الاحوذى شرح جامع الترمذى فى ذكر الكتب التى ألفت فى الأحاديث الموضوعية : منها الذيل على
موضوعات ابن الجوزى للسيوطى ، وذكر منها الموضوعات الكبرى - فى أربع مجلدات لابن الجوزى
وقد أورد ابن حجر فى الذب عن مسند أحمد جملة من الأحاديث التى أوردها ابن الجوزى فى
الموضوعات وهى فى مسند أحمد ورد عليها أحسن الرد - وقد شرع ابن حجر فى تأليف تعقيبات
على الموضوعات . وقد تتبع جلال الدين السيوطى جملة من الاحاديث ليست بموضوعية ، منها
ماهو فى السنن الأربعة والمستدرک فى تأليف سباه (النكت البديعيات على الموضوعات) ولخصها
أيضا فى زيادات وتعقيبات سباه (اللآلئ المصنوعة فى الأخبار الموضوعية) كذا فى الكشف . ومنها
تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعية للشيخ أبى الحسن على بن محمد بن عراق
الكتانى المتوفى . جمع فيه موضوعات ابن الجوزى والسيوطى ورتب على ترتيبه وأهداه إلى السلطان
سليمان خان^(١) .

فالسيوطى إمام فى معرفة الحديث ، وناقد ومدافع عن السنة بمنهج أقره علماء السنة ولمنهجه
أثره العظيم فيمن ألف بعده للذب عن رسول الله ﷺ فكتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار
الشنيعة الموضوعية هو جمع لموضوعاته وموضوعات ابن الجوزى - وارتضى مقاييسه علماء الحديث
فى كل عصر ومصر .

السيوطى وشرح السنة :

له كتاب « تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك » .

وله شرح على الترمذى « قوت المغتذى على جامع الترمذى » .

وله شرح لصحيح مسلم بن الحجاج « الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج » .

أيها القارئ الكريم :

إن السيوطى صاحب هذه التصانيف وغيرها فى مكتبة الحديث هو مؤلف الجامع الكبير فماذا
قال العلماء فيه ؟

(١) مقدمة تحفة الاحوذى للمباركفورى ص ٣٩٠ -

● الجامع الكبير للسيوطي وتقدير علماء الحديث له

يقول فيه المحدث العلامة علاء الدين بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي : إنني قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة في كتب الحديث ، فلم أرها أكثر جمعا ولا أكثر نفعا من كتاب جمع الجوامع الذي ألفه العلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطي سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، حيث جمع فيه من الأصول الستة (البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وابن ماجه) وغيرها الآتي ذكرها عند رموز الكتاب ، وأودع فيه من الأحاديث ألوفاً ومن الآثار صنوفاً ، وأجاد فيه كل الاجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة^(١) هذه شهادة محدث من أكبر محدثي علماء الهند ، والعالم الإسلامي ، وأعلنها منذ أكثر من ثمانين سنة في كتابه المطبوع في ذلك الوقت ، وملاً الدنيا واحتل الصدرة في مكتبات العالم الإسلامي وجامعاته ، وأقرها العلماء المحدثون في الهند ، ولم يعترض عليها عالم ، وأقرها علماء الحديث بمصر والأزهر والعالم الإسلامي ، ولم نر اعتراضاً أو مخالفة من علماء الحديث في قوله .

وصاحب الرسالة المستطرفة يعد جمع الجوامع من مشهور كتب السنة المشرفة . ذكر مولانا الإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة^(٢) قال : (والجوامع الثلاثة للسيوطي وهي الصغير وفيه على ما قيل عشرة آلاف حديث وتسعمائة وأربعة وثلاثون حديثاً في مجلد متوسط ، وذيله المسمى بزيادة الجامع وهو قريب من حجمه ، والكبير وهو المسمى (جمع الجوامع) أ.هـ .

ثم يذكر الكتاني المؤلفات التي ألفت حول الجوامع وكانت ثمرة له في مكتبة الحديث وسأذكرها في هذا البحث عن أثر جمع الجوامع في مكتبة الحديث الشريف .

ويقول صاحب أهم مرجع لأحاديث الأحكام وهو كتاب نيل الأوطار ، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني ، ذكروا في ترجمته أنه سند المجتهدين الحفاظ وترجمان الحديث وشيخ الإسلام قال : ومؤلفات السيوطي محررة لاتصحيف فيها وقد انتشرت في سائر الأمصار .

وفي كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعالم الفاضل المؤرخ الكامل مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي ، قال : جمع الجوامع في الحديث

(١) مقدمة كتاب كنز العمال في سنن الاقوال والافعال للمفتي الهندي .

(٢) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمولانا الإمام السيد محمد بن جعفر الكتاني طبع دار الفكر

سنة ١٩٦٤ صفحة ١٨٢ وفهرس الفهارس للكتاني .

مقدمة تدريس الراوي للشيخ عبدالوهاب عبداللطيف .

كشف الظنون طبع طهران ج ١ ص ٥٩٧ .

للسيوطى التسافعى وهو كبير . . ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث . وأخذ يعرف به بلا .
اعتراض عليه .

ويقول المحدث الشيخ أبو الحسن البكرى فى تأليف جمع الجوامع « للسيوطى منة على العالمين
وللمتنقى منة عليه »^(١) .

ففى رأى المحدث الكبير أن السيوطى بتأليفه الجامع الكبير أسدى للعاملين خيرا وكان له
بذلك التأليف منة على العالمين لنشر سنة رسول الله ﷺ ومنهجه الموفق ، وللمتنقى منة عليه لأنه
رتب جمع الجوامع على الأبواب فى كتابه « كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال » ، وعرف بالجامع
الكبير للسيوطى صاحب تحفة الأحوذى شرح الترمذى فى المقدمة^(٢) وهو الإمام الحافظ أبى العلى
محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ، ذكر الجوامع وبدأ بالجامع الكبير للسيوطى
فقال : منها جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى وهو كبير ، ذكر فيه أنه قصد
استيعاب الأحاديث النبوية وقسمه قسمين :

الأول : ساق فيه لفظ الحديث بنصه يذكر من خرجه ومن رواه من واحد إلى عشرة أو أكثر
يعرف منه حال الحديث مرتبا ترتيب اللغة على حروف المعجم .

والثانى : فى الأحاديث الفعلية المحضمة والمشتملة على قول أو فعل أو سبب أو مراجعة ونحو
ذلك مرتبا على مسانيد الصحابة ، قدم العشرة ثم بدأ بالباقي على حروف المعجم فى الأسماء ثم
بالكنى كذلك ثم بالمبهمات ثم بالنساء ثم بالمراسيل وطالع لأجله كتب كثيرة قال فى الجامع الصغير :
قصدت فى جمع الجوامع جمع الأحاديث النبوية بأسرها .

قال شارحه المناوى : هذا بحسب ما طلع عليه المؤلف لا باعتبار ما فى نفس الأمر لإناقتها على
ما جمعه الجامع المذكور لو تم ، وقد اخترته المنية قبل اتمامه^(٣) .

أثر جمع الجوامع فى مكتبة الحديث الشريف :

عرف العلماء المحدثون قدر الجامع الكبير للسيوطى فقامت حوله الدراسات الحديثة وألفت
حوله الكتب من كبار علماء الحديث العاملين بمقياس الحديث ورجاله .

يقول صاحب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة بعد التعريف بالجامع الكبير
للسيوطى :

(١) أول كنز العمال طبع دائرة المعارف النظامية فى حيدر أباد الدكن سنة ١٣١٣ هـ .

(٢) مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٧٧ .

مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٧٧ .

« ولخاتمة المحققين بالحديث بالديار المغربية (أبى العلاء) مولانا المتوفى بها سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية كتاب عرف فيه بأئمة الحديث المخرج لهم في الجامع الكبير « الفتح البصير في التعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الكبير » وله أيضا كتاب آخر في الكلام على أحاديث الجامع الكبير بالصحة والحسن وغيرهما ، وسماه الدرر اللوامع في الكلام على أحاديث جمع الجوامع ولكنه لم يكمل »^(١).

كتاب الجامع الأزهر من حديث النبی الأنور^(٢)

رأى صاحب كتاب الجامع الأزهر الإمام عبدالرءف المناوى بن تاج العارفين على الجداوى المناوى المصرى المتوفى بمصر ١٠٣٧ هـ أن العلماء اعتقدوا أن جمع الجوامع به جميع الأحاديث ، لأن السيوطى قال : قصدت جمع الأحاديث النبوية بأسرها . ولكن قد اخترمته المنية قبل أن يستكمل الأحاديث بأسرها . ورأى أن العلماء إذا لم يجدوا حديثا في الجامع الكبير للسيوطى ظنوا أنه غير موجود ، وذكر أن العلماء المحدثين يعتمدون عليه في الكشف على الحديث ، وهذا يدل على تقدير العلماء للكتاب واتخاذهم مرجعا وإقرارهم له ، فرأى مؤلف الجامع الأزهر ، أن يكمل هذا البناء الشامخ العظيم مع المحافظة على ما في الجامع ، ومثل هذا هو النقد البناء ، قال المباركفوري^(٣) :

(الجامع الأزهر من حديث النبی الأنور) قال مؤلفه في خطبة الكتاب مالفظه : ومن البواعث على تأليف هذا الكتاب أن الحافظ الكبير الجلال السيوطى ادعى أنه جمع في « كتابه الجامع الكبير » الأحاديث النبوية ، مع أنه فاتته الثلث فأكثر فيما وصلت إليه أيدينا ، فصار كل حديث يسأل عنه أو يريد الكشف عنه يراجع الجامع الكبير ، فإن لم يجده فيه غلب على ظنه أن لا وجود له فربما أجاب بأنه لا أصل له . فأردت التنبيه على ما فاتته في هذا المجموع ، فما كان في الجامع الكبير أكتبه بالممداد الأسود ، وما كان من المزيد فبالممداد الأحمر أو أجعل عليه مدة حمراء . ولم أورد فيه مما في الكتب الستة إلا النادر لشهرتها وكثرة تداولها وسهولة الوقوف عليها ، فعمدت إلى جمع الشوارد والاعتناء بالزوائد ، واعتمدت في بيان حال الأسانيد على ما حرره جدنا من قبل الأمهات ولى الدين العراقى والحافظ الكبير نور الدين الهيثمى ومن في طبقتهم ، فهم المرجع في ذلك والعمدة وعليهم الاعتماد والعهد . ولما تم هذا المطلب على هذا النمط سميته (الجامع الأزهر من حديث النبی الأنور) . . مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشافا وأقوم ، ولأن كلا من الطلاب لذلك ألف .

(١) الرسالة المستنقفة لبیان أحاديث السمة المشرفة طبعة دار الفكر صفحة ١٨٢ ط . ث .

(٢) أنظر . مقدمه تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى للسباركفوري ص ٧٨ .

(٣) مقدمه تحفة الاحوذى .

كتاب منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندي مطبوع على هامش مسند الإمام أحمد وعليه تنبيه نصه « كنز العمال وإن اشتهر بين الأناس ، لكن منتخب كنز العمال الموضوع بالهامش مع احتوائه على المقصود من كنز العمال قد فاق عليه بشيئين أحدهما بحذف التكرار والثاني امتزاج احاديث الأفعال بأحاديث الأقوال ترجمة بعد ترجمة » وقد اشتمل على نحو اثنين وثلاثين ألف حديث خالية من التكرار فليعلم .

● كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

للعامة المحدث علاء الدين على بن حسام الدين المتقى الهندي طبع بحيدر آباد الدكن بالهند وطبع بحلب . . طبع منشورات مكتبة التراث الإسلامي ، ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكرى حياتي ، وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوت السقا ، وقدم له فضيلة المحدث الكبير محمد يوسف الحسيني البنوري . جمع فيه المؤلف الجامع الكبير للسيوطي ، والجامع الصغير للسيوطي وهو عشرة آلاف حديث . كما ذكر النبهاني في كتابه « الفتح الكبير » الذي جمع فيه الجامع الصغير وزيادات السيوطي عليه ، وذكر النبهاني إن زيادة السيوطي على الجامع الصغير عدها بعض أصحابه فوجدها أربعة عشر ألف وأربعمائة وخمسين حديثا ، جمع كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال الجامع الكبير والجامع الصغير - والزيادة على الجامع الصغير ورتب الأحاديث على الأبواب ، قال المتقى الهندي (وسميته كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) فمن ظفر بهذا التأليف فقد ظفر بجمع الجوامع للسيوطي سبوا سع أحاديث كثيرة ليست في جمع الجوامع ، لأن المؤلف السيوطي رحمه الله زاد في الجامع الصغير وذيله أحاديث لم تكن في جمع الجوامع ^(١) .

وقالوا في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين المتقى الهندي لله دره حيث عني بترتيب جمع الجوامع للسيوطي وكان ترتيب أحاديثه على وفق حروف الهجاء فسهل الطريق على الطالبين ، وصيرها موبة على دين الفقهاء فشددوا الرحال إليه . وكان الشيخ أبو الحسن البكري يقول « للسيوطي منة على العالمين وللمتقى منة عليه » .

وقد فرغ المؤلف من تأليفه سنة ٩٧٥هـ في شهر جمادى الأولى .

ولمنهج التبويب على طريقة الفقهاء أهميته في دراسة الموضوع متكاملا ، وجمع الأحاديث في مكان واحد يفسر بعضها بعضا ، فيطلع الباحث على جميع أحاديث البيع مثلا في مكان واحد ، أو الزكاة أو الصلاة أو الاخلاق إلخ . . .

ولمنهج الترتيب على حروف المعجم أهميته ومميزاته ، فلا يغني منهج عن منهج كما قال صاحب

(١) كنز العمال ص ٣ طبع حيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣١٢

كتاب (الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور) : « جعلته مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشفا وأقوم ، ولأن كلا من الطلاب لذلك ألف » .

ومثال ذلك مسند الإمام أحمد ، رتبته الشيخ البنا في كتابه القيم (الفتح الرباني) مبوبا على طريقة الفقهاء ، وهو عمل جليل له مميزاته ، ولكن لا يقال نستغنى به عن طبع المسند للإمام أحمد ، فهو مع ذلك لازال يطبع طباعات متعددة ولقد فطن المحدثون لذلك فطبعوا كتب المسانيد ، والمعاجم والجوامع . وعن تنظيمهم ومناهجهم وتبويبهم وفهرستهم ، تعلمت أوروبا وطوروا منهج التنظيم فانتجوا مثل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لونسك وغيره . منهج السيوطي في الجامع الكبير :

● « جمع الجوامع »

قال السيوطي « هذا كتاب شريف حافل ، بجميع الأحاديث النبوية كامل ، قصدت فيه استيعاب الأحاديث النبوية وقسمته قسمين : « الأول - أسوق فيه لفظ المصطفى بنصه وأطوق كل خاتم منه بفصله ، واتبع متن الحديث بذكر من خرج من الأئمة أصحاب الكتب المعتمدة ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين » .

ويرمز السيوطي لدرجة الحديث الصحيح (ص) والحسن (ح) والضعيف (ض) ووضع رموزا لأسماء الكتب التي يعزو إليها مثل (خ) لصحيح البخاري و(م) لمسلم (ق) في الجامع الصغير لما اتفق عليه البخاري ومسلم وأما في الجامع الكبير فهي رمز (ل) للبيهقي (د) لأبي داود (ت) للترمذي (ن) للنسائي (حم) لأحمد في مسنده (حب) لابن حبان في صحيحه . إلى آخر ما ذكره في المقدمة . وقال في جمع الجوامع وجميع ما في الكتب الخمسة صحيح البخاري ومسلم وصحيح ابن حبان والمختارة للضياء المقدسي والمستدرک للحاكم سوى ما فيه من التعقيب فينبه عليه ، والعزو إليها معلم بالصحة ، وكذلك ما في موطأ مالك وصحيح ابن خزيمة وابن عوادة وابن السكن والمنتقى لابن الجارود - والمستخرجات ، فالعزو إليها معلم بالصحة أيضا . وفي سنن أبي داود ماسكت عليه فهو صالح وما بين ضعفه نقلته عنه ، وفي النسائي والترمذي وابن ماجه ومسند الإمام أحمد وزوائد ابنه ومصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ومسند أبي يعلى والطبراني في المعجم الكبير والصغير والأوسط - والقرطبي والحلية لأبي نعيم والبيهقي في الشعب والسنن يقول فيها : صحيح وحسن وضعيف فأبينه غالبا . وكل ما كان في مسند أحمد فهو مقبول ، فإن الضعيف الذي فيه يقرب من الحسن ، وكل ما عزي للعقيل في الضعفاء لابن عدى في الكامل وللخطيب في تاريخه لابن عساكر في تاريخه والديلمي في مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفه » .

وذكر السيوطى ^(١) أسماء الكتب التى اطلع عليها ، حتى إذا اخترته المنية يكمل من يريد بعده من غير الكتب التى جمعها فى الجامع الكبير .

قال المتقى الهندى : (وجد بخط الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله ماصورته) الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التى انتهت من مطالعتها على تأليف جمع الجوامع خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذى قصدته فيقيض الله من يذيل عليه ، فإذا عرف ما انتهت مطالعته استغنى عن مراجعته ونظر ماسواه » فذكر مما انتهت الكتب الستة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه - والموطأ ومسنند الإمام أحمد ومسنند الشافعى وأخذ يعد أكثر من ثمانين كتابا ختمها بمصنف عبدالرزاق ومصنف ابن أبى شيبة والترغيب فى الذكر لابن شاهين .

علمنا من دراسة منهج السيوطى فى التنبيه على درجات الحديث وكتبه أن من كتب السنة المعتمدة عن علماء الحديث ما يشتمل على الحديث الصحيح والحسن والضعيف مثل سنن لأبى داود ، وسنن النسائى ، وجامع الترمذى أو صحيح الترمذى كما يطلق عليه علماء الحديث وسنن ابن ماجه ومسنند الإمام أحمد ومصنف عبدالرازق ومصنف ابن أبى شيبة وسنن البيهقى .

فمن الضعيف ما يقرب من درجة الحسن كما ذكر السيوطى فى قوله « وكل ما فى مسند أحمد فهو مقبول فإن الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن » .

● السيوطى وعلماء الحديث يحذرون من رواية الأخبار الموضوعة ويدافعون عن السنة وكتبها ويفرقون بين الضعيف والموضوع

يقول الشيخ ابن الصلاح : الموضوع هو المختلق المصنوع ، واعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ، ولا تحل روايته لأحد علم حاله فى أى معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه ، بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن حيث جاز روايتها فى الترغيب والترهيب « مقدمة ابن الصلاح » .

ويقول الإمام النووى فى كتابه التقريب ^(٢) (الموضوع هو المختلق المصنوع وشر الضعيف وتحرم روايته مع العلم به فى أى معنى كان إلا مبينا » .

ويقول السيوطى فى كتابه تدريب الراوى شرح تقريب النواوى فى النوع الحادى والعشرين

(١) مقدمة كنز العمال للمتقى ص ١١ ج ١ طبع الهند .

(٢) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ١٧٨ .

« الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه ، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أى مكان سواء في الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مبينا أى مقرونا ببيان وضعه ، وذلك لحديث الإمام مسلم عن النبي ﷺ قال : من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » .

وقال النووي في التقريب « قد أكثر جامع الموضوعات في نحو مجلدين أعنى أباالفرج ابن الجوزي فذكر كثيرا مما لادليل على وضعه بل هو ضعيف » فالمحدثون يفرقون بين الموضوع والضعيف .

● مقاييس ابن حجر والسيوطي المعتمدة في الذب عن السنة وكتبها

وذكر السيوطي في كتابه التدريب قال : « قد اختصرت هذا الكتاب » الموضوعات لابن الجوزي « فعلق على أسانيده وذكرت منها مواضع الحاجة . وأثبت المتون وكلام ابن الجوزي عليها وتعقبت كثيرا منها . وتتبع كلام الحفاظ في تلك الأحاديث خصوصا شيخ الإسلام ابن حجر في تصانيفه وأماله ، ثم أفردت الأحاديث المتعقبة في تأليفه : ذلك أن شيخ الإسلام ألف « القول المسدد في الذب عن المسند » (مسند أحمد) أورد فيه أربعة وعشرين حديثا في المسند وهي في الموضوعات وانتقدها حديثا حديثا (فأخرجها عن الوضع) ومنها حديث في صحيح مسلم ، وذكر فيه في الموضوعات غفلة شديدة - قال السيوطي : وذيلت على هذا الكتاب بذيل في الأحاديث التي بقيت في الموضوعات من المسند وهي أربعة عشر مع الكلام عليها ، ثم ألفت ذيلًا يهذين الكتابين سميته « القول الحسن في الذب عن السنن ^(١) » أوردت فيه مائة وبضعة وعشرين حديثا ليست بموضوعة منها ما هو في سنن أبي داود وهي أربعة أحاديث ، ومنها ما هو في جامع الترمذي وهو ثلاثة وعشرون حديثا ، ومنها ما هو في صحيح البخاري رواية حماد بن شاکر ، ومنها ما هو أطلق عليه اسم الصحيح كمسند الدارمي والمستدرک وصحيح ابن حبان ، أوفى مؤلف معتبر كتصانيف البيهقي ، فقد التزم ألا يخرج فيها حديثا موضوعا ، ومنها ما ليس في أحد هذه الكتب . وقد حررت الكلام على ذلك حديثا حافلا فجاء كتابا حافلا ^(٢) .

وبهذه القوة العلمية والمقاييس الدقيقة دافع ابن حجر والسيوطي عن السنة وكتبها وبصروا المحدثين بدرجات الحديث النبوي وكتبه . وتتلמד العلماء على كتبها وكتب ابن الصلاح والنووي في المحافل العلمية والجامعات الإسلامية وتأليف كتب أصول الحديث النبوي الشريف .

(١) تدريب الراوي للسيوطي ص ١٨٢ .

(٢) انظر تدريب الراوي في أصول الحديث ص ١٨٢ طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

● أيها القارى الكريم :

قد أكون أطلت وأسهب ولكن من أجل غاية نبيلة « الدفاع عن كتب سنة رسول الله ﷺ »
- ولعل بعد هذه الدراسة الموضوعية العلمية المدعمة بالمراجع الأصلية ، وليس لنا فيها إلا شرف إظهار الحقيقة والاشارة إلى قسماها الوضاعة ، لعلنا نتفق على نتائج حاسمة صادقة .

ويلاحظ في حياة الإمام السيوطى العلمية ماأتى :

١- السيوطى صاحب مكانة في الحديث النبوى وعلومه بمؤلفاته في أصول الحديث . وعلم رجال الحديث وطبقاته - وفي الدلالة على الأحاديث الموضوعية والتحذير منها - وفي شرحه الحديث وجمع الحديث وتخريج الحديث وبيان درجته .

٢- كتاب جمع الجوامع والجامع الصغير وزوائد الجامع الصغير . طبعت منذ أكثر من ثمانين عاما مبهوبة على طريقة الفقهاء ، وكان تخريجها ودرجاتها كما خرجها السيوطى ونشرت باسم « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » - واستقبله علماء الحديث بالتقدير ، وحفلت به مكتبات العالم الإسلامى في الهند ومصر في مكتباتها العامة والخاصة ومنها مكتبة الأزهر وكلية أصول الدين والشرعية بالأزهر ، وعرفه العامة والخاصة ولم يعترض عليه معترض ، بل ظفر بشناء العلماء المحدثين ودراساتهم في العالم الإسلامى في الهند والمغرب ومصر والعالم الإسلامى ، وأشاد به مدونو كتب الحديث واعتبروه من كتب السنة المشرفة ، ولم يدع عالم مطلقا في العالم الإسلامى بأنه من كتب الموضوعات . وقد عمت شهرته وتعددت طبعاته في القديم والحديث في الهند ودمشق وبغداد وبيروت . ومع هذا العمل يرجع الفضل بها إلى :

٣- مجمع البحوث بالأزهر قد سبق علماء الحديث في العالم الإسلامى بالعناية بكتاب الجامع الكبير ، وأثنى العلماء على هذا العمل الجليل .

٤- الجامع الكبير (جمع الجوامع للسيوطى) ضمن محتوياته كتب أصول السنة المعتمدة :

صحيح البخارى وصحيح مسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه والموطأ للإمام مالك ومسند الإمام أحمد ، ومعلوم أن مسند الإمام أحمد وحده يضم أربعين ألف حديث بالمكرر وثلاثين ألف حديث بغير المكرر^(١) .

(١) مقدمة مسند الإمام أحمد في مناقب الإمام أحمد والتعريف بمسنده ملخصة من طبقات الإمام ابن السبكي الكبرى - المطبعة اليمنية ج ١ ص ٢ من المقدمة .

٥- يفرق علماء الحديث بين الضعيف الذى قد يوجد ضمن كتب السنة المعتمدة كمسند الإمام أحمد وجامع الترمذى وسنن أبى داود وابن ماجه وغيرها وبين الموضوع . وأئمة علوم الحديث ابن الصلاح والنووى وابن حجر والسيوطى وغيرهم يحرمون رواية الحديث الموضوع ويوجبون النص عليه بأنه موضوع وإلا كان أحد الكذابين . كما روى لنا السيوطى حديث الإمام مسلم عن النبى ﷺ قال : « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » . .

ولنختم التقديم برأى صاحب كنز العمال المحدث الكبير علامة الهند المتقى الهندى فى الجامع الكبير للسيوطى قال :

« إنى قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة فى كتب الحديث فلم أر فيها أكثر جمعا ولا أكبر نفعاً من كتاب جمع الجوامع الذى ألفه العلامة عبدالرحمن جلال الدين السيوطى سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه ، حيث جمع فيه من الأصول السنة : البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وابن ماجه ، وغيرها من الموطأ ومسند أحمد وصحيح ابن حبان . . إلخ ، وأودع فيه من الأحاديث ألوفاً ومن الآثار صنوفاً ، وأجاد كل الإجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة »^(١) .

● حقيقة السنة والبدعة

ومن مؤلفات السيوطى هذا البحث القيم عن « حقيقة السنة والبدعة ، أو الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع ، وقد رأينا إتماماً للفائدة أن نورد كنموذج منه قال :

قال الله عز وجل : « وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ » الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ . . إلى قوله : « فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » . . سورة الأعراف الآيتان ١٥٦ ، ١٥٧ .

وقال تعالى : « وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » . .

وقال تعالى : « إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » . .^(٢) .

وقال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ » . . إلى قوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ » . .

(١) مقدمة كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى - طبع الهند .

(٢) ال عمران : آية رقم ٣١ .

وقال تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا » .
وقال تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ
ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » . . .

وقال تعالى : « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » . .
وقال تعالى : « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ » . .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : في قوله تعالى : « فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ » . . .

أى إلى ما قاله الله والرسول . .

إلى غير ذلك من الآيات . .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ وسلم لنا خطا ثم قال هذا
سبيل الله ، ثم خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه .
وقرأ : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ » الآية . . .

وعن العرباض^(١) بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل
علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت^(٢) منها العيون ووجلّت^(٣) منها القلوب . فقال رجل
يا رسول الله كأنها موعظة مودع^(٤) ، فماذا تعهد إلينا فقال :

« أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان^(٥) عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى
فسيرى ، اختلافا كثيرا فعليكم بستی وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها
بالنواجذ^(٦) وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . .
أخرجه أبوداود والترمذى . .

(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال الترمذى حسن صحيح ورواه الدارمى فى سننه
ص ٤٣ ج ١ وفيه ان الصلاة صلاة الفجر وابن الجوزى ص ١١ وفيه ان الصلاة صلاة الصبح .

(٢) دمعت .

(٣) خافت .

(٤) لما فيها من حرارة .

(٥) أى الحاكم .

(٦) كناية عن شدة التمسك بها والحفاظ عليها .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : « ذرونى ما تركتم فإنها هلك الذين من قبلكم بكثرة سؤالهم ^(١) ، واختلافهم على أنبيائهم ^(٢) فإن نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ^(٣) » . .
متفق عليه . . .

وعن بلال بن الحرث رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« من احيا سنة قد أميتت بعدى فإن له من الاجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعة لا ترضى الله ورسوله فإن له مثل اثم من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئا » .
رواه الترمذى ^(٤)

(١) فيما لا يفيد .

(٢) حيث ساروا مع عقوبهم ولم يتبعوا هدى الدين .

(٣) لسهولة الكف عن الفعل .

(٤) رواه الترمذى وفيه ضعف .

فصل

فى الأمر بلزوم السنة والجماعة والنهى عن الفرقة

قال الله تعالى : « وَمَاتَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ » . .
وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن عمر رضى الله عنه خطب بالجابية ^(١) فقال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا فقال :
« من أراد منكم بحبوبة ^(٢) الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » . .

رواه الترمذى وصححه . .

وقال رسول الله ﷺ :

« يد الله ^(٣) على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة » ^(٣)

وعن أبى شريك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

يد الله ^(٤) على الجماعة فإذا شذ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم » . .

وعن معاذ ^(٥) رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« إن الشيطان ذيب كذيب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناجية فيأكلهم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد ^(٦) » .

(١) الجابية : قرية بالشام بدمشق .

(٢) بحبوبة الجنة : وسطها .

(٣) الترمذى عن ابن عباس مرفوعا . وابن الجوزى فى تلبيس ابليس ص ٦ عن عرفة .

(٤) أبوداود وابن الجوزى عن أسامة بن شريك ص ٦ .

(٥) أحمد بن حنبل عن معاذ وهو حديث حسن . الجامع الصغير ورواه ابن الجوزى ص ٧ وفيه ذئب كذئب الغنم .

(٦) أحمد بن حنبل عن أبى ذر . صحيح . ورواه ابن الجوزى ص ٧ .

وعن أبي ذر^(١) رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« أثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله لم يجمع أمتي إلا على هدى »^(٢) . .

وعن عبدالله^(٣) بن عمر رضى الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليأتين على أمتي مأتى على بنى إسرائيل حذو النعل^(٤) بالنعل حتى إن كان منهم من يأتى أمه علانية لكان من أمتي من يصنع ذلك وأن بنى إسرائيل تفرقوا اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا ملة واحدة قالوا من هى يارسول الله ؟ قال : ماأنا عليه وأصحابى »

أخرجه أبو دوداد والترمذى . .

وعن معاوية^(٥) بن أبى سفيان أنه قام فى الناس خطيبا فقال : ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين ملة اثنان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة .

وقال عبدالله بن مسعود^(٦) رضى الله عنه : الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة .

وقال أبى بن كعب^(٧) رضى الله عنه : عليكم بالسبيل^(٨) والسنة فانه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فمسته النار أبدا وإن إقتصادا فى سبيل وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة^(٩) .

(١) الترمذى عن ابن عمرو حسن غريب .

(٢) اسمه جندب بضم الجيم والذال ، وقيل برير والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفارى الحمجازى من السابقين إلى الإسلام وتوفى بالريدة سنة ٣٢هـ وكان زاهدا شجاعا فى قول الحق .

(٣) معاذ بن جبل بن عمر بن اوس الانصارى الخزرجى ، أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وشهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار ، والمشاهد كلها مع الرسول ﷺ ، وتوفى شهيدا فى طاعون عمواس بالشام سنة ١٧هـ .

(٤) أى مطابقة تامة بين ماأتى الجميع كما تقدم . كل واحدة من النعل على قدر صاحبته .

(٥) رواه الدارمى ج٢ ص ١٥٨ السند حدثنا . واحمد وابو داود وابن الجوزى ص ٧ .

(٦) الدارمى ص ٦٣ وفيه القصد فى السنة ص ٢٢٣ ، ابن الجوزى ص ٨ .

(٧) السبيل : الطريق والمراد القرآن لعطف السنة عليه .

(٨) ارشاد إلى مصاحبة أهل السنة .

(٩) ابن الجوزى ص ٨ وفيه ان ذلك « عبادة » .

وقال ابن عباس ^(١) رضى الله عنهما : النظر ^(٢) إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة ^(٣) .

وقال أبو العالية ^(٤) : عليكم بالأمر الأول الذى كانوا عليه قبل أن يفترقوا .

وقال الأوزاعي ^(٥) رضى الله عنه : اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ماوسعهم .

وقال الأوزاعي ^(٦) أيضا : رأيت رب العزة في المنام فقال لى يا أبا عبد الرحمن ^(٧) أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقلت : بفضلك يارب ^(٨) قلت : يارب أمتنى على الإسلام قال : وعلى السنة ^(٩) .

وقال سفيان ^(١٠) : لا يستقيم قول وعمل إلا بموافقة السنة .

وقال يوسف ^(١١) بن أسباط : إذا بلغك عن رجل بالمشرك أنه صاحب سنة فابعت إليه بالسلام فقد قل أهل السنة .

وقال أيوب ^(١٢) : إنى لأخبر بموت الرجل من أهل السنة فكأنى أفتقد بعض أعضائى .

(١) ابن الجوزى ص ٨ وفيه قال عاصم : فحدثت به الحسن فقال : قد نصحك والله وحدثك .

(٢) ابن الجوزى ص ٨ .

(٣) ابن الجوزى ص ٩ .

(٤) خطأ . والصواب يا عبد الرحمن .

(٥) أبى بن كعب بن قيس بن عبيد بن يزيد بن معاوية الخزرجى الأنصارى النجارى شهد العقبة الثانية ، وشهد كثيرا من المشاهد وكان من أقرأ الناس للقرآن توفى بالمدينة سنة ٣٠ هـ .

(٦) عبد الرحمن بن عمرو بن محمد بضم الياء وكسر الميم الأوزاعى إمام أهل الشام بلا مدافعة ولا مخالفة ، سكن دمشق ثم تحول إلى بيروت إلى أن مات بها سنة ١٥٧ هـ وولد سنة ٨٨ هـ وكان مولده ببعلبك ومات في حمام بيروت ، جمع إلى العبادة الورع والعلم وقول الحق والتمسك بالسنة من اتباع التابعين .

(٧) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم الرسول ﷺ من أكثر الصحابة رواية عن الرسول ﷺ واعلمهم توفى سنة ٦٨ هـ أو بعدها بقليل بالطائف ومناقبه كثيرة مشهورة .

(٨) هنا حذف الواو أو وقلت يارب كما فى ابن الجوزى .

(٩) مثل هذا يذكر للاستثناس به فقط .

(١٠) ابن الجوزى ص ٩ وأصله : لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل آلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية الا بمتابعة السنة . وهو سفيان بن سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى . من اتباع التابعين ولد سنة ٩٧ هـ اجمعوا على مدحه ووصفوه بالورع والزهد والحرص على الحلال توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ .

(١١) ابن الجوزى ص ٩ وفيه : وإذا بلغك عن آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعت إليه بالسلام الخ .

(١٢) ابن الجوزى ص ٩ وفيه : فكأنى أفقد وهو أيوب بن أبى تيممة كيسان العبرى البحرى السخيتانى بكسر التاء ، من التابعين ، واتفقوا على امامته وحفظه وتوثيقه ، ووفور علمه وفهمه وسيادته توفى سنة ١٣١ هـ .

وقال أيضا ^(١) : إن من سعادة الحدث والأعجمى أن يوفقها الله لعالم من أهل السنة .
وقال ابن شاذب ^(٢) : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يوافق صاحب سنة يحمله عليها .

وقال ابن أسباط ^(٣) : كان أبى قلزريا وأخوالى روافض فأنقذنى الله بسفيان .
وقال معتمر ^(٤) بن سليمان : دخلت على أبى وأنا منكسر القلب فقال لى : مالك . قلت : نعم . فقال : لا تحزن عليه .

وقال سفيان ^(٥) الثوري : استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء .
وقال أبوبكر ^(٦) بن عياش : السنة فى الإسلام أعز من الإسلام فى سائر الأديان .
وقال الإمام الشافعى ^(٧) رضى الله عنه : إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال الجنيد ^(٨) رحمه الله : الطرق ^(٩) كلها مسدودة إلا على المفتين آثار رسول الله ﷺ والمتبعين سنته وطريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه كما قال تعالى : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

(١) نفس المورد السابق ص ٩ واسمه شاذب بالذال المعجمة .
(٢) القدريه من يزعم ان الشر من العبد وحده ، والرافضة من يقدمون عليا على غيره من الخلفاء الراشدين ، فإن صدر منهم شىء فهم غلاة فى الرفض .

(٣)
(٤) ابن الجوزى ص ١٠ وهونص مبتور وصحته : دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى قال مات على السنة ؟ قلت نعم . قال لا تحزن عليه ، وهو معتمر بن سليمان بن طرخان ابو محمد التميمي البصري ، نسب لبنى تيم لنزوله فيهم من اتباع التابعين ، البعض على توثيقه ووصفه بالعبادة ولد سنة ١٠٦ هـ ومات سنة ١٨٧ هـ بالبصرة وقد جاوز الثمانين وقيل كل سىء الحفظ يخطئ إذا حدث من حفظه ، وإذا حدث من كتابة فهو ثقة .

(٥) ابن الجوزى ص ١٠ .
(٦) أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدى الكوفى ، والأصح أن كتبه اسمه ، وقيل غير ذلك ثقة عابد ، إلا أنه لما جاء كبير ساء حفظه وكتابه صحيح ، مات سنة ٩٤ هـ .

(٧) ابن الجوزى ص ١٠ .
(٨) سيد الصوفية وإمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق كان من الفقهاء العلماء العاملين ومن يبحثون على العمل وينكرون البدع وخاصة التى تتصل بالتعاون فى التكليف أو تركها ومات سنة ٢٩٧ هـ .

(٩) الرسالة القشيرية ج ١ ص ١٠٦ وابن الجوزى ص ١٠ .

فعل فى ذم البدع والأهواء

قال الله تعالى : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ » ..

وقال تعالى : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » ...

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ^(١) ..

وفى رواية :

« ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ^(٢) ...

متفق عليه

وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال « من رغب عن سنتى فليس منى » ^(٣) ...

أخرجه البخارى

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا فرطكم » ^(٤) على الحوض .
وليختلجن ^(٥) رجال دونى فأقول يارب اصحابى ^(٦) فيقال إنك لاتدرى ماأحدثوا
بعدك ^(٧) « ... متفق عليه .

(١) رواية البخارى وسلم . ومعنى « رد » مردود عليه غير مقبول فعله منه أو من غيره .

(٢) الفرق بين الرواية الأولى « من أحدث » والرواية الثانية « من عمل » ان الأولى خاصة من أحدث البدعة ،
والثانية تشمل من أحدثها ومن فعلها وان لم يحدثها فكل بدعة مردودة .

(٣) يشمل تاركها ومن استبدل بها غيرها .

(٤) فرطحكم : الفرط : بفتح الفاء والراء الذى يتقدم الواردين فهىء لهم ما يحتاجون والمراد أنه المتقدم للثواب
والشفاعة .

(٥) يختلجن : يقنطعون وينتزعون بعيدا .

(٦) المراد المنافقون وكانوا معروفين بأسائهم . أو دعائهم بذلك لشبههم بالصحابه فى إظهار الإسلام .

(٧) تلبس إبليس لابن الجوزى ص ١٢٠

قال عبد الله بن محيرز^(١) : يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة . . . متفق عليه .

وقال معاذ بن جبل : يفتح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبي والرجل فيقول الرجل قد قرأت القرآن فلم أتبع والله لأقومن به فيهم لعل أتبع . فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول : قد قرأت القرآن فلم أتبع ، وقمت فيهم فلم أتبع لأحتضرن في بيتي مسجدا ، فيحتضرن في بيتي مسجدا فلا يتبع . فيقول لقد قرأت القرآن فلم أتبع وقمت به فيهم فلم أتبع وقد احتضرت في بيتي مسجدا فلم أتبع والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعه من رسول الله ﷺ . لعل أتبع ، فإياكم وما جاء به فإن ما جاء به ضلالة^(٢) .

وروى هذا الأثر أبوداود بلفظ آخر فقال : قال معاذ : إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذ المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك أن يقول قائل ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره فإن ما ابتدع ضلالة وأحذركم زيفة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق .

وقال عبد الله : تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق^(٣) .

قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم وجدال منافق بالآيات وحكم الأئمة المضلين^(٤) .

وعن عمر^(٥) أرضى الله عنه أنه قال : سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فحذروهم بالسنن فإن أهل السنة أعلم بكتاب الله عز وجل^(٦) .

(١) اس الجوزي عبدالله بن محيرز بن جنادة بن وهب لودان القريشي الجمحي المكي التابعي ابو محيرز نزل الشام وسكن بيت النعمان . توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وقيل في خلافة عمر بن عبدالعزيز . وأجمعوا على توثيقه وإمامته وفضله .

(٢) الدارمي ص ٥٩ ص ١ .

(٣) العتيق القديم .

(٤) الدارمي ص ٦٣ ج ١ .

(٥) حذيفة بن اليان حسبل بن جابر بن عمرو العبسي حليف بنى عبد الأشهل من الأنصار شهد كثيرا من المشاهد وتم على يديه فتح همزان والري والدينور كان من أعلم الناس بالفتن بالمنافقين وتوفي سنة ٣٥ هـ .

(٦) عمر بن عبدالعزيز مروان بن الحكم القرشي الأموي التابعي باحسان ، وأجمعوا على جلالته وفضله ووفور عمله وصلاحه وزهده وورعه وعدله وشفقته على المسلمين والاقتداء بالسنة ولد بمصر سنة ٦١ وتوفي يوم الجمعة سنة ١٠١ هـ .

وعن عثمان الأزدي قال : دخلت ^(١) على ابن عباس رضى الله عنها فقلت له أوصنى ، فقال عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة اتبع ولا تبتدع .

وروى البيهقي عن ابن عباس رضى الله عنها أنه قال : إن أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع وإن من البدع الاعتكاف في المساجد التي في الدور ^(٢) .

وروى أبو داود في سننه عن حذيفة رضى الله عنه قال : كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبد بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا فاتقوا الله يامعشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم .

ومن كلام عمر بن عبدالعزيز رحمه الله ^(٣) : أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع أمر رسول الله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعده .

وقال ابن سيرين رحمه الله ^(٤) : ما أحدث رجل بدعة فراجع سنة .

وقال الحسن : لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا حجا ولا عمرة حتى يدعها .

وقال محمد بن أسلم : من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال أبو معشر : سألت إبراهيم عن شيء من هذه الأهواء فقال ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير ، ماهى إلا نزعته من الشيطان عليك بأول الأمر .

وعن ابن عمر رضى الله عنه قال : كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة .

وقال معمر ^(٥) كان طاوس جالسا يوما وعنده ابنه فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس أصبعه ^(٦) في أذنيه وقال : يا بني ادخل اصبعك ^(٧) في أذنيك حتى لاتسمع من قوله

(١) الدارمي وتنظر الحلية الدارمي ص ٥٠ ج ١ عن عثمان بن حاصر الأزدي قال دخلت على ابن عباس فقلت أوصنى فقال نعم إلخ .

(٢) البيهقي في كتاب السنن وسنده أبو نعيم ثنا زمعة بن صالح عن عثمان بن حاصر الأزدي .

(٣) أبوداود وهو مختصر من كلام طويل وابن وضاح ص ٣٠ من كلام طويل البدع والنهي عنها وابن الجوزي ص ٨٦ من كلام طويل .

(٤) الدارمي ما أخذ رجل ببدعة فراجع سنته سنة ص ٦١ .

(٥) تلبس إبليس لابن الجوزي ص ١٢ ط مكتبة المتنبي - القاهرة .

(٦) ابن الجوزي تلبس إبليس ص ١٢

(٧) الصواب اصبعيه .

(٨) اصبعيك .

شيئا فإن هذا القلب ضعيف ، ثم قال : أى بنى شدد ^(١) فمازال يقول شدد ^(٢) حتى قام الرجل .

وعن محمد العيني ^(٣) قال : كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم فبلغ إبراهيم أنه دخل في الإرجاء فقال له إبراهيم : إذا قمت من عندنا فلا تعد .

وقال محمد بن داود ^(٤) الحرائي : قلت لسفيان بن عيينة ان هذا يتكلم في القدر - يعنى - إبراهيم بن أبي يحيى ، فقال سفيان : عرفوا الناس أمره واسألوا ربكم العافية .

وقال صالح ^(٥) الرى : دخل رجل على ابن سيرين وأنا شاهد ففتح بابا من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال ابن سيرين : إما أن تقوم وإما أن تقوم .

وقال سلام ^(٦) بن مطيع : قال رجل من أهل الأهواء لأيوب لا أكلمه بكلمة فقال ولا بنصف كلمة .

وقال أيوب ^(٧) : ما ازداد صاحب بدعة اجتهدا إلا ازداد من الله بعدا .

وقال سفيان ^(٨) الثوري رحمه الله : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية . . المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها .

وقال ^(٩) : من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة .

ولما مرض سلمان ^(١٠) التيمي بكى بكاء شديدا ف قيل له ما يبكيك ^(١١) ، الجزع من الموت ؟

(١) صحتها : اسدد اى سر فى الطريق السليم .

(٢) كالسابقة .

(٣) ابن الجوزى ص ١٢ والراوى محمد بن داود عن عيسى بن على القيسى قال .

(٤) ابن الجوزى ص ١٤ والصواب محمد بن داود الحدائى .

(٥) ابن الجوزى تلبس إبليس ص ١٢ .

(٦) حاضر مشاهد .

(٧) ابن الجوزى فى تلبس إبليس ص ١٢ والصواب سلام بن أبى مطيع والنص هكذا خطأ وصوابه « قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة قال لا ولا نصف كلمة » .

(٨) ايوب هو السخيتانى كما فى ابن الجوزى ص ١٣ .

(٩) ابن الجوزى ص ١٣ وفيه البدعة يثاب منها وما هنا أصح .

(١٠) ابن الجوزى ص ١٣ ومعنى نقض الإسلام إلخ خرج منه شيئا فشيئا .

(١١) ابن الجوزى فى تلبس إبليس ص ١٣ والصواب سليمان الهيثمى .

(١٢) الصواب الجزع .

فقال : لا ولكنى مررت على قدرى فسلمت عليه وأخاف أن يحاسنى ربي عليه ^(١)

وقال الفضيل ^(٢) بن عياض : من جلس إلى صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان أو قال الإسلام من قلبه .

وقال ^(٣) : إذا رأيت مبتدعا في طريق فخذ في طريق آخر ولا يرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل . ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام .

وقال ^(٤) : من زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها ^(٥) .

وقال ^(٦) : من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، وإذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له .

وقال محمد بن النضر ^(٧) الحارثي : من أصغى إلى صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكّل إلى نفسه .

وقال الليث بن سعد ^(٨) : لو رأيت صاحب هوى يمشى على الماء ماقبلته .

وقال الإمام الشافعي ^(٩) رضى الله عنه : أما أنه قد قصر لورأيته يمشى في الهواء ماقبلته .

وسأل رجل عمر بن عبدالعزيز ^(١٠) عن الأهواء فقال : الزم دين الصبي في المكتب واله عما سوى ذلك .

وقال مالك بن أنس : إياكم والبدع ، قيل يا أبا عبدالله وما البدع ؟ قال أهل البدع الذين

(١) أنظر ابن الجوزي في تلبيس ابليس ذم البدع والمبتدعين ص ١٤ .

(٢) الفضل بن عياض بن مسعود بن بشر التيمي من أئمة الصوفية المشهورين ولد بخراسان وقيل بسمرقند ونشأ بأبيتور ومات بمكة في المحرم سنة ١٨٧ كان شاطرا يقطع الطريق فسمع من يقرأ : « ألم بأن للذين آمنوا أن تحشع قلوبهم لذكر الله » فقال : يارب قد آن وله حكم كثيرة ومناقب جمة وانظر ابن الجوزي في تلبيس ابليس ص ١٤ .

(٣) انظر ابن الجوزي ص ١٣ .

(٤) نفس المصدر والصفحة ومعنى كريمته ابنته .

(٥) أي وسيعاقب عقاب قاطع الرحم .

(٦) ابن الجوزي ص ١٤ وفيه أن يغفر الله له سيئاته .

(٧) ابن الجوزي ص ١٤ وفيه محمد بن النضر الحارثي .

(٨) ابن الجوزي ص ١٤ وفيه صاحب بدعة يمشى إلخ .

(٩) ابن الجوزي ص ١٤ وصحته انه (أي الليث) ما قصر لورأيته يمشى على الهواء ماقبلته .

(١٠) الدرامي ص ٧٧ ج ١ وفيه عليك بدين الأعرابي والغلام في الكتاب وابن الجوزي ص ٨٦ .

يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولايسكتون عما سكنت عنه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام ولكنه باطل يدل على باطل .

وسئل سفيان الثوري عن الكلام فقال : دع الباطل أين أنت من الحق . اتبع السنة ودع البدعة .

وقال : وجدت الأمر بالاتباع .

وقال ^(١) : عليكم بما عليه الخيالون والنساء في البيوت والصبيان في المكاتب من الإقرار والعمل .

وقال الإمام الشافعي ^(٢) رضى الله عنه : لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء .

وقال أيضا : لأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له من أن يبتليه بالكلام . . .

وقال : ما ارتدى أحد الكلام فأفلح .

وقال أيضا : ^(٣) حكى في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام .

وقال مالك : بشس القوم هؤلاء أهل الأهواء لا يسمعون عليهم .

وقال أبو الحسن البغوي : قد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم .

وقال ابن عمر في أهل القدر : خبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى .

وقال ابوقلابة ^(٤) : لاتجالسوا أصحاب الأهواء فإننى لا آمن من أن يغمسوكم في ضلالهم ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون .

وقال سفيان : من سمع بدعة فلا يحكها جلسائى ولا يلقها في قلوبهم .

وقال أبو الحسن البغوي : قد كفر بعض أهل العلم طوائف منهم فروى عن جماعة من السلف تكفير من قال بخلق القرآن .

(١) ابن الجوزى ص ٨٧ وفيه (بما عليه الخيالون والنساء) .

(٢) ابن الجوزى ص ٨٠ وابن عبد البر ص ١١٦ ج٢ بمناسبة مناظرته لحفص الفرد .

(٣) ابن الجوزى ص ٨٠ واحياة علوم الدين ص ٨٤ .

(٤) الدارمى ج١ ص ٩٠ وفيه لاتجالسوا . . . ولا تجادلوهم .

وروى ذلك عن مالك وابن عيينة وابن المبارك والليث بن سعد ووکیع بن الجراح .
وناظر الإمام الشافعی لحفص الفرد وكان یسمیه لحفص الفرد فقال : القرآن مخلوق ، فقال
الشافعی كفرت بالله العظیم .

وقال محمد بن إسماعیل البخاری : نظرت فی كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأیت قوما
أضل فی كفرهم من الجهمیة وإنی لأستجهل من لا یكفرهم إلا من لا یعرف كفرهم .

وقال : ما بالیت صلیت خلف اليهود والنصارى وحكمی عن عبد الله بن أحمد عن أبیه فیمن
قال بخلق القرآن أن لا یصلی خلفه الجمعة ولا غیرها إلا أن لا یدع إتیانها . فإن صلی أعاد الصلاة .

وقال مالك بن أنس : من بغض أحدا من أصحاب النبی ﷺ وكان فی قلبه علیهم غل فلیس
له حق فی فیء المسلمین . ثم قرأ : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَلِلَّذِينَ جَاءُوا مِنَ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ » . . . سورة الحشر الآیات : ۷ ، ۸ ، ۹ .

وقال سفیان الثوری : من قدم علیا علی أبی بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرین .

وذكر بین یدیه رجل ینتقص أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالك هذه الآية « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » . . إلى قوله : « لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ » ثم قال : من
أصبح من الناس فی قلبه غل علی أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية .

وقال سفیان الثوری : من قدم علیا علی أبی بكر وعمر أزرى بالمهاجرین والأنصار وأحسبه
أن لا ینفعه مع ذلك عمل .

وقال أبو الحسن البغوی : وهذا الهجران والتبرؤ والمعاداة لأهل البدع والمخالفین فی الأصول .
أما الاختلاف فی الفروع بین العلماء فاختلف رحمة الله أن لا یكون علی المؤمنین حرج فی الدین
فعلى المسلم إذا رأى رجلا یعاطی شیئا من الأهواء والبدع معتقدا ویتهاون بشیء من السنن أن
یهجره ویتبرأ منه ویترکه حیا ومیتا فلا یسلم علیه إذا لقیه ولا یجیبه إذا ناداه : والنهی عن الهجران
فوق الثلاث فیما یقع بین الرجلین من التقصیر فی حقوق الصلحة دون ماكان فی حق الدین فإن
هجر أهل البدع والأهواء دایم إلى أن یتوبوا فعلیک یاأخی باتباع السنة وقبولها وموالاة أهلها
واجتناب البدع وردھا ومعاداة أهلها .

قال عبد الله بن مسعود رضی الله عنه : کلمنی کلمات جوامع موانع فقال : لاتشرك بالله شیئا
وزل مع القرآن حیث زال ومن جاءك بالحق فاقبل منه وان كان بعیدا رفیضا ومن جاءك بالباطل
فرده علیه وإن كان قریبا حبیبا وعلیک بما قال ابن عمر رحمه الله : ثلاث أحب لنفسی ولاخوانی

هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عليها ، والقرآن أن يتفقهوا ويسألوا عنه ويدعو الناس إلا من خير .

وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى : خمس كان عليها أصحاب النبي ﷺ لزوم الجماعة ، واتباع السنة ، وعمارة المسجد ، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله - عز وجل - رزقنا الله الاتباع وإحياء السنن ، وجنبنا البدع والأهواء في السر والعلن .

فصل في تمييز البدعة عن السنة

اعلم رحمك الله : أن السنة في اللغة : الطريق ، ولأريب في أن أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة . لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث منها حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه ، والبدعة ، عبارة عن فعله تصادم الشريعة بالمخالفة ، أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان .

وقد كان جمهور السلف يكرهون ذلك وينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزا حفظا للأصل وهو الاتباع .

وقد قال زيد بن ثابت لأبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - حين قالوا له أجمع القرآن : كيف تفعّلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ .

وعن عبد الله بن أبي سلمة : أن سعد بن مالك رحمه الله تعالى سمع رجلا يقول : لبيك ذا المعارج . فقال : ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ .

وعن أبي البحتري قال : أخبر رجل ابن مسعود رضي الله عنه أن قوما يحلون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا وسبحوا الله كذا واحمدوه كذا وكذا . قال عبد الله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فاما جلسوا أتاها الرجل فأخبره فجاء عبد الله بن مسعود فقال : والذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظنّا أولقد فضلتهم أصحاب محمد عليا . فقال عمرو بن عتبة نستغفر الله فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيدا .

وعن عبد الله بن عون قال : كنا عند إبراهيم النخعي فحاء رجل فقال : يا أبا عمرو وأنا أدعو الله أن يشفيني . فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه . وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها ، وذكر ما أحدث الناس فكرهه وقال فيه .

وجاء أصحاب الحديث إلى ذى النون فسألوه عن الخطرات والوساوس فقال أنا لا أتكلم في شيء من هذا فإن هذا محدث سلونى عن شيء من الصلاة أو الحديث .

وقال محمد بن زياد : رأى ذى النون على خفٍّ أحمر فقال انزع هذا يابني فإنه شهوة مالبسه رسول الله ﷺ إنما لبس رسول الله ﷺ خفين أسودين ساذجين . فقد تبين هو أن القوم كانوا ينحرزون عن بدعة وإن لم يكن بأس لثلا يحدثوا ما لم يكن .

فصل وقد جرت محدثات

وقد جرت محدثات لاتصادم الشريعة ولم تتعاط عليها فلم يروا بفعلها بأسا بل قال بعضهم إنها قرينة وهو الصحيح .

كما روى أن الناس كانوا يصلون في رمضان وحدانا وكان الرجل يصلى فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر رضى الله عنه على أبى بن كعب فلما خرج فرآهم قال : نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من هذه ، يعنى صلاة آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله ^(١) .

وقال الحسن : القصص بدعة ونعمت البدعة كم من أخ يستفاد ودعوة تستجاب . والحوادث تنقسم إلى بدعة مستحسنة وإلى بدع مستقيمة .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : البدعة بدعتان : بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم ، واحتج بقول عمر رضى الله عنه نعمت البدعة هذه .

أحدهما : ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو اجماعا فهذه البدعة الضلالة .

والثانى : ما أحدث من الخير لاخير فيه لواحد من هذا فهي محدثة غير مذمومة . وقد قال عمر : فى قيام شهر رمضان نعمت البدعة هذه ، يعنى أنها محدثة لم تكن وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى .

وقال بعضهم : وإنما كان لأن النبى ﷺ حث على قيام شهر رمضان وفعله هو ﷺ واقتدى به بعض الصحابة ليلة بعد الأخرى فهي مشروعة فى الأصل . وكذا قول الحسن فى القصص نعم البدعة لأن السويع مشروع ومتى استند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم ، فالبدعة الحسنة متفق

(١) البخارى كتاب الصيام ج ٣ .

على جواز فعلها والاستحباب لها رجاء الثواب لمن حسنت نيته فيها وهى كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء ولا يلزم من فعله محذور شرعى وذلك نحو بناء المنابر والربط والمدارس وخانات السبيل وغير ذلك من أنواع البر التي لم تعهد في صدر الإسلام فإنه موافق لما جاءت به الشريعة من اصطناع المعروف والمعاونة على البر والتقوى .

ومابعده من البدع الحسنة التصانيف في جميع العلوم النافعة الشرعية على اختلاف فنونها وتعين قواعدها وتفسير الكتاب العزيز وجمع الأخبار النبوية وتفسيرها والكلام على الأسانيد والمتون وتتبع كلام العرب واستخراج علوم همة منه فذلك كله وما شاكله معلوم حسنه ظاهر فائدته معين على معرفة أحكام الله ومفهم معانى كلامه وسنة رسوله وكل مأمور به لا يلزم من فعله محذور شرعى .

قال ابوسليمان الخطابي رحمه الله في شرح قوله ﷺ كل محدث بدعة هذا خاص في بعض الأمور ومن بعض وهو كل شيء أحدث على غير مثال أصل من أصل الدين وعلى غير عبارة وقياس ، وأما ماكان منها مبنيا على قواعد الأصول ومردود إليها فليس بدعة ولا ضلالة ، وأما إذا كانت البدعة كالتمم فقد اعتقد نقص الشريعة ، فإن كانت مضادة فهي أعظم شيء لم يكن قبل لامستند لهم فيه .

فالبدعة المستقيمة هي ماكان مخالفا للشريعة أو ملتزما لمخالفتها وذلك منقسم إلى محرم ومكروه ويختلف ذلك باختلاف الوقائع وبحسب ما به مخالفة الشريعة تارة ينتهى ذلك إلى مايجب التحريم وتارة لايتجاوز معه كراهة التنزيه وكل موفق يتمكن بعون الله من التمييز بين القسمين مهما رسخت قدمه في إيمانه وعلمه .

ثم وضح بعض أنواع البدع وأن منها ما هو في العقائد المؤدية إلى الضلال والخسران مثلها الاعتراض على ما أحدثه أهل الضلال والظلمة . وأهل الفرق الضالة ست وقد انقسمت كل فرقة منها اثني عشرة فرقة فذلك اثنتان وسبعون فرقة الذين أخبر النبي ﷺ أنهم في النار وليس نحن هنا بصدد بيانها ولكن من لزم السنة والجماعة وأعرض عن أصول هذه البدع وفروعها كان في الفرقة الناجية بفضل الله تعالى .

الإمام القسطلانى

هو الإمام الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلانى المصرى .
ولد فى الثانى عشر من شهر ذى القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة من الهجرة ٨٥١هـ
بمصر .

وابتدأ نشأته المباركة بحفظ القرآن الكريم ، كما حفظ بعض الكتب منها الشاطبية ، وحج
بيت الله الحرام أكثر من مرة ، وجاور سنة أربع وثمانين وثمانمائة ٨٨٤هـ .

وتلقى العلم على كثير من الشيوخ منهم الشيخ خالد الأزهرى والسخاوى وشيخ الإسلام
الشيخ زكريا الأنصارى ، وعند مجاورته أخذ بمكة المكرمة عن كثير من العلماء منهم النجم بن فهد
وغيره من الشيوخ وكان رضى الله عنه إماما حافظا متقنا تتلمذ على يديه كثير من الشيوخ وكان يعظ
ويدرس بمسجد عمرو بن العاص .

وتوفى بالقاهرة يوم الخميس السادس من المحرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ٩٢٣هـ ودفن
بالمدرسة العينية بالقرب من منزله بجوار الإمام العينى .

● إرشاد السارى

وللإمام القسطلانى كتب كثيرة : منها شرح الشاطبية ، ولطائف الإشارات فى القراءات
الأربع عشرة والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية . ومع أعظم مؤلفاته وأوسعها فى مجال السنة النبوية
كتابه القيم (إرشاد السارى إلى صحيح البخارى) وهو شرح أوجز من شرح الحافظ بن حجر ،
ومن شرح العينى ، وكان يعتمد كثيرا على شروح سابقيه لاسيما « فتح البارى » وكتب له مقدمة
تناول فيها منزلة الحديث وعناية المسلمين ، وقد طبع الكتاب مرارا .

الإمام الشعراني الأزهرى المحدث

● نسبه ومولده

هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوقا بن الشيخ موسى المكنى بأبى العمران بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زوقا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليه .

فهو من أصل علوى هاشمى ، ومن بيت طيب طاهر جمع مع عراقه النسب وشرف المحتد سمو النشأة وطهارة المنزاع وعظيم الصلة بالله سبحانه وتعالى فرفرف علم التصوف الإسلامى على هذه الدوحة الشريفة التى أخرجت إلى العالم الإسلامى أبطالاً كباراً ، وأمجادا عظاماً ، جمعوا بين الملك والتصوف ، وماكان التصوف بمجاهدته وزهادته ليصرفهم عن الملك والولاية ، وإدارة شئون الحياة ، وإنما استطاع هذا البيت العظيم أن يرتفع فى الحياة بما له من خصائص وبما امتاز به من سمات الإيمان والرشاد . ولقد تحدث الشعراني مؤرخاً لنفسه فقال :

« أحمد الله تعالى حيث جعلنى من أبناء الملوك فإننى بحمد الله تعالى عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد بن زوقا بن الشيخ موسى المكنى بأبى العمران بن السلطان أحمد بن السلطان سعيد بن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زوقا بن السلطان ريان بن السلطان محمد بن موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبى طالب رضى الله عليه .

وكان جدى السابع الذى هو السلطان أحمد سلطانا بمدينة تلمسان فى عصر الشيخ أبى مدين المغربى ، ولما أجمع به جدى موسى قال له الشيخ أبو مدين لمن تنتسب ؟ قال والذى السلطان أحمد فقال له : إنما عنيت نسبك من جهة الشرف ، فقال : انتسب إلى السيد محمد بن الحنفية . وقد كانت ولادة الشعراني على أصح ما روى فى ٢٧ من شهر رمضان عام ٨٩٨هـ فى بلدة قلقشندة وهى قرية جده لأمه ثم انتقل بعد أربعين يوماً من ولادته إلى قرية أبيه التى كانت نسبته إليها وهى قرية من قرى مصر ، وقيل ولد بها ثم انتقل إلى القاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة .

● نشأته

نشأ الشعراني يتيمًا من الأبوين فكان الله وليه ونصيره ، وعونه وملجأه ، وقد حفظ القرآن الكريم في باكورة طفولته بالقرية كما حفظ أبوشجاع والأجرومية ودرس هذين الكتابين على أخيه الشيخ عبدالقادر بعد وفاة والده ، وكان قانعا لم تطمع نفسه إلى زخرف الحياة الدنيا ، ولم يمتد نظره إلى مباهجها أو مناصبها ، فلم يتول ولم يرتبط بعمل دنيوى وإنما كانت وجهته خالصة لله سبحانه وتعالى ، وقناعته هذه جعلته يزهّد فيها عند الناس فأورثه ذلك عزة بالغة ، وحجاً في الله ، واستغراقاً في العبادة اعتماداً على الله وحده وتوكلاً صادقاً على من بيده ملكوت السماوات والأرض وهو على كل شيء قدير .

وهذا التوكل الذي نهجه الشعراني كان سبباً فيما يأتيه من رزق من حيث لا يحتسب .

وقد بين ذلك من منن الله عليه « إنه لم تكن هناك عوائق دنيوية تعيقني عن طلب العلم والعبادة . وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداى ولحمتى ، وهذه القناعة أغنتني عن الوقوع في الدل لأحد من أبناء الدنيا ، ولم يقم لى أننى باشرت حرفة ولاوظيفة لها معلوم دنيوى من منذ بلغت ولم يزل الحق تعالى يرزقنى من حيث لاأحتسب إلى وقتى هذا ، وعرضوا على الألف دينار وأكثر فرددتها ولم أقبل منها شيئاً ، وكان التجار والكبراء يأتون بالذهب والفضة فأنثرهما في صحن جامع الغمرى فيلتقطه المجاورون » .

إنها الزهادة الصادقة ، والعزوف الحق عن نفع الحياة وطيباتها فلقد استبدل بها طيبات ما عند الله ، وما عند الله خير وأبقى .

وإذا نظرنا إلى بداية الشعراني في عبادة ربه وتقواه ، وتبتله وتنسكه والسن التى ابتدأ منها السير في طريق ربه مستغرقاً في جلال الربوبية متصوفاً ومتنسكاً ، ومتعبداً ومتهجداً لوجدنا أمراً عجبا .

إنه كان يقوم الليل وهو في الثامنة من عمره ، وأن التبكير بالعبادة في مثل هذه السن إنما يدل على فطرة ذكية ، وغريزة طاهرة ، وبيئة نقية كريمة .

وإلى جانب هذا كان ذا ألمعية ناهية ونبوغ مبكر وولع بتحصيل العلم ومدارسته واستيعابه ، وقبل أن يتم العاشرة من عمره كان قد درس من كتب النحو ماأهله لمجالسة العلماء ، يساعده على ذلك بصيرة نيرة وإشراقات روحية وحافظة واعية تقويها تقوى الله سبحانه وتعالى فهو الذى يعينه ويساعده على العلم « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

وبعد أن مات أبوه كفله أخوه الشيخ عبدالقادر وكان عالماً يكن لأخيه كل حب وإعجاب وتقدير وإخلاص . أحاط عبدالقادر أخاه الشعراني بعظيم العناية الكاملة .

ويتحدث الشعراني عن تلك الفترة التي حضر فيها إلى القاهرة فيقول :

« كان مجيئي إلى القاهرة افتتاح سنة عشره وتسعمائة ، وعمري إذ ذاك اثنتا عشرة سنة في جامع سيدى أبى العباس الغمرى . وحنن الله على شيخ الجامع وأولاده فمكنت بينهم كأنى واحد منهم آكل مايأكلون وألبس مايلبسون ، فأقمت عندهم حتى حفظت متون الكتب الشرعية على الأشياء ولم أزل بحمد الله محفوظ الظاهر من الوقوع في المعاصى عزيزا عند الناس ، يعرضون على كثيرا من الذهب والفضة فتارة أردھا وتارة أطرحھا في صحن الجامع فيلتقطھا المجاورون .

ويذكر المؤرخون أن الشعراني حضر من قريته إلى الأزهر حيث قضى خمس سنوات يتلقى العلم والمعرفة على يد شيخه « على الشونى » ثم انتقل بعد ذلك إلى مسجد الغمرى بناء على مشورة شيخه على الشونى .

ومسجد الغمرى هذا كان في تلك الحقبة بمثابة معهد علمى يجمع بين التعليم وإجراء الأرزاق من الأوقاف والهبات وتخصص للعلم فيها ، وقد ظل في هذا المسجد سبعة عشر عاما ثم انتقل إلى مدرسة أم خوند ، ويقول على مبارك محدثا عن تلك الفترة من حياته « ولقد راض الشعراني نفسه على النهج الصوفى وهو في جامع الغمرى . فطار ذكره وذاع في الناس أمره وكان شيخه على الشونى قد أذن له في أن يرتب بهذا المسجد مجلسا للصلاة على رسول الله ﷺ ولكن أولاد الغمرى أكل قلوبهم الحسد على تلك المكانة العالية التى ظفر بها الشعراني فطلبوا منه أن يغادر مسجدهم .

ثم حط رحاله بمدرسة أم خوند وأقام تجاهها ستة أيام فرأى في منامه أن رسول الله ﷺ قد أذن له بالإقامة بها فدخلها مع أسرته .

● طلبه للعلم

عرفنا فيما سبق نشأة « الشعراني » وانقطاعه الكامل لله سبحانه وتعالى وكان يبكر بتحصيل العلم ومطالعة كثير من الكتب واستيعابه لها لم يزل في سن الصغر ومثل هذه النشأة الفذة من التوفيق العجيب والنبوغ المبكر والعناية اللازمة له من الله سبحانه وتعالى تدل على أن شخصيته العلمية والصوفية قد أخذت مكانتها منذ الصغر حتى أصبحت في منزلتها المرموقة وأن الرجل لم يكتف بها كان عليه من نباهة الذكر والعناية والتوفيق وإنما أخذ يجاهد في سبيل العلم ويهاجر من أجل تحصيله فما هو ذا يهاجر من قريته إلى القاهرة يعيش في المساجد ليله ونهاره في تبتل وتعبد والهجرة في سبيل العلم لها عند الله مكانة عظيمة ولصاحبها يوم القيامة منزلة جليلة فمن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة .

والهجرة في سبيل العلم حين تتمحض فيها النية لله سبحانه وتعالى ولرسوله فهي لله وحده وهكذا من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله كما يقول رسول الله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » . وفي طلبه العلم اتصل بخيرة علماء القاهرة جلال الدين السيوطي وزكريا الأنصاري وناصر الدين اللقاني والرملي والسمنودي، وقد عرف منذ نشأته العلمية باحترامه لشيخه وإجلاله لهم بقلب مخلص وتواضع جم وأدب حسن ونفس تتسع لشتى جوانب العلم والمعرفة فقد درس التصوف والفقه والحديث والتفسير واللغة والأصول فتفتحت مداركه العقلية لكل معارف عصره العلمية وقد تحدث الشعراني عن دراسته فقال : ثم لما جئت إلى مصر حفظت كتاب المنهاج للنووي ثم ألفية ابن مالك ثم التوضيح لابن هشام ثم جمع الجوامع ثم ألفية العراقي ثم تلخيص المفتاح ثم الشاطبية ثم قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات وحفظت هذه الكتب حتى صرت أعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة الحفظ ثم ارتفعت الهمة إلى حفظ كتاب الروض مختصر الروضة لكونه أجمع كتاب في مذهب الشافعي فحفظت منه إلى باب القضاء على الغائب وهو في أواخر الكتاب فلقيني بعض ارباب الأحوال بباب الخلق خارج باب زويلة فقال لي مكاشفا فف على باب القضاء على الغائب ولاتقص على غائب شيء . فما قدرت بعد ذلك على حفظ شيء منه لكنني طالعت الكتاب ودرسته نحو مائة مرة وكنت أقرأ محفوظاتي للتمن في الشرح وأنظر كل شيء توقفت في فهمه حتى صار شرحه للشيخ زكريا عندي نصب عيني ثم لقيني الشيخ أحمد البهلول رضى الله عنه فقال لي مكاشفا أقبل على الاشتغال بالله وكيفيك من العلم ماقد تعلمته . فشاورت في ذلك مشايخي فقالوا : لاتدخل طريق القوم إلا بعد شرح محفوظاتك كلها على الأشياخ فإذا فهمتها وتبحرت فيها فعليك بطريق القوم .

وقرأت محفوظاتي على شيخوخي وهم نحو خمسين فقرأت على الشيخ أمين الدين شرح المنهاج للجلال المحلى وكنت أطالع على درسي هذا القوت للأذرعى والقطعة والتكملة للأسنوى والزركشى والقطعة للسبكي والعمدة لابن الملقن وشرح ابن قاضي شعبة وشرح الروض للشيخ زكريا الأنصاري وأكتب زوائد هذه الكتب على الشيخ جلال الدين وألصق فيها أوراقا حتى ربما تصير الحواشي أكثر من الكتاب حتى أقرأها كلها عليه وقرأت عليه أيضا شرح جمع الجوامع للشيخ جلال الدين وحاشية الشيخ كمال الدين وشرح العراقي للجلال الحافظ السخاوى .

وهكذا يتضح لنا أن الشعراني قد أحاطت دراساته الواعية المستفيضة بكثير من المعرفة والعلم وأنه قد احاط علما بكثير من الكتب في مختلف أنواع الثقافة والمعرفة وكان في كل ذلك يلم بدقائق العلوم واسرارها . وهذا شأن المخلص لثقافته البصير بعلوم شريعته ولغتها والذي أوتي من نفاذ

البصيرة وتقوى القلب ماجعل له حظاً وافراً من تعليم الله سبحانه وتعالى له الذى يفتح على أحيائه وأصفياه ويلهمهم من أنوار علمه ما يضيء لهم طريق الحياة ، وبذلك يفقون على معارف دقيقة وعلوم عظيمة يتفضل الله عليهم بها .

● الشعرانى وعلم الحديث

وقد حبيب إلى الإمام الشعرانى علم الحديث حبا جما فلزم الاشتغال به والأخذ عن كبار المحدثين وألف فى الحديث فاختصر السنن الكبرى للإمام البيهقى كما ألف كتاب « كشف الغمة » وقد قرأ الشعرانى على الشيخ نور الدين الجارحى شرح ألفيه العراقى كما قرأ على القسطلانى كل المواهب وغالب شرحه للبخارى ومن أهم مؤلفاته فى الحديث كتابه « كشف الغمة عن جميع الأمة » وقد وضح الإمام الشعرانى الباعث له على تصنيف هذا الكتاب ، وهو وقوع جماعات من المتصوفين فى حدة بسبب اختلاف العلماء وإلحاحهم عليه أن يدون كتابا يشتمل على أدلة المذاهب الأربعة المشهورة وغيرها من صريح السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين من أقوال المجتهدين التى لم تصرح بأحكامها الشرعية ليعرفوا مآشرعه الرسول ﷺ ويعملوا به فهو الذى يسألون عنه أمام الله تعالى فاستجاب لهذه الرغبة وشرع يجمع فى أحاديث الشريعة وآثارها .

● مكانته العلمية

فى مدرسة « أم خوند » بعيدا عن ضوضاء الحياة ، وهوها ، وبعيدا عن فتن الناس ودسائسهم ، استقر المقام بالشعرانى وأقبلت عليه أيام المنن ، وأخذ مجده العلمى تتسع جوانبه ، وأخذ مجده الصوفى تمتد أبعاده .

إنه أقام فى تلك المدرسة مجالس للعلم ، وأخرى للعبادة ، وابتدأ طلاب العلم ، وعشاق المعرفة يلتفون حوله ويعيون من منله كما أخذ المريدون وأهل الحب الإلهى والتصوف يقصدونه لالتماس البركة والانتفاع بمجلسه .

وذاع صيته ، وانتشر ذكره وارتفع علمه بين الأرجاء فأمه الكثيرون من الأمراء وأصحاب الوجاهة .

وصار زعيما شعبيا له كلمته وله صوته المسموع فى مصر . وأصبح مطاعا فى استانبول عاصمة الإسلام ، ومقر الخلافة آن ذاك .

وحينما جاء السلطان سليم إلى مصر - وهو خليفة العالم الإسلامى يومئذ التف حوله الأمراء والكبراء ، والعلماء والفقهاء كل يلوذ به ويسير فى ركابه ويحف به ، مقدمين له التقدير اللازم والاحترام المطلوب ، إلا أن الشعرانى ظل لا يسعى إلى الخليفة ولا يذهب إلى ركابه ولم يتقدم منه مثل غيره ، إنه لم يرد أن يقدم للسلطان ما قدموه من آيات الولاء حفظا على كرامته كعالم ، وصونا

لعزته كمؤمن ، واحتراما لمكانته كرجل عابد يقتدى به الكثير ، إنه إذن يرى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

بقى الشعرانى مكانه ، فضرب مثلاً رائعاً فى مكانة العلم والعلماء تلك المكانة التى من أجلها تبسط الملائكة أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وهى أيضاً التى بسببها سيرفع الله ذكره ويرفع قدره .

وكانت الكرامة العظيمة التى يكرم الله سبحانه دائماً وأبداً بها أوليائه ، وأحباءه ، وأصفياه . فإذن لم يذهب الشعرانى إلى السلطان كما ذهب الكثيرون ، فإن السلطان قد أحس بمكانة الرجل وعلم درجته ، وتعرف على طريقه فماذا ترى السلطان إذن يفعل ؟

وماذا سيكون موقف الشعرانى وقد علم أن السلطان على علم بتخلفه عن المجيء إليه ؟ إنه ظل فى مكانه كما هو حتى جاء السلطان نفسه وشق طريقه إلى الشعرانى فى موكب حاشد : وجمع غفير يخيم على الأمراء العجب وعلى الناس الغرابة ، ولكن حين يعلمون أن للعلم مكانة يرفع الله بها أصحابه الذين صانوه ، وأن للتقوى منزلة يعز الله بها أصحابها ، حين يعلم الناس ذلك لا يعجبون .

إنه يوم تارخى حقاً هذين الرجلين ، ومن هذا اليوم لم يعص حاكم للشعرانى أمراً ، ولم يرد له طلباً بعد ما رأى من مكانته ، وعرف من منزلته .

وكان لزواية الشعراتى دور هام فى القرن العاشر الهجرى من الناحية العلمية والتعبدية وكان لها أثر كبير فى الداخل عملاً وعلماً وعبادة ، وأثر عظيم فى المجتمع المصرى ، فصارت مدرسة للعلم والتعليم ، وزاوية للعابدين والمتصوفين ، ومسجداً للنسك والصلاة ، وقد أوقف القاضى محبى الدين أوقافاً كثيرة على تلك الزاوية .

وقد سارع الأمراء والسادة يوقفون عليها أملاكهم وأموالهم وينفقون عليها الكثير من المنح والهدايا لما رأوا ماتقوم به من رسالة سامية ومن تعاليم كريمة .

وتوالى طلاب العلم ، وعشاق المعرفة على تلك الزاوية يؤمنونها ويأتون إليها ينهلون من علومها ومعارفها ، ويدرسون فيها العلوم الشرعية والعربية وغيرها ، كما أقبل عليها كثير من المريدين الذين يشقون طريقهم لله على هدى وبصيرة وقد كفل الشعرانى للطرفين من طلاب العلم ، ومن المريدين الراحة والمعيشة ، وهياً جواً علمياً كريماً . وجواً روحياً صافياً فى ذلك الوقت .

وهكذا استتبت الحياة واستقرت داخل الزاوية وقامت برسالتها خير قيام ، وصارت لها ميزانية كبيرة ، تقوم بتوفير المعيشة ، وتدبير أمور الحياة للطلاب والمريدين ، محاولاً إتمام الحياة بنعمها على تلاميذه وأبنائه فمن لم يتزوج عمل على تزويجه ، ومن لم يحج عمل على أدائه فريضة للحج .

وامتدت رسالة الزاوية إلى خارج الطلاب والمريدين ، إلى سائر الفقراء والمحتاجين .

وبهذا استطاعت الزاوية أن تؤدي رسالة العلم والتصوف على أكمل الوجوه ، وتحولت الزاوية إلى اذاعة ملائكية تتصل فيها قراءة القرآن ليلاً ونهاراً وتتسع مجالس العلم فيها ، ومجالس الذاكرين ، إنها أصبحت كما يقول الشبلي المؤرخ .

إنه لم ير في مشارق الأرض ومغاربها خيراً من زاوية الشعراني علماً وفضلاً وتصوفاً وأدباً .

إن الشعراني قرأ كثيراً من العلوم والمعارف ، وحفظ واستوعب كثيراً من الثقافات إلا أن ذلك كله لم يأت ولم يكن شيئاً مذكوراً بجانب العلم الغزير الذي منحه الله له ، وفتح به عليه .

فلقد فتح الله عليه من أبواب المعرفة والعلم الشيء الكثير ، وذلك حين أخذ العهد على شيخه الخواص ولقنه الذكر والأوراد وأخبره بما سيكون عليه شأنه من فتح إلهي عظيم .

ولما فتح الله عليه عرض على شيخه مارأى فقال له :

تم امرك وعلا شأنك وروى قلبك فابق على ماتكتب. فسجل الشعراني تلك الفيوضات في كتابه : « الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية » .

وقد أقبل الشعراني على التأليف والكتابة في كثير من فروع العلم والمعرفة ، في شتى علوم التصوف والفقه والأصول والتفسير والحديث والنحو والطب والكيمياء والأخلاق وغيرها واستغرق بعضها خمسة مجلدات .

ويتحدث شيخ الإسلام الفتوحى الحنبلى عن مكانته العلمية قائلاً : إن الشعراني قد أحاط من العلم بما لم يحيط به . وقد قرأ من الكتب ما لا يعرف له اسماً ، وإنه لو ادعى تأليفها ما وجد في مصر منازعاً .

وكثرة توجيهه وتقريره لجميع مذاهب المجتهدين وتأليفه كتباً كثيرة ابتكرها ولم يسبق إليها ، وإجازة العلماء من أهل المذاهب الأربعة لمؤلفاته .

يتبين ذلك كله بما وضحه في كتابه المنن إذ يقول :

وما من الله تبارك وتعالى به على مطالعتي لكتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهبي وذلك اننى لما تبهرت في مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه احتجت إلى معرفة المسائل المجمع عليها بين الأئمة ، أو التى اتفق عليها ثلاثة منهم وذلك لأجتنب العمل بما منعه وأمتثل أمرهم فيما أمرونا به وإن لم يكن مذهبي فأعمل لما أجمعوا عليه أو اتفق عليه ثلاثة منهم على وجه الاعتناء والتأكيد أكثر مما انفرد به واحد أو اثنان لأن ما أجمعوا عليه ملحق بنصوص الشارع ﷺ ، فمما طالعت

مقارء الحديث

لقد انتشرت فى مصر مقارء للقرآن الكريم وأخرى للحديث الشريف ، ومقارء جمعت بين القرآن والحديث ، ولئن قلّت أو كادت لاتوجد هذه المقارء إلا أنه يوجد حتى الآن بعض المقارء التى أعرفها شخصيا فى الشرقية منها فى قرية الجوسق « مقراء » لصحيح البخارى فى بيت آل حجازى اكرمهم الله .

ومنها مقارء جامعة بين القرآن والحديث والمأثورات ودلائل الخيرات فى الساحة الهاشمية ببلدنا بنى عامر . . ونقدم للقراء هذا البحث المستفيض عن تلك المقارء :

في كتب الحنفية شرح الكنز وشرح مجمع البحرين والحدادي وفتاوى قاضي خان وشرح القدوري والبرازية والخلاصة وشرح الهداية وتخريج أحاديثها للحافظ الزيلعي وهو كافل بأدلة الحنفية كلها وكنت أراجع في مشكلات هذه الكتب الشيخ نور الدين الطرابلسي والشيخ شهاب الدين الشلبلي والشيخ شمس الدين الغزي الكبير وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

وطالعت من كتب المالكية المدونة الكبرى ثم اختصرتها وهي عشرة مجلدات وطالعت كتاب الموطأ وشروح رسالة ابن أبي زيد وشرح مختصر الشيخ خليل وكتب ابن عرفة وابن فرحون وكانت مطالعتي للمدونة بإشارة رسول الله ﷺ وكنت أراجع في مشكلات هذه الكتب الشيخ شمس الدين اللقاني والشيخ شرف الدين الخطاب والأخ الصالح الشيخ عبدالرحمن الأجهوري وغيرهم رضي الله تعالى عنهم .

وطالعت من كتب الحنابلة الخرقى وعدة مختصرات قالوا ولم يدون الإمام أحمد له مذهبا وإنما مذهبه الآن ملفق من صدور أصحابه فإنه كان مذهبه الحديث وكان يقول أستحي من رسول الله ﷺ أن أتكلم في معنى كلامه فقد لا يكون ذلك مراده ، وكان رضي الله تعالى عنه يقول : أو لأحد كلام مع رسول الله ﷺ ؟

وبلغنا أنه وضع في أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسألة . وما يبرز لنا مكانه العظيم في أنه منح الفهم في كتاب الله تعالى يستخرج من كنوزه المكنونة ، ومن نفائسه المصونة كثيرا من العلوم والمعارف التي تفتتح له آفاقها اللدنية ، وهذا من خصوصيات الذين كشف الله لهم الحجب ومنحهم من فيوضاته الشيء الكثير .

يقول الشعراني عن ذلك ^(١) :

وما أنعم الله تبارك وتعالى به على أنه تعالى أعطاني الفهم في القرآن العظيم وهو مقام عظيم قل من أعطيه من الفقراء « وكان سيدى إبراهيم المتبولى يقول أعطيت استخراج العلوم من القرآن العظيم من فقه وأصول ونحو ومعان وبيان وجدل وعروض وغير ذلك فلو جلس إلى منصف نظيف القلب من الأدناس خال من الحسد لبينت له مادة كل علم وأوضحت له ذلك حتى لا يبقى عنده في ذلك شك ولكن السالم مما ذكرتها قليل وجوده » .

وأیضا فمما منحه الله تعالى من العلم أنه استوعب المذاهب الأخرى كما يقول :

وما أنعم الله تبارك وتعالى به على كثرة توجيهي وتقريرى لجميع مذاهب المجتهدين حين تبهرت في علومهم حتى كأنى في حال تقريرى لها واحد منهم وربما ظن الداخلى على وأنا أقرر في

(١) المنن : للشعراني .

المحلى لجمع الجوامع وحاشية ابن أبى شريف وكتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر وكتاب الجوهر المصون فى علوم كتاب الله المكنون وهو مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منشورة على سور القرآن ، وكتاب طبقات الصوفية وهى من أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى ختام سنة ستين وتسعمائة ذكرت فيه مناقب كل من كان له كلام أحفظه فى الحقيقة أو الشريعة لا غير . وذكرت فيه العلماء الأحياء والفقراء الأحياء الذين وقع لى بهم صجبة ومما صنفته كتاب مفحم الأكباد فى بيان مواد الاجتهاد ، وكتاب حد الحسام على من اوجب العمل بالالهام ، وكتاب التتبع والفحص على حكم الالهام إذا خالف النص ، وكتاب البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف ، وكتاب رسالة الأنوار فى آداب العبودية ، وكتاب كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهى نيف وسبعون سؤالاً فى التوحيد سألتنى عنها علماء الجان ، وكتاب فرائد القلائد فى علم العقائد ، وكتاب الجواهر والدرر جمعت فيه ماسمعت من العلوم والأسرار من سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ، وكتب الكبريت الأحمر فى بيان علوم الكشف الأكبر ، وكتاب الاقتباس فى علم القياس وكتاب تنبيه المغترين فى القرن العاشر على ماخالفوا فيه سلفهم الطاهر وغير ذلك مما سرت به الركبان .

وقد بين صاحب المناقب الكبرى أن مصنفات الإمام الشعرانى جاوزت الثلاثمائة كتاب فى شتى أنواع العلوم كالتفسير والحديث والفقه والتصوف والطب واللغة ومن أشهرها : الطبقات الكبرى والميزان فى الفقه المقارن واليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ولوامع الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ، ولطائف المنن والأخلاق إلى غير ذلك .

وقد أجاز العلماء من أهل المذاهب الأربعة لمؤلفاته ومدحوها وأثنوا عليها أطيّب الثناء مما يدل على عظمتة العلمية .

وقد حاز الشعرانى حب أشياخه ورضاهم تلك نعمة عظيمة من نعم الله تعالى عليه لأن هذا الرضا من الأشياخ عنوان على رضا الله لأنهم واسطة بين العبد وبين ربه فى السلوك .

ومما يشهد بالمكانة العلمية له قول كثير من المستشرقين كقول فولدرز :

إن الشعرانى كان من الناحية العلمية والنظرية محدثاً من الطراز الأول، وكان فى الوقت نفسه كاتباً بارزاً أصيلاً فى ميدان الفقه وأصوله وكان مصلحاً لا يكاد الإسلام يعرف له نظيراً وإن كتبه التى تجاوزت السبعين عدا من بينها أربعة وعشرون كتاباً يعتبر ابتكاراً محضاً أصيلاً لم يسبق إليه ولم يعالج فكرتها أحد قبله .

ويقول المستشرق ماكدونالد : إن الشعرانى كان رجلاً دراكاً نفاذاً مخلصاً واسع العقل .

علم المحدثين وعمدة النقاد

الحافظ شرف الدين الدمياطى

٦١٣ . ٧٠٥ هـ ١٢١٧ . ١٢٠٦ م

عاش الحافظ أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف الدين التونى الدمياطى - ويعرف بابن الماجد - حياته الطويلة الحافلة فى الفترة من أوائل القرن السابع الهجرى إلى أوائل القرن الثامن .

وهى فترة حفلت بأحداث جد خطيرة شغلت العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، كان من أبرزها خطراً وأعمقها أثراً سقوط الخلافة الإسلامية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، وما صاحب ذلك من موجات الغزو المتتالية على البلاد الإسلامية من التتار والمغول والصليبيين .

وقد تميزت هذه الفترة بطائفة من العلماء والفقهاء الذين عاصروا الحافظ الدمياطى ، من أمثال سلطان العلماء العزبن عبد السلام ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحافظ زكى الدين المنذرى ، والشرف اليونينى ، والحافظ بن مسدى ، وأبى شامة المقدسى ، وابن دقيق العيد ، ونصير الدين الطوسى ، وابن خلكان ، وطائفة أخرى أدركت هؤلاء وأخذت عنهم ، ولحقت بعصرهم ، منهم الحفاظ المشاهير : المزرى والذهبى والبرزالى وابن ناصر الدين ، وابن كيكلى والتقى السبكى وغيرهم

وكان لهؤلاء العلماء أثرٌ كبير فى مجرى الأحداث السياسية والأحوال العامة ، التى زخر بها هذا العصر ، بما قدموه من الفتاوى الفقهية والآراء الاجتهادية والمؤلفات الهامة ، وبما أبدوه من المشاركة الفعالة فى جميع ما شغل أولى الأمر والحكم فى العالم الإسلامى عصرئذ ، مما حفظ على المسلمين كلمتهم ، ووحد صفوفهم وجمع شملهم ، ورفع لواء دينهم وصان شريعتهم وأحكامها .

(١) مقدمة المتجر الرابع فى ثواب العمل الصالح للدمياطى تحقيق محمد رضوان وعبد الملك بن دهيش .

في هذه الفترة الخطيرة ، في سنة ثلاث عشرة وستائة منها ، ولد حافظ عصره ومُسند وقته
الحافظ الدمياطي في « تونة » من عمل مدينة تَنيس [تعرف الآن بكوم سيد عبدالله بن سلام] في
جزيرة بحيرة المنزلة [. وكانت نشأته بمدينة دمياط أحد ثغور البلاد المصرية العامة ، وفيها تفقه
في مذهبه وقرأ القراءات على الأخوين الإمامين أبي المكارم عبدالله وأبي عبدالله الحسين ابني
منصور السعدي وسمع بها الحديث منهما ، ومن الشيخ أبي عبدالله محمد بن موسى بن النعمان وهو
الذي أرشده لطلب الحديث ، بعد أن كان مقتصرًا على الفقه وأصوله على مذهب الإمام
الشافعي ، وكانت سنه عندما طلب الحديث ثلاثًا وعشرين سنة .

ثم انتقل إلى الإسكندرية ، فسمع بها في سنة ست وثلاثين وستائة على الجُم الغفير والعدد
الكثير من علمائها وبخاصة من أصحاب الحافظ أبي طاهر السلفي ، ثم قدم القاهرة وعنى بهذا
الشأن رواية ودراية ، ولزم الحافظ زكي الدين عبدالعظيم المنذري ، فسمع عليه وأخذ عنه .
وفي سنة ثلاث وأربعين حج إلى الحرمين الشريفين ، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين ،
وإلى الجزيرة وإلى العراق مرتين .

وفي هذه البلاد أخذ عن شيوخها وسمع عليهم وانتفع منهم .

كما أنه سمع على شيوخ دمشق وحماة وحلب التي لازم فيها الحافظ أبا الحجاج يوسف بن
خليل - وماردين وبغداد ، وفيها خرج أربعين حديثاً لأُمير المؤمنين المستعصم بالله أبي أحمد
عبدالله بن المستنصر بالله العباسي ، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد .

وكانت أكثر إقامته في دمشق والقاهرة ، وفيها نشر علمه وانتفع به الطلاب وأخذ عنه الفقهاء
والعلماء ، وبلغ في العلم مكانة مرموقة حدث بالإمام تاج الدين السبكي أن يصفه في طبقات
الشافعية الكبرى : « بحافظ زمانه ، وأستاذ الأستاذين في معرفة الأنساب ، وإمام أهل الحديث
المجمع على جلالته ، الجامع بين الداراية والرواية بالسند العالي القدر . . . » . كما جعلت
المؤرخ صلاح الدين بن شاکر الكتبي في كتابه « فوات الوفيات » يصفه : « بالإمام البارِع الحافظ
النابه المجود علم المحدثين ، عمدة النقاد . . . » . كما قال عنه الحافظ المزني : « ما رأيت أحفظ
منه . وكما يقول البرزالي : « كان آخر من بقى من الحفاظ وأهل الحديث أصحاب الرواية العالية
والداراية الوافرة » . وكما يقول الذهبي في معجمه : « العلامة الحافظ الحجة أحد الأئمة الأعلام
وبقية نقاد الحديث » . وكما وصفه الإمام أبوحيان الأندلسي : « بحافظ المشرق والمغرب » .

ولاشك أن ما ذكره هؤلاء العلماء عنه يعبرٌ بصدق وحق عن قيمة هذا الإمام الجليل الذي بلغ
في علوم عصره ، وخلف من المصنّفات الجليلة ما يشهد بعلو كعبه ورفعة منزلته بين معاصريه ،
كما يوضح مكانة من أخذ عنهم وسمع عليهم من العلماء الكبار في العلم الإسلامي في أمثال : بن
المُفَرِّج ويوسف بن عبدالمعطي المحلّي والعَلَم بن الصابوني والكمال بن الضرير وابن العَلّيق وابن

قميرة وموهوب الجوالقي وهبة الله بن محمد بن مفرج الواعظ وشعيب بن الزعفران وابن رواح وابن رواحة وابن الجميزي والرشيد بن سلمة ومكي بن علاّن ، وأصحاب السلفى ، وشهده وابن عساكر ، وخلق من أصحاب المحدث ابن شاتيل والقزاز وابن برّى النحوى وابن كليب وابن طبرزد وحنبل والبوصيرى والخشرى . وقد بلغ عدد شيوخه - كما ذكر الحافظ بن حجر في الدرر الكائنة - ألفا ومائتين وخمسين شيخاً^(١) .

ومع جلالة قدر هؤلاء الشيوخ ورفعة منزلتهم كانت للحافظ الدميّاطى مكانة رفيعة أتاحت له أن يُملّى ويحدّث في حياتهم ، ويحتل بينهم مركزاً مرموقاً جعل كثيراً من رفقاءه وقرنائه يأخذون عنه ويسمعون منه ويكتبون أماليه .

ومن مشاهير العلماء الذين تتلمذوا على الحافظ الدميّاطى وأخذوا عنه : الصاحب كمال الدين بن العديم ، وأبو الحسين اليونينى ، والقاضى علم الدين الأختائى ، وعلم الدين القونوى ، والشيخ أثير الدين أبو حيان النحوى ، والحافظ فتح الدين بن سيد الناس ، والعلم البرزال ، والزكى الميزى ، والعمر النويرى ، ومحمى الدين النواوى ، وتقى الدين السبكى الذى كان أكثرهم ملازمة له وأخصهم بصحبته ، وهو آخر خلق الله من المحدثين به عهداً .

لقد كانت للحافظ الدميّاطى في حياته وجاهة وحرمة وجلالة ، فقد كان موسعاً عليه في الرزق ، وتولى مناصب علمية هامة كمشيخة الظاهرية والمنصورية ، وكان جميل الصورة جدّاً ، مليح الهيئة ، حسن الخلق ، بساماً ، نقى الشّيبة ، فصيحاً لغوياً ، مقرئاً سريع القراءة ، جيد العبارة كبير النفس ، كثير التفنن حسن المذاكرة ، حسن العقيدة .

وتلك صفات إذا اجتمعت لأحد ، حفظت عليه حرمة ورفعت درجته وصانت كرامته . فما بالك إذا اقترنت بهذه الصفات المنزلة العالية في العلم والمعرفة وجودة التصنيف .

● وفاته

وقد ظل الدميّاطى طول حياته يصنف ويجمع ويدرس في جميع الفنون وبخاصة علوم الحديث ، حتى مات فجأة حين صعد إلى بيته فغشى عليه في السلم - كما يقول ابن حجر - أو كما يقول ابن تغرى بردى . كانت وفاته فجأة بالقاهرة بعد أن صلى العصر غشى عليه في موضعه . فحمل إلى منزله فمات من ساعته ، وكان ذلك في يوم الأحد الخامس عشر من ذى القعدة سنة خمس وسبعمائة للهجرة النبوية ، ودفن في مقابر باب النصر بالقاهرة ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب . رحمه الله تعالى وعفا عنه ونفعنا ببركته وعلمه .

^(١) راجع معجم شيوخ الدميّاطى (ويوجد منه الجزء الثالث فقط في مكتبة الأزهر بالقاهرة برقم ٣٢٦ مصطلح وعليه ساعات وإجازات مؤرخة سنة ٦٨١ وعليها أيضاً خط المؤلف .

● مصنفاته

ذكرت المصادر التي ترجمت للديمياطي عدداً من مصنفاته ، وصل بعضها إلى علمنا ولم يصل إلينا بعضها الآخر ، وربما كانت له مصنفات أخرى لم يذكرها المترجمون له ولم تحفظ لنا المكتبات منها شيئاً بين مقتنياتها ، وهامى أسماء ما أمكننا جمعه من تأليفه مرتبة أبجدياً .

- ١- أخبار عبدالمطلب بن عبد مناف .
- ٢- أخبار بنى نوفل .
- ٣- الأربعون الأبدال في تساعيات البخارى ومسلم (انظر رقم ٩) برنامج المكتبة الخالدية بالقدس ٧٦^(١)
- ٤- الأربعون الحلبية في الأحكام النبوية .
- ٥- الأربعون في الجهاد .
- ٦- الأربعون المتبانية بالإسناد المخرجة على الصحيح من حديث أهل بغداد .
- ٧- الأربعون الصغرى «مختصر الكتاب السابق» .
- ٨- التسلي والاعتباط بثواب من تقدم من الأفراط [دار الكتب ١٦٠ حديث م] .
- ٩- جزء فيه أحاديث عوال وأبدال وموافقات وتساعيات ومصافحات وأناشيد ومقطعات . Esc. 1800, 12 (الاسكوريال بمدريد) .
- ١٠- ذكر أزواج النبى ﷺ وأولاده وأسلافه .
- ١١- السيرة النبوية (لعله الكتاب الآتى برقم (٢٠)) .
- ١٢- العقد المثلث فيمن اسمه عبدالمؤمن .
- ١٣- فضل الخيل « منه نسخ خطية في باريس ٢٨١٦ ، أيا صوفيا ٤١٥٨ ، أسعد أفندى ١٨٢٤ ، وهو مطبوع » .
- ١٤- قبائل الخزرج « ويسمى أيضا : أخبار قبائل الخزرج أخى الأوس » .
- ١٥- كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى « دار الكتب ٥٩٣ حديث » .
- ١٦- المائة التساعية في الموافقات والأبدال العالية .
- ١٧- المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح .
- ١٨- المجالس البغدادية .

١٩- المجالس الدمشقية .

٢٠- مختصر في سيرة سيد البشر - خ .

Bank xv 1007. (بانكبور بالهند)

٢١- معجم شيوخ الدمياطى (٣-١) الجزء الثالث فقط بالمكتبة الأزهرية برقم ٣٢٦ مصطلح .

٢٢- حواش على البخارى بهوامش نسخته .

٢٣- حواش على مسلم بهوامش نسخته .

هذه هي أسماء المؤلفات التي جمعناها من الكتب التي ترجمت له وهي المذكورة في مصادر ترجمته بعد قليل بالإضافة إلى ماجاء في فهرس دار الكتب المصرية والأزهرية ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وتاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان .

مصادر الترجمة

١- تذكرة الحفاظ	للذهبي	المتوفى سنة ٧٤٨هـ - ٤ : ١٤٧٧ (طبع الهند ١٣٧٧/١٩٥٨ م)
٢- طبقات القراء	للذهبي	المتوفى سنة ٧٤٨هـ - ٤ : ٥٨٢ (طبع القاهرة ١٩٦٩ بتحقيق الشيخ محمد سيد جاد الحق)
٣- فوات الوفيات	لابن شاكرو الكتبي	المتوفى سنة ٨٦٤هـ - ٢ : ١٧ (طبع بولاق ١٢٨٣)
٤- مرآة الجنان	لليالعي	المتوفى سنة ٧٦٨هـ - ٤ : ٢٤١ (طبع الهند ١٣٧١)
٥- طبقات الشافعية	للسيكي	المتوفى سنة ٧٧١هـ - ٦ : ١٣٢ (طبع المطبعة الحسينية)
٦- تاريخ علماء بغداد	لابن رافع السلامي	المتوفى سنة ٧٧٤هـ - ١٢٠ : ١٣٢ (طبع بغداد ١٣٥٧)
٧- الدرر الكامنة	لابن حجر	المتوفى سنة ٨٥٢هـ - ٢ : ٤١٧ (طبع الهند ١٣٥٠)
٨- النجوم الزاهرة	لابن تغرى بردى	المتوفى سنة ٨٧٤هـ - ٨ : ٢١٨ (طبع دار الكتب)
٩- المنهل الصافي	لابن تغرى بردى	المتوفى سنة ٨٧٤هـ - ٣ : ٣٥٤ (مخطوطة دار الكتب رقم ١١١٣)
١٠- حسن المحاضرة	للسيوطي	المتوفى سنة ٩١١هـ - ١ : ١٦٧ (طبع مصر)
١١- شذرات الذهب	لابن العماد	المتوفى سنة ١٠٨٩هـ - ٦ : ١٢ (طبع القاهرة ١٣٥١)
١٢- درة الحجال	لابن القاضى	

**المحدثون المصريون
من القرن الحادى عشر
حتى القرن الرابع عشر الهجرى**

محدث العصر وعلامة مصر الإمام عبدالرؤوف المناوى

هو الإمام عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن على الحدادى المناوى بضم الميم كماً فى كشف
الظنون .

كان أعلم معاصريه بالحديث وأكثرهم فيه تصنيفاً وإجادة وتحريراً .

وصفه الحافظ المقرئ فى فتح المتعال بالعلامة محدث العصر علامة مصر .

وقال عنه : لقيته وزرته فى بيته وجاءنى إلى منزلى ثم نقل عن شرحه الكبير على الجامع
الصغير ، فقال الذى مزج فيه الشرح بالمشروح امتزاج الحياة بالروح .

ولد سنة ٩٥٢ ، ومات بمصر سنة ١٠٣١ ، وأخذ التفسير عن النور على بن غانم المقدسى
والنجم الغيطى والشمسى الرملى وأخذ التصوف عن جماعة منهم الشيخ منصور الغيطى والشعرانى
وغيرهم .

ولم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم لكون أهل عصره كانوا لا يعرفون مرتبة علمه
لانزوائه عنهم وانقطاعه للتصنيف .

ومن تصانيفه فى الحديث وعلومه شرح على متن النخبة كبير وآخر صغير ، وشرح على شرح
النخبة سماه « اليواقيت والدرر » وشرح على الجامع الصغير سماه : « فيض القدير » فى عدة مجلدات
ضخمة .

وشرح قطعة من زوائد الجامع الصغير سماه « مفتاح السعادة » وله كتاب جمع فيه ثلاثين ألف
حديث بين فيها من الزيادة على « الجامع الكبير » وعقب كل حديث بيان رتبته سماه « الجامع الأزهر
من حديث النبى الأنور » وهو فى ثلاثة مجلدات ، وكتاب آخر فى الأحاديث القصار عقب كل
حديث بيان رتبته سماه « المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق » .

وكتاب انتقاه من لسان الميزان بين فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف ورتبه كالجامع
الصغير . وكتاب فى الأحاديث القصار جمع فيه عشرة آلاف حديث سماه « كنز الحقائق فى حديث
خير الخلائق » رتبه على حروف المعجم وله شرح على الأربعين النووية .

وله كتاب فى الأدعية الماثورة وكتاب فى اصطلاح الحديث سماه « بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح
المحدثين » والطبقات الكبرى سماها « الكواكب الدرية والصفوة بمناب آل بيت النبوة والاتحافات
السنية بالأحاديث القدسية » مرتبة على حروف المعجم .

الامام المحدث الشيخ الشرقاوى

هو^(١) من أعلام العلماء ، والمحدثين الفضلاء جمع بين العلم والعمل ، وخدمة الإسلام والوطن ، فكان عالما دينيا ، وزعيما وطنيا ، ينافح عن الوطن الإسلامى ويجاهد فى سبيل الله ، وإلى جانب هذا فقد كان متعدد المواهب غزير العلم والتصانيف ألف فى السنة وفى شرح الحديث كتابه القيم « فتح المبدىء شرح مختصر الزبيدئ » وألف فى العقائد والفقه واللغة والتفسير .

الشيخ الامام عبدالله الشرقاوى

وهو^(١) الإمام الشيخ عبدالله بن حجازى بن إبراهيم الشافعى الأزهرى الشرقاوى ، ولد فى قرية الطويلة من ضواحي بلبيس بالقرب من قرية القرين فى محافظة الشرقية سنة ١١٥٠هـ ومنها أخذ نسبته .

حفظ فى طفولته القرآن الكريم فى القرين حيث نشأ بها ، وتطلع إلى المعرفة ، فشد رحاله إلى الجامع الأزهر حيث درس على كثير من أعلام علمائه مثل الشهاب الملوى والشهاب الجوهري ، والعلامة الشيخ على الصعيدى والشيخ الإمام الحنفى ، والشيخ الإمام الدمنهورى ، ومال بفطرته الطبيعية إلى التصوف فتلقن مبادئ الطريقة الخلوتية على الإمام الشيخ الحنفى فاستولى عليه التدله والذهول والهيام كما يسميه الصوفية بالجذب وثاب إلى نفسه بعد أيام ، ثم اتصل بالصوفى الشهير العارف بالله الشيخ محمود الكردى ولازمه ، فرباه وأرشده وقطع به مدارج الطريق ، ولقنه أسرارَه فأصبح فى مقدمة المريدين وطليعتهم .

وقد تقلبت به الأحوال فتجرع مرارة الفقر كما ذاق حلاوة اليسر ، وعاش فى ظلال الخمول والنسيان كما عاش تحت أضواء الجاه والسلطان ، فاستفاد خبرة وتجربة ضمها إلى ما استفاده من علم وعرفان وإلى ما أحرزه من مجاهدة وروحية فى مجال السلوك الصوفى ، فصقلته التجارب وهذبته المعارف وزكته النفحات .

وبهذا نال الصدارة فى دنياه ، وفاز بالزلفى إلى الله فى أخراه .

ذكر الجبرتى فى تاريخه أنه كان فى قلة من خشونة العيش وذاق مرارة الحياة فلا يطبخ فى داره إلا نادرا ، وبعض معارفه كانوا يواسونه ويرسلون إليه الصحف من الطعام أو يدعونه ليأكل

(١) نقلا عن كتاب مشيخة الأزهر تأليف الأستاذ على عبدالعظيم .

معهم . . ولما عرفه الناس واشتهر ذكره وصله بعض تجار الشام وغيرهم بالهدايا والصلات ، فراجت حاله . وتجميل بالملابس . . . ولما توفي الشيخ الكردي كان من جملة خلفائه ، وضم إليه أشخاصا من الطلبة والمجاورين الذين يحضرون دروسه ، يأتون إليه في كل ليلة يذكرون معه ويعمل لهم في بعض الأحيان ثريدا . . . ثم اشترى له دارا وساعده في ثمنها بعض من كان يعاشره من المياسير ، واستمر على حالته حتى مات الشيخ أحمد العروسي فتولى بعده مشيخة الجامع الأزهر ، فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها ، حتى كان يضرب بعظمها المثل . . . « وكان ولايته هذا المنصب بإشارة من الشيخ محمد بن أحمد الجوهري صاحب النفوذ الكبير » .

وفي حياته ألت بمصر أحداث جسام ، حملته في غمارها إلى القمة وكادت تقذف به إلى الأعماق ، وتورده موارد الهلاك ، لولا ماكان يتمتع به من مكانة علمية ومنصب جليل وقيادة شعبية ، رفعته إلى الزعامة الوطنية ، وجعلته متأثرا بهذه الأحداث ومؤثرا فيها إلى حد كبير .

هذه الأحداث تتعلق بالحملة الفرنسية على مصر ، وسنشير بعد قليل إليها ، ولما تولى مشيخة الأزهر تعرض لأحقاد ومؤامرات عديدة شأنه في هذا شأن كل من ولى منصبا كبيرا تتطلع إليه الأبصار ، وتتعلق به الأهواء والرغبات ، فقد كان الشيخ مصطفى الصاوي يتطلع إلى هذا المنصب ويرى نفسه جديرا به ، فلما أفلت منه تشبث بالتدريس في المدرسة الصلاحية المجاورة لضريح الإمام الشافعي وهو منصب كان موقوفا على من يلى مشيخة الأزهر ، ويتناول في مقابله مبلغا كبيرا من المال ، وكان الشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر السابق قد تعرض لمثل هذا الموقف حيث نازعه في التدريس بهذه المدرسة الشيخ محمد المصيلحي الضرير الذي كان يرى نفسه أحق بالمشيخة من العروسي ، فننازل العروسي له عن الدراسة بها حسنا لدواعي الخلاف ، ولما مات المصيلحي تعفف العروسي عنها وأجلس فيها الصاوي - في التدريس بالمدرسة الصلاحية ، ولكن بعض حاشية الشيخ الشرقاوي حرضوه على إبعاد الصاوي عن هذه المدرسة ، وألقوا في روعه أن مشيخته لا تتم إلا بالتدريس فيها ، وظلوا ينفثون في روعه هذه الفكرة بضعة أشهر وكان الشيخ الإمام يثق في نصيحتهم إياه ، فتحدث في ذلك مع الشيخ محمد بن الجوهري وأيوب بك الدفتردار ، فوافقاه على التمسك بحقه ، فذهب في جماعة كبيرة إلى المدرسة وألقى بها درسا ، فغضب الشيخ الصاوي واتصل بأصدقائه من كبار الماليك فعقد مجلسا في بيت الإمام الشرقاوي حضره الصاوي وأعوانه ، فقال الشيخ الإمام : شهدوا ياجماعة أن هذه الوظيفة استحقاقى وقد تنازلت له عنها ، فقال له الصاوي : أرجع أما الآن فلا ، ولا جميل لك الآن في ذلك ، وحدث أخذ ورد ، وانتهى المجلس إلى ترك التدريس للشيخ الصاوي وظل يقوم بهذه المهمة حتى مات ، فقام الشيخ الإمام بالتدريس فيها دون منازع .

والتدريس موهبة علمية تستولى على قلوب كثير من كبار العلماء ، فيرون في التدريس زكاة

روحية عن علمهم ، وأداء لحق الله وحق العباد عليهم وإشباعا لهوايتهم العلمية وموهبتهم البلاغية ولا تحول المناصب الكبرى بينهم وبين أداء هذا الواجب الكريم .

وفي العصر الحديث يقوم مقام التدريس عند أصحاب هذه المناصب إلقاء المحاضرات العامة ، والكتابة في الصحف والمجلات ، وإذاعة الأحاديث في الإذاعات المسموعة والمرئية « التليفزيون » .

وبعد عدة أشهر طمع القائمون على المدرسة في المكافأة الموقوفة على من يقوم بالتدريس فيها ، فلم يدفعوا شيئا للشيخ الإمام ، وأخذوا يدسون له عند الباشا الوالى حتى أوغروا صدره عليه ، وهم الوالى بعزله عن المشيخة ثم أمره أن يلزم داره ولا يبارحها فتدخل القاضى - ومنصب القضاء كان موقوفا على الأتراك - عند الوالى فأزال ما بينهما من جفاء ، وتنازل الشيخ الإمام عن التدريس ، وأتاب عنه الشيخ محمد الشبراوى فأراح واستراح ، ولكنها كانت راحة موقوتة لأن الراحة لا يمكن أن يظفر بها من يتصدرون للقيادة وما تفرضه عليهم من أعباء جسام ، وماتعطيه لهم من جاه وسلطان ، وماتستدعيه من منافسات وأحقاد .

فما كادت فتنة المدرسة الصلاحية تزول حتى فكر أعداء الشيخ الإمام فى الكيد له ، وتذكروا منصبا كبيرا خاصا بالأزهر كان يتيح لمن يشغله السيطرة على شئون الأزهر ، هذا المنصب يقوم به « ناظر الأزهر » فقد كان الخليفة العزيز بالله ووزير ابن كلس ، يشرفان على جميع شئون الأزهر ويعاونهما خطيب المسجد ، وظل الأزهر موكولا إلى أحد الحكام أو الأمراء .

وفى عهد الدولة الأيوبية أهملت الدولة أمر الأزهر ، لأنه كان فى نظرها يمثل الدعوة الشيعية ، لأن المذهب الشافعى ، وهو المذهب الرسمى للدولة - يحتم الاقتصار فى صلاة الجمعة على مسجد واحد جامع فى المدينة ، فاستبدل الأيوبيون بالأزهر غيره . وفى عهد المماليك استرد الأزهر مكانته ، فأسند الملك الظاهر برقوق سنة ٧٨٤م ولاية النظر على الجامع الأزهر إلى الطواشى بهادر مقدم المماليك السلطانية وفى عهد السلطان المؤيد جعل نظارة الأزهر إلى الأمير سودوب القاضى حاجب الحجاب ، ثم عهد بها بعده إلى شمس الدين محمد الماجورى أحد كبار المشتغلين بتجارة الجواهر ، وكان هذا الإشراف مقصورا على الناحية الإدارية مما يتعلق بإصلاحه وتعميره والإنفاق عليه وتعيين الموظفين اللازمين لإدارته . . فلما اقتضت العناية بالأزهر إنشاء شيخ له يتولى جميع شئونه العلمية والإدارية والروحية لم يعد هناك مبرر لقيام « ناظر » يشرف على شئونه الإدارية ، وكان للشيخ أن يختار من يعاونه فى الإشراف على هذه الشئون .

تذكر أعداء الشيخ الإمام منصب النظارة ، فأجمعوا أمرهم على إحيائه كمكيدة منهم له ، فتألف حزب بزعامة الشيخ محمد الأمير ، اتصل بكثير من ذوى الرأى ، وأعلن الجميع تعيين الشيخ محمد الأمير ناظرا للأزهر ، وكتبوا تقريراً بذلك أقره القاضى العثمانى وختم عليه الشيخ

السادات والسيد عمر النقيب وكبار أعوانها من مشايخ الأزهر ، وقام الشيخ الأمير بنشاط كبير في الإشراف على الخدمة في المسجد بنفسه وبمساعدة ابنه ، وبذل عناية كبيرة بنظافته وتنظيمه وإنارته ، ولكن الشيخ الشرقاوى استطاع بحكمته ولباقته وسماحته أن يسمو فوق هذه المنازعات .

أما الحملة الفرنسية على مصر ، فقد تمت في عهد الشيخ ولقيت مقاومة شديدة من الشعب تحت قيادة علمائه الأعلام ، فأبلى الشيخ بلاء حسنا في هذه المقاومة ولقى فيها مشقة وعناء ، فكان يطفو على أمواج هذه الثورة إلى القمة ويكاد ينحدر منها إلى القرار .

ومن الخير أن نبدأ بذكر نبذة عن الحملة الفرنسية ، ثم نتبعها بذكر ماحمله الشيخ الإمام في هذه الثورة من أعباء جسام أبلى فيها وابتلى بها فأثر فيها وتأثر بها ، وأدى واجبه العلمى والوطنى بقدر ماأسعفته الظروف .

● الحملة الفرنسية

بعد الحروب الصليبية استيقظت أوروبا من سباتها العميق ، فاقتبست الحضارة الإسلامية ، واستغلت الحضارة الأغريقية والرومانية وتخلصت من معظم القيود والأغلال التى كبلتها مئات السنين ، على حين تخلفت الأمم الإسلامية وتمزق شملها وغطت في سبات عميق .

ففى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع ، تطلعت دول أوروبا إلى استغلال الشرق العربى وماتضمه دوله من ثراء عريض ، وجذبها إليه أنه الطريق للسيطرة على التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وأطمعهم فى هذا ضعف الخلافة العثمانية صاحبة السيادة على الدول العربية ، وسهل لهم هذه المهمة أن مصر التى وقفت صامدة كالجبل الشامخ أمام الغزوات الصليبية . أصابها الضعف والتخلف وأصبحت خاضعة لقوى عديدة متضاربة مزقتها شر تمزيق ، فقد كان الحكم للدولة العثمانية ويمثلها وال تركى تتم توليته عن طريق تقديم الرشاوى الكثيرة لحاشية الخليفة ، فإذا تم تعيينه حرص على أن يعرض أضعاف أضعاف ماقدمه من رشاو ، لأنه يعلم أن منصبه مؤقت . لا يكاد يتعدى عاماً أو بعض عام ، وفى أحيان قليلة جدا بضعة أعوام ، حتى يقدم غيره من الرشاوى أضعاف ماقدمه الوالى السابق ، وكانت الدولة العثمانية حريصة كل الحرص على سرعة تعيين الولاة حتى لا يطمع أحدهم فى الاستقلال بولايته ، وكان الجند العثمانيون فى مصر يقتلدون الحاكم فى السلب والنهب وضعف يده عن السيطرة عليهم ، فكلاهما فى الجريمة سواء وزاد الطين بلة أن أمراء الممالك كانوا يتحكمون فى طبقات الشعب فى نظام إقطاعى يشبه نظام الأشراف والنبلاء فى الدول الصليبية ، فكانوا هم الحكام الفعليون للشعب ، وكثيرا ماكانوا يصطدمون بالوالى العثمانى فينزل على حكمهم ، وقد يعزلونه فيولى الخليفة العثمانى والياسواه .

وكان هؤلاء الممالك يتنافسون فى استغلال طبقات الشعب ونهب مايسطيعون من أموال ،

ومصادرة تجارتها ، وكثيرا ماختلفون فيما بينهم فيسوقون طبقات الشعب معهم في حروبهم المدمرة وفي مؤامراتهم ودسائسهم التي لا تكاد تنتهى حتى تنشب بينهم من جديد .

وتفاقم الخطب حينما تجمع الأعراب ، وفرضوا سيطرة طاغية على الأقاليم ، واستباحوا النهب والسلب وقطع الطرق ، فقد سيطر همام بن يوسف زعيم عرب بنى حبيب على معظم أقاليم الوجه البحرى ، ولم تكن الدولة العثمانية يهملها إلا أن تنال الجزية السنوية المفروضة على البلاد ، ولهذا أصدر السلطان سليم قرارا يضم جميع الأراضي الزراعية إلى ملك الدولة ، ثم تقسيمها وطرحها في المزايعة بين الراغبين فيها نظير مبلغ سنوى يدفعه الملتزم للدولة ، وفي مقابل ذلك يحل محل الحكومة في السيطرة والامارة على الأقاليم التي أخذتلتزامها ، فيجنى من الزراع ماشاء متى شاء في جميع أوقات العام ، وسيطر أمراء المماليك على الأقاليم عن طريق الالتزام .

ولهذا كان الشعب ممزقا جريحا أشبه بالعبيد الأرقاء ، وحينئذ تطلع الشعب إلى علمائه الأعلام بوصفهم الحراس على تطبيق الشريعة الإسلامية وإقرار العدالة الاجتماعية .

ومن هنا أصبحت لهم قيادة شعبية استطاعوا بها أن يدفعوا المظالم عن الشعب أحيانا . وإن كانت موجات الطغيان تتوالى في معظم الأحيان .

هذا كله أطمع الفرنسيين في غزو مصر وضمها إلى أملاكهم ، وكان على رأس فرنسا في هذا الحين القائد الشهير نابليون بونابرت فدفعته مطامعه ومنافسته لإنجلترا إلى السيطرة على مصر ، وكان على علم تام بظروفها ، فقاد حملة حربية استولت على الإسكندرية وزحف إلى القاهرة وكان قد أعد منشورا مترجما إلى اللغة العربية وقد وزعه على نطاق واسع ، وكان يتظاهر فيه بالإسلام وبحبه للمصريين وصداقته للدولة العثمانية صاحبة الحق الشرعى في الخلافة على المسلمين ، ويعلن فيه أنه جاء لإقرار الحق ونشر العدالة وتخليص المصريين من طغيان المماليك وظلمهم واستبدادهم ، قال في أوله :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله ، لا ولد له ولا شريك له في ملكه ، من طرف الجمهور الفرنسيين على أساس الحرية والتسوية السر عسكر^(١) الكبير بونابرت ويعلن فيه أنه ماجاء إلا لتأديب أمراء المماليك ثم يقول : « إننى ماجئت إليكم إلا لكي أخلص دينكم وحكمكم من يد الطاغية ، وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمدا والقرآن العظيم وقولوا أيضا أن الناس متساوون عند الله ثم يتجه إلى العلماء قائلا لهم : « أيها القضاة والمشايخ والأئمة . . قولوا لأمتكم إن الفرنسيين هم أيضا مسلمون خالصون لذلك قد نزلوا في رومية الكبرى وخرّبوا فيها كرسى البابا ، والذي كان يحث دائما النصارى على محاربة

(١) السر عسكر كلمتان أولاهما فارسية الأخرى عربية ومعناها : القائد أو رئيس الجند .

الإسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردها منها الكوالرية^(١) الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين . . » ثم يظهر موالاة الفرنسيين للدولة العثمانية فيقول : « والفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ، وبالمقلوب^(٢) الممالك امتنعوا عن إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره . . . » وختم المنشور بأن . . . الواجب على المشايخ والقضاة والأئمة أن يلازموا وظائفهم ، وعلى كل واحد من أهل البلد أن يبقى في مسكنه مطمئنا . وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة والمصريين بأجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض دولة الممالك قائلين بصوت عال : أدام الله إجلال العثماني^(٣) أدام الله إجلال العسكر الفرنسي على لعن الله الممالك وأصلح حال الأمة المصرية »^(٤) .

وعلى الرغم مما قاساه المصريون من مظالم الممالك وطغيانهم وجبروتهم ، وعلى الرغم مما عانوه من تعسف وتجبر جنود الأتراك وقسوة وجشع الولاة العثمانيين ، فإنهم لم يستجيبوا لنداء الفرنسيين لأن رابطة العقيدة الإسلامية كانت أقوى من جميع الروابط ، فضلا عن أن الشعب المصرى كان قد بدأ يتيقظ من سباته العميق ويعرف حقوقه المشروعة فكان يطالب بها ، ويستطيع أن يرد الطغاة من الممالك والأتراك عن طغيانهم أحيانا بزعامة علمائه الأعلام من رجال الأزهر الشريف ، وإذا تراخى بعض العلماء لظروف اضطرارية في مقاومة الفرنسيين ، كان الشعب يرغمهم إرغاما على العودة إلى مقاومة الطغيان ، وكان الشيخ الشرقاوى قد نال ثقة الشعب به وظفر بزعامته قبل الحملة الفرنسية حينما وقف في وجه الطغاة الظالمين من أمراء الممالك ، فلما جاءت الحملة الفرنسية كان في مقدمة الزعماء المقاومين للاحتلال الأجنبي ، تارة عن طريق المقاومة الشعبية ، وتارة عن طريق السياسة والمطالبة ، وكان له فيهما المقام المحمود .

زعامة الشرقاوى

من المواقف الكريمة التى رفعت الإمام الشرقاوى إلى مرتبة الزعامة الشعبية ، موقفه في مقاومة طغيان محمد بك الألفى الحاكم المملوكى الطاغية وكان يشاركه في الحكم مراد بك وإبراهيم بك ، فقد حضر أهالى بلبيس إلى الشيخ الإمام الشرقاوى وشكوا إليه عن طغيان محمد بن الألفى

(١) فرسان القديس يوحنا الذين أحتلوا مالطة وكانوا من قبل مشتركين في الحروب الصليبية وأصل الكلمة مقتبس من Lavalliere أى الفارس .

(٢) أى مع العكس من ذلك .

(٣) الدولة العثمانية .

(٤) راجع المنشور بتهامه في كتاب « مظهر التقديس » بذهاب دولة الفرنسيين للمجرتى مطبعة الرسالة سنة ١٩٦٩ ص ٢٨-٢١ .

حيث أرسل أتباعه إليهم وطلبوا منهم أموالاً لا طاقة لهم بها ، وهددهم بالتنكيل والتعذيب إذا لم يقدموا إليهم ما يطلبون ، واستغاثوا بالشيخ فغضب لغضبهم وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ وكان قد اتصل بممراد بك . وإبراهيم بك فلم يستجيبا له - فأغلقوا الجامع وأمروا الناس بإغلاق الأسواق والخوانيت ثم ركبوا في اليوم التالي واجتمع عليهم خلق كثير من العامة فذهبوا إلى بيت الشيخ السادات . . فأرسل إبراهيم بك إليهم أيوب بن الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم وسألهم عن مرادهم فقالوا : نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع وإبطال المكوسات^(١) التي ابتدعتموها وأحدثتموها ، فقال : لا يمكن الإجابة إلى هذا كله ، فإننا إن فعلنا هذا ضاقت علينا المعاش والنفقات ، فقالوا له : ليس هذا بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء المماليك ؟ والأمير يكون أميراً بالاعطاء لا بالأخذ ، فوعدهم بتبليغ رأيهم وانصرف ، ولكنه لم يعد إليهم بالجواب ، وانفض المجلس ، وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر واجتمعت جماهير الشعب ، وباتوا بالمسجد مزمعين على الثورة وأشفق أمراء المماليك والوالى ، فأرسلوا إليهم من يفادهم وناب عن الشعب في هذه المفاوضة الشيخ الإمام السادات والنقيب والبكرى والشيخ الأمير ، وطالت المفاوضات وتمسك المشايخ برأيهم وانتهى الأمر بنزول الأمراء على حكم المشايخ في رفع المظالم والحكم بالعدل طبقاً لأحكام الشريعة الغراء ، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس ، وأن يرسلوا الأموال الموقوفة على الحرمين وكانوا قد احتجزوها لأنفسهم ، وتعهدوا أن يسيروا في الناس سيرة حسنة وأنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ، وكان القاضى حاضراً فكتب حجة عليهم بذلك وشهد عليها والى ووقع عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فوقع عليها وانجلت الفتنة وعاد المشايخ وحول كل منهم جمهرة عظيمة من العامة ، وهم ينادون أن جميع المظالم والضرائب مرفوعة وفرح الناس فرحاً عظيماً^(٢) .

وهذه الوثيقة يشبهها بعض المؤرخين بوثيقة إعلان حقوق الإنسان كما يراها البعض وثيقة دستورية تؤكد أن الأمة - ممثلة في علمائها - مصدر السلطان ، وإن كان الحكماء بعد قليل قد عادوا إلى ممارسة الظلم والطغيان فلم يمض على ذلك نحو شهر حتى نزل مراد بك إلى دمياط وفرض عليها الضرائب الباهظة ، مما مكن الفرنسيين من غزو البلاد لأن الشعب كان لا يثق في هؤلاء الأمراء .

(١) المكس جمعه مكوس هو الضريبة .

(٢) انتهى ملخصاً عن الجبرتي « عجائب الآثار » ج ٤ ص ٢٥٥-٢٥٧ .

● في غمار الثورة

ما كاد الفرنسيون يستولون على القاهرة بعد عدة معارك حتى أصدروا منشورا ثانيا بمعنى منشورهم الأول ، يؤكدون فيه أن الهدف من الحملة الفرنسية هو حماية البلاد من ظلم المماليك ، وأن نابليون يؤمن الناس على أموالهم وعلى حرياتهم وعلى مباشرة عباداتهم ، ويعلن فيه أنه يحترم نبي الإسلام ويقدسه ويقرر أن «المحافظة على الأمن من المسائل التي لا تحتل تأخيرا فسيكون هناك ديوان مؤلف من سبعة أعضاء يجتمعون في الجامع الأزهر يتصل اثنان منهم دائما بالقائد ، ويتخصص أربعة منهم للمحافظة على الأمن ومراقبة شئون الشرطة » وعقب هذا طلب مقابلة وفد من علماء الأزهر ، وكان الشيخ الشرقاوى « والسيد السادات » والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف خارج القاهرة ، فقابله اثنان من كبار العلماء هما الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومي فأحسن استقبالهما وطلب أن يعود كبار العلماء الغائبين إلى القاهرة ، وأكد أنه لن يصيبهم سوء ، وأعلن لأعضاء الوفد من عزمه على إنشاء ديوان لأجل راحة العلماء وراحة الرعية ولتنفيذ أحكام الشريعة ، ثم أصدر قرارا بتأليف ديوان يحكم مدينة القاهرة مؤلف من المشايخ السادات والشرقاوى والصاوى والبكرى والفيومي والعريش وموسى السرسى والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف ومحمد الأمير^(١) وطلب منهم أن ينتخبوا رئيسا لهم يمثلون أمره وإشارته فاخترتوا الإمام الشيخ الشرقاوى ، وحرص بونابرت على التودد إلى مشايخ الديوان ، وكلهم من كبار العلماء وعلى المبالغة في احترامهم ، وأمر حرس الشرف من الجنود الفرنسيين المرابطين أمام مقر القيادة أن يؤدوا التحية العسكرية بالسلاح لعلماء الأزهر إذا جاءوا إلى مقر القيادة ، فإذا دخلوا خف لاستقبالهم رجال التشرifiات والمترجمون للحفاوة بهم ولقيادتهم إلى الصالون الرئيسى فى القصر وتقدم لهم المرطبات والقهوة ، فإذا فرغوا من تناولها دخل عليهم بونابرت ورحب بهم ، وجلس وسطهم متوددا إليهم متناقشا معهم عن طريق المترجم فى آيات قرآنية ، طالبا منهم شرحها مظهرا الاحترام للشريعة الإسلامية ورسولها الكريم ، وبهذا كسب ثقتهم به ، ثم أصدر قرارا بتخصيص جواد لكل منهم .

وكان استعمال الخيل من قبل مقصورا على الأتراك والمماليك ، والبغال خاصة بالعلماء ، أما الحمير فتركبها العامة .

ثم يبالغ فى الحفاوة بالأعياد الإسلامية وبخاصة المولد النبوى تألفا للعامة فأمر بأن يشترك الجيش فى الحفاوة بهذه الأعياد بإطلاق المدافع والألعاب النارية وأن تشترك الموسيقى العسكرية فى

(١) رفض ثلاثة من هؤلاء العلماء قبول هذا المنصب لأنهم رأوا فيه اعترافا بالولاء لهؤلاء المستعمرين ، وقادوا الثورة ضد هذه الحملة فيما بعد وهم الشيخ السادات وعمر مكرم والشيخ الأمير ، فاستبدل بهم الفرنسيون المشايخ الدمنهورى . والشبراخيتى والدواخلى .

الترفيه عن الجماهير ، ثم أصدر قراراً بتعيين السيد خليل البكرى نقيباً للأشراف وذهب بنفسه لزيارته وخلع عليه خلعة ثمينة ، ثم عين الشيخ محمد المسيرى كبير علماء إسكندرية رئيساً لديوانها ، وطلب من الجنرال مارمون أن يقابله وأن يخبره أن بونابرت يجتمع ثلاث أو أربع مرات كل عشرة أيام مع كبار المشايخ ورؤساء الأشراف الذين ينحدرون من الدوحة النبوية ثم قال فى رسالته : « إنه لا يوجد من هو أكثر منى اعتقاداً فى طهارة وقدسية الديانة المحمدية » ثم كتب إلى الشيخ المسيرى رسالة يقول فيها : « تعلمون التقدير الخاص الذى شعرت به نحوكم منذ اللحظة الأولى التى عرفتكم فيها ، إنى أرجو ألا يتأخر الوقت الذى أستطيع فيه جمع كل الرجال العقلاء والمتعلمين فى البلاد وإقامة نظام موحد يقوم على مبادئ القرآن التى هى وحدها المبادئ الحقة والتى هى موحدها قديرة على إسعاد الناس » .

ولكن الجماهير المصرية أدركت بفتنتها وتجاربها العديدة أن الأمر إنما هو إدعاء ظاهرى قائم على الخداع والنفاق لجذب الشعب وإقناعه بقبول الاستعمار الفرنسى والإذعان له .

ولهذا لم تحدث هذه الدعاية آثارها إلا فى عدد قليل من أفراد الجماهير . والمعروف أن الثورة الفرنسية انحرفت عن الديانات السماوية وأحلت محلها عبادة العقل ممثلاً فى صورة سيدة ، ونابليون هو سليل هذه الثورة ، ولم يكن ذا عقيدة دينية سليمة ، وكانت آثار الحروب الصليبية ودور فرنسا فيها لا يزال عالقا بأذهان المصريين .

فلم يروا نابليون بونابرت إلا عازياً صليبياً وأوروبياً وفد لاستعمار بلادهم وأن ادعاءه الإسلام إنما هو لخداعهم وخداع الخلافة الإسلامية التى أنشئت الجراح . وكانت عواطف الشعوب الإسلامية متعلقة بهذه الخلافة ، التى تمثل العالم الإسلامى وتوحد كلمته وتبرز قوته أمام العالم كله .

ولهذا أعلن الشعب على الحملة الفرنسية حرباً شبيهة بما نسميه الآن حروب العصابات أو حروب الاستنزاف .

وقد عبر نابليون عن هذا فى مذكراته بقوله : « إن الجيش الفرنسى قد استولى على الإسكندرية والقاهرة وانتصر فى معركة شبراخيس وإمابة » ولكن موقف الفرنسيين لم يكن مستقراً بل ظل مزعزعا ، ولم يحتمل المصريون وجود الفرنسيين فى بلادهم إلا كرها . . وهم - بوصفهم مؤمنين مسلمين - لا يخفون حسرتهم واستياءهم من انتصار غير المؤمنين . . وكانوا يعتبرون أنه من العار والخزى أن تسقط مصر فريسة فى أيدي الفرنسيين ، وكان أئمة المساجد يختارون فى تلاواتهم للقرآن الكريم الآيات التى تحض المؤمنين على جهاد الكافرين . إن الجيش الفرنسى - على الرغم من انتصاراته - كانت تحيط به الأخطار ، لأنه كان يصعب عليه أن يصمد فى حرب دينية ، وكان المصريون يعبرون عن ادعائه لمناصرة الإسلام بأنه خداع ومخاتلة ريثما يتهالك ، وأما هو فنصرانى

ابن نصراني ، كما قرر هذا نقولا ترك^(١) وقرر أيضا في مذكراته « إن المصريين لم يستطيعوا إطلاقا تحمل الفرنسيين بسبب اختلاف الدين واللغة والرأى ، فضلا عن عداء قديم متأصل بين الفرنسيين والمصريين ، يرجع إلى أيام لويس التاسع ملك فرنسا حين بلغ المنصورة ، وحاول الاستيلاء عليها في الحروب الصليبية^(٢) وزاد الثورة المصرية اشتعالا منشور أصدره الخليفة العثماني سليم الثالث بإعلان الحرب على فرنسا سنة ١٧٩٨ م ودعا المصريين إلى الثورة على الفرنسيين وإعلان الجهاد الدينى على الفرنسيين الذين ينكرون وحدانية الله ورسالة محمد ، بل ينكرون وجود الله ويسخرون من جميع الديانات ولا يعتقدون في البعث والنشور ، ويرون الكتب السماوية مجموعة من الأكاذيب ، ثم أعلن إعداد الجيوش الجارية والأساطيل الضخمة لتحرير المصريين من قبضة الكافرين^(٣) وألهب الثورة في نفوس المصريين ما بلغهم عن تحطيم الإنجليز للأسطول الفرنسى في موقعة أبى قير ، وفرضهم حصارا بحريا يمنع وصول التجارات الفرنسية إلى جيش الاحتلال ، هذا إلى عدة عوامل أخرى لا يتسع لذكرها المقام .

وقد أنقسم علماء الأزهر لىءاء الثورة الفرنسية إلى فريقين : فريق ناوأ الثورة الفرنسية ورفض التعاون معها بزعماء السيد الشيخ محمد السادات ، وفريق هادن الثورة إلى حد ما بزعماء الشيخ الإمام الشرقاوى .

أما السادات فقد رفض قبول عضوية الديوان منذ تشكيله ، وكان نابليون يتودد إليه ، ويرغب فى جذبته للتعاون وكان يتردد على بيته ويقدم إليه الهدايا توجسا منه ، لأنه كان يعتقد أنه على صلة بأمرأء الممالك ورجال الدولة العثمانية ، وكان يعرف مكانته الشعبية ثم عينه رئيسا للجنة النظر فى المظالم ، ولما قامت الثورة ضد الفرنسيين تزعمها الشيخ السادات ، وبعد إخماد الثورة فكر نابليون فى إعدامه ، ولكنه وجد أن إعدامه ستكون له نتائج وخيمة . . وظل موضع الريبة حتى قامت الثورة للمرة الثانية ضد الفرنسيين وأسهم فيها الشيخ فاعتقله الفرنسيون ، وأنزلوا به ألوانا شتى من التعذيب والتنكيل على الرغم من شيخوخته وكبر سنه ، وفرضوا عليه أموالا طائلة عجز عن أدائها ، وظل عرضة للتعذيب والنكال وأحضرُوا زوجته لتشاهد زوجها الكهل وهو يتلقى الضرب المبرح فى الصباح والمساء^(٤) . وقد كان هذا التنكيل هو السبب الكبير فى اغتيال الجنرال كليبر قائد عام الحملة الفرنسية فيما بعد ، أما الفريق الثانى فقد رأى مهادنة الحملة الفرنسية ، ويعلل الشيخ الإمام الشرقاوى زعيم هذا الفريق جنوحه إلى المهادنة فى كتابه « تحفة الناظرين فىمن

(١) ترجمة مذكرات نقولا ترك ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤.

(٣) صور من دور الأزهر فى مقاومة الاحتلال الفرنسى ص ٧٠.

(٤) ظل هذا الشيخ الجليل موضع الريبة والتعذيب حتى انتهت الحملة الفرنسية ورحلت عن مصر.

ولى مصر من السيادة والسلطين « بعجز الأهالى عن مقاومة الفرنسيين بسبب « هروب المالكين الذين معهم آلات القتال » وحمله على المهادنة اعتقاده أنه بوصفه زعيم الديوان يستطيع أن يدير الأحكام طبقا للشرعية الإسلامية ، وأن يمنع الظلم والعدوان ويكف أذى الفرنسيين عن الشعب حتى تتحرك الخلافة العثمانية لإنقاذ الشعب من استعمار الفرنسيين ، ولعل الأمل كان يراوده فى جذب نابليون وجيشه الفرنسى إلى الإسلام بعد أن تكرر إعلان نابليون إعجابه بالإسلام وحبه لنبى الإسلام ، وبخاصة بعد أن كتب منشورا بعد عودته من الشام أعلن فيه أنه « يجلب دين الإسلام ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ، ويحترم القرآن ويقرأ منه كل يوم بإتقان . . ومراده أن يبنى مسجدا عظيما بمصر لانظيره فى الأقطار . وأن يدخل فى دين النبى المختار عليه أفصل الصلاة والسلام » وكان نابليون كثيرا ما يعلن أمام مشايخ الأزهر رغبته فى اعتناق الإسلام ، ويذكر أن فى استطاعته أن يحمل أفراد الجيش الفرنسى على اعتناق الإسلام بناء على أمر يومى بسيط يصدره لهم ، ثم طلب منهم فى إحدى الجلسات أن يصدروا فتوى يدعون فيها الشعب لأن يقسم له يمين الطاعة والولاء . فتصدى له الشيخ الإمام طالبا منه تنفيذ وعده باعتناق الإسلام وحبب إليه هذه الخطوة وزينها فى قلبه ، وقال له : إنه إذا اعتنق الإسلام انضوى تحت لوائه مائة ألف عربى فى البلاد العربية واستطاع أن يفتح بهم الشرق ، فذكر نابليون أن هناك عقبتين تحولان بينه هو وجنوده وبين الإسلام ، هما تحريم شرب الخمر فى الإسلام ، وعملية الختان . فقال له مشايخ الأزهر إنه من الممكن التجاوز عن هذين الشرطين بصفة مؤقتة ، فراوغهم نابليون وطلب منهم مهلة سنتين يعتاد خلالها الجنود التقاليد الإسلامية وبعدها يعتنقون الإسلام .

وكان الشيخ الإمام يستغل مكانته فى الشفاعة لدى الفرنسيين لدفع الأذى عن زعماء الشعب وذوى المكانة فيهم ، وكثيرا ما كان يقف فى وجه الفرنسيين مدافعا عن كرامته وكرامة ذوى المكانة الشعبية من المصريين . . . وقد كشف الفرنسيون أخيرا أنه يتجاوب مع الثورة ضدهم ، ويهالى زعماء الثائرين فاعتقلوه فى سجن مع غيره من زعماء الثورة المجاهدين .

ونستطيع أن نسرد بعض مواقفه من الحملة الفرنسية بإيجاز :

أولا : أراد نابليون أن يحمل العلماء شارة العلم الفرنسى رمزا للولاء والطاعة فأعد طيلسانات^(١) ملونة بألوان العلم الثلاث الأبيض والأحمر والأزرق ، وطلب العلماء ، فقام بوضع الطيلسان على كتف الشيخ الشرقاوى فى صورة تكريم له ، فغضب الشيخ الإمام ، ولم يرع حزمة نابليون ، ورمى بالطيلسان إلى الأرض « وتغير مزاجه وانتقع لونه واحتد طبعه » . كما ذكر الجبرتى .

(١) الطيلسان ، مانسميه الآن « بالشلل » الذى يوضع على الأكثاف .

وحاول الترجمان عبثاً أن يشرح له ولئن معه من العلماء أن الهدف من هذا إنما هو تكريم للعلماء قائلاً : « إنكم صرتم أحباً إلى لصارى عسكري » قائد العسكر » وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته ، فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس وصار لكم منزلة في قلوبهم ، فقالوا له : لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين . . . » .

ثانياً : فى أثناء محنة السادات تقدم الشيخ الإمام الشرقاوى مع بعض العلماء ، وتشفع فى إطلاق سراح زوجة السادات ونقلها من المعتقل الذى كانت تشاهد فيه تعذيب زوجها بالغة فى التنكيل به وبها ، فلم يسع القائد إلا قبول شفاعته وصحبه وأطلقوا سراحها .

ثالثاً : مع ريبة الفرنسيين فى الشيخ الإمام لم يسعهم إلا اختياره فى مقدمة أعضاء الديوان للمرة الثانية سنة ١٢١٣هـ .

رابعاً : وفى عيد الاعتدال الخريفى ، أقيمت حفلة كبرى أنعم القائد فيها على الشيخ الإمام بخلعه سمور تكريماً له وتبجيلاً ، وقبلها الشيخ لأنها لم تكن رمزا للحكم ولا للعلم الفرنسى .

خامساً : كان نابليون وخلفاؤه يزورون الشيخ الإمام فى بيته ، ويبالغون فى الحفاوة به على الرغم من عدم اطمئنانهم إليه نظراً لمكانته العلمية ولقيادته الشعبية ، وكثيراً ما كانوا يذهبون إليه فى مواعيد رسمية وطالما قدموا إليه الهدايا والتحف والألطفاء ، وأباحوا له ولزملائه ركوب البغال . تمييزاً لهم عن العامة ^(١) .

سادساً : كلما اشتدت الثورة ضد الفرنسيين استعان الفرنسيون بجاهه ونفوذه لتهديته الثورة ، فكان يحاول أن يتوسط وأن يهادن إشفاقاً على الشعب الذى لم يكن يملك سلاحاً أو قيادة رشيدة ، حتى تعرض فى بعض المواقف لاساءة الظن به من المكافحين المناضلين من المصريين ، وجرى اتهمه ومن معه من العلماء على أفواه الشعب فقالوا : « هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ، ومرادهم خذلان المسلمين وأخذوا دراهم من الفرنسيين ، وشتموهم وأسمعوهم أقبح الكلام ^(٢) » .

والواقع أن الشيخ الشرقاوى ومن معه من علماء الأزهر ، استطاعوا فى كثير من المواقف أن يجنبوا شعب القاهرة كثيراً من النكبات ، وأن يرفعوا عنه كثيراً من المظالم وأن يخففوا وقع بعضها ، كما استطاعوا أن يحموا الجامع الأزهر من الهدم والتخريب ، وأن يحتالوا لاجلاء الفرنسيين عنه بعد

(١) جمع الفرنسيون البغال ومنعوا الشعب من ركوبها ماعدا خمسة من العلماء هم الشرقاوى والمهدى والفيومى والشيخ الأمير وأحمد بن محمود ومحم .

(٢) مظهر التقديس ص ٢٢١ .

احتلاله ، ولما عجزوا بعد الثورة الثانية عن حمايته ، آثروا إغلاقه حتى لا يكون هدفا للفرنسيين ، وهاوروا الفرنسيين حتى أخذوا منهم موافقة على إغلاقه - منعا لهدمه وتدميره - إلى حين .

ومع أن الثورة الفرنسية ، فتكت بالآلاف من سكان القاهرة ، وفرضت عليهم الغرامات الباهظة ، وقتلت لفيفا من علماء وطلاب الأزهر ، وعذبت بعض زعمائه ، ولكنها مع هذا كله نبهت أذهان العلماء إلى الحضارة الحديثة ، وجذبته إلى العلوم الحديثة ، وأطلعتهم على مظاهر المدنية والعمران ، فقد كانت تضم طائفة من كبار العلماء في شتى المعارف والفنون ، كشفوا كثيراً من الآثار المصرية القديمة ، واهتدوا إلى فك رموز اللغة الهيروغليفية ، كما درسوا كثيراً من معالم مصر دراسة علمية وسجلوها في كتاب علمي عظيم هو كتاب « وصف مصر » .

كما درسوا موضوع وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض ، وأجروا تجارب علمية عديدة أمام علماء الأزهر ، وكونوا مجمعا علميا للقيام بالأبحاث الطبيعية والصناعية والتاريخية والاقتصادية ، وقاموا بإنشاء مطبعة عربية لأول مرة في الشرق أيضا ، مما جعل معظم المؤرخين يصفون هذه الحملة ، بأنها حملة علمية أكثر منها حملة حربية .

ولو انضم الأستاذ الإمام إلى الفريق المتطرف بزعامة الشيخ السادات ، لفقد السادات حياته ، وفقد كثير من علماء الأزهر حياتهم وأموالهم ، وهدم الفرنسيون الأزهر ودمروه تدميرا ، ولشوهوا معالم القاهرة وحطموها تحطيا ، فكان من لطف الله أن قاد جماعة من العلماء الثورة ، وأن هادنها إلى حد ما جماعة آخرون منهم .

على أن الإمام الشرقاوى كان ضلعه مع الثوار وإن هادن الفرنسيين في بعض المواقف مهادنة ظاهرية ، وقد عرف الفرنسيون هذا منه ، فضاقوا به حيناً ، وجاملوه حيناً آخر لحاجتهم إليه ، ولقد صاح نابليون مرة « إن هذا الشيخ لا يصلح للرياسة » ولكنه أعاد تعيينه بالديوان ، وقبل مغادرته القاهرة أوصى خلفاءه بالتقرب إلى علماء الأزهر وكسب مودتهم ، وقال في وصيته : « إذا حصلتم على ثقة كبار المشايخ في القاهرة كسبتم الرأي العام في مصر كلها » ووجه رسالة إلى الشيخ الإمام ومن معه من أعضاء الديوان حينما غادر مصر نهائيا قال فيها : « لا أحمل للمشايخ إلا المديح وحسن الجزاء » .

وعلى الرغم من مهادنة الشيخ الإمام للفرنسيين فلم تكن أعينهم غافلة عنه ، فقد اتصل بعلمهم أنه يتلقى رسائل من الخليفة العثماني ، وقد سأله نابليون في شأن هذه الرسائل فأنكرها ، يقول الجبرتي : « وكاد ينشأ من هذه المسألة فتنة لولا ألطاف الله تعالى ^(١) » .

(١) مظهر التقديس ص ٦٢ .

ولما قتل كليبر ظن الفرنسيون أن للعلماء ضلعا في هذه الحادثة فاحتجزوا الشيخ الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى ، وألزموهما بإحضار شركاء القاتل الذين اعترف عليهم وصحبوهما إلى الأزهر حتى قبضوا على ثلاثة منهم ، ولم يعثروا على الرابع ، ولما اشتدت الثورة ضد الفرنسيين اعتقلوا الشيخ الإمام والشيخ المهدي والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى ، وحبسوهم بمسجد سيدى سارية بالقلعة فى الساعة الرابعة من الليل ولكنهم راعوا منازلهم ، فأطلقوا لكل شيخ خادما « يطلع إليه وينزل ليقضى أشغاله ، وما يحتاج إليه من منزله والذي يريد من أصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالإذن من القائم مقام ^(١) ثم أطلقوا سراحهم بعد قليل .

ومن هذا يتضح أن الشيخ سلك فى أثناء هذه الأحداث مسلكا متزنا راعى فيه وطنه ، كما راعى الأزهر وعلماؤه ، ودفع كثيرا من الشر والأذى عن المصريين ، وإذا كان الشيخ السادات وعمر مكرم وغيرهما قد تزعموا الفريق المتشدد ، والإمام الشرقاوى قد تزعم الفريق السياسى فإن وطنية الفريقين كليهما لاشك فيها .

ولهذا ظل الإمام الشرقاوى متعاوناً مع الفريق الأول ولما تعرض كل من السادات ومكرم لمحنة قاسية تنكر لهما كثير من زعماء العلماء ، ولكن الشيخ الإمام الشرقاوى أبى أن يشترك فى عداتهما أو التنكر لهما مع تعرضه للخطر الشديد .

● بعد الحملة الفرنسية

رحل الفرنسيون عن مصر ، وقد تيقظ الشعب المصرى تحت قيادة زعمائه من أعلام العلماء ، وعرف حقوقه وتدريب على مقاومة الطغيان وكان المظنون أن يتمتع بحريته واستقلاله ، ولكن خرج من طغيان إلى طغيان أشد منه حيث وقع فريسة لقوى عديدة متنافرة ، كل منها تحاول أن تمزقه شر تمزيق وأهم هذه القوى : العسكر العثمانيون ، فريق الأنكشارية . فريق الأنارءود « الأليان » ، وكل هذه الفرق تنتمى إلى الخلافة التركية على شدة ما بينها من عدا ، ثم فريق الولاية وهو طوائف من الاكراد استجلبها خورشيد باشا ليستغلها ضد الطوائف الأخرى وبخاصة طائفة الانارءود ، وقد أطلق لهم خورشيد باشا العنان فعاثوا فى البلاد فسادا ، وأخذوا ينهبون ويخربون ويشاركون الناس فى مساكنهم واستباحوا الأعراض ، والناس يضجعون بالشكوى إلى الولى فلا يصغى إليهم ففرع الشعب إلى قاداته من العلماء فانضم إليه العلماء بزعماء الشيخ الإمام والسادات وعمر مكرم والشيخ الأمير ، وقادوا الثورة ، وانتشر الإضراب فى المدينة وذهب العلماء إلى الولى فكتب خطابا لزعماء الولاية وأمرهم أن يتركوا البيوت لأصحابها وأن يفرجوا عن النساء المحتجزات ، فلم يصغوا إليه ، وحينئذ اشتدت ثورة الأهالى وغضبهم على الولى وعلى جنده ، واتجه الولاية إلى

(١) المصدر السابق ص ٢٩٠ .

قليوب واستولوا على دورها وأحوالها وحبسوا النساء عن الخروج من البلد وقبضوا على كثيرات منهن وباعوهن في الأسواق ، وفعلوا مثل هذا مع بلدة أبى الغيظ من ضواحي قليوب ، وحينئذ امتنع العلماء عن التدريس بالأزهر ، وقادوا جماهير الشعب في ثورة عارمة وأعلنوا عزل الباشا وتولييه محمد على باشا واليا مكانه فتظاهر بالامتناع والزهد في الولاية ، ثم أجابهم إلى طلبهم ، فاشتراطوا عليه أن يكون منفذا لسياساتهم ، مطيعا لأوامرهم حاكما بالعدل ، ورفض خورشيد باشا قبول العزل وقال : إننى مولى من قبل الخليفة فلا أقبل العزل من الفلاحين فرحف الشعب بقيادة العلماء إلى القلعة وحاصروا الولى فيها وذهب رسول الولى إليهم قائلا لهم : كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم ، وقد قال الله تعالى : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فقال له السيد عمر مكرم « إن أولى الأمر هم العلماء ، وحملة الشريعة والسلطان العادل ، وهذا رجل ظالم وقد جرت العادة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون الولاة ، وهذا شىء من زمان ، حتى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجور فإنهم يعزلونه ويخلعونهم . . » واستمر النزاع أياما متطاولة وكثرت الفتن والأحداث حتى اضطر الباب العالى إلى النزول على رأى الشعب وزعمائه وعزل الولى خورشيد باشا ، ووافق على ولاية محمد على ، وذكر في قراره سبب الموافقة بقوله : « حيث رضى بذلك العلماء والرعية » وهذا اعتراف صريح بحق الشعب وزعمائه فى اختيار حكامه ، وإن كان محمد على قد استغل ثقة العلماء به فى الوصول لأهدافه ثم تنكر لهم ، واستبد بالحكم والسلطان بعد أن جمع فى يديه كل وسائل القوة والسلطان . وفى أيام الفتنة حضر محمد بك الألفى الزعيم المملوكى إلى الزعيمين الكبيرين الشيخ الإمام والسيد عمر يستأذنها فى الحلول هو وأتباعه وجنوده فى جهة يستقر فيها ، فكتبوا إليه أن يختار أى جهة يستريح فيها ويأتى فى الحضور إلى القاهرة حتى تسكن فيها الفتنة وتستقر الأمور .

ولما هاجم الإنجليز رشيد بعد إحتلالهم الإسكندرية فى مارس سنة ١٨٠٧ - اجتمع العلماء بزعامة السيد عمر مكرم والشيخ الإمام وكبار العلماء ودعوا الشعب إلى مقاومة الإنجليز ورتبوا شئون الدفاع عن البلد وأرسلوا الامداد والذخائر إلى رشيد حيث قاوم أهل رشيد الحملة الإنجليزية بقيادة الشيخ حسن كبريت كبير علماء رشيد ونقيب الأشراف بها ، وألحق بالحملة الإنجليزية هزيمة منكرة :

وبهذا استقرت الزعامة الشعبية للعلماء وبخاصة السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والشيخ الإمام الشرقاوى شيخ علماء الأزهر .

ولكن محمد على استغل خبثه ودهاءه فى خداع العلماء والدس بينهم حتى أوغر صدور بعضهم على بعض .

ولما تم له ذلك نفى السيد عمر مكرم ، وداهن الشيخ الإمام وخدعه حتى انتهت حياته ، واستبد بالحكم كل الاستبداد .

روى الجبرتي أن محمد على زار الشيخ الإمام في بيته وقضى معه فترة وكان اثنان من الجند قد لجأ إلى بيت الإمام فزعا من محمد على فرجاه في العفو عنها وقال له فيها قال : « لا تفضح شيتي بأولدي ، وأقبل شفاعتي » وأعطاهما محرمة الأمان فقال له : « شفاعتك مقبولة ، ولكننا لانعطى محارم ، فأنا أمانى بالقول أو أكتب إليك ورقة وأرسلها بالأمان ، ثم أرسل إليه الورقة فقال لها الشيخ الإمام إن الباشا أرسل إليكما ورقة الأمان فأظهرها له مخاوفهما من القتل ، فقال الشيخ لهما : « ذلك لا يصح ولا يكون فكيف يأخذكما من بيتي وبقتلكما بعد أن قبل شفاعتي » فذهبا مع الرسول فقتلهما محمد على .

وهكذا شأن الطغاة لاعهد لهم ولا أمان .

● أخلاقه

كان الشيخ الإمام متسامحا متساهلا ، وقد خاض في حياته أحداثا جساما كان يلقاها بالمرونة والحكمة كما رأينا موقفه من الشيخ الصاوي ، وموقفه من الشيخ الأمير ، وكما حدث في الفتنة التي قامت بين طائفة من المجاورين بالأزهر من الشرقاويين وطائفة أخرى من المجاورين برواق معمر ، فقد تعصب الشيخ إبراهيم السجيني للآخرين ضد الشرقاويين وحدثت فتنة انتهت بأن رجا الشيخ الشرقاوي وإبراهيم بك في بناء رواق خاص بطائفته فأجاب طلبه وبهذا انتهت الفتنة بإنشاء رواق خاص للشرقاويين والتوسعة عليهم .

وقد أعانته نزعة الصوفية على الرفق والتؤدة والتسامح على الرغم مما قاساه من خصومة وعداء وكان كثيرا ما يتردد على أضرحة الأولياء للترك بهم وبخاصة مسجد السيد البدوي في طنطا .

ولم يمنعه تصوفه من التمتع بطيبات الحياة فإن الإسلام لا يحرم الطيبات ولكنه يمنع الإسراف فيها أو الانشغال بها عن عبادة الله .

وذكر الجبرتي أن الدنيا أقبلت عليه - بعد الفقر - فاشترى دار ابن بيرة بظاهر الأزهر ، وهي من مساكن الأمراء الأقدمين ، وقد دبرت زوجته - بنت الشيخ على الزعفراني - شئونه المالية وقد بدأت حياتها فقيرة مثله ولكنها كانت ماهرة في الشئون الاقتصادية فترك لها الشيخ تدبير ثروته ، فكانت هي التي تدبر أمره وتحرر كل ما يأتيه ويجمعه ، فلما أقبلت عليه الدنيا اشترت الأملاك والعقارات والحمامات والحوانيت ، ولما زوج ابنه عليا سنة ١٢١٧هـ أقام حفلا كبيرا وأنفق نفقات كثيرة ودعا إليه والى والأمراء والزعماء « فاجتمع إليه شيء كثير من الهدايا ولما حضر إليه الباشا أنعم على ابنه بأربع أكياس عدتها ثمانون ألف درهم ، وذلك خلاف البقاشيش »^(١).

(١) عجائب الآثار ج ٧ ص ١٩٢.

ونلاحظ أن وفرة ثرائه وكثرة أعدائه أتاح لبعض الألسنة والاقلام النيل منه ، حتى الجبرتي المؤرخ لم يتوقف عن تناول الشيخ الإمام بما يمسه فقد ذكر أن أيام رياسته للديوان في عهد الحملة الفرنسية استفاد بها « يتحصل عليه » من المعلوم المرتب له من ذلك وقضايا وشفعات لبعض الأجناد المصرية وجعلات على ذلك ، واستيلاء على التركات أو ودائع خرجت أربابها في حادثة الفرنساوى وهلكوا واتسعت عليه الدنيا وزاد طمعه فيها ^(١) .

أما المعلوم المرتب له فهذا حقه ، وأما الشفاعات فإننا نعلم أنه شفع في الجنديين اللذين لجأ إليه لدى محمد على وليس لهما ما يقدمان إليه ، كما شفع في زوجة الشيخ السادات في المحنة التي ألتمت بهما ولم يكن لديهما حينئذ مال ، ولجأ إلى بيته الحاج محمد بن قيمو المغربي صاحب الثروة الطائلة خوفا من الفرنسيين وطلبتة الرسل فحماه الشيخ ولكنه لم يطمئن على نفسه ففر من بيت الشيخ هاربا ، ولم يكن لديه حين لجوئه مال يدفعه للشيخ الإمام .

ثم إننا نعلم أن الشيخ أنفق أموالا طائلة في إعداد رواق الشرفيين إكراما لأهالي الأقليم الذى ينتسب إليه ، ونعلم أن جزءا من ثروته يرجع إلى الهدايا القيمة التى كانت تقدم إليه لمكانته كما حدث في حفل زواج ابنه ، ونعلم أيضا أن الفضل في نمو ثروته يرجع إلى تدبير زوجته وحسن قيامها على أمواله .

ومن المعروف أنه لم يسلم أحد في هذه الحقبة من السنة الناس حتى المشايخ السادات وعمر مكرم والمهدى والدواخلى وغيرهم من كبار العلماء والزعماء مما يجعلنا نتحفظ في قبول الاتهام .

والشيخ الإمام كان يعلم أن الأزهر وديعة في يديه فكان يهادن أحيانا حرصا على صيانة الأزهر من الاحداث الجسام التى مرت بها البلاد ، ولقد كاد الأزهر يندثر لولا لباقة الشيخ وحسن تأنيه في الأمور مع تمسكه بالدعوة إلى العدل ووقوفه في وجه الظلم عدة مرات حتى لقي ربه يوم الخميس الثانى من شوال سنة ١٢٢٧ هـ ولقد كان الشيخ الإمام ناظرا على وقف وقفته السيدة الخاتون خوند طغاي الناصرية بالصحراء للصوفية والقراء ، وكان الفرنسيون قد دمروه « فأنشأ الشيخ به مسجدا وبنى لنفسه إلى جواره قبرا وعقد عليه قبة وجعل تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع وبنى بجانبه قصرا ملاصقا له » ^(٢) وذكر الجبرتي تاريخ هذا الوقف ثم عقب بنقذ الشيخ الإمام فقال « لو أنه عمر هذه الخانكاه بدلا من هذا الذى أرتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن في حياته وبعد مماته » ^(٣) وفات الجبرتي أنه ذكر قبل هذا أن الذين خربوها هم الفرنسيون ، وليس

(١) المصدر السابق .

(٢) عجائب الآثار ج ٧ ص ١٩٤ .

(٣) عجائب الآثار ج ٧ ص ١٨٩-١٩٧ .

الإمام ، كما ذكر أن الشيخ بنى بها زاوية وأنشأ قصرا ، ولم يذكر أنه بناه لنفسه ولعله بناه للصوفية كما كان يحبهم ، وكان ماهناك أنه أعد مدفنا يدفن فيه بعد موته فلا يستحق أن يقال فيه « لو أنه عمر الخانكاه بدلا من الذى ارتكبه من تخريبها . . » .

ومهما يكن من أمر فما سلم صاحب مكانة كبيرة من النقد والتشريب وكل ذو نعمة محسود وبخاصة بين معاصريه ومعاصريه ، والله أعلم بالسرائر . .

● مكانته العلمية

كان للشيخ رأى مسموع فى الشئون السياسية كما كان له رأى مسموع فى الشئون الدينية ، فقد كان إثبات هلال شهر رمضان وهلال شوال من شئون القاضى وهو تركى يعينه الخليفة العثمانى ، ويعتبر المرجع الأعلى فى الشئون القضائية وفى تعيين المواقيت ، ففى سنة ١٢١٧هـ ليلة الاثنين كانت مظنة نهاية شهر رمضان فتعذرت رؤية الهلال وكان بالسما غيم مطبق ومطر ورعد وبرق متواتر فأعلن القاضى أن يوم الاثنين يعادل الثلاثين من شهر رمضان ولكن حضر جماعة من دمنهور وزعموا أنهم رأوا هلال أول رمضان ليلة السبت وبهذا يكون يوم الأحد هو نهاية رمضان . وذهبوا إلى بيت الباشا فأرسلهم إلى القاضى فرد شهادتهم ، فذهبوا إلى بيت الشيخ الشرقاوى فقبل شهادتهم ، وأخذ بها وألزم القاضى بقبولها أخذاً بقول شاهدين عدلين وبقوله ﷺ « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » وكانت وجهة نظر القاضى أنه يترتب على قبول الشهادة أن رجب ٢٨ يوما وشعبان ٢٩ يوما ، ووجهة نظر الشيخ الإمام أن الخطأ وقع فى شهر رجب ، وأننا مقيدون بما ثبت شرعا من الصيام لرؤية الهلال والإفطار لرؤيته .

ومهما يكن من أمر فإننا نأخذ من هذا قوة شخصية الإمام وجهه بها يعتقده حقا وإلزامه القاضى الذى لا يخضع إلا لرأى الخليفة بما رآه الإمام وقد نزل الوالى على رأى الشيخ الإمام .

والجبرى - على الرغم من تحامله عليه أحيانا - لم يستطع أن يحدد فضله ، فقد ذكر فى ترجمته له أنه ^(١) « الشيخ الإمام العلامة والنحرير الفهامة ، الفقيه الأصولى النحوى شيخ الإسلام والمسلمين . . » ثم يذكر أنه أفتى فى مذهبه أى تبخر فيه حتى بلغ مرتبة الافتاء - وتميز فى الالتقاء والتحرير - أى فى التدريس والتأليف - « ثم سرد مؤلفاته ، وذكر أنه لما مات صلى عليه بالأزهر جمع كثير ودفن فى مدفنه الذى بناه لنفسه ، وأن الباشا « الوالى » أصدر فرمانا بعمل مولد سنوى له ، واحتفى الناس بهذا المولد ، وأقاموا فيه الموائد ومدوا الأسمطة وحضره جمع كبير من الفقهاء والمشايخ والأعيان وأرباب الأشاير « رجال الطرق الصوفية » .

(١) عجائب الآثار ج٧ ص ١٨٩-١٩٧ .

● مؤلفاته :

- ١- التحفة البهية في طبقات الشافعية ضمنه تراجم الشافعية حتى سنة ١٢٢١هـ ورتبه على حروف المعجم ، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٥٧٨ تاريخ .
- ٢- العقائد المشرقية في علم التوحيد .
- ٣- الجواهر السنية في شرح العقائد المشرقية - السابق ذكره - وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٢٣١١٩ ب .
- ٤- حاشية الشرقاوى على كتاب التحرير للشيخ أبى زكريا الأنصارى توجد من الجزء الثانى منه نسختان بدار الكتب رقم ٢١٧٩٩ ب ، ٢٣٧٦٣ ب - فقه الشافعى .
- ٥- حاشية على شرح الهدى على أم البراهن المسماة بالصغرى لأبى عبدالله بن يوسف السنوسى ، توجد منه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٢٢٩٣٢ ب - توحيد .
- ٦- شرح حكم ابن عطاء الله السكندرى ، منه نسخة خطية بدار الكتب رقم ٢٣٨١٨ تصوف .
- ٧- ثبت الشرقاوى ذكر فيه أسانيد شيوخته في التفسير والحديث والفقه وفي الأحزاب والأوراد ، توجد منه أربع نسخ خطية بدار الكتب ، منها نسخة بخطه رقم ٤٦٨ مصطلح الحديث .
- ٨- مختصر الشرائع وشرح المختصر كلاهما من تأليفه ^(١) .
- ٩- رسالة في « لا إله إلا الله » .
- ١٠- « في مسألة أصولية في جمع الجوامع (أصول الفقه) » .
- ١١- شرح رسالة عبدالفتاح العادلى في العقائد .
- ١٢- شرح مختصر في العقائد والفقه والتصوف مشهور في بلاد داغستان .
- ١٣- شرح الحكم والوصايا الكردية في التصوف .
- ١٤- شرح ورد السحر للبكرى .
- ١٥- مختصر مغنى اللبيب لابن هشام في النحو والإعراب
- ١٦- فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي في الحديث طبعت منتخبات منه ومن شرح الشيخ الغزى على هامش كتاب التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للبخارى .

(١) هذا الكتاب ومابعده إلى رقم ١٥ أشار إليها الجبرتي في ترجمته للمؤلف .

١٧- تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين مطبوع على هامش كتاب لطائف الأول فيمن تصرف في مصر من الدول .

ومن هنا نرى غزارة علوم المؤلف وتنوعها على الرغم من التيارات السياسية العنيفة والخصومات العاتية التي خاض المؤلف غمارها .

ومع هذا نرى الجبرتي ينال من الشيخ الإمام بما يمسّه مسا عنيفا في مؤلفاته فقد ذكر في تعليقه على كتاب الإمام « التحفة البهية في طبقات الشافعية » أن المؤلف نقل تراجم القدماء عن طبقات السبكي والأسنوى ، ونقل تراجم المتأخرين من كتابه « عجائب الآثار » - كما وصف كتابه « تحفة الناظرين » بأنه « في غاية البرود وأنه حافل بالأخطاء » .

ولعل المعاصرة والمنافسة العلمية جنحت بالجبرتي إلى النيل من الشيخ الإمام ، وإن كان قد أنصفه في بعض المواقف وليس معنى هذا أن الشيخ الإمام فوق النقد والملاحظة وسبحان من تفرّد بالكمال .

ومع أن الشيخ الإمام ألف مصنفات عديدة متنوعة فإنه ألف رجالا من أعلام العلماء وهذا يذكرنا بأن العلامة الشيخ جمال الدين الأفغانى سئل عن سبب إقلاقه من التأليف فقال لقد ألقت رجالا .

ومن الرجال الذين ألفهم أو خرجهم الإمام الشرقاوى : الفقيه النبيه الشيخ حسين بن الكاشف الذى جذبته الشيخ إليه فانخلع من الإمارة والقيادة العسكرية ولازم الشيخ وتفقه على يديه .

ومنهم العلامة الشهير إبراهيم البجيرى الذى تخصص عليه فى مصطلح الحديث .

ومن ألمعهم العلامة العمدة الشيخ محمد الدواخلى الذى لازم الشيخ الإمام فى فقه مذهبه وغيره من المعقولات ملازمة كلية وانتسب له وصار من أخص تلاميذه .

المحدث الشيخ أحمد شاکر

هو الشيخ المحدث أحمد شاکر ، عالم السنة المتبحر المحقق الفقيه ولد فی يوم الجمعة ٢٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٩ من ینار سنة ١٨٩٢ م .

قضى أيام طفولته الأولى بالقاهرة ، ثم سافر مع والده إلى السودان حيث كان والده يعمل قاضى القضاة بالسودان ، ثم عاد بعد أربع سنوات مع والده إلى القاهرة ، وعمل والده أميناً للفتوى بمصر .

وكان والده شيخاً لعلماء الإسكندرية . وبعد أن عاد والده إلى القاهرة التحق بنجله الشيخ أحمد شاکر بالمعهد الدينى .

وحصل على الشهادة العالمية عام ١٩١٧ ، ثم عين مدرساً بمدرسة عثمان ماهر لأربعة أشهر ، ثم انتقل إلى القضاء وعمل عضواً بالمحكمة الشرعية العليا . وأحيل إلى المعاش عام ١٩٥١ م قال ^(١) عنه الأستاذ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة فى تحقيق كتاب المسند للإمام أحمد بن حنبل .

« أحب الشيخ أحمد محمد شاکر السنة المطهرة منذ شبابه الأول وشغف بفقهها والتعمق فى علومها ، والتنقيب عن روائعها ونفائس كتبها » .

ومازال يتعهد هذا الحب وينميه ويسقيه بما يتيح له الله من التوفيق ، فجمع كتب الحديث وعلومه ، المخطوط منها والمطبوع فى كل بلدان العالم ، مما جعل مكتبته لانظير لها مطلقاً ، عند عالم ممن أعرف ، على كثرة من أعرف فى البلدان الإسلامية ، وقد وهبه الله صبراً دائماً على الدرس ، وحافظة قوية لا يكاد يند عنها شىء ، وذوقاً رفيعاً فى استكناه الآثار ، واعتبارها بالعقل والنقل ، وإجالة النظر ، وإعمال الفكر دون تقليد لأحد . أو تقبل لرأى من سبق ، وقد ساهم الأستاذ فى إحياء كتب السنة مساهمة مشكورة ، فنشر كثيراً من كتبها نشرها علمياً ممتازاً ، وهويتوج أعماله بنشر كتاب « المسند » للإمام العظيم : أحمد بن حنبل ، والمسند مع نفاسته لا يكاد يستفيد منه إلا من حفظه على طريقة الأقدمين وهيئات . .

(١) من كتاب النهضة الإسلامية فى سیر أعلامها المعاصرين ج ٤ د . محمد رجب البيومى .

ولقد كانت صعوبة المسند مصدر شكوى من كبار المحدثين وأعلامهم ، وهذا ما جعل الحافظ الذهبي يقول : « فلعل الله تبارك وتعالى أن يقيض لهذا الديوان السامى من يخدمه ويؤيه ، ويتكلم عن رجاله ، ويرتب هيئته ووضعه » .

وقد قام المحدث الجليل الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى ، فعمل للمسند فهرس علمية ولفظية تعين الباحث على الاطلاع على مواضع الأحاديث من مسانيد الصحابة ووضع لكل حديث رقما بحسب ترتيبه فى المسند ، وفى آخر كل جزء من الأجزاء يذكر فهرس أرقام الأحاديث مبوبة ويذكر طرف كل حديث .

كما عالج جوانب كثيرة فى المسند فتكلم على الرجال والأسانيد وبيان درجة كل حديث من الصحة أو الحسن أو الضعف مع التنبيه على ما فى بعض الأسانيد من وهم أو خطأ .

وقدم فى أول الكتاب بحثا قيمة سماها « طلائع الكتاب » ذكر فيها أقوال بعض الأئمة فى المسند ومزنته بين دواوين الإسلام كما ذكر فيها ترجمة وافية للإمام أحمد بن حنبل من « تاريخ الإسلام » للذهبي . .

وقال الأستاذ محمد عبدالغنى حسن بمناسبة اخراج الشيخ أحمد شاكر للجزء العاشر من المسند .

ولست مهمة الأستاذ المحقق الشيخ : أحمد شاكر فى تبويب هذا المسند وترتيبه وضبطه ، فإن هذا عمل لاكتفى به همة صديقنا المحقق الدؤوب . . . إنه تخريج لكل حديث من حيث إسناده صحة وحسنا وضعفا ، إنه لاثبت لأسماء المحدثين وأعلام الإسناد ، إنه مفتاح لرجال السند حين يريد القارئ أن يذود لغريب الحديث ، حين يشرح المحقق كلمة أو يفسر لفظا ، إنه ضبط صحيح بالحروف لا بالحركات لأعلام الرجال الذين تزدهم بهم صفحات المسند إزدحاما يتفق مع كتاب ضخيم .

إنك إذا قلبت هذا الجزء بين يديك فإنك واجد أن متن الأحاديث يشغل من كل صفحة سطرا ، أو بضعة أسطر على حين يشغل التحقيق والشرح والتعليق عشرات من السطور فى كل صفحة . . وقد بلغت الأحاديث التى ضبطها وحققها المحقق إلى نهاية الجزء العاشر ٦٧١٠ أحاديث مذكورة على غير أبوابها ، ولكن الشيخ شاكر جعل لها فى نهاية كل جزء فهرسا للأبواب يرد فيه كل حديث إلى رقمه ، وقد اختلفت الأبواب بين الإيمان والقرآن ، والسنة ، والعلم ، والذكر ، والدعاء ، والطهارة ، والصلاة ، والجنائز ، والزكاة ، والصدقات ، والصيام ، والحج ، والفرائض ، والوصايا ، والمعاملات ، والرق ، والعق . . . إلخ .

وقد انتقل الشيخ أحمد محمد شاكر إلى جوار ربه بعد أن أخرج خمسة عشر جزءا وأخرج بعده الأستاذ الدكتور الحسينى هاشم من الجزء السادس عشر حتى الجزء العشرين ، ومن الجزء الحادى والعشرين ابتداء إخراج باقى الأجزاء بالاشتراك مع الدكتور أحمد عمر هاشم ، نرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى استكمال باقى أجزاء المسند إن شاء الله تعالى .

● تحقيقه « للرسالة »

إلى جانب مؤلفات المحدث الشيخ أحمد شاكر وتحقيقه لكتاب المسند وغير ذلك ، إلى جانب هذا حقق كتاب : « الرسالة » للإمام الشافعى تحقيقا علميا دقيقا اتسم فيه بالعمق والدقة على أقدم نسخة بخط الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى وقام بمقارنتها بغيرها من النسخ الأخرى وخرج الأحاديث النبوية التى وردت فى الرسالة تخريجا علميا دقيقا .

المحدث الشيخ محمد بن محمد أبى شهبة

هو^(١) المحدث الشيخ محمد بن أبى شهبة ، ينتسب إلى أسرة أبى شهبة من الأسر العربية العريقة التى اشتهرت بالفروسية وحب الجهاد فى سبيل الله ، كما ينبىء عن ذلك لقبها . تركت أصول هذه الأسرة فى عدة قرى من محافظة البحيرة ثم نزح بعض فروعها قديما إلى بعض قرى محافظة كفر الشيخ ومحافظة الغربية .

ولد رحمه الله تعالى فى ١٥/٩/١٩١٤م فى قرية « منية جناح » مركز دسوق .

وقد نذره والده من يوم ولادته للقرآن الكريم ، وتلقى العلم بالأزهر الشريف ، فما أن بلغ الرابعة حتى ذهب به إلى الكتاب .

أتم حفظ القرآن الكريم فى الكتاب فى سن التاسعة إلى جانب تعلمه القراءة والكتابة ومبادئ الدين والسيرة ، ثم فتحت المدارس الأولية فدخل مدرسة بلدته فأتى بها حفظ القرآن الكريم ، وحصل على الشهادة الأولية فى سن الثانية عشرة تقريبا .

وفى عام ١٩٢٥ م دخل معهد دسوق العلمى الدينى وحصل منه على الشهادة الابتدائية وفى عام ١٩٣٠ التحق بمعهد طنطا الثانوى الدينى وحصل على الشهادة الثانوية ، وفى عام ١٩٣٥ التحق بكلية أصول الدين إحدى كليات الأزهر المعمور .

وفى عام ١٩٣٩ حصل على الشهادة العالمية وكان من الأوائل فدخل قسم الدراسات العليا « شعبة التفسير والحديث » .

وبعد دراسة خمس سنوات نجح فى الامتحان التمهيدى لشهادة العالمية من درجة « أستاذ » سنة ١٩٤٤م أمام لجنة من كبار علماء الأزهر ثم اشتغل بإعداد رسالة الدكتوراه .

وفى نوفمبر ١٩٤٦م نقض فى رسالة العالمية من درجة أستاذ الدكتوراه مناقشة علنية أمام لجنة خماسية من كبار العلماء فحصل عليها بدرجة « الامتياز » .

(١) من ترجمته لحياته فى كتابه « السيرة النبوية » .

وفي ديسمبر من تلك السنة عين مدرسا بكلية أصول الدين ومازال يترقى من مدرس إلى أستاذ مساعد حتى وصل إلى أستاذ ، وفي أكتوبر ١٩٦٩ عين أول عميد لكلية أصول الدين أول كلية في أول فرع أنشئ لجامعة الأزهر بأسبوط ومازال يسير بالكلية قدما حتى اكتملت سنواتها الأربع عام ٧٣/٧٢ وسعى حتى أنشئت بفرع الجامعة كليتان أخريان كلية اللغة العربية وكلية الشريعة الإسلامية والقانون .

وفي مطلع حياته العلمية أعير إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بالمعهد العالي السعودي بمكة المكرمة للمشاركة في إصلاح التعليم الديني ووضع مناهجه ، وقد قضى أربع سنوات بجوار بيت الله الحرام هي ربيع عمره .

وفي سنة ١٩٦٣ ، أعيد إلى كلية الشريعة بجامعة بغداد فمكث فيها عاما ، وفي عام ١٩٦٦ أعيد إلى الجامعة الإسلامية بأم درمان بالسودان فمكث فيها نحو ثلاث سنوات .

وعنى بالتأليف في علوم القرآن والسنة والدفاع عنها ضد المبشرين والمستشرقين وأتباعهم وكون مدرسة علمية من تلاميذه ومريديه في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية والعربية تعزز بالقرآن وعلومه والسنة وعلومها .

● مؤلفاته

- ١- المدخل لدراسة القرآن الكريم .
- ٢- السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة « جزءان » .
- ٣- أعلام المحدثين .
- ٤- شرح المختار من صحيح مسلم بن الحجاج « ثلاثة أجزاء » .
- ٥- علوم الحديث .
- ٦- في أصول الحديث .
- ٧- رسالة في الإسراء والمعراج .
- ٨- الكتب الصحاح في السنة .
- ٩- نظرة الإسلام إلى الربا وحلول للمشكلة .
- ١٠- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير .
- ١١- الحدود في الإسلام .
- ١٢- شرح لصحيح البخاري ، كان قد ألقاه في أخريات حياته أحاديث في إذاعة المملكة العربية السعودية رحمه الله رحمة واسعة وأجزل مثوبته آمين .

المحدث الشيخ محمد محمد أبو زهو

هو العلامة المحدث الشيخ محمد محمد حسن أبوزهو ولد في ٦/٢ سنة ١٩٠٩ في قرية ديبى مركز رشيد بحيرة ، وتخرج في كلية الشريعة عام ١٩٣٩م وحصل على الدكتوراه عام ١٩٤٦م عمل إماما بحلولان وبولاق ومنشية البكرى ثم مدرسا بمعهد سوهاج ومن مؤلفاته « مكانة السنة النبوية » . وكتابه القيم النفيس « الحديث والمحدثون » . وهذا الكتاب يعتبر بحق أول كتاب أرُخ للسنة النبوية وعلومها في جميع أدوارها وقد حصل بهذا الكتاب على شهادة الدكتوراه .

واشتمل هذا الكتاب على دفاع علمي عن السنة وعلومها ضد مطاعن المبشرين والمستشرقين وأعداء السنة قديما وحديثا وقد جعله في مقدمة وسبعة أدوار وخاتمة :

فأما المقدمة فتكلم فيها عن معنى السنة ونسبتها إلى الوحي ومنزلتها في الدين وبيانها للقرآن الكريم .

- وأما الدور الأول : فتكلم فيه عن السنة في حياة النبي ﷺ .
- والدور الثاني : عن السنة في عهد الخلافة الراشدة .
- والدور الثالث : عن السنة بعد الخلافة الراشدة إلى منتهى القرن الأول الهجري .
- والدور الرابع : عن السنة في القرن الثاني .
- والدور الخامس : عن السنة في القرن الثالث .
- والدور السادس : عن السنة من مبدأ القرن الرابع إلى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ .
- والدور السابع : السنة من عام ٦٥٦هـ إلى عصرنا الحاضر .
- وأما الخاتمة : فذكر فيها أنواعا من علوم الحديث .

ومن هذا الكتاب انطلقت رسائل وبحوث علمية وكتب كثيرة كان هذا الكتاب كالدليل لها ، وقد قال عنه فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية السابق ، « إن كتاب الأستاذ أبي زهو والحمد لله صوت حق ولسان صدق وبلاغ للناس يفخر به العلماء ويعتز به المنصفون من الباحثين ونسأل الله تعالى أن ينفع به وأن يثيب مؤلفه أجزل الثواب وأن يجزيه عن السنة والكتاب » .

وقد عمل في السعودية في دار التوحيد بالطائف والمعهد العلمي والمعهد العالي للقضاء في الرياض ، وكلية الشريعة بمكة كما عمل في ليبيا بالجامعة الإسلامية في الدار البيضاء رحمه الله رحمة واسعة .

المحدث الشيخ محمد عبدالوهاب بحيرى

هو المحدث الشيخ محمد عبدالوهاب بن محمد مصطفى بحيرى .
ولد فى قرية ديبى بمركز رشيد محافظة البحيرة .
فى يوم ٢٠/١/١٩١١م وكان حنفى المذهب .
حفظ القرآن الكريم مع تجويده بكتاب القرية مع متابعة والده الذى كان مهتما بعلوم الدين
تخرج فى معهد الإسكندرية الدينى .
سنة ١٣٥١هـ وسنة ١٩٢٣ وكان ترتيبه الأول التحق بكلية الشريعة إحدى كليات الجامع
الأزهر .
عمل بالإمامة بمسجد الثورة بمصر الجديدة - حاليا - السلطان حسين - سابقا - وبمسجد
الخازندارة بشبرا مصر .
درس بكلية الشريعة وحصل على الشهادة العالية سنة ١٣٥٧هـ هجرية سنة ١٩٣٨م وترتيبه
الثانى وحصل على الدكتوراه سنة ١٣٦٤هـ وموضوعها « الحيل الشرعية » .
وابتعثه الأزهر للتدريس بجامعة القرويين بالمغرب سنة ١٩٦٣ - ١٩٦٤م .
وابتعثه الأزهر للتدريس بكلية الشريعة بالعراق سنة ١٩٦٦ - ١٩٧١م .
وابتعثه الأزهر للتدريس بالمعهد العالى للقضاء سنة ١٩٧٢ - ١٩٧٥م .
وابتعثه الأزهر للتدريس بجامعة محمد بن سعود سنة ١٩٧٦م إلى سنة ١٩٧٧م
وله بعض مؤلفات عن السنة ، وأكمل بعض أجزاء من كتاب « الفتح الربانى » الذى صنفه
وشرحه الشيخ البنا الشهير بالساعاتى .
وله كتاب « الحيل الشرعية » .
وغير ذلك من الكتب الأخرى والمذكرات العلمية النافعة إلى جانب إشرافه على مئات من
العلماء الذين حصلوا على الدكتوراه فى مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامى ، نفع الله به وبعلمه
وجزاه خير الجزاء .

ترجمة الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا صاحب الفتح الربانى^(١)

ولد المحدث الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا رحمه الله فى قرية من قرى مصر ومن أعمال مديرية الغربية هى قرية شمشيرة المطلة على النيل وأجل مافيه سلم حجرى يمتد من المسجد إلى النيل ليتوضأ من يريد الوضوء من ماء النهر .

وقبل أن تضعه والدته رأت فى منامها من يقول لها إذا وضعت فسم مولدك « أحمد » واحرصى على تحفيظه القرآن .

وشب الصغير وتجاذبه أهواء القرية ، وكان والده فلاحا يحرص على زراعة أرضه وأراد أخو المؤلف أن يحمل الصغير على أن يعمل معه فى الفلاحة والزراعة ، ولكن أمه لم تنس الرؤيا التى رأت وتشبثت به دون الأرض وقالت خذوا الأرض وما فيها واركبوا نشأة ولدى على ما أريد ، وكان والده الشيخ عبدالرحمن البنا رجلا صالحا لا يقف ضد رغبة طيبة فوافق والد الصغير على رأيها .

والتحق الصبى بكتاب القرية ، ونذرته للقرآن والعلم ، وحفظ القرآن الكريم وتعلم أحكام التجويد على يد معلم القرية الذى جرى العرف على أن يطلق عليه فى قرانا « سيدنا » وهو الشيخ محمد أبورفاعى وكان كفيفا تقيا يفيض وجهه إشراقا وبشرا .

وجاءت المرحلة الثانية ، مرحلة أن يدرس الصبى علوم الشريعة بفروعها من الفقه والتفسير والحديث وغيرها ولا يتيسر إلا فى الأزهر والمعاهد الدينية .

ولما كانت القرية أقرب إلى الإسكندرية فهى فى مواجهة بلدة ادفيانا وقرية من مدينة رشيد فقد تهيأ الصبى تهيؤ المغترين فى طلب العلم فما على والدته إلا أن تهيب له « الزوادة » وهى الخبز وبعض ماييسر لها من طعام تضعه فى سبت من الجريد أو « قفة » من الخوص .

● طلبه للعلم

وسافر الطالب إلى الإسكندرية ولم يكن معهدا دينيا قد أنشئت مبانيه الحديثة ولكن طلبة المعهد كانوا يدرسون فى مسجد (الشيخ) وكان هو معهد الإسكندرية بمدارسه ومذاهبه الأربعة

(١) من كتابه القيم : « الفتح الربانى » .

(الحنفى) و (المالكى) و (الشافعى) و (الحنبلى) ومازال مسجد الشيخ موجودا حتى الآن قريبا من ميدان المنشية .

وكان المسجد هو مسكن الطالب ومأواه ، فيه يدرس ، وفيه ينام ، وفيه يقوم ساجدا راکعا لله .

● تعلمه صناعة الساعات

ولما تذوق العلم وتقدم فى الدراسة فكر فى المستقبل وما يكون بعد اتمام دراسته وأن كل عالم من العلماء كانت له صناعة بجانب علمه يتكسب منها لثلا يكون العلم وسيلة لطلب الرزق .

ويسر الله له بفضل بركة إخلاصه وصدقه مع الله فالتحق بأكبر محل فى الإسكندرية لإصلاح الساعات وبيعها هو محل الحاج محمد سلطان وكان يفرغ من دراسته يوميا فيسرع إلى صنعته التى أحبها وعشقها حتى أتقنها وبرع فيها وأصبحت بعد ذلك حرفة له وتجارة ومن هنا جاءت شهرته (بالساعاتى) .

● اختياره بلدة المحمودية لإقامته

وعاد إلى القرية عالما صانعا فتزوج منها وسار بأهله إلى بلدة « المحمودية » التى أعجبتة عبر رحلته إلى الإسكندرية ورجوعه منها إلى قريته .

وفى المحمودية وهى من أعمال مديرية البحيرة والقريبة من مدينة دمنهور وضع رحاله واستقر به النوى ، ورحب به عالمها وأمامها الشيخ محمد زهران وكان كفيلا بارع الذكاء زاخرا بالعلم والعرفان ، وأصبحا صديقين حميمين ، يتدارسان العلم ، ويتعمقان فى البحث والتحقيق ، وكانت مكتبة المؤلف زاخرة بأمهات الكتب فى الفقه والتفسير والحديث وجميع علوم الشريعة وفنونها .

● قراءته للمسند

وفى سنة أربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، وهى نهاية الحلقة الرابعة من عمر المؤلف أخذ فى قراءة المسند - بعد أن يسر الله له قراءة الكتب الستة وغيرها من الأصول المعتبرة عند المحدثين - فوجده بحرا خضما يزخر بالعلم ويموج بالفوائد فخطر له أن يرتبه وتهيب العمل فيه واستعظم التبعة ولكن الدافع كان قويا والرغبة إلى الله صادقة فأخذ رأى ذوى البصائر الثاقبة واستشار من لا يتهمة دينا وأمانة وصدقا ونصيحة وهو صديقه وشيخه

العالم العامل الصالح الورع الشيخ محمد زهران ، فكل أشار بها قوى العزيمة فبدأ العمل فيه داعياً الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه ويتقبله ويعين على إنجازهِ بصدق النية فيه ^(١)

وقد فرغ المؤلف من تبليغه في نهاية عام ١٣٥١ هجرية بعد أن قرأه بتمامه أربع مرات ثم قرأه للمرة الخامسة وهو يقوم بتصحيحه عند الطبع حتى منتصف الجزء الثاني والعشرين .

● هجرة الأسرة إلى القاهرة

ولما كانت هجرة المؤلف إلى الإسكندرية في طلب العلم كذلك كانت هجرة الأسرة كلها إلى القاهرة في طلب العلم وذلك حين احتاج النجل الأكبر للمؤلف الإمام الشهيد حسن البنا إلى الالتحاق (بمدرسة) دار العلوم وأراد المؤلف التعرف إلى علماء الأزهر الشريف بالقاهرة والالتقاء بالمحدثين الوافدين من أقطار العالم الإسلامي .

وهكذا وفدت الأسرة كلها إلى القاهرة وعكف المؤلف على كتابه الذي أصبح شغله في الحياة وحظه منها وأصبح مكتبه في عطفة الرسام على ناصية مسجد الفكهاني بالغورية مقصد العلماء والباحثين ، ومطلب المحققين والمحدثين لا يبرحه إلا للصلاة في مسجد الفكهاني أو مسجد المؤيد .

ثم دفع بمؤلفه إلى المطبعة التي لا تبعد عن مكتبه إلا خطوات حيث تقع في شارع الفحاميين المقابل لعطفة الرسام وتأتيه « مسودات » المطبعة ملزمة ملزمة فيقوم على تصحيحها بنفسه ويدقق في ذلك أشد الدقة حتى يتفادى كل ما يمكن أن يتفاداه من أخطاء .

وكما كان يفد على مكتبه جلة العلماء ، كذلك كانت تحضر مجموعات من طلبة العلم في الأزهر الشريف ممن شغفوا بالسنة وأولعوا بدراساتها ، حتى اضطر المؤلف أن يقسم الجزء الواحد من الكتاب إلى أربعة أقسام حتى ييسر على طلبة العلم اقتناؤه ويخفف عنهم مقدار ثمنه .

● صفة الشيخ الخلقية والخلقية

وكان الشيخ رحمه الله ربة لا بالطويل ولا بالقصير نحيفاً قمحي اللون يتكفأ في مشيته ويغض بصره وكان في لحيته شعرات سوداء وكانت ثيابه غليظة متواضعة يلبس الجبة والقفطان ويعتم ، عليه سكية ووقار .

وكان زاهدا ورعا منصرفا عن الدنيا راغبا في الآخرة لا يخوض فيما يخوض فيه الناس ولا يتقيد بما يعملون ويشترعون حتى كان لا يقدم ساعته حسب التوقيت الصيفي حين كان يفعل الناس ذلك ويقول مالى وللناس إنما أتعامل مع الله جل وعلا

(١) انظر مقدمة المؤلف في كيفية العمل فيه في الجزء الأول صفحة ١٣، ١٤ .

● شعوره بالمرض

وعندما كان الشيخ رحمه الله يعمل في الجزء الثاني والعشرين وقد أتم كتاب السيرة النبوية والأبواب المتعلقة به من ذكر أولاده ﷺ وآل بيته الطاهرين وزوجاته أمهات المؤمنين وبدأ العمل في أبواب مناقب الصحابة رضى الله تعالى عنهم شعر ببدء المرض قال ابنه وعرضت عليه الحضور إلى منزلى لنكون جميعا في خدمته ونقوم على مطالبه .

فاستمهلتنى قائلا سأفعل ذلك إن شاء الله عند لزومه وظل يكتب في باب المناقب حتى وصل باب ماجاء في جرير بن عبد الله البجلي وكنت أمر عليه في مكتبه في فترات متقاربة وبعد صلاة العشاء من يوم الأحد ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ هجرية الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ميلادية مررت به فابتدرنى بقوله غدا إن شاء الله بعد أن تصلى الفجر أحضر إلى مبكرا بعربة تنقلنى إلى بيتك ، ثم طلب الوضوء لصلاة العشاء فقدم إليه فتوضأ ثم نوى الصلاة .

● ماقراه في هذه الليلة في صلاته من القرآن

فلما أتم قراءة الفاتحة في الركعة الأولى قرأ قوله تعالى « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّا تَوَفِّقُونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ » .

وقرأ بعد الفاتحة في الركعة الثانية « لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » .

ودخل نفسى من ذلك شىء ، وبكرت صبيحة الاثنين بعربة ركبها ومعه الأصول الباقية من الفتح الربانى بخط يده وبعض مراجع كتب الحديث التى كان يعمل فيها في الجزء الثانى والعشرين ، ثم جلس في حجرة النوم وأشار بأن تصف المراجع في الشباك القريب منه بالحجرة ومعهما الأصول وجعل يشير إليها ويتحدث عما أنجزه حتى الآن .

وطيلة يوم الاثنين وهو يحدثنا حديث الوائق المؤمن وعرض لنشأته وصباه وبلدته وكان أصح مايكون صحة وأتم مايكون عافية حتى نسيت ماداخل نفسى من شعور يوم الأحد مساء وقلت لقد من الله على الشيخ بالعافية وظننته سيمكث معنا طويلا يمتعنا بهذا الحديث وينفعنا بهذا العلم ولكن قدر الله كان سابقا وأمره كان نافذا .

وفي يوم الثلاثاء انشغل بربه وانصرف عنا وكان يطلب الوضوء وينظر في ساعته إذا حضر وقت الصلاة فيؤديها حسبما استطاع .

● وفاته إلى رحمة الله

وقبل ظهر يوم الأربعاء ٨ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ هـ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩٥٨ ملقى ربه راضيا مرضيا إن شاء الله تعالى عن سبع وسبعين سنة وبضعة شهور .

وشيعت جنازته وتبعها أهل الفضل والعلم وجماهير غفيرة إلى مسجد الرفاعي بالقلعة ، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ سيد سابق ، ودفن بقرافة الإمام الشافعي رضي الله عنه بجوار ابنه الإمام حسن البنا رحمهما الله .

● رغبتي في الاتصال بوالدي رحمه الله

قال ورغبت أن أتصل بسبب إلى والدي غير النسب ، وبسند إلى رسول الله ﷺ وهو شرف الدنيا وعز الآخرة إن شاء الله فطلبت إلى تلميذ والدي العالم الفاضل الشيخ علي المؤيد ، أن يجيزني فتفضل جزاه الله أحسن الجزاء وأجازني هذه الأجازة وقد استشرت من لا أتهم ديناً وأمانة وورعاً فأشاروا بأثبتاتها هنا ، أسأل الله تعالى أن تكون مقبولة عنده خالصة لوجهه الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رافع الدين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات والصلاة والسلام على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، القائل من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد . وعلى آله الأطهار وصحابه الأخيار .

وبعد فإن الإسناد في الرواية من خصائص أمة سيد الأنام وبقاء سلسلته شرف لها لاتصالها بنبيها صلوات الله عليه وعلى آله . وأن من طرق الرواية الاجازة وهي من مطالب الصالحين ، والعمل بها مشهود بين المحدثين .

ولقد أحسن الظن في أخي في الله فضيلة الشيخ العالم الفاضل التقى عبدالرحمن ابن أحمد البنا أجزل الله مثوبته فطلب مني اجازته فلم تسعني مخالفته ، وإن لم أكن أهلاً لذلك ، فأقول قد أجزته بما تجوز لي روايته من معقول ومنقول وفروع وأصول . وأخص من ذلك ماخصه شيخني التقى الزاهد الورع الحجة الشيخ أحمد ابن عبدالرحمن البنا في اجازته لي ، وذلك مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، الذي رتبته وشرحه وسماه الفتح الرباني ، فقد أجازني بروايته منه . وأنا أجزر نهجته الكريم بروايته عنى عن والده ، عن شيخه مفتي وأدى الفرات العلامة السيد محمد بن سعيد العرفي الحسني . كما اجازته بذلك مفتي الديار الشامية السيد محمد بدر الدين الحسني عن السيد أبي الخير الخطيب ، عن الشيخ عبدالرحمن الكربري صاحب الثبت الشهير عن والده محمد ، عن أحمد بن محمد الحنبلي حفيد أبي المواهب ، عن والده عبد الباقي ، عن عمر القاري ، عن البدر الغزي ، عن القاضي زكريا الأنصاري ، عن عبدالرحيم بن محمد الحنفي ، عن أبي العباس أحمد الجوهي ، عن زينب بنت مكى ، عن حنبل الرصافي ، عن هبة الله الشيباني

عن الحسينى التميمى ، عن أبى بكر القطيعى ، عند عبدالله بن أحمد ، عن والده الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى .

هذا وأوصى الأخ المجاز كما أوصى نفس بالتقوى وأرجو أن لا ينساني من صالح دعائه .
وأسأل الله لى وللأخ المجاز الخاتمة الحسنى ، بأن يوفقنا جميعا إلى ما يرضيه عنا إنه سميع قريب ،
حرر فى أول شهر شعبان المبارك سنة ١٣٨١ كتبه على بن إسماعيل المولى وقد أورد فى نهاية الجزء
الأخير من « الفتح الربانى » هذه الترجمة للإمام أحمد قال : اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك
وعزائم مغفرتك والغنيمه من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز بالجنة والنجاة من النار ، ولا تدع
لنا ذنبا إلى غفرته ، ولا هما إلا فرجته ولا حاجة إلا قضيتها .

بهذا الدعاء المأثور الذى كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فيما روى يختم كل صلاة ،
نبتهل إلى الله فى ختام هذا العمل العظيم الذى عكف عليه والدنا الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا
رحمه الله ونسأله تعالى أن يتقبله منه ، وأن يجعله سببا لاستجلاب رحمته يوم لا ينفع مال ولا بنون
إلا من أتى الله بقلب سليم .

وقد عبر الشيخ رحمه الله فى مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب عن رغبته فى وضع ترجمة مسهبة
لصاحب هذا المسند وراوية الإمام الأجل أحمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله . فوضعنا الترجمة التالية
وأن لم نكن أخص الناس بها أو أقدرهم عليها سالكين فيها الطريقة السلفية التى هى طريقة الكتاب
معتمدين على المراجع الأساسية كتاريخ الإسلام للذهبى والمناقب لابن الجوزى والبداية والنهاية
لابن كثير وما الى ذلك . فنقول ، وبالله التوفيق .

الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (١)

مولده ونشأته

هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي « نسبة إلى مرو » ثم البغدادي . قدم به أبوه من مرو وهو حمل فوضعت أمه في بغداد وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين . قال صالح بن الإمام أحمد « قال لي أبي ولدت في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة » قال صالح وجيء بأبي أحمد من مرو فتوفي أبوه محمد شابا ابن ثلاثين سنة فوليت أبي أمه . وقال أبي وكانت قد ثقت أذني فكانت أمي تصير فيهما لؤلؤتين ، فلما ترعرعت نزعتهما ، فكانتا عنده فدفعتها إلى فبعتهما بنحو من ثلاثين درهما .

وينسب الإمام أحمد عادة إلى جده فيقال « أحمد بن حنبل » لأن جده كان أشهر من أبيه فقد كان واليا على سرخس - من أعمال خراسان - وناصر الدعوة العباسية أول عهدها ، وأوذى في ذلك في حين كان أبوه « محمد » بتعبير ابن الجوزي « في زى الغزاة » أى أنه كان من سواد الجند المجاهدين ، وإن روى عن الأصمعي أنه كان قائدا .
وأمه هي صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني . فهي شيبانية كأبيه . وكانت هي التي كفلت أحمد وأدبته فأحسن تأديبه . . . مع الله . .

وشيبان قبيلة ربيعة عدنانية من صميم العرب ، تلتقى مع النبي ﷺ في نزار بن معد بن عدنان . عرفت بالهمة والنخوة والاباء والحمية . وأنجبت الكثير من مشاهير العرب وفرسانهم في الجاهلية والإسلام . وكانت منازلها بالبصرة . وكان الإمام أحمد إذا جاء البصرة صلى في مسجد مازن ، وهم من بني شيبان ويقول : « إنه مسجد آبائي » .

كانت لوائح النجابة تظهر عليه من الطفولة ، فحفظ القرآن ودرس الفقه واللغة وروى عنه أنه قال « كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب ثم أختلفت إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة » وكان شغفه بالعلم وإقباله عليه يحفزه للخروج قبل انبلاج الفجر فتأخذ أمه ثيابه وتقول حتى يؤذن الناس أو يصبحوا واسترعت نجابته بعض الذين عرفوه وقتئذ . قال الهيثم بن جميل « إن عاش هذا الفتى فسيكون حجة على أهل زمانه » .

(١) أثبتنا هذه الترجمة للشيخ استكمالاً لرغبته في إثباتها في مقدمة الكتاب كتتمه لبيان همته ومحبه للإمام أحمد بن حنبل .

● طلبه العلم

عندما بلغ السادسة عشرة جلس إلى القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وروى الحافظ الذهبي في تاريخه عن الخلال أن الإمام أحمد كان قد كتب كتب الرأي وحفظها ثم لم يلتفت إليها . وشرح الله صدره للحديث فلزم هشيم بن شير بن أبي حازم الواسطي (ولد سنة ١٠٤ هجرية وتوفي سنة ١٨٣ هجرية) الذي إنتهى إليه ملم الحديث في بغداد . وكان هشيم ذا سمت وهيبة رفعه خلقه وعلمه وتقواه وورعه فوق مستوى المنبت والمنشأ . فقد كان أبوه بخارى الأصل . أقام فترة بواسط كان فيها - فيما يقال - طبائحا للحجاج بن يوسف - قال حماد بن زيد « مارأيت في المحدثين أنبل من هشيم » وكان بعض المحدثين يقدمونه على سفيان الثوري - وروى عنه مالك بن أنس وأثنى عليه .

لزم الإمام أحمد هشيم أربع أو خمس سنوات وسمع منه كل ماعنده ، وحفظ كل ماسمعه وروى صالح بن الإمام أحمد عن أبيه قال « كتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين ، ولزمناه إلى سنة ثمانين ، وإحدى وثمانين ، واثنين وثمانين وثلاث ، ومات في سنة ثلاث وثمانين وكتبنا عنه كتاب الحج نحو من ألف حديث وبعض التفسير وكتاب القضاء وكتبنا صغارا ، وسأله ابنه صالح عن ذلك يكون ثلاث آلاف قال أكثر » .

ومع هذه الملازمة ، فإنه كان يتردد على بعض مجالس المحدثين الآخرين فيروى أنه سمع من عمير بن عبدالله بن خالد قبيل موت هشيم وأنه سمع عن عبدالرحمن بن مهدي وأبى بكر بن عياش .

وبعد موت هشيم أخذ الإمام أحمد يطلب الحديث من مختلف الشيوخ في بغداد نحو من ثلاث سنوات وفي السنة السادسة والثمانين بعد المائة بدأ رحلاته للسباع من شيوخ الأمصار كما كان الدأب وقتئذ فرحل إلى البصرة خمس مرات كان يقيم في بعضها قرابة ستة أشهر ، أو أقل ، ورحل إلى الحجاز خمس مرات لقي في بعضها الشافعي . قال الإمام أحمد « حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا ، وأنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهما ، وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماش فجعلت أقول « يا عباد الله دلوني على الطريق » حتى وقعت على الطريق ، ورحل إلى اليمن فسمع من عبدالرزاق بن همام ومكث بها سنتين ورحل إلى الكوفة ، ووعد الشافعي بالرحلة إلى مصر ولكن حالت دون ذلك الحوائل . ولم ينتهي الإمام أحمد عن طلب العلم حتى عندما تقدمت به السن وصار إماما وسأله أحد الناس عن هذا الطلب « إلى متى وقد بلغت هذا المبلغ وصرت إمام المسلمين » فقال ابن حنبل قوله المأثور « مع المحبرة إلى المقبرة » .

ولعل أعظم من أثر فيه من هؤلاء الشيوخ بوجه خاص هما هشيم والشافعي . وعن الأول أخذ الحديث وما ينبغي له من وقار وما يجب له من دقة ، وعن الشافعي أخذ أصول الاستنباط الفقهي .

وكان الإمام أحمد حريصا على لقاء ابن المبارك والسماع منه ، فذهب إلى مجلسه سنة تسع وسبعين ومائة أول سماعه من هشيم فقالوا قد خرج إلى طرسوس وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائة ، كما تأثر بسفيان الثوري وألم بحديثه ، قال عبدالرحمن بن مهدي عن أحمد « هذا أعلم الناس بحديث سفيان الثوري » وكان كل من سفيان الثوري وعبدالله بن المبارك مثالا في الجمع ما بين العلم والعمل . . . والقوة والورع . . . وهى الصفات التى نَجدها بارزة لدى ابن حنبل . وكان الإمام أحمد يرغب الإستماع إلى مالك ولكنه مات قبل أولى رحلاته قال « فاتنى مالك فأخلف الله على سفيان بن عيينة . وفاتنى حماد بن زيد فأخلف الله على إسماعيل بن علية » .

● جلوسه للتدريس

وعندما بلغ الإمام أحمد أربعين عاما جلس للدرس والفتوى بعد أن عرف فضله وظهر علمه وقصده الناس للسؤال وكان مجلسه تلفه السكينة ويغشاه الوقار . نقل الذهبي في تاريخه عن المروزي صاحب أحمد « لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبى عبدالله . كان مائلا إليهم مقصرا عن أهل الدنيا ، وكان فيه حلم . ولم يكن بالعجول بل كان كثير التواضع والوقار إذا جلس مجلسه بعد العصر لا يتكلم حتى يسأل » وقدر الذين يحضرون درسه بالمسجد بعد صلاة العصر بقرابة خمسة آلاف يكتب منهم خمسمائة ، كما كان له بالاضافة إلى درسه العام درس خاص يلقي فيه خاصة تلاميذه .

ولوحظ في هذه الدروس أن الإمام أحمد بن حنبل كان يعود إلى مراجعته المكتوبة ، ولا يكتفى بحافظته القوية تحرزا واحتراسا وأخذ بالأحوط والأثبت وحرصا على الدقة . قال ولده عبدالله « مارأيت أبى حدث من حفظه من غير كتاب إلا بأقل من مائة حديث » وربما ذكر الحديث من ذاكرته فإذا أرادوا كتابته استمهلهم حتى يملئهم إياه من الكتاب قائلا : الكتاب أحفظ شئ . وكان يحث أصحابه وتلاميذه على أن لا يحدثوا دون كتاب ، وكان على بن المديني لا يحدث إلا من كتاب وقال « إن سيدى أحمد بن حنبل أمرنى ألا أحدث إلا من كتاب » . وبقدر هذا التشديد فى كتابة الحديث النبوى كان الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يرفض أن تكتب فتاويه ويكره أن ينقلها أصحابه عنه . قال أحمد بن الحسين بن حسان « قال رجل لأبى عبدالله أريد أن أكتب هذه المسائل فإننى أخاف النسيان فقال أحمد بن حنبل لا تكتب فإننى أكره أن أكتب رأيى » وأحسن مرة بإنسان يكتب ومعه ألواح فى كفه فقال لا تكتب رأيا لعل أقول الساعة بمسألة ثم أرجع عنها غدا . ويروى أن عبدالملك بن عبدالحميد الميمونى المتوفى سنة ١٧٤ قال « سألت أبا عبدالله عن مسائل نكتبها فقال أى شئ تكتب يا أبا الحسن فلولا الحياء منك ماترتكت تكتبها ، وأنه على لشديد والحديث أحب إلى منها . قلت إنما تطيب نفسى فى الحمل عنك . إنك تعلم أنه منذ مضى رسول الله ﷺ قد لزم أصحابه قوم ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمون ويكتبون . قال :

من كتب ؟ قلت أبوهريرة . وكان عبدالله بن عمر ^(١) يكتب فقال لى فهذا الحديث فقلت له فيما المسائل إلا حديث ومن الحديث تتشقق « وربما أنكر نسبة ما يكتب من فتاويه إليه أو يذكر الرجوع عنها تثبيطا عن كتابتها . ولا يتراجع عن ذلك إلا فى حالات خاصة كالتى وردت فى المنهج الأحمد من أن إسحق بن منصور بن منصور المروزي المتوفى سنة ٢٥١ نقل عن الإمام أحمد بن حنبل . فلما أعلن الإمام أحمد رجوعه عن هذه المسائل جمع إسحق تلك المسائل فى جراب وحملها على ظهره وخرج راجلا إلى بغداد وهى على ظهره وعرضها على أحمد واحدة واحدة فأقر له بها وأخذ العجب منه . مما يدل على أن إعلان الإمام أحمد الرجوع أو إنكاره نسبتها إليه لا يعود إلى خطأ وإنما المقصود به عدم حمل الناس على الالتزام بها لأنها اجتهد منه ولأنه لم يكن يستجيز تدوين شىء إلا الكتاب والسنة سواء فى ذلك فتاويه أو فتاوى غيره حتى وإن كان يقدرهم تقديرا كبيرا كعبد الله بن المبارك والشافعى . وكان له فى هذا نظر نافذ وحكمة بالغة ، وإن لم يأخذ الناس بذلك فجمعوا آراءه وجعلوها أصلا للفقهاء الحنبلى .

كما يلحظ أن الإمام أحمد رحمه الله لم يكن يحدث ابتداء ، ولم يكن هو الذى يستهل بالدرس . وإنما كما يرد على الأسئلة . فإذا لم يسأله أحد لم يتكلم . روى ابن الجوزى عن أبى حاتم الرازى « أتيت أحمد بن حنبل فى أول ما التقيت به فى سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وإذا هو قد أخرج معه إلى الصلاة كتاب الأشربة وكتاب الإيمان فصلى فلم يسأله أحد فرده إلى بيته ، وأتيته يوما آخر فإذا هو قد أخرج الكتابين فظننت أنه يحتسب فى إخراج ذلك لأن كتاب الإيمان أصل الدين وكتاب الأشربة يفرق الناس عن الشر فإن أصل كل شر من السكر » .

ولم يكن مجلس الإمام أحمد مجلس علم فحسب ، لأن شخصية أحمد بن حنبل نفسه لم تكن تقل عن علمه ، وكان الكثيرون يحتسبون الجلوس إليه ، والتعرف على هديه وخلقه والتأدب بأدبه . وروى ابن الجوزى فى المناقب عن بعض أصحابه « اختلفت إلى أبى عبدالله أحمد بن حنبل اثنتى عشرة سنة ، وهو يقرأ المسند على أولاده ، فما كتبت منه حديثا واحدا وإنما كنت أميل إلى هديه وأخلاقه وآدابه » .

وهذه الملاحظات فى مجموعها تصور الشخصية الفريدة للإمام أحمد من تشدد وتثبت فيما يتعلق بالكتاب والسنة . وعزوف وانصراف عن الناس مهما علت مراتبهم واعتبار العلم أداة لهدى الطالبين وإجابة للسائلين والالتزام بالسمت والأدب والسكينة والتواضع ، والبعد عن الرياء - بل انتفاء - التشدد والزهو بالعلم والمعرفة . وأن يكون ظاهر المرء وباطنه ، علمه وعمله سواء ، وهى

(١) هكذا جاء بالأصل « المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ولعل صحتها عبدالله بن عمرو لأنه هو الذى كان يكتب وكان يطلق على صحيفته الصادقة .

منازل لا بقدر عليها كلا القلة المصطفاة . وبحق قال الإمام يحيى بن معين - وهو من هو - « أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل ، والله ما نقوى أن نكون مثله ولا نطبق سلوك طريقه » .

● تقدير معاصريه وثناؤهم عليه

لقد كانت هذه الخلائق من العلم والعمل محل تقدير كل علماء عصره ، فشهدوا له وكتبوا عنه الكتب ، فأفرد البيهقي سيرته في مجلد ، كما أوردها ابن الجوزي في المناقب ، وأثبتها في مجلد لطيف أبوإسماعيل الأنصاري . وأورد سيرته بإفاضه الحافظ ابن كثير صاحب البداية والنهاية والحافظ الذهبي « أبو عبدالله شمس الدين محمد الذهبي » في تاريخه مطولا ومسهبا والخطيب البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » .

وفيما يلي بعض أقوال معاصريه عنه نقلا عن هذه المراجع ، قال حرملة : سمعت الشافعي يقول : خرجت من بغداد فيما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل . وقال علي بن المديني إن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة . وبأحمد بن حنبل يوم المحنة .

وقال أبو عبيد انتهى العلم إلى أربعة أفقهم أحمد . وقال البخاري لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان أحدوثه ، وقال السهيلي بن الخليل لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان نبيا ، وقال المزني : أحمد بن حنبل يوم المحنة وأبو بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وعلى يوم الجمل وصفين ، وقال بشر بن الحافي بعد ما ضرب أحمد بن حنبل : أدخل أحمد الكير فخرج ذهبا أحمر ، وقال الميموني : قال لي علي بن المديني بعدما امتحن أحمد ياميمون : ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل فعجبت من ذلك عجباً شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال صدق . إن أبا بكر وجد يوم الردة أعوانا وأنصار وأن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصارا وأن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان ثم أخذ أبو عبيد يطري أحمد ويقول لست أعلم في الإسلام مثله ، وقال إسحق بن راهويه أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه . وقال علي بن المديني إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي عز وجل كيف كان . وقال الخلال سمعت أبا القاسم بن الجبلي وكفأك به يقول أكثر الناس يظنون أن أحمد إذا سئل كان علم الدنيا بين عينيه . وقال إبراهيم الحربي رأيت أحمد كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين ، وقال عبدالرزاق مارأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أروع ، وقال المزني قال لي الشافعي رأيت ببغداد شابا إذا قال حدثنا قال الناس كلهم صدق قلت هو قال أحمد بن حنبل ، وعن حجاج بن الشاعر مارأيت روحا في جسد أفضل من أحمد بن حنبل . وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي قال مارأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ، ولا أعقل . وقال الحسين الكرايسي مثل الذين يذكرون أحمد عندنا مثل قوم

يحيئون إلى أبى قبيس يريدون أن يهدموه ، وقال يحيى بن معين كان فى أحمد بن حنبل خصال مبرأتها فى عالم قط كان محدثا وكان حافظا ، وكان عالما ، وكان ورعا . وكان زاهدا وكان عاقلا وقال الذهلى اتخذت أحمد حجة فىا بينى وبين الله وقال أبوبكر محمد بن محمد بن رجاء مارأيت مثل أحمد بن حنبل ، ولارأيت من رأى مثله . وقال : سمعت قتبية يقول إذا رأيت الرجل يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة » .

هذه هى بعض أقوال معاصريه فيه ، وهى تدل على إعجاب شديد وتوقير كبير ، وفى بعضها مايفسح مجالا لتصوير المبالغة ، ولولا أن عمل الرجل نفسه وأثره فى تلاميذه ينفى ذلك . فمن يحيا مثل حياة أحمد بن حنبل ، ومن يصمد صموده يوم المحنة ، ومن يخرج للناس مثل المسند ، ومن يطبع تلاميذه بطابع التقوى والصلابة فى الحق - وهى كلها حقائق واقعة - لا يستكثر عليه ما قيل فيه ، وعلى كراهة الأتقياء لأحاديث المديح والثناء . فإن يحيى بن معين ، عندما أكثر جلساؤه الثناء على أحمد بن حنبل ، وقال رجل لاكثرؤا . بعض هذا قال « وكثرة الثناء على أحمد تستكثر ؟ لو جلسنا مجالسنا بالثناء عليه ماذكرنا فضائله بكماها » .

والحق أن شخصية الإمام أحمد بن حنبل وخلقه القوى وترفعه عن الدنيا وزهده فى زخرف الدنيا هو مالا يقل قيمة وأثرا عن جمع الإمام أحمد للمسند أو موقفه يوم المحنة ، لأنه أورث أتباعه هذا الخلق بحيث كاد أن يكون طابعا عاما يغلب عليهم ، وقد وصف أبو الوفاء بن عقيل الفقيه الحنبلى المتوفى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة أصحاب الإمام أحمد بعد مرور زهاء ثلاثة قرون .

« هم قوم خشن ، تقلصت أخلاقهم عن المخالطة ، وغلظت طباعهم عن المداخلة ، وغلب عليهم الجد وقل عندهم الهزل ، وغربت نفوسهم عن ذل المراءاة . وفزعوا عن الآراء إلى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجا من التأويل وغلبت عليهم الأعمال الصالحة فلم يدققوا فى العلوم الغامضة ، بل دققوا فى الورع وأخذوا مظاهر من العلوم ، وماوراء ذلك قالوا الله أعلم بها فيها خشية من باربها » .

ونسب خمول المذهب الحنبلى إلى ورع أصحابه « هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه ، لأن أصحاب أبى حنيفة والشافعى إذا برع واحد منهم فى العلم تولى القضاء وغيره من الولايات ، فكانت الولاية سببا لتدريسه واشتغاله بالعلم .

أما أصحاب أحمد ، فإنه قل فيهم من تعلق بطرف من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التعبد والترهد لغلبة الخير على القوم فينقطعون عن التشاغل بالعلم » .

فإذا كان هذا هو حال أصحاب أحمد بعد ثلاثة قرون من وفاته ، فلنا أن نتصور أثره فى تلاميذه ومريديه الذين جلسوا إليه وتأدبوا بأدبه وبحق قال تلميذه أحمد بن محمد بن هانى أبوبكر

الأقرم » أحمد بن حنبل رضى الله عنه ستر من الله على أصحابه فينبغي لأصحاب أحمد أن يتقوا الله ولا يعصوه مخافة أن يعيروا بأحد » ورفض تلميذه الآخر إبراهيم بن إسحق الحرى أن يقبل عشرة آلاف درهم أرسلها الخليفة المعتضد ، فسأله أن يفرقها على جيرانه فقال للرسول عافاك الله هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفريقه . قل لأمر المؤمنين : إن تركتنا ، وإلا تحولنا من جوارك ! » .

● صفته وأدبه

قال الحافظ الذهبي في كتابه « تاريخ الإسلام » .

قال عبدالله بن عبدالرحمن الذهبي حدثني أبي قال مضى عمى أبوإبراهيم أحمد بن سعد إلى أحمد بن حنبل فسلم عليه فلما رآه وثب قائما وأكرمه .

وعن عباس النحوى قال رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ربعة يخضب بالحناء خضابا ليس بالقانى وفي لحيته شعرات سود ورأيت ثيابا غليظة إلا أنها بيض ورأيت معتما وعليه إزار .

قال المروزى قال أحمد « ما كتبت حديثا إلا قد عملت به ، حتى مر بى أن النبى ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارا فأعطيت الحجام دينارا حين احتجمت .

وقال ابن أبى حاتم ذكر عبدالله بن أبى عمر البكرى قال سمعت عبدالملك الميمونى يقول « ما أعلم أنى رأيت أحدا أنظف ثوبا ولا أشد تعاهدا لنفسه فى شاربته وشعر رأسه وشعر بدنه ، ولا أنقى ثوبا وشدة بياض من أحمد بن حنبل » .

وقال الخلال أخبرنى محمد بن الجنيد أن المروزى حدثهم قال كان أبو عبدالله لا يدخل الحمام ، وكان إذا احتاج إلى النورة تنور فى البيت ، وأصلحت له غير مرة النورة واشترت له جلدا ليده يدخل يده فيه ويتنور .

قال حنبل رأيت أبا عبدالله إذا أراد القيام قال لجلسائه إذا شئتم .

قال عبدالملك الميمونى « لم يكن أحد أنضر ثوبا ، ولا أشد تعاهدا لنفسه فى ثيابه وشعر رأسه وبدنه من أحمد ، وكان يحب الفقراء ويعرض عن أهل الدنيا ويجلس للفقهاء حيث انتهى به المجلس ولا يتصدر ، حسن الجوار . ولا يخشى فى الله لومة لائم » .

قال المروزى كان الإمام أحمد إذا ذكر الموت خنقته العبرة وكان يقول : الخوف يمنعنى أكل الطعام والشراب .

وقال « إذا ذكر الموت هان كل شىء من أمر الدنيا إنها هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وإنها أيام قلائل وما أعدل بالفقر شيئا » .

وقال أريد أن أكون في بعض تلك الشعاب بمكة حتى لأعرف وقد بليت بالشهرة إنى لأتمنى الموت صباحا ومساء .

قال المروزي قلت لأبى عبدالله إنى لأرجو أن يدعى لك في جميع الأمصار فقال ياأبا بكر إذا عرف الرجل قدر نفسه فما ينفعه كلام الناس .

وقال عبدالله خرج أبى إلى طرسوس ماشيا وحج حجتين أو ثلاثا ماشيا ، وكان أصبر الناس على الوحدة . وقال : كان أبى يصلى في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، حتى مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلى كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وقال إسحق بن راهويه كنت أنا وأحمد باليمن عند عبدالرزاق وكنت فوق الغرفة وهو أسفل فاطلعت على أن نفقته فنيث فعرضت عليه فامتنع فقلت إن شئت قرضا ، وإن شئت صلة فأبى فنظرت فإذا هو ينسج التكب ويبيع وينفق . رواها أبوإسماعيل الترمذى عنه .

وعن أبى إسماعيل قال : أتى رجل بعشرة آلاف درهم من ربح تجارته إلى أحمد فأبى أن يقبلها .

قال عبدالله عن أبيه عرض على يزيد بن هارون نحو خمسمائة درهم فلم أقبلها .

وكان الإمام أحمد رضى الله قد ورث عقارا ضئيل القيمة كان يغل في كل شهر سبعة عشر درهما ، وكان يحاول الاكتفاء به قدر طاقته . وعندما تفجؤه حاجة أو تركبه ضرورة كان يعمد إلى العمل الميسر له مادام حلالا ، ولم يكن هذا الإمام الجليل ليستنكف عن أن ينسج أو ينسخ ، بل ويؤجر نفسه للحمالين ، ويفضل هذا كله على قبول الصلوات التي كانت تعرض عليه في سخاء ، حتى عندما تأتى من بعض شيوخه كعبد الرزاق ، كما رفض رفضا باتا أن ينال شيئا من الصلوات التي كان الواثق يوصله بها ويفرض عليه قبولها ، ومن باب أولى فإنه كان يرفض كل عمل يربطه بنظام الحكم ويشركه فيها يقوم عليه أو يلتبس به .

● زوجاته وأولاده

قال الخلال أخبرنا المروزي أن أبا عبدالله قال ماتزوجت إلا بعد الأربعين .

قال زهير بن صالح بن أحمد « تزوج جدى بأبى عباس بنت الفضل من العرب فلم يولد له منها غير أبى ثم ماتت » .

قال المروزي سمعت أبا عبدالله يقول « أقامت معى أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهى في كلمة » .

وقال زهير « لما ماتت عباسية تزوج جدى بعدها امرأة من العرب يقال لها ربحانة فولدت له عبدالله وحده » .

وفي هذا نظر ، لأن عبدالله ولد للإمام أحمد وله خمسون سنة أى بعد زواجه من أم صالح بعشرة أعوام ، وفي رواية المروزي « أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة إلخ » كما أن من المعروف أن الإمام أحمد لم يتزوج إلا بعد أن قارب الأربعين .

قال زهير بن صالح لما توفيت أم عبدالله « حسن » فولدت منه زينب ثم الحسن والحسين توأما وماتا بالقرب من ولادتها ثم ولدت الحسن ومحمدا فعاشا حتى صارا من السن إلى نحو من الأربعين ثم ولدت بعدهما سعيدا .

● قضية المحنة

نشأت هذه المحنة التي حملت اسم « خلق القرآن » من أن المعتزلة الذين كان لهم وقتئذ الخطوة لدى المأمون والغلبة الفكرية عليه كانوا ينفون الصفات عن الله تبارك وتعالى ورأوا أن التعبير السارى عن أن القرآن « كلام الله » يوحى بإثبات صفة ما ، فذهبوا إلى أن القرآن « مخلوق » ولم يعدوا الحجج من المنطق أو من تأويل بعض آيات القرآن الكريم ما يعززون به دعواهم وما يجعلهم يرون أن هذه المسألة هي من مسائل العقيدة الكبرى لأنها تتعلق بالله تعالى ، ومن ثم كان إصرارهم عليها وتمسكهم بها وإقحامهم أنفسهم في معركة ضارية بدأت أولا بعزل كل الذين يختلفون معهم في ذلك من المناصب ، ثم تطورت إلى مناظرة الشيوخ والعلماء وانتهت إلى إلزام كل الشيوخ والعلماء القول بذلك وتهديد كل من يرفض بالاضطهاد قد يصل إلى حد القتل .

ومات المأمون قبل أن تصل الفتنة إلى مرحلتها الحاسمة ، ذلك أنه كان يؤثر المناظرة ، وإن هدد قبيل موته بحمل المخالفين على السيف . واستجاب كل الذين طولبوا القول لما أراد المأمون ، واعترفوا بدرجات متفاوتة - بخلق القرآن بحيث لم يبق في بغداد في النهاية سوى أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح في الطريق . قال الإمام أحمد « مارأيت أحدا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر من محمد بن نوح . وإنى لأرجو أن يكون قد ختم له بخير . قال لى ذات يوم يابا عبدالله إنك لست مثلى . . إنك رجل يقتدى بك . قدمت الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله أو نحو هذا . فمات وصليته عليه ودفنته » .

ومن غير بغداد مات عالم مصر يوسف بن يحيى البويطى صاحب الإمام الشافعى ، وهو في قيوده بعد أن رفض الإقرار بما يريدون . كما توفى في سجنه نعيم بن حماد .

وهكذا أصبح على الإمام أحمد بن حنبل أن يواجه وحده العاصفة ، وتبلورت فيه وحدة القضية كلها . وكان له من الشهرة والاسم وأمل الناس فيه وتعلقهم به ما يجعل موقفه فاصلا . ومن هنا كانت تلك الأهمية التي علقها معاصروه على موقفه . واعتبروه « صاحب المنة على الأمة » وشبهوا موقفه بموقف أبى بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة ولعلمهم أيضا كانوا يستطيعون أن يرقوا

به « بدر » عندما قال النبي ﷺ في ابتهاله المأثور اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم » .

وكان المعتصم راغبا كل الرغبة في أن يرضخ الإمام أحمد بحيث لا يحتاج إلى استخدام القوة ، وحاول معه كل طرق الاسترضاء « يا أحمد والله إنني عليك لشفيق وإني لأشفق عليك كشفقتي على هرون ابني ، ماتقول . فأقول أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله » .

ومرة أخرى « يا أحمد أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي قلت أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله فطال المجلس وقام ورددت إلى الوضع الذي كنت فيه » .

وظلت هذه المحاورات والمداورات ثلاث ليال حتى ضجر المعتصم وقال « العقابين والسباط ^(١) فجاء الجلادون فقال لهم المعتصم تقدموا فجعل كل جلاد يضرب الإمام أحمد سوطين والمعتصم يقول له شد قطع الله يدك ثم يتنحى ويقوم الآخر والمعتصم يقول في كل ذلك شد قطع الله يدك فلما ضرب تسعة عشر سوطاً من هذه السياط التي يستنزف كل اثنين منها فوه رجل قال المعتصم « يا أحمد علام تقتل نفسك إنني والله عليك لشفيق ! وجعل عجيف (أحد رجال المعتصم) ينخسه بقائمة سيفه ويقول « أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم » وجعل بعضهم يقول ويلك الخليفة على رأسك قائم وقال بعضهم يا أمير المؤمنين دمه في عنقي فاقتله وجعلوا يقولون يا أمير المؤمنين أنت صائم ، وأنت في الشمس قائم وهو يقول ويحك يا أحمد ماتقول والإمام أحمد لا يغير من قوله « أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به » فيأمر الجلادين بالضرب قارنا الأمر بوصيته « شد قطع الله يدك ! » .

قال صالح قال أبي فذهب عقلي ، فأفقت بعد ذلك فإذا الأقياد قد أطلقت عني فقال لي رجل ممن حضر إننا كبيناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية وديناك . قال أبي فما شعرت بذلك وأتوني بسويق فقالوا لي أشرب وتقيأ فقلت لأفطر ثم جيء بي إلى دار إسحق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى فلما انفتل من الصلاة قال لي صليت والدم يسيل في ثوبك فقلت قد صلي عمر وجرحه يثغب دماً .

وكانت المدة منذ أن أخذ إلى أن ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهرا ، كان المعتصم فيها نبهة بين أن يلتزم بوصية سلفه المأمون وتوجيه مستشاره أحمد بن دواد الذي لم يظل يؤكد له أن الإمام أحمد كافر مشرك قد أشرك من غير وجه . . وبين أن يدعه عندما أعجب بشجاعته وأخذته الشكوك في سلامة القضية كلها .

(١) هي ، كما يفهم من السياق خشبتان يعلق عليها ، أو يثبت عليها من يراد جلده .

وفى الوقت نفسه فلم يكن أحمد بن أبى دواد ليريد أن يقتل ، فعندما قال أحد أتباع المعتصم يا أمير المؤمنين أضرب عنقه ودمه فى رقبتي . قال ابن أبى دواد لا يا أمير المؤمنين لا تفعل فإنه إن قتل أو مات فى دارك قال الناس صبر حتى قتل فاتخذوه إماما وثبتوا على ما هم عليه ، ولكن أطلقه الساعة فإن مات خارجاً عن منزلك شك الناس فى أمره .

وهكذا انتهى رأى إلى الإفراج عن الإمام أحمد وإعلان ذلك على الملأ ، حتى إذا مات وهو فى بيته ، قال حنبل ابن إسحق لما أمر المعتصم بتخلية أبى عبد الله خلع عليه مبطنة وقميصا وطيلسانا وخفا وقلنسوة فبينما نحن على باب الدار والناس فى الميدان والدروب وغيرها وأغلقت الأسواق إذ خرج أبو عبد الله على دابة من دار أبى إسحق المعتصم وعليه تلك الثياب وابن أبى دواد عن يمينه وإسحق بن إبراهيم يعنى نائب بغداد عن يساره ، فلما صار إلى دهليز المعتصم قبل أن يخرج قال لهم ابن أبى دواد اكشفوا رأسه فكشفوه يعنى من الطيلسان فقط وذهبوا يأخذون به ناحية الميدان نحو طريق الحبس فقال لهم إسحق خذوا به ههنا يريد دجلة فذهب به إلى الزورق وحمل إلى دار إسحق فأقام عنده إلى أن صليت الظهر وبعث إلى أبى وإلى جيراننا ومشايخ المحال فجمعوا وأدخلوا عليه فقال لهم هذا هو أحمد بن حنبل إن كان فيكم من يعرفه ، وإلا فليعرفه . فقال ابن سعاة حين دخل للجماعة هذا أحمد بن حنبل فإن أمير المؤمنين ناظر فى أمره وقد خلى سبيله وهما هو ذا فأخرج على دابة لإسحق بن إبراهيم عند غروب الشمس فصار إلى منزله ومعه السلطان والناس وهو منحنى فلما ذهب لينزل احتضنته ولم أعلم فوقعت يدي على موضع الضرب فصاح فنحيت يدي فنزل متوكئا على وأغلق الباب ودخلنا معه ورمى بنفسه على وجهه لا يقدر يتحرك إلا بجهد وخلع ما كان قد خلع عليه فأمر به فبيع ، وأخذ ثمنه فتصدق به .

وأوى الإمام أحمد بن حنبل إلى بيته ووجه إليه من يبلغ خبره يوما بعد يوم ، ومن يعالج جروحه ، وكان قد أصيب فى غير موضع وظل أثر الضرب بينا فى ظهره إلى أن توفى وظلت إلهاماته متخلعتين تضربان عليه فى البرد حتى يسخن له الماء . وجعل الإمام أحمد كل من أصابه فى حل إلا مبتدع مطبقا قول الله تعالى « وليعفووا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » ومتبعا توجيه النبى ﷺ بالعفو عن مسطح قاتلا العفو أفضل .

وعاد الإمام أحمد إلى مجلسه بالمسجد ودرسه حتى مات المعتصم وولى الواثق .

وواصل سياسة سلفه فى الأخذ بخلق القرآن ، ولكنه لم يشأ أن يعيد القصة مع الإمام أحمد بعد أن رأى أنها أكسبته المهابة والجلال والمحبة والتقدير فأرسل إليه نائبه إسحق بن إبراهيم برسالة فى موهن الليل « يقول لك الأمير إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد ولا تساكنى بأرض ولا مدينة أنا فيها فاذهب حيث شئت من أرض الله » .

واختفى الإمام أحمد قال إبراهيم بن هانى اختفى أحمد بن حنبل عندى ثلاثة أيام ثم قال اطلب لى موضوعا قلت لا آمن عليك قال أفعل فطلبت له موضوعا فلما خرج قال لى اختفى رسول الله ﷺ فى الغار ثلاثة أيام ثم تحول .

وظل الإمام أحمد على هذا الحال حتى توفى الوائق وولى المتوكل ، فأنهى تلك المأساة ووضع ختامها بعد أن ثبت فشلها وكتب المتوكل إلى إسحق بن إبراهيم برفع الحظر على الإمام أحمد وإكرامه . وأرسل إليه كتابا ومعه بدرة وقال الإمام أحمد إنه قد صح عند أمير المؤمنين براءة ساحتك وقد وجه إليك بهذا المال تستعين به فأبى أن يقبله وقال مالى إليه حاجة فقال يا أبا عبد الله اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به فإن هذا خير لك عنده فاقبل ولا ترده فإنك إن رددته خفت أن يظن بك سوءا فحينئذ قبله ، ولكنه لم يستطع النوم ، فلما كان السحر أرسل إلى بعض أصحابه ووجههم إلى توزيع المال على من يعملون من أهل الستر والصلاح ببغداد والكوفة ففرقوها كلها فما بقى فى الكيس درهم ثم تصدق بالكيس نفسه على مسكين .

والحقيقة أن ولاية المتوكل وإن أنهت فصل الاضطهاد فى تلك المأساة إلا أنها فتحت فصلا آخر هو فصل الاضطناع فقد حاول المتوكل بكل طريقة أن يجتذب إليه الإمام أحمد ويجعله من خلصائه ، ورفض الإمام أحمد ذلك ، بل رفض أن ينال من أحمد بن أبى دواد أو يذكره بشيء مع أنه تولى كبر هذه الفتنة وشهد على الإمام أحمد أنه « أشرك من غير وجد » وأجبره المتوكل على الذهاب إليه واضطر الإمام لأن يذهب ولكنه لم يقبل ضيافة المتوكل ، فلم ينزل فى الدار التى أعدها له ، ولم يأكل من المائدة التى رتبها ، بل لقد أمرضه هذا كله ، واحتج بهذا المرض فى رفض الأكل والشراب واللقاء ووجه إليه المتوكل بهال عظيم فرده فقال عبيد الله بن يحيى بن خاقان فإن أمير المؤمنين يأمر أن تدفعها إلى ولدك وأهلك قال هم فردها عليه فأخذها عبيد الله فقسمها على أهله وولده ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف فى كل شهر فبعث إليه الإمام أحمد أنهم فى كفاية وليست بهم حاجة فبعث إليه المتوكل إن هذا لولدك مالك ولهذا فأمسك .

ولما طالت العلة به أرسل المتوكل ابن ماسويه الطبيب فزاره ثم عاد إلى المتوكل وقال إنه ليست به علة فى بدنه إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة . فسكت المتوكل .

وأمر المتوكل بشراء دار للإمام أحمد ولكنه رفض ذلك قائلا إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لى مأوى ومسكنا قال صالح فلم نزل ندفع شراء البيت .

وأكدبت هذه الرعاية الإمام أحمد كربا شديدا حتى كان يبكى ويقول سلمت من هؤلاء ستين سنة حتى إذا كان فى آخر عمرى بليت بهم ، والله لقد تمنيت الموت فى الأمر الذى كان (أى فى

فتنة المعتصم) وإننى لأتمنى الموت فى هذا وذلك أن هذا فتنة الدنيا وذلك فتنة الدين ثم جعل يضم أصابعه ويقول لو كانت نفسى فى يدى لأرسلتها ، ويفتح أصابعه .

وكان المتوكل يوجه فى كل وقت يسأل عن حاله ويأمر لآله بالمال دون أن يعلم الإمام أحمد بذلك . وحسن رأيه فى الإمام أحمد بعد مارأى من صدوده حتى رفض فيه كل الوشائيات وعندما قالوا له إنه لا يأكل من طعامك ، ولا يجلس على فراشك ويحرم الذى تشرب قال لهم « لو نشر المعتصم وقال فيه شيئا لم أقبل منه » .

ولما تأكد المتوكل من عقم كل محاولاته اصطناع الإمام أحمد أو تقريبه سمح له بالعودة وأذن له فى الانصراف فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر وقال للإمام أحمد إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمر أن تفرش لك حراقة^(١) تنحدر فيها فقال أبو عبيد الله أطلبوا لى زورقا فانحدر فيه الساعة فطلبوا له زورقا فانحدر من ساعته .

قال حنبل ، فما علمنا بقدمه لى أنه قد وافى فاستقبلته بناحية القطيعة وقد خرج من الزورق فمشيت معه فقال لى تقدم لا يراك الناس فيعرفونى فتقدمت بين يديه حتى وصل لى المنزل فلما دخل ألقى نفسه من التعب والعياء .

وكان فى حياته ربها استعار الشىء من منزلنا ومنزل ولده فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار امتنع عن ذلك .

وانتهى بذلك أمر المحنة بعد أن أستمتر أربع عشرة سنة ثبت لها الإمام أحمد بن حنبل ثبات المؤمنين الصادقين .

وقد وقف الإمام أحمد رضى الله عنه موقفين جديرين بالتأمل والتقدير .

الأول : موقف الصلابة والبطولة وإيثار الموت على التفريط أو التسليم ، وأن « التقية » لا يمكن أن تقبل من الإمام الداعية القدوة وإن قبلت من سواد الناس وجهائهم .

والثانى : العبارة التى أجمل فيها الإمام أحمد رضى الله عنه رده على هؤلاء المعتزلة فرسان الكلام وأئمة الجدل . فقد رفض أن يدخل فى نقاش ، وتمسك بصيغة واحدة محددة للبس فيها « أعطونى شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول فيه » وقد أجمل الإمام أحمد فى كلمته هذه المذهب الأمثل والعقيدة السليمة ، فما لم يأت القرآن أو الحديث بشىء فى هذا المجال ، فإن الجدل والرأى وإعمال الفكر مستبعد تماما ، ولا محل له لأنه يتعلق بصفات الله عز وجل . وهى صفات

(١) أى سفينة خفيفة خاصة .

لا يدركها العقل البشرى ولا تخضع لأحكامه أو تصوراته - ولو جاز أن يهتدى إليها العقل لما كان ثمة حاجة لارسال الرسل وبعثة الأنبياء ولجاز أن يقوم بهذا الفلاسفة أو العلماء . فالذين يتصورون أن العقل البشرى يستطيع أن يدرك صفات الله تعالى ، إنما يطعنون الدين ويحاولون هدمه وخدع الناس بمفترياتهم (وما يخذعون إلا أنفسهم وما يشعرون)

وكل ماسوى الإيمان القلبي فى هذا المجال فهو مجازفة خطيرة ، وأخذ بأقيسة باطلة . واعتاد على براهين عاجزة أو فاسدة ، وتوريط للنفس فى متاهات دون هدى أو دليل ، ولعل الإمام أحمد رضى الله عنه كان يستطيع أن يفند هذه الدعوى ويدخل فى الجدل ولكنه أثر أن يقف موقف أهل السنة ، وأن يضع - فى هذه المسألة الكبرى من مسائل الاعتقاد - السنة والاتباع فى مواجهة الهوى والابتداع ، لأن هذا الوضع هو الوضع الحاسم فى هذه القضية - لأن الاجتهاد مستبعد أصلاً فى هذا المجال بحيث لا يمكن التفكير فيه كوسيلة للاتصال وكسب الخصوم . فالإمام أحمد كان يرى حل المشكلة إنما يكون فى « الموقف » الذى وقفه وبالتالي لا يكون هناك داع لحل آخر . ولو أراد مثل هذا الحل لما أعوزه ، ولما كان يعجزه أن يقول ما قاله واحد من عامة المسلمين عندما جابه أحمد بن أبى دواد « شئ لم يدع إليه رسول الله ﷺ ، ولا أبوبكر ، ولا عمر ، تدعو أنت الناس إليه . . ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه . فإن قلت علموه وسكتوا عنه وسعنى وإياك من السكوت ماوسع القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت ، فيالكع ابن لكع : يجهل النبى ﷺ والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم شيئاً وتعلمه أنت » .

كما لم يكن ليدق على ذكاء الإمام أحمد وفراسته ما أدركه أحد أتباع الواثق عندما دخل عليه يوماً وقال له « يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك فى القرآن » فقال : ويلك القرآن يموت ؟ قال أمير المؤمنين كل مخلوق يموت .

كان الإمام أحمد رحمه الله يستطيع أن يقول شيئاً كهذا ولكنه لم يكن يريد خلاصاً من محنة أو انتصاراً على الخصوم ولكن تقديرأ لمبدأ ، وتحديدأ لموقف ، وكيف يميل الإمام أحمد ويجادل فى عقيدة وهو الذى يحمل بين جنبيه كتاب الله وتمتج روحه بالسنة المطهرة ومن هنا قال « أعطونى شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به » .

وفى كلام الإمام أحمد ، وفى كثير من كتبه ووصاياه بين أن الموقف السليم هو ترك الجدل والمراء واطراح الخصومات والأهواء والوقوف عند السنة المطهرة ، وعدم إفساد القلوب بهذه الشبه والاستدلال على الله ببديع صنعه وسابغ نعمه بل الاستدلال عليها بخالفها ومبدعها جل جلاله .

● ذكر مرضه ووفاته رحمه الله

قال المروزي : مرض أبو عبدالله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من ربيع الأول ومرض تسعة أيام ، وكان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا يسلمون عليه ويرد عليهم بيده وتسامع الناس وكثروا ، وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة الأخبار ثم أغلق باب الزقاق فكان الناس في الشارع والمساجد حتى تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء ، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه وصل من بعض الدور وطرده الحاكة وربما تسلق وجاء أصحاب الأخبار فقعدهوا على الأبواب وجاءه حاجبه ابن طاهر فقال إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك فقال هذا مما أكره وأمير المؤمنين أعفاني مما أكره ! وأصحاب الخبر يكتبون بخبره إلى العسكر والبرد تختلف كل يوم ، وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه وجعلوا يبكون عليه وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يؤذن لهم فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال ادعوا لي الصبيان بلسان ثقيل فجعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ومسح بيده على رؤوسهم وعينه تدمع .

فلما كانت ليلة الجمعة ثقل وقبض صدر النهار فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وامتلأت السكك والشوارع .

قال البخاري مرض أحمد بن حنبل لليلتين خلتا من ربيع الأول ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول .

قال صالح وجه ابن طاهر يعنى نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامين معها مناديل فيها ثياب وطيب فقالوا الأمير يقرئك السلام ويقول قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضراً كان يفعل ذلك فقلت أقرىء الأمير السلام وقل له إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما يكره ، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكره في حياته ، فعاد وقال يكون شعاره فأعدت عليه مثل ذلك . وقد كان غزلت له الجارية ثوبا عشائراً قوم بثمانية وعشرين درهماً ليقطع منه قميصين فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له حنوطاً وفرغ من غسله وكفناه وحضر نحو مائة من بنى هاشم ونحن نكفنه وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير .

قال عبدالله بن أحمد : صلى على أبي محمد بن عبدالله بن طاهر غلبنا على الصلاة عليه ، وقد كنا صلينا نحن والهاشميون في الدار .

قال صالح وجه ابن طاهر من يصلى عليه قلت أنا فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف فخطأ إلينا خطوات وعزانا ووضع السرير فلما انتظرت هنيهة تقدمت وجعلت أسوى صفوف الناس فجاءني ابن طاهر ، فقبض « ابن طالون » على يدي ومحمد بن نصر على يدي وقالوا الأمير فما نعتهم فنحنينى وصلى ولم يعلم الناس بذلك . فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر ، ومكث الناس ماشاء الله يأتون فيصلون على القبر .

وحضر جنازته جمع حاشد لم ير مثله في جاهلية أو إسلام وقدرته بعض المراجع بألف وثلاثمائة ألف ، بينما قدرته مراجع أخرى بسبعمائة ألف ، وقيل حضرها من الرجال ثمان مائة ألف ومن النساء ستون ألفاً .

فكانت الجنازة جليلة مهيبة ، وحدثاً فذاً ، ورزقت من حرص الناس عليها ما جعل الخليفة ، الذى كان غائباً وقتئذ عن بغداد يقول لنائبه « محمد بن عبدالله بن طاهر » « طوبى لك محمد . . صليت على أحمد بن حنبل رحمه الله » .

ولو أردنا تقصى عناصر القوة والثبات في هذه الشخصية الفريدة لرأيناها كلها تدور حول محور واحد ، ذلك هو التجرد لله ، الذى قام على أركان منها الإيمان العميق بالله تعالى وأنه وحده الخالق القادر فوق عباده ، وأن من دونه لا يملكون لأنفسهم ، أو لغيرهم شيئاً ، ومن هذا الإيمان استمد شجاعته وثباته أمام كل القوى الباطشة أو المغريات الدنيوية . ومنها الاقتداء بسيرة النبي ﷺ بحيث أصبحت منهجه في حياته وسلوكه وأكله وشربه ولبسه وأدبه فقد تشرب السنة واصطبغ بها ، ومنها الانصراف عن زخرف الحياة ومتاعها والرضا بالكفاف والابتعاد عن كل ما يضيع الوقت أو يشغل النفس عن العلم والحديث .

وأخيراً ما وهبه الله من توفيق أعانه أن يلزم نفسه هذا الطريق ، ويأخذها بما يتطلبه من زهد ، وينأى بها عن سفساف الأمور . قال الشافعى : خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ، ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل . وقال عبدالرزاق مارأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أروع وقال الزعفرانى مارأيت أعقل من أحمد بن حنبل وسليمان بن داود الهاشمى وقال محمد بن إبراهيم البوشنجى مارأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل ولا أعقل .

بهذه الصفات كان أحمد بن حنبل رجلاً عالماً زاهداً ، ورعا قوياً ، من الذين تزيدهم العبادة قوة وهمة فخرج على الناس بهذا الكتاب الجامع « المسند » ليكون للناس إماماً .

رحم الله أبا عبدالله رحمة واسعة وأثابه بما قدم من خلق رفيع وعلم غزير تقبس منه الأجيال جيلاً بعد جيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

المحدث الشيخ عبدالغنى عبدالخالق

ومن أعلام الأزهر : المحدث الفقيه أبو الكمال الشيخ عبدالغنى عبدالخالق .

هو ^(١) أبو الكمال عبدالغنى بن محمد بن عبدالخالق بن حسن بن مصطفى المصرى القاهرى مولدا ونشأة ووفاة .

و« الكمال » - كما يجلوا له أن يوقع أو يكتب فى كثير من الأحيان : اسم ولده الكبير الدكتور محمد كمال الدين عبدالغنى . و« الحسين » - كما يوقع أو يكتب فى بعض الأحيان - اسم ولده الأستاذ حسن عبدالغنى .

● مولده ووفاته

ولد رحمه الله فى (١٧/٣/١٩٠٨) فى مدينة القاهرة بمنطقة « السيدة نفيسة بنت الحسن رضى الله عنها » حيث كان والده - رحمه الله - شيخا لجامع السيدة نفيسة .

وانتقل - تغمده الله بعفوه - إلى جوار ربه فى مكان ولادته حيث وافاه الأجل فى مدينة القاهرة فى منطقة السيدة نفيسة فى منزل والده - نفسه - عشية الخميس (١٨/٩/١٤٠٣هـ) الموافق (٢٨/٧/١٩٨٣) عن عمر جاوز الخامسة والسبعين بأربعة أشهر .

وفاته حيث توفى أمر كان يحرص عليه ويتمناه . ومن الغريب أن مرض وفاته - رحمه الله - قد بدأ يوم (١٧/٣/١٩٨٣) الذى يصادف مثل يوم مولده قبل خمسة وسبعين عاما .

● نشأته وأسرته

أسرة شيخنا - غفر الله له - أسرة علم وفضل ودين ، فوالده الشيخ الزاهد محمد عبدالخالق - رحمه الله - أحد كبار علماء الأزهر ، ذو باع طويل فى كثير من العلوم الشرعية والعربية ، وله مؤلفات لاتزال مخطوطة فى بعض هذه العلوم . ولقد زهد فى المناصب الإدارية الأزهرية ونحوها ،

(١) هذه الترجمة من مقدمة كتاب « الإمام البخارى وصحيحه » تأليف د. عبدالغنى عبدالخالق ، والترجمة بقلم تلميذه د. طه جابر فياض العلوانى .

ومال إلى مشيخة الجامع النفيسى ، فعمل شيخاً للجامع المذكور خلفاً عن جده لوالدته - الذى كان يشغل ذلك المنصب - الذى تعتز الأسرة به وتفخر أنه كان فيها منذ العصر العباسى الثانى .

ولقد كان للشيخ محمد عبد الخالق مكانته العلمية الواسعة ، فكان منزله موثلاً لجميع أهل العلم والفضل ، ولذلك فإن أولاده : مترجماً وشقيقه الأكبر الشيخ مصطفى - رحمه الله - وشقيقه الأصغر الشيخ أحمد - حفظه الله - يحتفظون بذكريات كثيرة من أفاضل علماء ذلك الوقت ، الذين كانوا يرتادون منزل والدهم وغرفة مجلسه فى الجامع ، وكان أبو الكمال بخاصة يتذكر الكثير من النوادر والدقائق العلمية والأدبية التى كانت تثار فى مجلس والده ، وطرائق والده فى معالجتها .

كما أن للأسرة نصيباً من النسب الشريف ، فوالده الشيخ - رحمه الله - ينتهى نسبه لأمه بالدوحة النبوية . ويتصل نسبه لأبيه بالصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

وشقيق شيخنا الأكبر هو سماحة الشيخ الجليل مصطفى محمد عبد الخالق . كان شيخنا رحمه الله كثير التوقير له ، شديد الاحترام له يعتبره نهاية الأصوليين من قدامى الأزهريين ، فقد حصل على درجة التخصيص القديم فى الفقه وأصوله عام ١٩٣٤م ، وعمل بمعاهد الأزهر ثم فى كلية الشريعة فيه إلى أن أصبح رئيساً لقسم أصول الفقه بها أيام لم تكن هذه الرئاسة مناصب إدارية بقدر ما هى مناصب علمية لا ينادى بها إلا أعلم أهل ذلك الاختصاص .

ولقد حضرنا عليه - رحمه الله - فى الدراسات العليا فكان لا يبارى فى ذكائه وفهمه الثاقب لدقائق علم أصول الفقه ، وبصره بالفتاوى الشرعية ، إلى جانب ولعه بالبلاغة والمنطق والعلوم الرياضية ، والشعر والأدب . . ونأهيك برجل كان أبو الكمال يعتبره أستاذه الثانى بعد والده - رحمهم الله تعالى . .

أما شقيقه الأصغر فهو فضيلة الشيخ أحمد محمد عبد الخالق شيخ الجامع النفيسى الآن حيث خلف والده فى هذا العمل سنة (١٩٤٧) ولا زال فيه إلى الآن .

● زوجته وأولاده وبناته

أما زوجة شيخنا أبى الكمال - رحمه الله - فقد كانت ابنة شيخ المعاهد الأزهرية فى حينه المرحوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب سالم . وأما أبناؤه فقد أنجب - رحمه الله - ثلاثة من الذكور هم : الدكتور محمد كمال الدين عبد الغنى ، والاستاذ حسن عبد الغنى ، والمرحوم مجدى عبد الغنى الذى انتقل إلى رحمة الله فى حادث سيارة فى المملكة العربية السعودية فى السنة التى عمل فيها - رحمه الله - أستاذاً فى كلية الشريعة فى الرياض . كما أنجب أربعاً من البنات .

● ثقافة الشيخ وعلومه

حفظ القرآن الكريم في صغره والتحق بمعاهد الأزهر الشريف ، ثم بكلية الشريعة الإسلامية إحدى كليات الأزهر الجامع الشريف الثلاث ، وتخرج فيها (١٩٣٥) وحصل على درجة الاجازة العالية (الليسانس) في العلوم الشرعية ، ثم التحق بقسم تخصص المادة وحصل على درجة العالمية من درجة أستاذ (الدكتوراه) في أصول الفقه . سنة ١٩٤٠ ، وكان موضوع رسالته التي تقدم لها : (حجية السنة) .

وكان رحمه الله تعالى إلى جانب ثقافته الشرعية والإسلامية ذا ذوق رفيع وبلاغة عالية ، ينهل من عيون الأدب العربي ، ويحفظ الكثير من شعره ونثره لفرسان الفن قديماً وحديثاً ، وله الكثير من المختارات الشعرية والنثرية مما يدل على طول باعه ورهافة حسه ، وجمال تذوقه . وبلغ من غرامه بالنثر الجيد أنه كان يحفظ العديد من مقامات بديع الزمان الهمداني ، ورسائل الصاحب بن عباد ، والخوارزمي وغيرهم ، أما أبوتمام فكان يقدمه على غيره من شعراء العربية ، إلى جانب حفظه الكثير من أشعار امرئ القيس وعنترة والنابغة وكعب بن زهير من المتقدمين ، وبشار بن برد وابن الرومي وجريير والفرزدق والمتنبي من المتأخرين ، وبالجملة كان الشيخ رحمه الله يقبل في قراءته والأدب يقطف من كل بستان زهرة ولعل ذلك يبدو جلياً من معرفتنا بمكتبته الخاصة التي ورث جزءاً منها عن أبيه ثم أضاف إليها في حياته . فهي - بحمد الله - مكتبة فريدة من نوعها تضم الآلاف من الكتب والمراجع في شتى العلوم والفنون ، يجد فيها طالب العلم بغيته : في الفقه وأصوله والقرآن وعلومه والحديث وفنونه إلى جانب أمهات كتب الأدب وأجناسه ، والنقد ومدارسه والبيان والبلاغة والتاريخ والفلسفة والكثير من الدوريات الأدبية والثقافية والعلمية النادرة مثل مجلة المقتطف والرسالة « القديمة والحديثة » والروايات المترجمة من مختلف اللغات ، وكان - عليه الرحمة والرضوان - حريصاً على متابعة كل مايجد في كل فن ليضمه إلى مكتبته . وقد استفاد - بحمد الله وتوفيقه - من هذه المكتبة كثيرون من طلاب العلم وأهله فكانت لهم مثابة يأوون إليها ، ومعيناً يهلون منه ، ومصدراً يرجعون إليه كلما عن لهم ذلك . وهم يجدون في الشيخ - رحمه الله - بشاشة وترحاباً وعوناً وإرشاداً .

● تدرجه الوظيفي

عمل - رحمه الله - فور تخرجه من تخصص المادة بكلية الشريعة الإسلامية بالجامع الأزهر - ثم جامعة الأزهر حديثاً - حتى صار أستاذاً ورئيساً لقسم أصول الفقه بها ، وتخرجت به أجيال من العلماء الأجلاء منذ ١٩٤٠م ولمدة تربو على اثنين وأربعين عاماً قضاها - رحمه الله تعالى - في خدمة الشريعة الإسلامية وفي البحث والتوجيه والإرشاد العلمي .

فقد أشرف في مرحلتى الماجستير « التخصص » والدكتوراه « العالمية » في علوم الفقه وأصول الشريعة الإسلامية على ما يقرب من خمسمائة رسالة علمية وبحث في جامعة الأزهر وبعض أقسام الشريعة في الجامعات الأخرى لطلاب من مصر والعالم العربى والإسلامى في مختلف بقاع المعمورة ، وجلهم - بحمد الله تعالى - من أنجح الخريجين وألمهم يتسنى الكثيرون منهم أعلى المناصب العلمية ، ويسهمون في خدمة الشريعة الإسلامية في كل مكان ، وكان للشيخ ولع نياص بتحقيق التراث ، وقدم ثابتة في معرفة تراجم الرجال والآثار تجعله في مقام الإمامة والريادة في هذا المضمار ، وكان كثير التشجيع لطلابه على المزيد من خدمة التراث الإسلامى بنفض غبار الإهمال عنه ، ونشر درره ، والكشف عن أسرار ومحاسنه وتقريبه لأذهان القارئ والباحث ، وكان يرى أن تحقيق التراث مركب صعب لا يقرب به إلا من رزق الفهم الثاقب ، والعقل الراجح ، والثقافة العالية المتنوعة فضلاً عن أنه مزلق خطير لمن حرم شيئاً من ذلك .

وكان في شيخنا الجليل عزوف طبعى عن المناصب الإدارية والرئاسية مثل المشيخة والعمادة وماشاهيها ، وكان يراها مضيق لوقت العالم الباحث والفقير المدقق ومظنة للخلف بينه وبين أصفياه ، لكنه ساهم في الكثير من الأنشطة العلمية والثقافية ، فإلى جانب إشرافه على الرسائل العلمية الجامعية كان عضواً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، وقد شارك مع صفوة من العلماء في عمل موسوعة الفقه الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى جانب عضويته للجنة الفتوى بالجامع الأزهر .

كما أنه كان زاهداً في الاعارة للجامعات خارج مصر متعففاً عن سائر الاغراءات المادية باستثناء فترة قصيرة كانت استجابة لرغبة كريمة عمل خلالها بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية « الرياض » وقبل عام (١٩٥٧م) السفر إلى كلية الشريعة الإسلامية في سوماترة بجمهورية أندونيسيا لرغبة منه في الخدمة الإسلامية العامة ، إلا أن الظروف السياسية - آنذاك - حالت دون سفره ، ولكنه عمل أستاذاً زائراً لفترات قصيرة بجامعات كثيرة في العراق والسعودية وليبيا والمغرب ، كما أنه زار الأردن عندما أدى فريضة الحج عام (١٩٧٢م) . وفي احتفال جمهورية مصر العربية بالعيد الألفى للأزهر منحه رئيس الجمهورية المصرية وسام الدولة للعلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى وذلك في (١٧ مارس ١٩٨٣م) .

● أهم أعماله

١- كتاب حجية السنة . رسالته لنيل رسالة الدكتوراه « العالمية من درجة أستاذ » وهى سوف نحف العالم الإسلامى بها قريباً إن شاء الله ، فهى قيد الطبع .

٢- تحقيق كتاب أحكام القرآن للإمام أبى عبدالله محمد بن إدريس الشافعى المتوفى (٢٠٤هـ) . جمعه الإمام الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين بن على بن عبدالله بن موسى البيهقى

النيسابورى صاحب السنن الكبرى المتوفى (٤٥٨هـ) . وقد طبع للمرة الأولى فى « غرة ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ » الموافق (١٩٥٢/٧/٢٣) م .

وقد كان الشيخ ينوى إعادة نشره ، وحدثنى فى ذلك كثيراً ، وأنهى كثيراً من التعليقات على المنشور حالياً ، وإن كان بعض التجار قد سطا على الكتاب وأعاد نشره عدة مرات من غير إذن . ولعلنا نوفق إن شاء الله إلى طبع نسخة الكتاب التى أضاف عليها الشيخ إضافات كثيرة نافعة .

٣- تحقيق كتاب آداب الشافعى ومناقبه للإمام الجليل أبى محمد بن عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى « صاحب كتابى : العلل ، والجرح والتعديل) . وقد زاد الشيخ عليه وصحح فيه وأضاف إليه من الفوائد ما يغرى بإعادة نشره إن شاء الله .

٤- تحقيق كتاب الطب النبوى لشمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى ابن قيم الجوزية (٦٩٠-٧٥١هـ) . طبعت نسخته التى حققها شيخنا لأول مرة « يوم الخميس ٢٩ من ربيع الثانى ١٣٧٧هـ الموافق ٢١ نوفمبر سنة ١٩٥٧م » ولكن سطا عليه التجار كذلك وتصرفوا فيه ، فمرة يطبعونه مع مقدمة الشيخ ، ومرة يرفعون المقدمة منه ، وفى منزله نسخة عليها إضافات كثيرة .

٥- تحقيق كتاب منتهى الارادات فى جمع المقنع مع التحقيق وزيادات لتقى الدين محمد بن أحمد الفتوحى الحنبلى المصرى الشهير بابن النجار : قسمان بمجلدين كبيرين صدر يوم (الخميس ٧ من ذى القعدة ١٣٨١هـ - ١٢/٤/١٩٦٢م) .

٦- الإمام البخارى وصحيحه ، وهو كتاب حافل بمجلد متوسط كان قد أعده مقدمة لطبعة صحيح البخارى - التى نشرها السيد عبد الشكور - صاحب مكتبة النهضة - بمكة المكرمة سنة ١٣٧٦هـ . فكان كثير من أهل العلم يشتررون نسخة الجامع الصحيح هذه للحصول على المقدمة .

٧- أصول الفقه لغير الحنفية مع الأسانذة / إبراهيم عبد الحميد - حسن وهدان عام (١٣٨٢/١٩٦٣) . كتب - رحمه الله - منها مباحث الحكم كلها .

٨- محاضرات فى أصول الفقه جامعة الأزهر كلية الشريعة والقانون قسم الدراسات العليا - شعبة الفقه المقارن - السنة الثانية . طبعة خاصة بالطلاب .

٩- بحوث فى السنة المشرفة ، نشرته كلية الشريعة فى الرياض على صفحات مجلتها « أضواء الشريعة » .

١٠- مبادئ كلامية أعدها لدراسة بعض طلابه .

١١- حجية الاجماع ، بحث كبير أعده لطلاب الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

● مباحث فقهية كثيرة ومتنوعة

لاتزال بخط يده كان يملئها على طلابه في المراحل الدراسية المختلفة التي كان يدرس فيها منها :

- ١- أحكام الرضاع .
- ٢- الكلام على حقيقة نكاح المتعة ، وبعض مايتصل بذلك « بحث كبير » .
- ٣- مباحث أصولية (في الحكم والمحكوم عليه . . . إلخ) .

وبعد :

فإنه ليسعدني أن أقدم لكتاب من أهم الكتب إن لم يكن أهم ماكتب - بإطلاق - عن حياة الإمام البخارى وصحيحه ، فإن هذا الكتاب على لطافة حجمه وضآلة جرمه قد جمع من المعلومات القيمة ، والنوادر العلمية الدقيقة عن الإمام البخارى وصحيحه ما لم يجتمع في مجلدات . فمؤلفه - رحمه الله - علامة محقق ، وباحث مدقق ، قل أن يجود الزمان بمثله في الفضل والعلم والبحث والتدقيق والتحقيق .

وقد بقيت هذه المقدمة عزيزة على الشيخ - رحمه الله - أثيرة لديه قريبة منه ليضيف إليها ، ويصحح فيها حتى وافاه أجله وهى بالقرب من سرير نومه ، تغمده الله برحمته ، ونفع الله طلاب العلم بآثاره ، وعوض المسلمين عنه خيراً .

ومن أعلام الأزهر

المحدث الشيخ الدكتور : محمد السماحي

كثير من الناس يحب ويحسبون أن يشعر به أحد . وقليل منهم يحب فيقدم للعلم وللعلماء أجل الخدمات وسرعان مايملا سماع الدنيا وبصرها حين تحيطهم أجهزة الإعلام بهالة فيعلو صيتهم ويملا الخافقين ، ونادر منهم من يحب للحياة ويقضى عمره كله خادما للعلم متقيا في بطون الكتب ليرد شبهة أو ليحقق مسألة فيكون نتيجة ذلك أسفارا ضخمة وبالرغم من كل ذلك فهو يعيش في صمت ويمضى في صمت . وهم راضون بذلك لا ييغون بعد صيت . فقد شغلهم العلم وطلبه ونشره عن طلب الشهرة بين الناس . إذ أنهم يطلبون الجزاء من رب الناس ويبتغون رضاه لارضاهم ، وشيخنا كان من هذه الفئة النادرة فقد توفاه الله في أوائل ذي الحجة ١٤٠٤ هـ ويشاء الله أن تكون النهاية كما يحب الرجل . فقد عاش ماعاش . وأدى للعلم مآدى وألف من الكتب مايتزود به أساتذة العلم وسخر حياته لعلم الحديث - غير ساع لشهرة ولا راغب فيها .

لقد كان عالما لا يخشى غير الله في الحق ، ولا يبغي ثوبة من سواه . أصدق مايقال عنه أبيات

ترنم بها أمير شعراء العصر الحديث يصف فيها جلالة علماء الأزهر وعزتهم التي لاتعلو عليها في الخليفة درجة . يقول :

كانوا أجل من الملوك جلالة وأعز سلطانا وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم حرم الأمان وكان ظلهم الذرا
من كل بحر في الشريعة زاخر ويريكه الخلق الكريم غضنثرا

● مولده ونشأته

ولد الدكتور محمد محمد السماحي في ٩ من مارس ١٩٠٧م في قرية برج البرلس مركز البرلس غربية . وهي الآن تابعة لمحافظة كفر الشيخ . وقد نشأ رحمه الله في بيئة دينية . حيث كان أبوه الشيخ محمد السماحي من علماء الأزهر . وكان إماما ومدرسا ومفتيا للبلد . رحمه الله . . كما أن أخاه الشيخ على السماحي كان أزهريا حافظا للقرآن .

حفظ القرآن في القرية قبل أن يلتحق بالأزهر مع تجويده . فقد كان من محاسن المحفظ أن يحفظ القرآن مجودا . فمن أتم الحفظ أصبح ملما بأحكام التجويد والأداء .

ثم التحق بالأزهر ففضى دراسته الأولية في معهد دسوق الدينى . بعدها انتقل إلى طنطا للدراسة الثانوية الأزهرية . واتصف في هذه المرحلة بالجد والاجتهاد في الدراسة . كما أنه كان مثالا للأخلاق الفاضلة والسلوك الطيب . . كان معروفا بذلك بين أساتذته وإخوانه طوال حياته .

ثم التحق بكلية الشريعة الإسلامية في بداية إنشائها . وكان يقضى كل وقته في طلب العلم . وفي عطلات الصيف بخاصة شهر رمضان المبارك كان يحرص على مجالس علم يعقدها يدرس فيها الدين لأهل قريته في المسجد ، وعلى إقامة ندوات دينية وإلقاء خطبة الجمعة ^(١) .

● قدر الله

ولما كان في السنة الرابعة من كلية الشريعة . نجح في كل العلوم بتفوق عدا علما واحدا هو أصول الفقه . فقد أراد الله - لحكمته - أن تقل درجة الشيخ في هذا العلم درجة واحدة عن النهاية الصغرى . حيث حصل في الامتحان الشفهي للعلم على تسع درجات فقط وكان النجاح فيه من عشر درجات . وكأن الله أراد بذلك أن يحتبسه هذه السنة ليلتحق بتخصص الأستاذية « الدكتوراه للتدريس في الكليات » والذي لم يكن قد أنشئ بعد . وأنشئ في السنة التالية وقد كان من أكبر رغباته أن يكون محصلا لأكبر قسط من العلم في هذا التخصص ليعمل مدرسا بالجامعة . وقد كان هذا سببا جعل زملاءه الذين نجحوا في السنة الماضية يعجبون أولا لتخلفه عنهم مع تفوقه المشهور . ويتمنون ثانيا لو تخلفوا معه ليلتحقوا بهذا القسم الجديد . والذي أكرمه الله بالالتحاق به . والتخصص الوحيد الذى كان موجودا ومتاحا هو تخصص إجازة التدريس في المعاهد . وكانت مدة الدراسة به سنتين .

● بين الشريعة وأصول الدين

كانت مدة الدراسة بقسم الأستاذية ست سنوات . أربع منها دراسية (دراسات عليا) وستان للدكتوراه . وقد أنهى دراسته بالتخصص بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين . فقد كان القانون يسمح لمن حصل على عالية الشريعة أن يلتحق بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين . والذي حصل منه على الأستاذية سنة ١٩٤٤ . وبذلك جمع الشيخ بين علوم الشريعة

(١) المعلومات الخاصة بحياة الشيخ حصلت عليها من أخيه الشيخ على الساحى . والخاصة بالمؤلفات فقد حصلت عليها من صهره الشيخ أحمد جابر بإدارة البعوث .

وعلم أصول الدين حسب رغبته واتجاهه الطيب . ثم عين مدرسا للتفسير والحديث بكلية أصول الدين . وبعد عدة سنوات أعير إلى المملكة الليبية مدرسا للعلوم الدينية هناك لسنوات أخرى .

● أسفاره

قضى عدة سنوات في ليبيا بعدها عاد إلى كلية أصول الدين وليس هناك من يعرفه بالتحديد مدة الأسفار الأولى وتواريخها . ولكن ثمت معلومات تفيد أنه سافر إلى ليبيا في ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٨ وربما كانت هذه سفرة أخرى غير الأولى ولما عاد إلى الكلية عين رئيسا لقسم الحديث بها . وبعد حين سافر إلى المملكة العربية السعودية مدرسا للحديث النبوي بالدراسات العليا بمكة المكرمة سنة ١٩٧١ ، ١٩٧٢ وعاد منها في ٩ مارس ١٩٧٢ حيث أحيل إلى المعاش ويبدو أنه قضى هناك فترة أخرى بعد الإحالة إلى المعاش حتى عاد مريضا في ١٩٧٤ .

● من مواقفه

لم يكن الرجل يسعى لنيل شهرة ولا منصب دنيوى . فقد كان خادما للعلم . وحسبه ذلك وهذا يفسر لنا بعض مواقفه الجريئة في قول الحق ولو خالف ذلك رؤساءه . وقد خشى عليه كثيرون تشدده في هذه المواقف . إلا أنه لم يكن ليبالى بما يجره عليه جهره بالحق . ولكن الله حفظه . ونسرد هنا بعض مواقفه .

لما كان في ليبيا حضر ندوة علمية . وكان أحد رؤسائه يحاضر فيها . فقال بعض آراء تخالف ماعليه الجمهور . فما كان من الشيخ إلا أن أعلن الرأى الصحيح . وهو مخالف طبعاً لرأى المتحدث . ولم يمنعه من الجهر بالحق لومة لائم .

● آثاره

حين نتحدث عن آثار الشيخ السباحي يأخذنا العجب إذا علمنا أن ما طبع منها أقل من نصف ما لم يطبع . . وما طبع منها يندر الحصول على نسخ منه الآن ونخشى تراث الشيخ المخطوط أن يلفه النسيان ونسأل الله أن يوفق من يعمل على إصدار بعضه خدمة للعلم . وهذه هى مؤلفاته :

١- المنهج الحديث في علوم الحديث . قسم مصطلح الحديث « طبع » ويحوى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الوسيط . وهو خاص بالحديث وأطواره التاريخية . قال في مقدمته :

أما بعد فلما كان حديث رسول الله ﷺ بمثابة الشرح لكتاب الله تعالى ، والحكم فيما اختلف فيه من احتمالاته أردت أن أضع دراسة تتعلق ببيان عناية الأمة به إلى اليوم . وبيان خصائصه ومصطلح أهله لتكون دستورا لى أرجع إليه فيما يعرض لى من مشكلات تتعلق بحديث الرسول ﷺ . وأقف منه على مدى الاعتماد عليه فيما يعين لى من حلول فى المسائل الاجتماعية التى تتعلق

بالإصلاح الفردى والجماعى فى هذه الحياة الصاخبة بالمبادئ والآراء . وقد استخرته تعالى فى ترتيبها وتنسيقها ترتيباً وتنسيقاً يربطها برباط محكم حديث وينظمها فى أسلوب فذ جديد وقد سميتها : « المنهج الحديث فى علوم الحديث » . وقد طبع الكتاب سنة ١٣٧٧هـ وهو ثلاثة أقسام وقسم مصطلح الحديث إلى قسم الرواية وقسم الرواة .

٢- المنهج الحديث فى علوم الحديث . . قسم تاريخ الحديث . وهو ثلاثة أجزاء الأول عن الحديث فى عهد الرسول ﷺ وصحابته (طبع) والثانى عن الحديث فى عصر التابعين وتابعيهم (لم يطبع) والثالث عن تدوين الحديث وأعلام المدونين فيه (لم يطبع)

٣- غيث المستغيث فى مصطلح الحديث (طبع)

٤- المعلم بشرح المختار من صحيحى البخارى ومسلم (طبع) .

٥- أبهريرة فى الميزان . فيه تمحيص لتاريخ أبى هريرة ، وتفنيد ما ألصق به من مفتريات الملحدين والمستشرقين وأذنانهم على ضوء البحث العلمى الصحيح ، والنقد التحليلى الدقيق . وهو رد على « محمود أبى رية » الذى طعن فى روايات أبى هريرة لكثرة الرواية عنه (طبع) .

٦- القرآن الكريم والقضايا الإنسانية الكبرى وبيانات الكتاب المعجز . تضمن عدة أقسام :

(أ) الرسالة المحمدية وعمومها وختمها .

(ب) إثبات وجود الله تعالى على ضوء العلم .

(ج) إثبات توحيد الله تعالى ذاتاً وعبادة .

(د) إثبات البعث والجزاء الآخروى .

(هـ) المنهج الإصلاحي للفرد وللجماعة (لم يطبع) .

٧- آيات الألوهية فى القرآن الكريم (لم يطبع) .

٨- التأمين من الزاوية الإسلامية (لم يطبع) .

٩- فى ظلال الإسلام . سلسلة من الرسائل حول : الدراسات الاقتصادية - التأمين المصارف - المعاش (لم يطبع) .

١٠- تفسير القرآن الكريم حسب النزول . وانتهى إلى قوله تعالى ؛ « وقيل الحمد لله رب العالمين » نهاية الزمر (لم يطبع) .

وعدا ذلك فقد كتب مذكرات فى شرح بعض الأحاديث التى اختارها لتدرس لطلبة كلية أصول الدين . والتى شرحها شرحاً مستفيضاً .

كما أنه قد كتب عدة مقالات حول « ابن تيمية يرد على ابن تيمية » كانت تطيع لتوضع في أيدي طلبة كلية الشريعة بمكة المكرمة ليعرف الطلبة منها حقيقة ما ينسب به بعض العلماء إلى ابن تيمية . فكان الشيخ يأخذ المسألة التي يتداولونها من علمائهم عن ابن تيمية ويقارنها بما يردّها من كتب ابن تيمية نفسه .

ومن استعراض تلك المؤلفات نرى كيف أن الشيخ قد وهب حياته للقرآن الكريم وللجنة والدفاع عنها ضد مكائد الكائدين وسموم الحاقدين .

● شيوخه وتلاميذه

لأنسى هنا أن نذكر بعض شيوخ الدكتور السباحي وبعض تلاميذه . فقد كان من شيوخه في الدراسات العليا فضيلة الشيخ محمد الأودن « رحمه الله » مدرس الحديث بكلية أصول الدين كما أن فضيلة الشيخ الخضر حسين كان من أساتذته في القسم .

وأما تلامذته فكثيرون من مختلف البلاد والأقطار الإسلامية .

ونهلوا من علم الرجل في الجامعة ، ومن كتبه المطبوعة وقد ظلت حياته رحلة موصولة في الجهاد العلمي حتى لقي ربه في أوائل ذي الحجة ١٤٠٤ هـ . وقد كتب عنه أحد تلامذته من محدثي الديار الشامية . نور الدين عتر في مقدمة أحد كتبه « .

فسلام عليه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ومن أعلام الأزهر

المحدث الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف

هو المحدث المحقق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله ولد في ١٥/٨/١٩٠٦ ميلادية ، وتوفي رحمه الله تعالى في ٣/٥/١٩٧٠ م

درس الحديث وعلومه في كلية الشريعة ، وفي كلية أصول الدين ، وكان رئيساً لقسم الحديث بكلية أصول الدين ، ثم وكيلاً للكلية . وله مؤلفات عديدة في الحديث وعلومه ، ألف وصنف في العديد من فنون علوم الحديث ، وخاصة في علم الرجال وله مؤلفاته في علم مصطلح الحديث ، وفي رجاله ، وحقق العديد من أمهات كتب السنة النبوية وعلومها وكان - رحمه الله تعالى - موسوعة علمية تمشي على الأرض ماسأله أحد عن كتاب يتصل بالحديث إلا أجابه بما فيه الفائدة ولا سأل طالب علم عن موضوع في علوم الحديث إلا عدد له مراجعه المطبوعة والمخطوطة ، ووجهه إلى أهم المراجع النادرة والتي قد لا يعلمها أحد سواه ، وذلك لتضلعه في هذا العلم وإطلاعه الواسع ، واشتغاله المستمر بالسنة النبوية وعلومها ، ومن أبرز تحقيقات المحدث المحقق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف تحقيقه لكتاب : « تدريب الراوي » للسيوطي . وقد لخص عمله في هذا الكتاب النفيس بقوله :

وكان عملي في تحقيق هذا الكتاب أني راجعت نصوصه على النسخ المخطوطة أولاً ثم راجعت الأصول التي رجع إليها المصنف على ما تيسر لي منها وربما تخيرت بعض عبارة من نصوص هذه النسخ إذا ترجح عندي نصها بعد مقابلة كتب الحديث والرجال والعلل وأصول الحديث ثم علقت عليها بما ييسر الفهم على القارئ ويقرب المراد إلى المتعلم ويرشده إلى الأصول والمراجعة في الكتب الأخرى ويعرفه بالحفاظ والمؤلفين والمصنفات . وذكرت في التعليقات بعض أنواع من المصطلح لم يذكرها السيوطي وبعض أمثلة من ألفاظ الجرح والتعديل لم تذكر إلا في كتب الموضوعات غالباً ومرجعي في ذلك كتب الجرح والتعديل وكتب التاريخ والرجال وكتب العلل والموضوعات وأضفت إلى ذلك بعض الفوائد الحديثية من كتاب الكفاية للخطيب البغدادي ونكت العراقي على مقدمة ابن الصلاح وشرح السخاوي على ألفية العراقي وكان أكثرها مراجعة وبعض الحواشي على فتح المغيث للعراقي وبعض حواشي مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح للبلقيني وألفية السيوطي وشرح النخبة وبعض الفوائد من طبقات الحفاظ للذهبي وذيوها ومن تلخيص العلل المتناهية له

ومن تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق الذى نشرته مكتبة القاهرة تحقيق الاستاذ عبدالله الصديق وماذكر فى كتب الأنساب ومعاجم اللغة والبلدان وأتممت ماوجدته بياضاً فى أكثر النسخ من بعض النسخ الأخرى .

والسيوطى يجمع فى كتاب التدريب ملخصاً كثيراً من المؤلفات فى علم المصطلح ومنها شرح العراقى على ألفيته ومقدمة ابن الصلاح وحاشية الزركشى عليها ونكت العراقى وابن حجر عليها ومحاسن الاصطلاح للبلقيني ومؤلفات ابن حجر والمتفق والمختلف لابن سعيد الأزدى ماكولا وذيله والمشتبه للذهبي .

ثم قال فى ختام مقدمته لهذا الكتاب : وقد ذكرت له مقدمة بها تاريخ علم مصطلح الحديث وأشهر المؤلفات فيه مع أوصافها ونقدها وذكرت ترجمة للجلال السيوطى بينت فيها نشأته ودراساته وتحصيله ومنزلته العلمية ومؤلفاته فى هذا الفن وماوقع له من حساده ومعاصريه والمسائل التى كانت بينهم ومؤلفاته فيها ثم بيان ضريحه الذى دفن فيه وتحقيق مكانه وقد تم الكتاب بحمد الله فى ربيع الأول من سنة ١٣٧٩ هـ .

ومن تحقيقاته كذلك : تحقيقه لكتاب :

« تنزيه الشريعة المرفوعة » عن الأخبار الشيعية الموضوعة ، لأبو الحسن على بن عراق الكنانى سنة ٩٠٧ - ٩٦٣ هـ

وقد حققه وراجع أصوله وعلق عليه المحدث الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف بالاشتراك مع الأستاذ عبدالله محمد الصديق وقد كتب فى مقدمته هذا الكتاب موضحاً أهميته والمزايا التى دفعته لاستحضاره فقال :

هو أجمع كتاب فى الأحاديث والآثار الموضوعة لخص فيه مؤلفه ابن عراقى مافى موضوعات ابن الجوزى ومازاد عليها السيوطى فى اللآلء المصنوعة وذيلها له . والنكت البديعات فيما تعقبه السيوطى على موضوعات ابن الجوزى وزاد فيه مااستدركه ابن عراقى على السيوطى مما تناقض فيه فى مؤلفاته وماوقف عليه مما لم يذكره السيوطى ورتبه كترتيب ابن الجوزى والسيوطى وأهداه للسلطان سليمان خان وامتاز هذا الكتاب بالزيادات على موضوعات ابن الجوزى والسيوطى مما فى العلل المتناهية لابن الجوزى وتلخيصها للذهبي وتلخيص موضوعات الجوزقانى للذهبي ومافى أحاديث الكشف ومافى تخريج شرح الرافعى ومافى المطالب العالية وتسديد القوس ، وزهر الفردوس ، ولسان الميزان الستة لابن حجر العسقلانى ثم مافى تخريج الاحياء للعراقى والامالى له وتلخيص الموضوعات لابن درباس وغيرها وقد ذكر لها مقدمة نافعة أغنتنا عن ذكر كثير من الفوائد فى هذه المقدمة ثم سرد أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الحديث ويقلب الأخبار ومن اتهم

بالوضع والكذب ولخص ذلك من ميزان الذهبى والمغنى وذيله له ومن لسان الميزان لابن حجر والكشف الحديث عمن رمى بوضع الحديث للبرهان الحلبي وغير ذلك من الأصول المحررة وبلغ أسماء الموضوعات التي سردها ما يزيد على الألفين وجعل كتابه على ثلاثة فصول (الأول) فيما حكم ابن الجوزى بوضعه ولم يخالف فيه (الثانى) فيما حكم بوضعه وتعقب فيه (الثالث) فيما زاده السيوطى على ابن الجوزى وذكر فى الفصلين الأخيرين علة الحديث التى لم يذكرها السيوطى فى اللآلئ أو الذيل وذكر فيها كثيراً من الآثار الموقوفة يذكر مخرجها والعلة فى وضعها .

فكان هذا الكتاب خلاصة الكتب فى هذا الباب مع الاستيعاب والتحرير والتيسير بعدم ذكر السند .

وهذه المزايا هى التى دفعتنى لاستحضار نسخة منه فاستحضرتها من المغرب من مكتبة الحافظ السيد أحمد الصديق الغمارى بطنجة وقمت أنا وزميلى المحدث الشيخ عبدالله الصديق الغمارى بتحريرها وتصليح نصوصها بالرجوع إلى ما أمكن لنا الإطلاع عليه من أصول المؤلف أو إلى من نقل عنها وقابلنا النسخة بنسختين من خزانة الكتب بالجامع الأزهر تحت رقمى (١٤٩٤-٥٠٠ حديث) وإحدهما قديمة النسخ وعليها توقيعات وتعليكات وبلاغات ومقابلات ونسختنا استنسخت للأمير عبدالرحمن كتخدًا ومحدولة الصفحة الأولى بالذهب وبخط جيد غير أنها كثيرة الخطأ والسقط فأصلحنا أخطاءها وأكملنا سقطها وعلقنا عليها بما اقتضته الصناعة الحديثية ورغب صاحب مكتبة القاهرة الحاج على يوسف فى نشرها فقدمناها له ليطبعتها رغبة فى نشر العلم وأحياء كنوز السلف نفع الله بها وأثابنا بما لقيناه من الجهد فى مراجعتها وتصحيحها وبما نوبناه من حب الخير ونشر العلم وغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا إنه عفو جواد كريم .

وانتاجه العلمى غزير ، ومؤلفاته وتحقيقاته تتميز بأهمية موضوعها ودقة معالجتها ، وكبر حجمها . . وحاجة العلماء والطلاب إليها .

ومن مؤلفاته فى علوم مصطلح الحديث كتابه « المختصر فى علوم الأثر » ويقع فى ٢٩٦ صفحة بالقطع المتوسط ، وكتاب « المعتصر » إلى غير ذلك من البحوث والمؤلفات النافعة رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

فضيلة الامام الشيخ حسنين محمد مخلوف

ترجمة حياة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ « حسنين محمد مخلوف » مفتى الديار المصرية سابقا وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف .

ولد حفظه الله تعالى يوم السبت ٦ مايو سنة ١٨٩٠م بباب الفتوح بالقاهرة وحفظ القرآن الكريم كله بالأزهر الشريف وجوّد قراءته على شيخ القراء في عصره الأستاذ المرحوم الشيخ محمد على خلف الحسينى وهو فى الأزهر ثم التحق به طالباً فى الحادية عشرة من عمره وتلقى فيه دورسه فى مختلف العلوم على علمائه الأجلاء ومنهم المغفور له والده المرحوم العلامة الجليل الشيخ « محمد حسنين مخلوف » العدوى المالكي وكيل الأزهر الشريف ومدير المعاهد الدينية المتوفى سنة ١٩٣٥م - والشيخ عبدالله دراز والشيخ عبدالحادى مخلوف والشيخ على إدريس العدوى والشيخ عبدالفتاح المكاوى والشيخ محمد الطوخى والشيخ يوسف الدجوى والشيخ عبدالحكم عطا والشيخ محمد راضى البحراوى والشيخ محمد بخيت المطيعى والشيخ أحمد نصر الفذى والشيخ محمد البيجرمى والشيخ عبدالمعطى الشريشى وغيرهم من مشاهير علماء الأزهر الشريف .

ولما أتم دراسة العلم الأزهرية وتلقى علم الحساب والجبر بمسجد المؤيد وأكمل دراسته بجد واجتهاد والتحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى ، وكانت فى ذلك الوقت تابعة للأزهر ، ودرس فيها العلوم الشرعية ومختلف العلوم الحديثة لمدة أربع سنوات نال بعدها « الشهادة العالمية » وقد أدى الإمتحان أمام اللجنة العالمية الكبرى المؤلفة برئاسة المغفور له الإمام الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر وعضوية المغفور لهم السيد بكرى الصدفى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ عبدالكريم سلّمان عضو المحكمة العليا الشرعية ونال شهادة العالمية بتفوق عظيم فى صيف سنة ١٩١٤م ولم يتجاوز عمره الرابعة والعشرين .

وأخذ يلقى دروسه العلمية فى الأزهر متبرعا فقرأ شرح الملوى على السّلم فى علم المنطق وكتاب الوليدية فى آداب البحث وكاب المقولات الحكيمة فى علم الفلسفة بحاشية والده عليها وكتاب ابن مَسْكُويه فى علم الأخلاق . واستمر فى ذلك إلى أن عين قاضياً شرعياً فى شهر يونيو سنة ١٩١٦م ومازال يرقى فى القضاء من درجة إلى درجة حتى عين رئيساً لمحكمة الإسكندرية الشرعية سنة ١٩٤١م ثم رئيساً للتفتيش الشرعى بوزارة العدل . وقد سبق اختياره سنة ١٩٢٨م مفتشاً للمحاكم الشرعية بوزارة الحقانية وتوثقت الصلة بينه وبين وزيرها « على ماهر باشا » ونهض بأعباء

التفتيش والمشاركة في المشروعات الإصلاحية الهامة بالوزارة ومنها إصلاح « قانون المحاكم الشرعية » وقوانين « المجالس الحسبية » ونذب في ذلك الوقت لتدريس الشريعة الإسلامية في قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعى لمدة ثلاث سنوات . وفي أكتوبر سنة ١٩٤٤ عين نائباً للمحكمة العليا الشرعية وهو المنصب الذى كُنْ يجب أن يشغله من وقت طويل .

ولما خلا منصب الافتاء للديار المصرية بانتهاء مدة فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبدالمجيد سليم عين مفتياً للديار المصرية سنة ١٩٥٠ فزفر كل جهوده للنهضة بهذا المنصب وإعلاء شأنه وحفظ كرامته وظل يعطيه كل وقته وجهوده وفكره إلى أن أنهت مدة خدمته في سنة ١٩٥٤ م .

وأخذ بعد ذلك في متابعة مجهوده العلمى بإلقاء الدروس العلمية الشرعية بالمشهد الحسينى يومياً ويصدر الفتاوى في جريدة منبر الشرق في باب الافتاء الذى أنشاه خصيصاً لهذا الغرض صاحب الجريدة المرحوم الشيخ على الغياتى فكان في ذلك نفع كبير للمسلمين في سائر البلاد الإسلامية وتم طبعها في جزئين « فتاوى شرعية وبحوث إسلامية » .

وقد عين عضواً بجماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف سنة ١٩٤٨م ومنح كسوة التشريف العلمية من الدرجة الثانية وهو رئيس محكمة طنطا الابتدائية الشرعية ثم من الدرجة الأولى وهو في منصب الافتاء .

كما اختير عضواً تأسيسياً برابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة وكان من مؤسسى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة واشترك في إعداد الكثير من البحوث والاجتماعات بها ومنح جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام تقديراً لما بذله من مجهودات علمية انتشرت في سائر البلاد الإسلامية وقد أصدر الكثير من الأبحاث منها :

« كتاب المواريث في الشريعة الإسلامية » .

« كتاب كلمات القرآن تفسير وبيان » .

« كتاب (صفوة البيان لمعانى القرآن) الذى وقع الإختيار لنشره بمعرفة اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الهجرى الخامس عشر في ٢٥/١/١٩٨١م في أبى ظبى . وكتاب « شذرات ذهبية من وصايا وأحكام إسلامية » .

ورسالة في - القرآن الكريم - وفضله العظيم وآداب تلاوته وسماحه

- وكتاب الرفق بالحيوان الذى كتبه في صدر حياته العلمية .

ورسالة - في وصايا نبوية شريفة .

كما قام بتحقيق الكثير من الكتب الفقهية والأحاديث النبوية أهمها .

تحقيق كتاب « شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا » (ﷺ) للإمام الفقيه الحجة نور الدين القارى الشهير بـ على القارى وهو فى خمسة أجزاء اشتملت على كل ماينصل بسيرة سيد المرسلين من صفاته ومعجزاته وأعماله وأحاديثه وفضله على سائر المخلوقات .

وكتاب - عده الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين لشيخ القراء والمحدثين الإمام محمد بن الجزرى الدمشقى وهو شامل للأحاديث المتعلقة بفضل الذكر وفضل الدعاء وأوقات الاجابة ومايقال فى الصباح والمساء والطهور والمسجد والأذان ومايتعلق بالحج والعمرة والصوم والزكاة وكل مايتعلق بالإنسان ومايعرض له من عوارض وبالأذكار .

وكان حريصاً على مداومة إلقاء الدروس الدينية طوال شهر رمضان المبارك بمسجد المشهد الحسينى بالقاهرة إلى عهد قريب ولازال يتابع قراءة القرآن وتفسيره . أمد الله فى عمره ونفع المسلمين بما قدمه من أبحاث وآراء قدمها ابتغاء وجه الله تعالى فى فتاوى شرعية وقد طبع منها جزءان والآن يجد وطبعهما بعناية كبيرة وفيها فوائد عظيمة .

وهذا عدا رسائل أخرى كثيرة فى موضوعات إسلامية هامة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه التابعين .

العالم الإسلامى والمحدث المصرى

الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى

ومن علماء الحديث المصريين الذين جاهدوا فى مجال تحقيق السنة النبوية وخدمتها الأستاذ محمد عبدالباقى .

هو^(١) العالم الجليل الذى خدم مباحث السنة النبوية المطهرة بما لم يخدمها بمثله عمله أحد من معاصريه فيما يبدو لنا ، ولانزكى على الله أحدا ، وهو أيضا المؤلف الجليل الذى يدين له كل معاصر مشغول بعلوم القرآن والسنة ، حيث يسر لكل هؤلاء السبل الأمانة ليغترفوا من مفردات القرآن والسنة ونصوصها ، ما يريدون وما يحتاجون إليه عند الكتابة والتأليف بما وضعه بين أيديهم من معاجم مفصلة لآيات القرآن وكلمات السنة . وستمضى مئات السنين واسم « محمد فؤاد عبدالباقى » أمام أبصار العلماء والباحثين ، لأن كتبه لا يمكن إلا أن تكون على مقربة من يمين كل باحث وكل كاتب ، يفزع إليها يستنبثها كلما خائته الذاكرة أو أعوزه الشاهد والدليل .

وقد يحسن أن نأخذ فكرة عاجلة عن الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى قد نستعرض جهوده ، ومؤلفاته .

ولد عليه رحمة الله فى الثامن من شهر إذار « مارس » سنة ١٨٨٢ م ، لأبوين مصريين أما الأب فمن بلدة « قمن العروس » من أعمال الواسطى بالصعيد الأوسط . وأما الأم فمن بلدة « يرنبال » إحدى بلاد بحرى الكثيرة ، وهو الابن الكبر لأبويه ، وقد نشأ بالقاهرة إلى أن بلغ الخامسة من عمره ، ثم سافر إلى أسرته إلى السودان ، وكان والده وكيلا للإدارة المالية بوزارة الحربية ، واستقرت الأسرة فى وادى حلفا ، ثم حدثت معركة « ود النجوم » وود النجوم اسم قائدها السودانى الذى كان يحارب مصر وقد قتل فى المعركة - وقد حدث بعد هذا أن غادر عميد الأسرة المصرية وادى حلفا إلى أسوان وبقيت الأسرة هناك سنة ونصفا . ودخل ، رحمه الله فى هذه الاثناء مدرسة أسوان الابتدائية . ثم هبطت الأسرة القاهرة .

(١) هذه الترجمة بقلم كريمته الأستاذة عفاف محمد فؤاد عبدالباقى نشرت بمجلة الأزهر عدد جمادى الأولى سنة

١٤٠٥هـ .

وفى القاهرة دخل محمد فؤاد عبد الباقي - الذى تعرفه اليوم مجامع الاستشراق فى أوروبا ، وترجع إليه فيما أشكل من مسائل الدين الإسلامى - مدرسة عباس الابتدائية ، ثم خلفها إلى مدرسة « الأمريكان » فى حى الأزبكية . ولم ينتظم فى دراسة رسمية مألوفة ، بل أخذ يدرس دراسة حرة مضطربة حسب هواه ورغبته ، وبعد أن آنس من نفسه الكفاية العلمية والقدرة على التعليم قام بالتدريس فى بعض المدارس فى مصر ، وكان من زملائه فى هذا المجال المرحوم الأستاذ صادق عنبر الأديب المصرى الشهير ، والمرحوم الأستاذ عبد الله أمين اللغوى المصرى الضليع .

● الوظيفة والقراءات

ثم أعلن البنك الزراعى عن وظيفة مترجم فتقدم إليها ونجح وعين بالبنك فى ٢٠ ديسمبر ١٩٠٥ وقد عمر بهذه الوظيفة ، إذا قيست بمثيلاتها مما شغله أو شغلته من قبل ، فقد ظل بها حتى ٣ أكتوبر ١٩٣٣م بل لعلها كانت سببا يمتد به إلى أبعد من هذا ، فهو لم يتركها إلا عندما صفى البنك أعماله وأحيل إلى بنك التسليف عندئذ أخذ الأستاذ فؤاد مكافأته منه وترك الوظيفة ثم فتح مكتبا للنشر الإسلامى ومكث يديره زمنا طويلا ، ثم تفرغ لخدمة البحوث المتعلقة بالقرآن والسنة ووضع المعاجم المختلفة المتعلقة بها .

وفى الخمسينيات عين رحمه الله محققا ومراجعا بمجمع اللغة العربية . وقد تزوج الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي فى سنة ١٩١٠ ورزقه الله ثلاثة أبناء وثلاث بنات . وأقام مدة فى الروضة ثم انتقل منها إلى الجيزة حيث أقام فى جزء من عمارة على شاطئ النيل المبارك وظل فى هذا المكان إلى أن توفاه الله فى ٢٢ فبراير ١٩٦٨م .

على أن المدة التى قضاها فى البنك الزراعى تعتبر فترة استقرار فى حياته هيأت له القراءة الواسعة فى الأدب الفرنسى . وخاصة فيكتور هوجو ولامارتين ، كما أقبل على أمهات الكتب فى الأدب العربى فقرأ كثيرا كما حفظ كثيرا ومن محفوظه « ديوان الحماسة » . وفى حياته رجال عمقوا أثرهم فى نفسه وهؤلاء هم « بعد والده » الشيخ مصطفى عبدالرازق وقاسم أمين والدكتور عبدالوهاب عزام والشيخ رشيد رضا ، وهذا الأخير يعتبر نقطة تحول فى حياته غيرت مجراها وأعادت تخطيطها ، لوصح هذا التعبير .

ففى سنة ١٩٢٢ تعرف إلى السيد رشيد رضا صاحب المنار وكان لقاء لم يقدر له الفراق إلا بعد أربعة عشر عاما . ولم يكن فراقا بل قدرا خارجا عن ارادتهما - فقد توفى الشيخ رضا سنة ١٩٣٦ . وكان الأستاذ أحمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله يلازم الشيخ رضا ملازمة المريد لأستاذه الشيخ ملازمة فتحت له آفاقا واسعة فى علم الدين والسنة ووجهته كثيرا حتى غدا الأستاذ الشيخ فى سنه الأخيرة يثق بعلمه ويستعين به فى كثير مما يعرض له .

● آثاره

١- وللاستاذ محمد فؤاد عبدالباقى مجموعة من الكتب الجليلية النافعة التى تدور كلها حول خدمة علوم القرآن والسنة .

وأعظم كتبه التى كان يعتز بها هو كتابه « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » الذى طبع لأول مرة سنة ١٣٦٤هـ . وهو الكتاب الذى يجمع الألفاظ القرآنية ، ويرتب موادها حسب أوائلها فثوانيتها . وهكذا ، ويضع الكلمة وأمامها الآية أو الآيات التى وردت فيها ، مع التنبيه على المكى والمدنى من هذه الآيات التى تذكر أرقامها .

وقد وضع الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى كتابه بعد أن راجع مآلفه السابقون فى هذا المجال ، من أمثال كتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الالماني « فلوجل » وكتاب « مفتاح كنوز القرآن » ، وكتاب « فتح الرحمن » وكتاب « ترتيب زيبا » وغير ذلك .

لقد أخطأ « فلوجل » فى عشرات من الكلمات حين ردها إلى مواردها فاستدركها عليه المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى .

٢- وإذا كان « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » يعتمد على خدمة اللفظ القرآنى بالنص على مواطنه من كتاب الله عز وجل ، فإن الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى قد قام بترجمة كتاب آخر لخدمة القرآن الكريم وآياته ، ولكن من ناحية الموضوعات والمعانى لآمن ناحية الألفاظ والكلمات ، وهذا الكتاب هو « تفصيل آيات القرآن الكريم » الذى وضعه بالفرنسية المستشرق الفرنسى « جول لابوم » . وهذا الكتاب يعد من أسبق الكتب فى جمع وتنسيق موضوعات القرآن الكريم .

٣- وكما خدم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى كتاب الله عز وجل بهذين المعجمين الجليلين ، خدم سنة رسول الله ﷺ بوضع معجم للحديث الشريف عنوانه « مفتاح كنوز السنة » وهو معجم مفهرس عام تفصيلى موضوع للكشف عن الاحاديث النبوية الشريفة المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر المشهورين وذلك بالدلالة على موضع كل حديث فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجه وأبى داود والترمذى والنسائى والدارمى ، ببيان رقم الباب ، فى صحيح مسلم وموطأ مالك ومسندى زيد بن على وأبى داود الطيالسى ببيان رقم الحديث ، وفى مسند ابن حنبل وطبقات ابن سعد وسيرة ابن هشام ومغازى الواقدى ببيان رقم الصفحة ، وبذلك يستطيع الباحث أن يقف على الحديث الذى يطلبه بغير عناء ، ويعد هذا الكتاب أحد نفائس الكتب الإسلامية .

هذا وقد أتم الأستاذ عبدالباقى عمله فى هذا الكتاب يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣هـ . ٢٧ يولية ١٩٣٤م .

٤- ثم أعقبه بكتاب آخر من عدة أجزاء بعنوان « تيسير المنفعة بكتابتى مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » ويراد فى هذا الكتاب تذليل العقبات التى تعترض الطالب للمنفعة من « مفتاح كنوز السنة » بسبب إختلاف الطبعات لكتب الحديث الأصول .

وكتاب « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » كتاب ضخيم جدا ، اشترك معه فى وضعه مجموعة من المستشرقين ، ولقد طبع فى هولندا ، ولهذا الكتاب قصة : حدث عندما طلب الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقى إلى الدكتور ونسك تصريحا بالترجمة بإعتباره مؤلف كتاب « مفتاح كنوز السنة » أن بلغ من استجابة الرجل له أنه لم يكتف بالموافقة فحسب بل أرسل إليه الفصل الأول من « المعجم المفهرس للحديث النبوى » . ولما اطلع عليه وجد به أخطاء كثيرة فضمنها كشفا أرسله إلى دكتور « ونسك » فسر لذلك كثيرا وكتب إليه يرجوه تصحيح « بروفات » المعجم ومضى فى هذا الطريق حتى وفاته رحمه الله .

وإذا علمنا أن المعجم يقوم به أكثر من أربعين مستشرفا فى أنحاء العالم ثم يصحح عملهم مجتمعين الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى عرفنا قيمة العمل الكبير الذى قام به رحمه الله ، وقيمة الجهد الذى بذله ، ثم بعد هذا أو قبل هذا ، قيمة الكسب العلمى من وراء هذا العمل ، وقيمة الكسب القومى .

● من أعماله الأخرى

وهذا الجهد الضخم لم يستنفد طاقة المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى فقد وسعت جهوده العلمية كتباً أخرى عديدة .

- فمن الكتب التى أخرجه كتابه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » وهو فى ثلاثة أجزاء ، ويضم الأحاديث التى اتفق على روايتها الإمام البخارى والإمام مسلم .

وهناك كتاب سابق لهذا الكتاب اسمه « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » للشيخ حبيب الشنقيطى ، ولكن الأستاذ فؤاد عبدالباقى زاد على ما فى كتاب الشنقيطى خمسين حديث فأتت الشنقيطى - رحمه الله -

وللأستاذ عبدالباقى كتاب عنوانه « معجم غريب القرآن » مستخرجا من صحيح البخارى . وعنوانه واضح فى الدلالة على موضوعه ، وهو عبارة عن شرح الألفاظ الغريبة التى أوردها البخارى فى صحيحه . . . والبخارى بدوره كان قد أخذ هذه الألفاظ من كتاب « مجاز القرآن الكريم لأبى عبيدة » .

كما قام الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى بشرح وفهرسة كتب « موطأ الإمام مالك » و« سنن ابن ماجه » ، « صحيح مسلم » كما قام بتخريج الاحاديث الواردة فى كتاب « الأدب المفرد »

للبخارى ، وتخرّيج الآيات والأحاديث والشواهد الشعرية الواردة في كتاب « شواهد التوضيح والتصرّيح » لابن مالك ، وتخرّيج الأحاديث والشواهد الشعرية في « تفسير القاسمي » .

● كتب مخطوطة

وله من الكتب المخطوطة التي لم تنشر - والتي يحتاجها باحثها عنا خير كثير : كتاب « قرة العينين في أطراف الصحيحين » وهو من ألف صفحة من القطع الكبير وفيه اضطلع بتجميع ولم شتات مواضع أحاديث البخارى ، فقد كان البخارى يورد الحديث الواحد في مواضع عدة حسب المعانى الواردة به ، حين كان « مسلم » يورد الحديث في موضع واحد حتى ليصح أن نسمى الكتاب « أطراف البخارى » .

والكتاب الثانى « جامع مسانيد صحيح البخارى » وفيه يورد الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى النصوص المتعددة للحديث الواحد حسب مواضعها في صحيح البخارى . كما جمع أحاديث كل صاحبى على حدة مرتبا أسماء الصحابة حسب الحروف الهجائية وذلك بعد أن قسمهم إلى قسمين : الصحابة الرجال ، والصحابيّات وعدتهم جميعا ستة وتسعون ومائة صاحبى وهذا الكتاب في ستة أجزاء .

ومن هنا نستطيع أن ندرك السر في أن هذا الجهد الصابر قد استغرق مايربو على ألف صفحة من الحجم الكبير ، ولا يزال الكتاب في حوذة أبنائه ينتظر من ينشره من الهيئات لأن تكاليف نشره ينوء بها جهد الفرد .

بل أن من كتبه ماتبنته الهيئات ثم قعدت عن نشره ألا وهو كتابه « جامع الصحيحين » ومازال هذا الكتاب قابعا في خزانة حديدية بالجامع الأزهر .

وكان الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى يكتب أحيانا بعض المقالات في بعض المجلات ، ولكنه في كتابه هذا لا يكاد يخرج عن مجال علوم القرآن والسنة .

ومن بين مقالات نشرها تباعا في مجلة الأزهر « منزلة السنة في الدين » .

والأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى كان في مصر مرجع كل من يلم في كتابته بأمر من أمور القرآن أو الحديث لا يستثنى من هذا كبار الكتاب أو العمالة .

ولم يضمن قط على سائل علم ، وقد يحبس نفسه ويكرس وقته على سؤال سائل يوفيه درسا وتمحيصا يستند إلى الأصول الوثيقة . والمراجع العمدة في الموضوع ، وقد يكتب الصفحات ذات الهوامش حتى ليصلح السؤال أو على الأدق الإجابة عليه - موضوعا متكاملا فيه غناء .

وكان رحمه الله يصنع الصنيع مع كل سائل ولم يكن يعرفه من قبل . . . إنه لا يفعل هذا من أجل شخصه إنما يفعله إيماناً بحق العلم عليه فهو يعيش في ميدانه بالرأى والهداية والمشاركة في صمت وإخلاص لا يحفل بالذكر أو الإعلان .

إن كتب الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، بما وراءها من صبر طويل وجهد دؤوب وطاقة الدقة والالتقان ، وأشواق حميمة إلى الكمال الممكن ، بالاستقصار والتجميع والتبويب والفهرسة - كتبه هذا كله إضافة علمية في ميدان الدين تحسب لمصر وعطائها للإسلام .

وحياة الرجل الخاصة تدخل في باب الغرائب . فنحن في مصر كنا نسميه « صائم الدهر » فقد كان يصوم العام كله لا يفطر فهي إلى أول يوم من عيد الفطر وأيام عيد الأضحى وطعامه نباتي . وكان يصوم بدون سحور ، وكان محافظاً في كل شيء فزيه يتكون من « البدلة الكاملة » صيفاً وشتاء لا يستطيع حر الصيف أن ينحى « الكرافات » أو « الدبوس » . كما لا يستطيع مواصفات العصر أن تمس المنديل الأبيض في جيبه أو الطربوش القاني على رأسه أو العصا الأنيقة في يده .

وكان زاهداً في الاجتماعات . يفسر هذا وكأنه يعتذر - « أن هذا الأمر تقوم - تبعاً له على الأثر - حقوق للناس والتزامات واجبة الرعاية والوفاء . وليس عندي وقت لهذا ولأننا أطيع التقصير فيها لو لزمتمني » .

وبعد ، فهذه الجهود السخية العطاء ، الموصولة الدأب ، وهذه الحياة التي آضت إلى التبتل من أجل الدين في صورة مشرقة مشرفة هي أجدى عليه وأقرب إلى الله .

هذه الشخصية الرائعة بصبرها الصابر ، وتصميمها القادر على التجويد . . . شخصية لن تنسى .

ترجمة حياة الشيخ محمد نجيب المطيعي « رحمه الله »^(١)

● هو المحدث الشيخ محمد نجيب المطيعي بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن أحمد بن نجيب المطيعي الطوابي .

ولد في يناير ١٩١٥ بقرية من قرى صعيد مصر « الطوابية » مركز أبنوب الحمام محافظة أسيوط .

● مشايخه ومن أجازوه :

نال فضيلة الشيخ المطيعي أجازات عديدة من الشيخ محمد حبيب الله بن أبي الشنقيطي والسيد علوي المالكي مفتي مكة والسيد حسن الفدعق وكثير من علماء المغاربة والمورitanيين وذلك على علوم الحديث والفقه واللغة .

● حياته وجهاده العلمي

ولد في أسرة تعمل بالعلم فكان والده وجده من طلبة العلم ومريديه وكان والده رجلاً متصوفاً وكانت مكتبة الأسرة مليئة بالكتب « وقد أجاز من أجاز والده » .

فكان شغوفاً على القراءة منذ نعومة أظفاره فقد أتم حفظ القرآن الكريم مجوداً بقراءة حفص ونافع وهو لم يتجاوز العاشرة على يد شيخ القرية وفي البيت كان يقرأ ويتهجى على والده في صحيح البخاري حتى أتم حفظه وهو في سن الثانية عشرة وحفظ نصف سنن أبي داود وصحيح مسلم وهو في سن الخامسة عشر وكان حريصاً على حضور مجالس العلم في مسجد جلال الدين السيوطي بأسيوط حيث كان مقر العلم فيها فكان يحضر مجالسه في يد علماء أفاضل ثم أنتقل مع والده الذي نقل تجارته إلى مدينة الإسكندرية وأنتقل الشيخ إلى حلقات العلم بمسجد أولاد إبراهيم باشا فكان يحضر مجالس العلم ويتلقاه على يد علماء ومحدثين فكانوا يدرسون الأحاديث بالأسانيد كما كانوا يدرسون المعارف وعلوم العقيدة من أمهات الكتب فقد درس في مذهب المعتزلة المغني للقاضي عبدالجبار وفي مذهب الماتريدية من كتبهم وفي الفقه المقارن كما حفظ متون الكتب ، ففي مذهب الشافعي حفظ متن أبي شجاع وفي مذهب أحمد متن الخرقى وفي مذهب مالك متن العشماوية وفي مذهب أبي حنيفة متن القديري ثم قرأ وحفظ شروحها فنشأ مالكيًا كما كان والده ثم عقل مذهب الشافعي وتصانيفه حتى حصل أن أكمل فيه شوامخ كتب المذهب كما حفظ متن الأجرمية وألفية ابن مالك في النحو إلى أن أصبح يلقي درساً في المساجد وهو لا يزال عمره خمسة عشر عاماً فقد كان يلقي درساً في مسجد العمرى بالإسكندرية فقام بتدريس زاد المعاد وفتح الباري وصحيح

(١) هذه الترجمة حصلت عليها من أسرة الشيخ المحدث رحمه الله .

مسلم وغيره من أمهات الكتب فقد كان شغوفاً بالقراءة والعلم كما قرأ كتب إمام الحرمين وعمره عشرون عاماً وكذلك كتب في الأصول وغيرها من العلوم وظل يقرأ ويتعلم ويعلم فقد عمل أستاذاً بمعهد الأئمة التابع لوزارة الأوقاف وعميداً لمعهد الدعوة بالمعادي كما عمل رئيساً لقسم السنة وعلوم الحديث بجامعة أم درمان الإسلامية وأستاذاً للحديث بجامعة الخرطوم وكذلك بالمركز الإسلامي الأفريقي وبكلية القرآن التابعة للمركز القومي للتعليم الأساسي العالي السوداني كما أسند إليه تدريس الفقه والأصول وتاريخ التشريع فظلت حياة الشيخ كفاحاً في طلب العلم وللتعليم وللدفاع عن سننه الشريفة بقلمه ولسانه .

● كتبه ومؤلفاته

كتاب السير المخلص
كتاب المنعة في تفصيل السنة والبدعة
كتاب تاريخ النقود الإسلامية
كتاب خالد والدعوة المحمدية مكتبة الجامعات للنشر .
راجع دار الكتب
راجع دار الكتب
راجع دار الكتب

وهو يعرض فيه كيف كانت حياة خالد نسبه وميلاده ونشأته وحروبه في الجاهلية والإسلام وخططه العسكرية وكيف كان رجل سياسة محنك وداعية جهيد وكيف شهد التاريخ لخالد بأنه رجل حرب وقيادة .

● تحقيق خمسة مجلدات من فتح البيان في مقاصد القرآن لحسن خان تحقيق وتكملة المجموع شرح المذهب لأبي إسحق الشيرازي « الناشر مكتبة الأرشاد جدة » وهو على مذهب الإمام الشافعي فقد شرح الإمام النووي فيه حتى البيوع حتى وافته المنية فجاء الشيخ السبكي وشرح بابين حتى الرد بالعيب ثم وافته المنية وظل الكتاب دون تكملة سبعة قرون كاملة حتى أتمه الله على يد الشيخ المطيعي من المراجعة وحتى أتم اثنين وعشرون مجلداً والذي يستعرض أمهات الكتب في مختلف المذاهب كالمحلل لابن حزم والام للإمام الشافعي والمغني لابن قدامة في فقه الحنابلة يجد أن المجموع أحد هذه الموسوعات الحافلة بالأراء الفقهية بجميع أئمة المذاهب الأربعة وأن كانت غايته في المرتبة الأولى خاصة بالفقه الشافعي مع تميزه باستقصاء آراء المذاهب واستيعاب أرائها والترجيح والتكملة من الجزء الثاني عشر وحتى الثاني والعشرين قد حذا فيها حذو الإمام النووي فهو يحاكي أسلوبه ومنهجه بحيث لا يشعر القارئ وهو بين يدي الكتاب بالخلل أو الفرق فهو على نمط واحد وكان الله أحيا الإمام النووي لكي يتمه كما أن الكتاب لم يقتصر على الأبواب المعروفة في الفقه ولكنه تكلم عما أستحدثت كشركات التأمين والبنوك وقد عمل لها جزءاً كاملاً في التكملة سلسلة تحت راية السنة وبدأها بتبسيط علوم الحديث وأدب الرواية وهو بوضوح تعريف الحديث الصحيح والسقيم ويبين مناهج علماء الجرح والتعديل في تقديم

الرجال ويذكر في ساحة الدعوة روادها الأوائل من السابقين وأهل بدر وفي عالم الرواية يذكر من اختلط في آخر عمره ومتى اختلطوا ومن روى له في حياته وقبل اختلاطه وبعده ومن هم العشرة المبشرون بالجنة ومن هم الفقهاء السبعة ومن هم مهاجرو الحبشة .

● (صلة السنة بالقرآن وطريقة استنباط الأحكام من حديث خير الأنام وهو عبارة عن بحث قدمه فضيلته في مؤتمر السيرة الثالث بدولة قطر ثم أضاف إلى البحث بابا يوضح فيه كيفية استخراج الأحكام من حديث خير الأنام وقد طبع الكتاب والبحث في كتاب واحد تحت أسم صلة السنة بالقرآن ثم أنتقل فيه أيضا إلى ذكر مناظرة: الإمام الشافعي التي جاءت في الام والتي رد فيها على منكرى الخبر عن رسول الله ثم انتقل إلى الوصوليين بصلة السنة بالقرآن عندهم وأن ابن حزم لا يفعل أحد الوجهين عن الآخر ثم تناول حجية السنة عند أبي حنيفة وأصحابه وصلة ذلك بالقرآن في اثبات صحة خبر الأحاد في قراءة ابن مسعود لقوله تعالى : « ثلاثة أيام متتابعات في الحج » .

ثم أنتقل إلى كلام الأصوليين إلى مايوثق العلائق بين القرآن والسنة ثم ذكر منزلة السنة من القرآن عند ابن قيم ثم صلتها بالقرآن في رسالة الإمام الشافعي ولا يزال تحت الطبع من السلسلة والناشر مكتبة المطيعي .

● البخارى المفترى عليه وهى سلسلة مقالات نشرت في مجلة الأزهر ١٩٧٥ لسنة حتى ١٩٧٧

● درة الناصحين على أبشار اللامذهبيين وهو للرد على دعاة اللامذهبيين ومنكرى هذا المنهج العلمى السلفى المبارك ومن يدعى القدرة على الاجتهاد المطلق دون الرجوع إلى الأئمة الأربعة .

● كتاب حقيقة محمود محمد طه أو الرسالة الكاذبة وهو للرد على الدعوة المضلة المضللة التي قامت في السودان على يد المرتد الأثم وقد ظل الشيخ به ويدعوته حتى نفذت الحكومة حكم المحكمة السودانية بإعدام هذا المدعى الكاذب « محمود محمد طه » .

● كتاب أحكام التصوير في الإسلام طبعة مكتبة المطيعي وهو ردود على أسئلة قدمت إليه في أذاعة القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية وقد جمعت في كتيب صغير يجمع فيه حكم التماثيل أن كانت مشوهة أو نصفية وحكم الستائر التي عليها رسوم ونقوش وحكم ورق الحائط الذى عليه تصاوير وحكم التصوير الفوتوغرافى وحكم الرسوم المطبوعة في الكتب وحكم العرائس المستعملة في لعب الصغار كما أن له مقالات في مجلات الأزهر والاعتصام والمسلمون يبين فيها للناس ما ليس حديثا وما ليس صحيحا وفتاوى وأحكام شرعية .

كما أن له العديد من الفتاوى التى قد نشرت فى مجلة الاعتصام كما أذاعت القرآن الكريم العديد من الفتاوى ، كما ان له العديد من المحاضرات والدروس وخاصة بيت طلبة العلم لقد حرص تلاميذه على تسجيلات صوتية وهى فى شرح صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتاب قليوبى وعميرة فى فقه الشافعى وشرح أحياء علوم الدين للغزالى وشرح كتاب الاشباه والنظائر .

كما أن له تسجيلات صوتية فى تفسير القرآن وأن كانت قد وافته المنية قبل اتمامه .
رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وجزاه الله خير الجزاء على ماقدمه من جهود تذكروا فتشكروا فى خدمة الإسلام والسنة النبوية .

المحدث : الشيخ زكى إبراهيم^(١)

رائد العشيرة المحمدية

تعريف موجز بفضيلة الإمام رائد العشيرة :
وشيوخ الطريقة المحمدية ومجدد التصوف في هذا العصر :

(١) هو العارف الداعية ، القطب المجاهد ، الكاتب ، الخطيب ، الشاعر المحاضر ، المعتمد بالله « السيد محمد زكى إبراهيم » وكنيته : « أبو البركات » ولقبه « زكى الدين » وقد ولد ببيت الأسرة ببولاق مصر ، ووالده القطب الشريف الحسينى « السيد إبراهيم الخليل بن على الشاذلى » ووالدته الشريفة الحسينية « السيدة الزهراء فاطمة النبوية » بنت القطب الأكبر الشيخ « محمود أبو عليان الشاذلى » وله ولدان ضابط ومهندس وبنت مفتشة بالقوى العاملة وكلهم متزوج وله أولاد .

وهو خريج الأزهر ومجيد عدة لغات وكان مفتشا للتعليم بوزارة التربية والتعليم ، ثم أستاذًا بالدراسات العليا ، والمعهد العالى لتدريب الأئمة والوعاظ ، ثم عميدا المعهد «إعداد الدعاة» . . إلخ . .

(٢) وهورائد العشيرة المحمدية ، ومؤسسها ؟ ومؤسس مجلة (المسلم) المجلة الصوفية الأولى فى العالم الإسلامى ، ومؤسس معهد (إعداد الدعاة) أول معهد شعبى من نوعه ، ومؤسس الطريقة المحمدية الشاذلية ومجدد مسجد ومشهد المشايخ بقايتباى ، ومراقد ومسجد أهل الله ببرقوق ، ثم هو عضو بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ؟ واللجنة الدينية العليا بمحافظه القاهرة والمؤتمر العالمى للسيرة والسنة .

(٣) وقد أهداه الرئيس جمال عبدالناصر « وشاح الرواد الأوائل ونوط التكريم » وأهداه الرئيس السادات « نوط الامتياز الذهبى » من الطبقة الأولى . وأهداه الرئيس حسنى مبارك « وسام العلوم والفنون » المخصص لكبار العلماء والأدباء ، ثم أهداه نوط الامتياز مرة أخرى ، كما أهداه الرئيس اليمنى « السلال » و« شاح اليمن والخنجر » وأهدته محافظة القاهرة ، ووزارة الشئون الاجتماعية ، وبعض المؤسسات الكبرى : عددا من شهادات التقدير والأوسمة .

(٤) ثم هو مؤسس مؤتمر آلهيئات والجمعيات الدينية ، للعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية ، باشتراك أخيه فى الله الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر والأستاذ الشيخ حسين

(١) هذه الترجمة من بعض المطبوعات التى حصلنا عليها من دار العشيرة المحمدية والتى تفضل الإمام رائد العشيرة بإرسالها مشكورا .

مخلوف عميد الإفتاء وعضوية جمهرة رؤساء وعلماء ومثلى الجماعات الإسلامية الرسمية والشعبية بمصر .

(٥) كما كان آمينا ورائدا دينيا لجماعات الشبان المسلمين والمؤتمر القرآنى برئاسة نائب رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعى ، واللجنة العليا للدعوة بالأزهر برئاسة الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود ، وكان خبيرا للجنة التاريخيتين لإصلاح التصوف برئاسة السيد وزير الداخلية والشيخ الباقورى وزير الأوقاف وقتئذ (ر) .

كما كان عضوا إداريا عاملا فى أكثر من جماعة وهيئة ولجنة إسلامية واجتماعية وثقافية عامة وخاصة : رسمية وشعبية ، بمصر والخارج : منها جماعة (أبولو) للشعراء برئاسة المرحوم أحمد شوقى أمير الشعراء ، كما اشتغل فترة بالصحافة والنشاط النقابى للمعلمين ، كل هذا رغم امتحانه الدائم بالأمراض الشديدة والمواقع المستمرة ، وبرغم ما يذلل بكل السخاء ، وبالغ الجود ، من ماله الخاص فى سبيل الدعوة والإسلام بلا من ولا أذى .

(٦) وله مؤلفاته النادرة الكثيرة الدقيقة فى التصوف الإسلامى والدفاع العلمى عنه وبيان أصيله ودخيله ، ثم مؤلفاته فى بقية العلوم الإسلامية والأدب والشعر والاجتماع والمعارف العامة ، وله نشاطه الدينى بالأذاعة والتلفزيون والجرائد والمجلات بمصر وغيرها ، وله خطبه ومحاضراته ودروسه المشهورة والمسجلة على الكاسيت بالمساجد والنوادر والأحفال وغيرها .

وهو يكافح التطرف والتشدد ، بقدر ما يكافح التخريف والتخريف والتظاهر والرياء والضعف داعيا إلى الوسطية والسباحة والحب والسلام والعلم والعلاقة بالله ، والتقريب بين طوائف المسلمين على أساس الربانية القرآنية .

(٧) وله دعوته العلمية الثائرة القوية العملية إلى تحرير التصوف وتطهيره وإدماجه فى الحياة الجادة ، على طريق الكتاب والسنة ، قولا وعملا ، ثم دعوته إلى « الجامعة الصوفية العالمية » كنواة للتجمع الإسلامى ، وإنشاء : (دائرة المعارف الصوفية التاريخية) ومع كل هذا لم يقبل يوما مشيخة مشايخ الطرق الصوفية ، ولا عضوية مجلسها الأعلى إيثارا لحريته فى دعوة الإصلاح الصوفى والمذهبى وغيره .

(٨) وكل ذلك بالتعاون الكامل ، مع شقيقه ونائبه وأمين سره ورفيق جهاده ، العارف بالله الداعية (السيد محمد وهبى إبراهيم) حامل نوط الامتياز الذهبى ، ومستول الإدارة بالعشيرة والطريقة لجميع الأنشطة والمؤسسات المحمدية بالمدن والأقاليم . ثم بمشاركة العارف بالله السيد أبو التقي أحمد خليل (رضى الله عنهم وتقبل منهم جميعا) .

(٩) هذا وقد قطع شيخنا مدارج السلوك الصوفي وأتم مسيرة « الأساء السبعة » ثم « الثلاث عشرة » ثم « التسعة والتسعين » إلى « الاسم المفرد والأعظم » ودخل الخلوة الصغرى والكبرى مرات ، ومارس العلوم الفلكية والروحانية وأجرى الله على يديه الكرامات ، وتلمذ عليه كبار القوم والسادة من الشباب والعلماء والأدباء ، وقد أسلم على يديه عدد من القساوسة والشياسة وغيرهم وزارته الوفود والشخصيات الكبرى من أطراف الوطن الإسلامى فهو قطب وقته مجدد عصره ، لا محالة ، وقد لاقى فى سبيل دعوته مالا يوصف من أنواع الأذى البالغ ماديا وأدبيا وهو سعيد مستمر صامد ، حتى يلقي الله مجاهدا راضيا مرضيا إن شاء الله .

نفعنا الله به وبعلومه وربانيته ، ووفقنا إلى الاقتداء به ، والثبات على طريقه ، وخدمة دعوته بفضلله تعالى ونعمته .

(أمانة الدعوة بالطريقة المحمدية)

● اياك . . اياك

اياك أن تضيق وقتك فى الجدال مع عبيد الدولار ، وعباد الدينار ، وعملاء الوهابية السياسية والسلفية العمياء التى لاهم لها إلا تمزيق الأمة وتفريق الشمل ، وزعزعة الأمن ، وزلزلة العقائد ، باسم التوحيد المظلوم والسنة المتهمة ، فكل الناس عندهم بين مشركين مبتدعين جهلة مارقين ، حصب جهنم . دعهم فانك إن آتيتهم بكل آية ماتبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبيلة بعض .

دعهم وتوكل على الله مستمرا فيما وفقك الله إليه .

● « يا أخى فى الله » .

اننا ندعو الله لك بمزيد من العلم والايمان والعمل فلا تجعل هذا التعريف « تميمة » فى بيتك لمحجود البركة ، ولكن عليك بعهد الله ، أن تطالعة بامعان . وأن تراجعته بين الحين والحين وأن تعرضه للتذكرة والتبصرة . ولتجديد الهمة . والاقبال على الله . والصلح عليه تعالى . تحصيلاً لنفحات القرب ومدد الدعوة . وتوسلاً إليه تعالى فى تحقيق الآمال ودفع السوء . واللطف فيما جرت به المقادير ، ونشر هذا الطريق الطاهر المبارك ، فيمن هم أهل له من الأصدقاء والأحبة .

إن هذا التعريف مفتاح لكتاب « البيت المحمدى » الذى يجب أن تستوعبه .

● يا أخى فى الله

يا أخى فكن بشوشا متفتحا ، طلقا سمحا باسمها مبشرا ميسرا ، رفيقا رقيقا عابدا شائناك المحبة والسلام . ولا تكن نكدا عابسا منقبضا متطرفا شاذا معقدا مكروها من الله والناس .

يأخى :

انشر الحب بين الناس ، انشر الأمل فيهم ، ادعهم إلى الربانية الحققة بعملك ، ادعهم إلى الله بسلوكك ، حبيبهم في دينهم ، وفي ربهم وفي نبيهم ، وفي آل البيت الأطهر ، وفي أولياء الله الأكرمين ، وفي كل طوائف أهل القبلة ، واعتذر عن الأغلاط والأخطاء فكلنا بشر ، فيه كدر ، واصفح الصفح الجميل .

● بعض تفاصيل وبيان « الشيخ المحدث » :

بالإضافة إلى مدرسته من مناهج « علم الحديث والرجال » مما كان مقررا في أيامنا على طلبة شهادة « العالمية القديمة » فقد شغفت شغفا بالغيا بهذا العلم ، للحاجة الماسة إليه في بحوثي وتحقيقاتي ومناظراتي لمواجهة سيل العرم الضاري الموجه إلى الدعوة الصوفية من خصومها أدياء السلفية المظلومة .

وهم قد زعموا لأنفسهم الاختصاص بعلوم الحديث والسنة ، فجعلوها احتكارا فيهم بلا دليل صحيح .

ومن ثم ارتبطت بكثير ممن أدركتهم من السادة علماء الحديث ، وتلقيت عنهم ، وأخذت منهم بقدر ما وسعتني طاقتي وظروفي الحياتية فمثلا :

١- قرأت على مولانا المرحوم المحدث الثبت المتكمن الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي الذي كان ضيف القاهرة ماشاء الله من أبواب الصحيحين ، وتاريخهما ، كما تلقيت عنه كتابه الفريد « زاد المسلم » وشرحه « فتح المنعم » له ، ثم مستدرك الحاكم ، والمستدرك عليه والصغرى والكبرى للنسائي .

وبقية مؤلفاته ومنظوماته ، وبكل ذلك أجازني والحمد لله .

(٢) وتلقيت عن مولانا المحدث الثبت المحقق الشيخ أحمد بن الصديق الغماري أيام إقامته ضيفا على مصر الإذن « بالترغيب والترهيب » للمندري ، كما قرأت عليه ألوانا من الصحيحين وصحيح ابن حبان وأبى عوانة وابن جريمة وسنن الترمذي وأبى داود . وما يتعلق بها جميعا وقد أجازني بذلك مع بقية مؤلفاته ، رحمه الله .

(٣) وتلقيت الإذن من مولانا بركة الوقت محدث العصر العارف بالله الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا بكتابه « ترتيب مسند الإمام أحمد » وشرحه له ، وقد قرأت عليه شرحه للوظيفة الزروقية . فأجازني بكل ذلك ، وبقية مؤلفاته رضى الله عنه .

(٤) وفي زيارتي للمدينة النبوية المنورة أثناء عمراتي قرأت ماشاء الله على مولانا العارف العالم المحدث المبارك الشيخ أحمد عبد الجواد ، من الجامع الكبير والصغير للسيوطي . وكتاب الجامع الأزهر ، فأجازني بهذا مع إجازتي بكتابه العظيم (جامع الأحاديث) .

(٥) وفي زيارتي أيضا للحرم الأكبر الشريف أثناء العمرة أجازني المرحوم العلامة المحدث العارف الله السيد عباس علوي مالكي والد حبيبنا في الله الدكتور محمد علوي مالكي بعد ما قرأت عليه ماشاء الله من كتاب « الأساء والصفات » لليهقي « وبلوغ المرام » لابن حجر وشرحه للصنعاني (ومصابيح السنة) ورسالته الخاصة عن (الحديث الضعيف) فقد أذنني بكل ذلك وبها حصله أو تلقاه عن مشايخه رضي الله عنهم جميعا .

(٦) تلقيت عن شيخنا العالم العارف المحدث الحجة الشيخ محمد الحافظ التيجاني بزوايته المعروفة بالقاهرة الإذن بمعاجم الطبراني الثلاثة و«المطالب العالية» وأبواب من سفر ابن ماجه ومفردات متفرقة عن ابن شاهين وعبد الرزاق وابن عبد البر ، وبهذا أجازني بكل مروياته ومخطوطاته ومطبوعاته في علم الحديث ، رحمه الله .

(٧) وقرأت على العلامة الباحث المحدث الفقيه الحجة الشيخ محمد زاهد الكوثري (مسند أبي حنيفة) و(موطأ مالك) وقرأت عليه بعض كتب الرجال وبخاصة ما جاء عن الذهبي وابن القطان وابن حجر وابن عبد البر ، والعراقي وابن معين ، مرورا بابن الجوزي وغيره ، وبهذا أجازني رضي الله عنه .

(٨) وعلى العالم المعمر المحدث الصالح الشيخ محمد عبدالله العربي تلميذ الشيخ الباجوري ، قرأت « مختصر ابن أبي جرة ومختصر الزبيدي ، والمختارة للمقدسي » وكتب الإمام النووي خصوصا « الأذكياء والأربعين » وبعض « المذهب » وبهذا أجازني والحمد لله .

(٩) وقد صح لي اللقاء والأخذ بالسند عن جماعة من السادة منهم مولانا الشيخ الخضر حسين ، والأمير عبد الكريم الخطابي والسيد اليمنى الناصري ، وحفيد محدث المغرب الشيخ عبد الكبير الكتاني والأخ الشيخ عبدالله الصديق الغباري وقد أجازني بكتبه « الكنز الثمين » ، والرد المحكم والأحاديث المنتقاة والحجج البينات وآخرون لم يحضروا ذكرهم الآن .

(١٠) وكذلك صح لي اللقاء وتبادل الأخذ والإجازة مع الأخ المحدث المرحوم الشيخ محمد نجيب المطيعي ، والمرحوم الأخ المحدث الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف . . والمرحوم الأخ العارف المحدث الشيخ الحسيني أبوهاشم ، والإمام الجليل شيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود والداعية الشيخ عبدربه سليمان رضي الله عنهم أجمعين .

وكل كتاباتي ومؤلفاتي أو جلها بحمد الله على أسلوب المحدثين رواية ودراية وتحقيقا ونقدا .

ويتضح هذا جليا في مثل كتابنا (أصول الوصول) و(وعصمة النبي ﷺ حقيقة قطعية
الشبوت) والنوافل الثوابت (ووظيفة الحديث الضعيف) (والإفهام والإفحام في أحكام الوسيلة
والقبور في الإسلام) وليلة (النصف في ميزان الانصاف العلمى) وأهل القبلة كلهم موحدون
« والسلفية المعاصرة إلى أين » وهكذا نحو خمسين مؤلفا مطبوعة ، بحمد الله .

المحدث الشيخ محمد الحافظ التيجاني رحمه الله

(١) هو المحدث الشيخ محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسيني من جهة أبيه ويتصل نسبه بسيدنا الحسن رضى الله عنه من جهة جدته لأبيه : فإنها من آل سيدى الشيخ سليم السباعى صاحب المسجد المعروف بالسبتية بمصر القاهرة ، أما أمه فمن بنى رزاح فصيلة سيدنا عمر بن الخطاب من بنى عدى بن كعب وأمها شريفة من آل الخطيب النازلين ببني رزاح .

ولد رضى الله عنه عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف هجرية فى ربيع الثانى فى بلدة كفر قورص مركز أشمون بأقليم المنوفية من أعمال الديار المصرية ، ونشأ بين أبوين كريمين عفيفين حريصين على تربيته وتعليمه أحسن تربية وتعليم ، وقد ظهر عليه أثر ذلك والله الحمد ، والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه .

وهل ينبت الخطمى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل فهو العالم العلامة ، والدراكة الفهامة ، فلا عار على من وصفه بالقبطانية ولا ملامة ، حامل أنوار وأسرار الطريقة ، الجامع بين الشريعة والحقيقة . ممن جمع الحسينيين والشرفين . محدث الصوفية وصوفى المحدثين ، وهو لسانهم القاطع حجج المنكرين بالبراهين . أديب الصوفية وصوفى الأدباء فى الإنشاء لو أدركه لاستضاء به صبح الأعشى ، وهو فقيه الصوفية وصوفى الفقهاء فأين لأتراه إلى مبدئه الانتهاء ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق ، كلامه يقرع القلوب قبل الأذان وتنشق له الجلاميد والجدران .

وإذا تكلم فى لحقائق مرة بهر العقول ، كلام عبد صالح فهو رضى الله عنه إذا تكلم فى الحقيقة جاء بما يبهز العقول مما لا يوجد عند من تقدمه من أهل النقول ، وإنما هو فيض ربانى ومدد روحانى ، يأتى من جده بواسطة شيخه قطب الأقطاب . خاتم الأولياء بلا ارتياب . أبى العباس سيدى أحمد بن محمد التجانى . سقانا الله من بحره بأعظم الأواني ، ولم لا وهو القائم بأمر طريقته فى جميع أحيانه ، الذاب عنها بقلمه ولسانه ، فتراه فى خطبه يتلقف الحكمة من الحضرة الربانية ، فينطق بها كما هيه ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ، فهو المدافع عن الكتاب والسنة . وطرق الصوفية فى مشارق الأرض ومغاربها بالخطب والمؤلفات ، فى المناظرات والمراسلات ففتح الله به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً كالحجارة أو أشد قسوة ، فهدى الله من هدى به للإسلام والايان والإحسان ، وتمادى على ضلالتة

(١) هذه الترجمة حصلنا عليها من بعض المقالات التى نشرت بإحدى المجلات الإسلامية ، وقد بحث بها إلينا نجل المحدث الشيخ التيجانى رحمه الله تعالى .

من سبقت له سابقة الخسران ، فهو والله الحمد رضى الله عنه ، من له الأذن الخاص في التربية كما شاهد ذلك منه وشهد به معاصروه مع أن المعاصرة هي أكبر حجاب ، قال الشاعر :

تري الفتى ينكر فضل الفتى لؤماً وبفضاً فإذا مذهب
لج به الحرص على نكتة يكتبها عنه بهاء الذهب
وقال الآخر :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للأوائل التقديماً
إن هذا القديم كان حديثاً ويسمى هذا الحديث قديماً

* نشرت هذه الترجمة ^(١) في مجلة «طريق الحق» كتبها الشيخ محمد فال بن فتى من علماء شنتيق :

يعيش رضى الله عنه متواضعاً زاهداً لا يمتاز عن جلسائه ومريديه بجلسة ولا مجلس يدخل على الأمراء بلباسه الذى يلبسه مع الفقراء لا يتصنع لأحد بالغاً ما بلغ ولا تأخذه في الله لومة لائم ، لا يقر على منكر ، ولا يتواضع لغنى لغناه ، ولا يقبل الهدية إلا ممن علم صدقه ويكافئه عليها تأسيساً بجده صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يقبل الهدية ويكافئ عليها ، ولما في ردها من كسر خاطر مهديها ، وهو لا يقابل أحداً بسوء ، وهو من حسن الخلق والكرم بالمكانة التى لا تدرك . لا تعلم شأله ما أنفقت يمينه ولا يمينه ما أنفقت شأله . متأدب بأدب السنة بجانب كل بدعة ضلالة ، يظن كل أصحابه أنه أحب إليه من غيره ويبش في وجوههم كلهم . يرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم ويعظهم بالمواعظ التى تنشق لها الحجارة ؛ لأن كل قول يخرج عليه كسوة القلب الذى خرج منه فما خرج من القلب بصدق نية دخل القلب وما خرج من اللسان لا يجاوز الأذان . قال الشاعر :

كل قلب بكسوة القلب آت حين يلقيء على أداة السميع
فالمصافى مقالته المر حلو لو تحرى إذابة بشنيع
والمعادى مقالته الحلو مر وكفى بالله واقياً في الجميع

وتراه رضى الله عنه حلو الفكاهة لين الجانب . يمزح ولا يقول إلا الحق . يبين الحق للناس في قالب أدبي عادى لا ينكره إلا مكابر وما كان برهانه في نفسه لا يحتاج فيه إلى استدلال فإذا وضحه شرحه حتى يستوى في معرفته العالم والجاهل فإذا تمكن من قلوبهم سلموا وأذعنوا ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، وهذا من مقتضى قوله تعالى « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » إبقاء للخصم لئلا ينفر فيبطل المقصود من إقامة الحجة . ولقد كنت معه رضى الله عنه في مناظرة بعض جناة المنكرين فكانوا يسيئون معه الأدب فأغضب أنا وأريد مكافأتهم فيضحك هو لهم ويثبطني عنهم حتى يقيم عليهم الحجة وينقطعوا ويقرروا بالعجز . وقد رجح كثير منهم بهذا السبب عن إنكاره ودخل في الطريقة ولو خاصمناهم

وشاتمناهم لم نبلغ مقصودنا من إقامة الحجة عليهم ، ومجاملة الخصم ولو كان مبطلا أنجع من مدابرته لقوله تعالى للكفار (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

وهو رضى الله عنه من حسن الخلق وتحمل أذى الناس بالمكان الذى لا يعلمه إلا من مارسه وقد هدى الله به كثيرين فى جميع الاقطار حتى ترجمت رسائله فى الإسلام باللغات الاجنبية فكانت سببا فى دخول الإسلام فيهم ، كنت أسمع به قبل لقائنا لبعده صيته فأظنه من المتقدمين فإذا هو من أترابنا معناه أكبر من سنه . رحل إلى السودان خمس مرات والحجاز ثمانى مرات وفلسطين وسوريا وتونس والجزائر ومراكش من المغرب الأقصى ولقى بها الكثير من العلماء والصالحين .

مؤلفاته - الحق فى الحق والخلق - أصفى مناهل الصفا فى مشرب خاتم الأولياء - قصد السبيل فى الطريقة التجانية - فصل المقام فيما يرفع الإذن فى الحال - سبيل الكمال « رسالتان إلى ألمانيا فى الإسلام » وهى التى ترجمت باللغة الألمانية - والرسائل من الأولى إلى السادسة فى فنون مختلفة وأجوبة عن مسائل مشككة وتراجم بعض الصالحين . رسول الإسلام ﷺ ورسائله الجامعة - رد أوهام القاديانية فى قوله تعالى : وخاتم النبیین - رؤية النبى ﷺ فى اليقظة - الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط - أهل الحق العارفون بالله - رد على بعض المنكرين الأشقياء - التوفيق بين الطوائف الإسلامية المعاصرة فى الأصول - معنى قوله ﷺ تفرق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة - شروط الطريقة التجانية .

وأكثر هذه المؤلفات مطبوع أو تحت الطبع ، وماطبع منها يقسم أكثره على الناس بلا مقابل إلا مؤونة الطبع ، وقد أجازنا والله الحمد فى جميع مؤلفاته وناولنا أكثرها . جعلنا الله ممن انتفع بها .

● مشيخته فى العلم والطريقة والحديث :

قرأ القرآن على الشيخ عبدالله حمادة والشيخ سليمان البنا برواية حفص وقرأ بعضه على الشيخ خليل الجنائنى عن الشيخ متولى شيخ القراء بمصر ، وقرأ اللغة على الشيخ يوسف الكومى والشيخ محمد المهدي والشيخ إسماعيل الاسلامبولى ، وصحب الشيخ عبدالمنعم قاسم الفقيه المالكي ، والتفسير عن الشيخ يوسف الدجوى ، وصحب الشيخ محمد ماضى الرخاوى ، وكان علامة الأصول فى الأزهر فى وقته ، والشيخ السكندرى ، ولزم الشيخ سلامة العزامى القضاء الشافعى إمام عصره فى سائر العلوم الدينية والفنون .

وقد كان قبل تقيده بالطريقة التجانية أخذ عدة طرق وأجيز فيها كاخلوتية التى كانت طريقة أجداده والنقشبندية والشاذلية فكان ذلك سببا فى دخوله فى الطريقة التجانية أخذها عام ثمان وثلاثين وثلاثمائة ألف ، أولاها عن الشريف سيدى الشيخ أحمد السباعى البقارى من أولاد أبى

السباع الساكنين بحوز مراكش ، وهم شرفاء حسنيون سكن مصر وتوفي بالكتامية بجوار بير شمس من قرى مديرية المنوفية بمصر وهو أخذ عن سيدى الشيخ أحمد التجانى الشنقيطى على سيدى الحاج الحسين الأفرانى عن سيد العربى بن السائح بسنده ، وكذلك أخذ عن الشيخ بدر سلامة مؤلف النفحة الفضلية والهداية المحمدية ، وهو عن سيدى أحمد التجانى الشنقيطى ، ومن أسانيد سيدى الشيخ السباعى والشيخ بدر الشريف سيدى محمد بن أحمد الدروامى المتوفى بالمغرب الأقصى .

وقد أخذ أيضا عن الشيخ مذكور الطصفاوى عن سيدى البشير الزيتونى عن سيدى إبراهيم الرياحى عن الشيخ التجانى رضى الله عنه ، وقد أخذ مباشرة عالياً عن شيخ شيوخه السيد أحمد التجانى الشنقيطى المتقدم ذكره وصحبه وقرأ عليه كتابه الفتوحات الربانية وأجازه فيه بخط يده على نسخة منه ، وكذلك على غيره من مؤلفاته ، واختصه بصلاة الفاتح بنية الاسم الأعظم وقد أجازنى بذلك والله الحمد ، وكذلك أخذ عن سيدى السيد عبدالمالك بن العلمى العارف بالله والدال عليه بحاله ومقاله وكان سفيرا بين دار الشيخ رضى الله عنه وجميع الاحباب نائبا عنهم فى الشروط والأسباب .

وكانت خالته تحت مولانا البشير وكان آية من آيات الله فى السر والبركة والكشف والتقوى والاستقامة ، وكان يحب شيخنا صاحب الترجمة محبة خاصة ، أذن له فى كل ماعنده وكان لا يعطى إذناً ولا إجازة غالباً مادام فى الديار المصرية إلا بواسطة شيخنا صاحب الترجمة وقال له ما قال الشيخ التجانى رضى الله عنه للحاج على حرازم برادة : من كان يطلب منا شيئاً فليطلبه من فلان ما قاله قلناه ومن أذنه أذناه .

وكذلك أخذ عن الشيخ العالم العلامة المحدث المقدم البركة الشيخ ألفا هاشم بن أحمد بن سعيد الفتوى بن أخى صاحب الرماح توفى بالمدينة المنورة عام تسع وأربعين وثلاثمائة وألف عن سبع وستين سنة وأذن كل منها للآخر ماعنده وتبادلا الثياب والمسابح .

وكذلك أخذ عن مولانا صفوة قطب الأقطاب محمد الكبير بن سيد البشير التجانى وأطلق له فى الإذن والتقديم الإطلاق العام ، وفاز منه بالضمأن فغار بعض الإخوان من ذلك فقال لهم سيدنا محمد الكبير : « والله ما زدت على أن نفذت ما برز من الحضرة » أو كلاماً هذا معناه ، وقال له وكتب : قد اتخذنا الخير الأمثل الشيخ محمد الحافظ التجانى حبيباً لنا فى الدارين لا ينفصل عنا بذنب ولا ينقطع عنا بعمل .

وقد أخذ أيضا عن الشيخ السيد العارف بالله العالم العامل والشيخ الكامل القاضى سيدى أحمد سكريع ذى التأليف العديدة المفيدة ، بلغت مؤلفاته مائة وأربعين أيام إقامتى معه لتصحيحها

عام ثمان وخمسين ولعله زادها بعدى لأنه عاش بعدى خمس سنين وتوفى عام ثلاث وستين وثمانمائة وألف عن ثمان وستين سنة . كان شديد المحبة لصاحب الترجمة يلهج بذكره كثيراً وأنا أراه نسخة منه .

والله والله والله العظيم ومن أقام حجه للخلق برهاناً
إن الذى قلت بعض من محاسنه مازدت إلا لعلى زدت نقصانا

وقد أخذ أيضاً من سلالة القطب المكتوم وختم الولاية المعلوم سيدى محمود بن سيدى البشير التجانى أخى سيدى محمد الكبير المتقدم ذكره ، وكذلك أخذ عن سيدى محمد بن الغازى الرباطى وسيدى محمد النظيفى السوسى المراكشى صاحب الجريدة والتأليف المفيدة الشاهدة على قدمه فى الطريقة ، ومعرفته ، لقيته فى المحرم فى زاويته عام ثمان وخمسين وناولنا مؤلفاته وأجازنى فيها ، توفى عام سبع وستين عن نحو مائة سنة إلا سنتين .

وكذلك أخذ عن الشيخ الدرديرى الخليفة واد دوليب عن والده عن سيدى عمر بن سعيد ، وعن الشيخ مولود فال رضى الله عنه : والسيد إبراهيم ابن المختار الشنقيطى التشيتى ، وكذلك أخذ عن الحاج بنقاسم بوكابو الوهرانى ، وكذلك أخذ عن الشريف عبدالمنعم محمد المدفون بأم سعدون عن سيدى محمد العالى مباشرة ، وكذلك أخذ عن الشيخ مبشر بن سيدى عمر بن سعيد الفتوى ، وعن الشيخ إبراهيم الخزامى عن الشريف طاهر الحمادى عن السيد محمد بن المختار السقاى عن الشيخ التجانى رضى الله عنه .

وأما شياخته فى الحديث : فمذكورة فى إجازته لنا بأسانيدها إلى رسول الله ﷺ ، ولنذكر أصولها :

أخذ موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة رضى الله عنه عن إمام المحدثين العلامة محدث المغرب الأقصى الرحالة الشيخ محمد عبدالحى الكتانى بسنده إلى رسول الله ﷺ ، وله فيه طريق أخرى عن السيدة الصالحة أمة الله ابنة الحافظ الكبير الشيخ عبدالغنى الدهلوى عن أبيها بسنده إلى رسول الله ﷺ . ويروى صحيح البخارى عن العلامة محدث المغرب محمد عبدالحى المتقدم ذكره بسنده إلى رسول الله ﷺ ، ويروى كتب السنة والتفسير والفقه من طريق إمام دار الحديث بدمشق الشام شيخ المحدثين بالمشرق الشيخ بدر الدين الحسينى عن الشيخ إبراهيم السقاى عن الشيخ الأمير الصغير عن الشيخ الأمير الكبير عن شيوخه الذين حواهم ثبته المعروف « ثبت الأمير » .

ويروى السنة المحمدية وعلومها من فقه وتفسير وغير ذلك عن شيخنا السيد محمد عبدالحى الكتانى وعن الشيخ محمد الصادق الرياحى التونسى حفيد شيخ الإسلام سيد إبراهيم الرياحى عن العلامة الشيخ الطيب النيفر عن العلامة الشيخ الماحى الدارפורى المتوفى قرب المدينة المنورة

وهو عن شيخنا علامة زمانه سيد أحمد بن محمد التجاني الشريف الحسنى رضى الله عنه وهو عن الشيخ سيد محمود الكردي وهو عن شيخ الإسلام الشيخ الحنفى ، ويروى عن الشيخ الحنفى بسند أعلى من هذا عن الشيخ بدر الزهيرى الخلوئى المتوفى بطنطا سنة ١٣٦٣ هـ عن خمسين ومائة سنة وستة أيام عن والده الشيخ بدر عن شيخ الإسلام عبدالله الشرقاوى عن الشيخ الحنفى .

ويروى كتب السنة وغيرها عن العلامة الشيخ ألفا هاشم والشيخ محمد عبدالباقى الانصارى كلاهما عن الشيخ صالح الظاهرى وثبته وثبت الشيخ محمد عبدالباقى مطبوعان . ويروى عن المحدث الشيخ عبدالستار الصديقى الحنفى الهندى المتوفى بمكة المكرمة عنه مباشرة ويروى عنه وعن المحدث الصالح الشيخ عبدالله الغازى الهندى المكي عن العلامة الشيخ حسين بن السيد محمد الحسينى المكي ، ويروى عن الشريف العلامة الواصل الكامل الشيخ محمد خفاجى الدمياطى والشريف السيد كمال الدين القاوقجى ثبت والده العلامة الإمام العارف السيد الشيخ أبى المحاسن القاوقجى وهو مطبوع أيضا .

ونرجو من الله بمحبتنا له وبأخوتنا فى الله ومحبتنا فى الله وتصديقنا لسائر أولياء الله أن يجعلنا من الأمنين الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . سبحانه رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



مقارء الحديث

لقد انتشرت فى مصر مقارء للقرآن الكريم وأخرى للحديث الشريف ، ومقارء جمعت بين القرآن والحديث ، ولئن قلّت أو كادت لا توجد هذه المقارء إلا أنه يوجد حتى الآن بعض المقارء التى أعرفها شخصيا فى الشرقية منها فى قرية الجوسق « مقراءة » لصحيح البخارى فى بيت ال حجازى اكرمهم الله .

ومنها مقارء جامعة بين القرآن والحديث والمأثورات ودلائل الخيرات فى الساحة الهاشمية ببلدنا بنى عامر . . ونقدم للقراء هذا البحث المستفيض عن تلك المقارء :

مقارء الحديث النبوى

فى مصر

أما مقارء كتاب الله العزيز ، فلا زالت بحمد الله أهلة عامرة فى مصر ، ففى المساجد الكبرى يجتمع القارئون فى ساعات محددة ليتناوبوا القراءة فى أجزاء المصحف ، كما أن جماعات شتى فى المدن والقرى تحدد ليلات الجمعة ميعادا للتلاوة المباركة فى منازل مشتهرة يؤمها القارئون وفق نظام متبع ، حيث تكون لكل قارئ ليلته الأهلة فى منزله يستقبل بها إخوانه ومعهم أجزاء المصحف الكريم ليقوموا بالقراءة أسبوعيا دون عائق ، هذا غير الاجتماعات التعليمية لأعلام القراء ممن يتلون بقراءات غير قراءة حفص المشتهرة فى هذا البلاد ، تدارسا وتثقيفا وإماما بأحد علوم القرآن .

هذا عن قراءة كتاب الله .

فماذا عن قراءة الحديث النبوى الشريف ؟

الحق أن الجيل الماضى كان خاتمة لعهد زاهر حظيت فيه الكتب المشتهرة الجامعة لأحاديث رسول الله بالتلاوة المباركة إذ كانت تلقى من الاحتفاء والإقبال ما يجعل انتشارها سنة متبعة ، والمسنون من رجالنا اليوم يذكرون مجالس الشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ محمد إبراهيم السالموطى والشيخ منصور ناصف ، وكلهم من علماء الحديث ، يشرحونه فى الدروس الدينية تارة ، ويجلسون للاستماع المتصل تارة أخرى ، مما سنلم ببعضه بعد حين .

وقد يظن ظان أن تلاوة الحديث فى مجالس العلم لا تؤدى فائدتها الجزيلة إذا لم تقرن بالشرح بحيث يكون مجلس الحديث درسا لا قراءة ، والحقيقة أن نور الحديث يشع على القلوب المؤمنة فتأخذ بنصيبها فيه ، كل على حسب استعداده .

فالحديث كلام عربى يفيض على سامعيه وتاليه معا بأطيب النفحات ، وفيه ذكرى

(١) مقال بمجلة الأزهر ، جمادى الآخرة سنة ١٤٠٧هـ لفضيلة الدكتور محمد رجب البيومى

لمن كان له قلب ، فمحاولة الصد عن قراءته المتتابة استجابة لمعانى العجز والكسل
وحرمان من مجالس الخشوع والسمو وإصغاء لهواجس الريب الخادع ، فلينتبه الغافلون .

ومن فضل الله أن مصر - كنانة الله في أرضه - قد سعدت بالحديث النبوي منذ أشرق
الإسلام في ربوعها الأهلة ، إذ عرف تاريخها العلمى من رجالها محدثين أفذاذا عكفوا على
آثار رسول الله حفظا واستظهارا وفهما واستنباطا وإسنادا ، وصحائف التاريخ العلمى لمصر
تنطق باحتفائها البالغ بهذا العلم الشريف ، وقد اشتهر من رجال الحديث بها الإمام الشافعى
صاحب المذهب الفقهي والليث بن سعد وعبدالله بن وهب المصرى صاحب كتاب
(الجامع في الحديث) وشهرة الإمام الطحاوى المصرى بالحديث ذائعة لدى الدارسين ،
وله اجتهادات كانت موضع النظر حيث أجاز الرواية عن مستورى الحال ، وعارضه بعض
من لم يميزوا اتجاهه بأدلة لا مجال لاستقصائها الآن ، ثم توالى ركب المحدثين في مصر ليضم
أبابكر بن الحداد ، والحافظ ابن خزابة ، وأبا اسحق المالينى وأبا نصر البكرى ، وأبا اسحق
النعمانى والحافظ السلفى وابن دحية والحافظ المنذرى وابن دقيق العيد وتقى الدين السبكى
والبلقينى وابن حجر والعينى والقسطلانى والسيوطى ، ولكل منهم مقامه الجهير فى دنيا
الحديث ، وكيفا نطيل بذكر أمثال هؤلاء الأفذاذ فاننا نذكر ما يغنى عن السرد الطويل حتى
ننقل عن تاريخ الحركة العلمية فى العصر المملوكى أن صحيح البخارى وحده قد شرحه
أكثر من أربعين محدثا من أئمة هذا العصر ، نذكر منهم : سراج الدين البلقينى وأبا على بن
المنير ، والحافظ مغلطاي ، وشهاب الدين بن حجر ، وبدر الدين الزركشى ، وسراج
الدين بن الملقن ، وبدر الدين العينى وأبا العباس القسطلانى وبدر الدين الدمامينى ،
هذا عن البخارى وحده .

أما شروح مسلم والترمذى وسنن أبى داود والموطأ وسنن البيهقى وسنن ابن ماجه فقد
ذاعت كما ذاع شرح البخارى فى تصانيفه العديدة ذات الأجزاء الطوال ، وقد يفيد فى هذا
المجال أن يرجع القارىء إلى ما كتبه الأستاذ محمود رزق سليم فى الجزء الثانى من موسوعته ،
ففيه غناء واشباع^(١) ، وكل ذلك يشير إلى احتفاء مصر بحديث رسول الله فى زمنها
السالف !

وقد يكون مذكرناه تمهيدا منطقيا لبعض ما نريد .

(١) عصر سلاطين المالك ج ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦

كان الأزهريون في قديمهم الغابر لا يدرسون السنة في موجزات أو مختارات تتبع ببعض الشروح والتعليقات ، وتوصف بالمذكرات كما نشاهد اليوم ولكنهم كانوا يدرسون السنة في مصادرها الأصلية ، حيث يقرأ الكتاب من ألفه إلى يائه بعناية واحكام ، والمتتبع لتراجم العلماء في تاريخ الجبرتي ، يعجبه أن يجد الكتب الأصلية في السنة المطهرة مما درس طالب الأزهر ، فالشيخ شمس الدين الحنفى مثلاً يدرس في مجال السنة سنن أبى داود وسنن النسائي وسنن ابن ماجه والموطأ للإمام مالك ، ومسند الإمام الشافعى ومعجم الطبرانى وصحيح أبى حيان والمستدرک للنيسابورى .

وليس الحنفى بدعا في هذا الامام البارع بأمهات كتب الحديث ، بل ان زملاءه وأساتذته وتلاميذه كانوا ينتحون ما انتحاه ! وأكثرهم كان حريصا على أن يتصل اسمه برجال السند ليكون حلقة في السلسلة المنتهية بصاحب الأثر كالبخارى ومسلم ومالك !

هذا الشغف البالغ باتصال السند إلى أرقى مصادره في الكتاب المشروح دفع العلماء إلى الحرص على سماع المتن من الأساتذة في مجالس التلاوة ! وقد تخصص كل دارس بكتاب يختاره من كتب السنة ليذكر في حلقة اسناده ! ولكن العلامة الأمير رحمه الله قد دفعته همته إلى أن يكون حلقة في سلسلة السند لافي كتاب واحد بل في ثلاثة كتب من أمهات كتب الحديث هي الموطأ للإمام مالك وصحيح البخارى وصحيح مسلم ، وعنه روى الكثيرون في مجالس القراءة الواعية متون مالك والبخارى ومسلم ، وتوالى تلاميذه ومن تبعهم باحسان ، حتى ما قبل جيلنا المعاصر ، فاجتهدوا في الرواية ليصلوا بالسلسلة إلى مدها المتصل ، وباله من مجد حافل يحس الدارس شرفه في نفسه حين يعلم أنه سعد بعده بين الرواة ! لهذا كثرت مجالس القراءة للحديث النبوى يتصدرها محدث حافظ يتصل نسبه العلمى بآباء من كرام المحدثين ، وهو في مجلسه يستمع المتن مصححا ، وشارحا ومجيزا ، ولجلس الحديث رسمه الطاهر مأخوذا عن الإمام مالك بن أنس إذ كان يتزين لمجلس الحديث ، متوضئا فمصليا ركعتين ، فمستمعا إلى النص النبوى يتلى عليه من الموطأ في مهابة تعم الحلقة بمن فيها حتى قال فيه القائل :

يدع السؤال فلا يراجع هيبة والحاضرون نواكس الاذقان

وأى هيبة أروع من هيبة عالم امام بين يدى حديث رسول الله ، وفي حرمة الشريف ، على قيد خطوة من مقامه الكريم ، أجل ، كثرت مجالس التلاوة للحديث منذ ثابر عليها العلامة الأمير الكبير في مساجد عدة ، حتى إذا لحق بربه كان نجله العلامة محمد الأمير

الصغير خليفته، في أستاذية هذا المجلس ، وكأنه أحس أن مؤلفات والده وحواشيه في النحو والفقه والبيان والتفسير والتوحيد لم تكوّن وحدها شخصيته العلمية ، بل لابد من محاكاته في مجلس القراءة للحديث النبوي بمصر ليكون حلقة بعده في سلسلة الاسناد ، ثم جاء من بعده تلميذه العلامة إبراهيم السقا خطيب الجامع الأزهر ، فتسلم الراية هو ونفر من زملائه ، لكل شيخ مسجد خاص يتلى فيه حديث رسول الله ﷺ ، ثم عم الفضل وازدهر ، حين أخرج حلقة الشيخ السقا تلميذها المحدث الإمام سليم البشري ، شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، إذ كان مع تنوع معرفته العلمية متخصصا في الحديث رواية ودراية ، وقد قضى أكثر من تسعين عاما في حياته ، انصرف أكثرها إلى دراسة الحديث النبوي وتلاوته في مساجد السيدة زينب والسلطان الحنفى ومحمد أبى الذهب ! هذه المساجد التي أذاعت شهرة الشيخ سليم الحقيقة في علم الحديث حتى عرف بالشيخ المحدث وقال شاعر النيل حافظ إبراهيم في رثائه :

هو ركن الحديث فإى ركن لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عز البخارى ودع لله تعزية الكتاب
قضى الشيخ المحدث وهو يملئ على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسعون عزما ولا صدته عن درك الطلاب
وكأنى بحافظ إبراهيم يشير في البيت الأخير إلى جودة حفظه مع ارتفاع سنه ، لأن الشباب من تلاميذه قد هالهم أن يحفظ الأستاذ الأكبر موطأ مالك وصحيح البخارى ومسلم حفظا لم تنقص منه التسعون ، إذ بقيت له في شيخوخته ذاكرة الشباب بالنسبة لحديث رسول الله ﷺ ، وما تحقق ذلك إلا بمجالس القراءة المتواصلة للحديث الشريف ، وقد خرجت هذه المجالس ثلاثة من أفذاذ العلماء في هذا المضمار هم الأساتذة الكبار : محمد إبراهيم السمالوطى ، ويوسف الدجوى ، ومنصور ناصف ، وكلهم صاحب حلقة في تلاوة الحديث .

● المحدث الشيخ السمالوطى :

أما الأستاذ محمد إبراهيم السمالوطى فقد كان صاحب حلقة حديثية للشرح بالمسجد الحسينى ، وحلقة أخرى للقراءة بمسجد السيدة زينب ، وقد ذكرت مجلة الأزهر في نعيه ، بعدد صفر ١٣٥٥ هـ وكانت تسمى حينئذ مجلة (نور الإسلام) ذكرت أن له عناية خاصة بعلم الحديث دراية ورواية ، فكان نبراسا منيرا طالما سطع ضوءه في أفق هذا العلم فانتفع به الطلاب وجهاهير المسلمين ، وحاز بذلك عظيم التقدير ، وسلسلة نسبه الحديثى تتصل هكذا :

يروى السهالوطى عن سليم البشرى عن إبراهيم السقا عن الأمير الصغير عن الأمير
الكبير عن على الصعیدی عن محمد عقيلة المكي عن حسن العجمی عن أحمد بن محمد
اليمنى عن يحيى بن مكرم الطبرى عن ابن صدقة الدمشقى عن ابن عبد الأول الغوغانى
عن أبى لقمان يحيى بن عماد عن محمد بن يوسف الفربرى عن الإمام البخارى رضى الله
عنه : وقد يكون راو أو اثنان قد سقطا دون قصد ، ولكن السلسلة ذات واقع متداول
لالبس فيه .

● المحدث الشيخ منصور ناصف :

● أما الشيخ منصور ناصف ، فقد ألف كتاب التاج الجامع للأصول في خمسة أجزاء كبار ، وقد كان تلميذا في حلقة الشيخ سليم البشري ، وعهدى به في أوائل الأربعينيات من هذا القرن إذ كان يعقد مجلس القراءة بعد العصر من أيام الاثنين في المسجد الزينبي حيث كان أحد أئمته ، وكان هو الذى يتولى قراءة الحديث بنفسه ، إذ لم يكن له من تلاميذه من يقرأ وهو يستمع ! وأذكر أن أحد زملائنا من طلبة كلية اللغة العربية حينئذ لم يدرك مغزى الحلقة ، فبادر بعد انتهاء الشيخ من مجلسه ليسأله : مافائدة القراءة دون شرح ؟ فابتسم الشيخ وقال : الشرح موجود ، وله أوقات كثيرة ، والكتب المشروحة أكثر ، والشيخ منصور تلميذ البشري ، يقرأ البخارى عن سماعه سلسلة الإسناد الخاصة به هى سلسلة الشيخ السمالوطى حيث تماثل التلميذان في هذا المجال .

● المحدث الشيخ الدجوى :

أما النادرة العجيبة حقا فهو الأستاذ العلامة الشيخ يوسف الدجوى رحمه الله ، وكان له مجلسان ، مجلس للتفسير بالرواق العباسى ، ومجلس للحديث بالجامع الأزهر أولا ، وبمنزله أخيرا حين تقدمت به السن ، يقول الأستاذ الإمام عبدالحليم محمود عن مجلس الدجوى في التفسير^(١) .

« لقد كنا نحضر درس المرحوم العالم الكبير العارف بالله فضيلة الشيخ يوسف الدجوى ، فى الرواق العباسى ، بعد صلاة الفجر ، وكان درسا فى التفسير ، كان درسا رائعا حقا ، يجمع بين الدراسة الكسبية ، والالهامات الربانية وما يؤسف له أن أحدا لم يدون هذه الدروس ولو دونت لأفادت علمها ، وأفادت دررا من الالهامات » .

أما مجلس الحديث فما أكثر من انتفعوا بمشاهدته ، وكان من طلابه الأستاذ الكبير محمد زاهد الكوثرى وكيل المشيخة العثمانية وهو من غزارة علم ، وعمق بحث وسعة اطلاع ، يقول الشيخ الكوثرى^(٢) .

(١) شمس الدين الحفنى ص ٣٥ للدكتور عبدالحليم محمود .

(٢) الغيث المروى فى ترجمة الدجوى ص ٤٣ .

« وقد تلقيت موطأ مالك من الأستاذ الدجوى رحمه الله في مجالس آخرها في اليوم الثاني والعشرين من صفر ١٣٦١ هـ بقراءة عليه لجميعه إلا بعض مواضع يسيرة منه ، فقد ناوبني فيها الشيخ على الخصوص في بعض المجالس فأجازني به ، وبجميع ماله من الروايات اجازة عامة ، وساق سنده في الموطأ عن الشيخ أحمد منة الله عن الأمير الكبير بسنده بطريق السقاط ، ورجال هذا السند كلهم من المالكية من الأستاذ الدجوى الى الإمام مالك رضى الله عنه .

وإذن فالكوثرى من رواة الموطأ عن الدجوى حتى ينتهى إلى مالك بن أنس ، وقد ذكر الشيخ محمد حبيب الشنقيطى مؤلف (زاد المسلم) سلسلة له تتصل أيضا بصاحب الموطأ . وكان الشيخ حبيب الله أستاذا للحديث النبوى بكلية أصول الدين ، وكان يقرأ البخارى في ليال معروفة بمنزله القاهرى بالقلعة ، كان ذلك أثناء الحرب العالمية الثانية ، والكهرباء منطفئة ، ولكن أنوار الشموع تضىء في منزل الشيخ الشنقيطى بالقلعة ليوصل القارىء تلاوة الحديث باطمئنان ! .

هذه نماذج من مجالس الحديث النبوى في مصر ، نؤرخ لها لنبحث على استعادتها ، ولن أقول ان احياء الحديث النبوى قد اندثر بعد هذه المجالس فلدينا كتب أفردت للحديث النبوى ما بين جديد وقديم ، فحركة النشر والتأليف والتحقيق والتخريج والنقد والجرح والتعديل لاتزال تجد من المتخصصين في جامعات العلم من يقوم بها ، ودروس الحديث في المعاهد والكليات ، لاينقطع لها مد ، ومعاجم الحديث المفهرس تنشر وتذاع ، والدفاع عن السنة المطهرة له أبطاله المعلمون في ساحات الصيال ، يردون الهجوم المغرض ممن يلوون الحق بألستهم ليظهر في صورة الباطل ، ولكننا بعد ذلك كله في حاجة إلى مجالس الحديث تلاوة وعبادة ، لأن نور الحديث المتلويضىء قلب المؤمن كما يضىء القمر صفحة السماء .

أذكر أن الأستاذ الدكتور منصور فهمى قد تقدم للدكتوراه في باريس برسالة عن المرأة جانب الحق في اتجاهها المعوج ، إذ ألصقت بالإسلام ما ليس فيه ، وقامت القيامة في مصر ، تفنيدا واستنكارا ، ولم يستطع الدكتور منصور أن يواجه العاصفة ، ولكنه اهتدى إلى الشيخ الأكبر حسونة النواوى شيخ الأزهر إذ ذاك يسترشده ويستهديه ، فما كان من الشيخ إلا أن قدم له صحيح البخارى ليقرأ أحاديثه بامعان ، وخلا الدكتور إلى كلام الرسول شهورا متصلة ، فأشرق نور الحق في قلبه ، ولس من أسرار الشريعة ما كان غائبا

عن وعيه ، وأعلن في مذكراته أن صحيح البخارى قد هداه إلى الصراط المستقيم ، والدكتور منصور أديب مفكر ذو منطق وبيان ، ومثله لا يصدر حكمه دون اقتناع ، فإذا صحح له حديث الرسول ماشط من آرائه ، فعن يقين يرفده العقل وتضيئه الحجة حتى يسلس القياد ، وهذا ماكان .

ان مجالس الحديث النبوى تنتظر من يعيدها ، وجبذا لو عرفت مساجد خاصة بتلاوتها في أيام تحدد ، وساعات ترصد ، إنها تكون حينئذ واحة الظل في هجير الصحراء ، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله . أ . هـ .

د . محمد رجب البيومى

ترجمة المؤلفين

١ - أ . د . الحسينى هاشم

٢ - أ . د . أحمد عمر هاشم

المحدث الشيخ الحسينى هاشم

هو الشيخ الجليل المحدث فضيلة الاستاذ الدكتور الحسينى عبدالمجيد هاشم ، أحد شيوخ الحديث النابهين فى الأزهر الشريف وأحد شيوخ الطريقة الهاشمية الذين لهم فضلهم وعلمهم ، وأحد أعلام الإسلام الذين طوفوا بالأقطار الإسلامية ونشروا فى أرجائها العلم والحديث .

حفظ القرآن الكريم منذ صغره والتحق بالأزهر الشريف حتى حصل على الدكتوراه .

ومن عرفه عرف الساحة والنبيل والعلم والورع وسنقدم ترجمة موجزة لحياته ، ونردفها ببحث شيق كتبه صديق عمره فضيلة الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومى ، وكان قد نشره فى مجلة الأزهر الشريف .

الاسم الاستاذ الدكتور حسين عبدالمجيد السيد هاشم « والشهرة - الحسينى عبدالمجيد هاشم » .

تاريخ الميلاد : ١٩٢٥/٣/٢١ م

جهة الميلاد : بنى عامر - مركز الزقازيق - محافظة الشرقية

محل الإقامة : ٨ شارع أحمد سمير الصاوى - شقة ٦ - عمارة مسجد الصفا - أمام قصر

الطاهرة - سراى القبة - القاهرة - ج. م. ع

المؤهلات : الشهادة العالية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣ - جامعة الأزهر .

شهادة العالية مع اجازة التدريس عام ١٩٥٤ - شهادة العالمية (الدكتوراه) مع درجة استاذ عام ١٩٦٤ .

تاريخ التعيين : ١٩٥٤/١٢/٥

التدرج الوظيفى : مدرس بالمعاهد الدينية ١٩٥٤/١٢/٥ مدرس تفسير وحديث

بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٩٦٥/١٢/١٩ استاذ مساعد بقسم الحديث بكلية

أصول الدين جامعة الأزهر ١٩٧١/٦/٣٠ - وكيل وزارة لشئون مكتب فضيلة شيخ الأزهر

١٩٧٧/٧/٢٥ وكيل وزارة - أمين عام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٨/٦/٨ .

ثم عين وكيلًا للأزهر الشريف وظل فى هذا المنصب حتى لحق بربه تعالى رحمه الله رحمة واسعة .

تدرج الدرجات :

- مدرس بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر ١٩٦٥/١٢/١٩
- استاذ مساعد بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر ١٩٧١/٦/٣٠
- استاذ بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر ١٩٧٦/٧/٧
- وكيل وزارة لشئون مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر ١٩٧٧/٧/٢٥
- وكيل وزارة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨/٦/٨
- عضو مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧٨/٦/٨
- عضو المجلس الصوفي الأعلى
- عضو جمعية التراث
- عضو لجنة الاقتصاد الإسلامية العليا
- عضو اتحاد الكتاب
- مقرر اللجنة التحضيرية للمجلس الإسلامي الأعلى

المؤلفات

- ١- الإمام البخارى محدثا وفقيها - مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر
- ٢- اصول الحديث النبوى ومقاييسه - مكتبة الرافعى
- ٣- شرح رياض الصالحين جزء ١ - المكتبة الحديثة
- ٤- شرح رياض الصالحين جزء ٢ - المكتبة الحديثة
- ٥- حجة الإسلام الإمام الغزالى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
- ٦- البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جزء ١ - طبعة الأزهر
- ٧- البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جزء ٢ - طبعة الأزهر
- ٨- البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف جزء ٣ - طبعة الأزهر
- ٩- الوهى الإلهى - دار الكتاب العربى
- ١٠- الرصافى - طبعة الدار القومية للطباعة والنشر
- ١١- مسند الإمام أحمد الجزء ١٦ - طبعة دار المعارف
- ١٢- مسند الإمام أحمد الجزء ١٧ - طبعة دار المعارف
- ١٣- مسند الإمام أحمد الجزء ١٨ - طبعة دار المعارف
- ١٤- مسند الإمام أحمد الجزء ١٩ - طبعة دار المعارف
- ١٥- مسند الإمام أحمد الجزء ٢٠ - طبعة دار المعارف

- ١٦- بحث عن صحيح الترمذى - دار التراث الإنسانية
- ١٧- تفسير الفخر الرازى - دار التراث الإنسانية
- ١٨- ابن جنى - دار التراث الإنسانية
- ١٩- الفكر الإسلامى ومقارنة الأديان - تحت الطبع
- ٢٠- دائرة معارف السنة الشريفة (عشرون جزء تقريباً) - تحت الطبع
- ٢١- مفاهيم إسلامية - طبعة المجلس الأعلى للثئون الإسلامية
- ٢٢- أئمة الحديث - طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
- ٢٣- الدين القيم - جزءان - طبع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

الإشراف العلمى :

أشرف على عشرات من رسائل الدكتوراه والمجستير فى مصر والبلاد العربية .

البعثات للخارج :

- ١- ندب للتدريس بمعهد القويرى بليبيا ٢٣/١١/١٩٥٧ حتى ٤/١٠/١٩٥٨
- ٢- ندب للتدريس بجامعة أم درمان بالسودان عام ١٩٦٦ حتى ٣١/٧/١٩٦٩
- ٣- ندب للتدريس بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة
- ٢٤/٩/١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٧ أستاذاً بها بقسم الدراسات العليا . .

المؤتمرات :

- ١- مؤتمر القرآن بالسودان عام ١٩٦٨ .
- ٢- مؤتمر الهيئات الإسلامية برابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة عام ١٩٥٧ .
- ٣- المؤتمر الإسلامى العالمى بسيرى لانكا من ٣٠/٦/١٩٧٨ إلى ٣/٧/١٩٧٨ .
- ٤- المؤتمر السنوى العاشر للجمعية التعليمية الإسلامية فى كيرالا بالهند من ٣: ٥ مارس سنة ١٩٧٨ .
- ٥- مؤتمر العلوم الإسلامية الثانى فى استنبول - جمهورية تركيا - من ١٨: ٢١/٩/١٩٨١ .
- ٦- مؤتمر الحلقة الدراسية - بنيامى - بالنيجر - فى ١/٦/١٩٧٨ وموضوعها - الحريات وحقوق الإنسان فى نظر الإسلام .
- ٧- حضور اجتماعات اللجنة الفنية المشتركة للتعليم والبحث العلمى بالخرطوم من ٥: ١١ مايو ١٩٧٨ .
- ٨- حضور الندوة التى ينظمها المركز الإسلامى فى واشنطن عن الإسلام فى العالم المعاصر وذلك لمدة عشرة أيام ومدة الندوة من ٧ فبراير إلى ٩ فبراير ١٩٨٠ .

المحدث الشيخ الحسينى هاشم من أعلام الأزهر

أكتب هذا المقال وأنا مشرد الذهن ، مبليبل الخاطر ، فقد فاجأنى نعى الشيخ الحسينى هاشم مفاجأة قاسية ، لم يسبق لها تمهيد يلفظ من حديثها .

وكل من يعرف الراحل الكريم قد استشعر مزيد اللوعة على فقده ، إذ كان من هؤلاء الصفوة الذين يحوزون حب الناس جميعاً ، فلا تجد لهم إنساناً واحداً يقاسمهم العداوة وذلك لسلوك مثالى يتأرجح بعبير الإسلام ، ويضرب المثل فى كرم النفس ، وسلامة الصدر ، وكرم الإيثار مع تواضع أصيل لا يعرف التصنع ، ونبل عريق يتحاشى المباهاة .

وقد نشأ الحسينى فى أسرة طاهرة تجمع عناصر الفتوة الإسلامية الأصيلة ، وتتمسك بتقاليد الإسلام فيما تأخذ وفيما تدع ، وترجم عن شمائل الطبيعة النقية ، والفطرة الخالصة التى جبلها الله على المودة والحب والتقوى المتحرزة عن الصغار الدافعة إلى البذل والإيثار .

لقد زاملت الفقيد فى عهد الدراسة الأولى ، وزرت بيته الكريم فى «بنى عامر» إحدى قرى الشرقية ، فكنت أجد عميد الأسرة العارف بالله الشيخ أحمد هاشم رائع الهيبة ، فياض البر ، حسن اللقاء ، كان زعيماً دينياً تهوى إليه القلوب من كل فج ، فمسجده الفسيح آهل «بالغادى والرائح» وبيته العامر نافح بالخير والزاد لكل وافد .

وأصوات التسبيح تتردد فى كل مكان ، ومجالس البر والمصالحة والدعوة إلى التثام الشمل لاتكاد تنقطع ، إذ مايكاد يقع حادث فى قرى الشرقية ، حتى يلجأ المتنازعون إلى الشيخ الكبير وكأنه رئيس محكمة رسمية ، فيفصل فى الأمر فصل الحكم العدل ، ويجد من حلاوة القبول وسماحة الرضا مايسهل العسير مهما كان شاقاً حرجاً .

والقرى المصرية فى حاجة إلى هذا النمط من الهداة ، يكونون موضع الثقة البالغة من النفوس ، فيجذبون إلى ساحة الخير كل شارد ، ويضمّدون بالحكمة والموعظة الحسنة دامى الجراح .

(١) كتب هذه الترجمة فضيلة الاستاذ الدكتور محمد رجب اليومى ونشرت بمجلة الأزهر فى ربيع الأول

سنة ١٤٠٧هـ

حدثني عالم كبير من مفكرى أبناء الشرقية فقال : ما عرفت رجلاً كالشيخ أحمد هاشم ، وقع نزاع بين قريتين وسالت الدماء وطالب كل فريق بالثأر ، وجاء الخبر إلى العارف بربه فهرع سريعاً إلى القريتين ، ودعا السكان جميعاً إلى ضيافته في قريته يوم الجمعة فانهاالت الوفود خلف الوفود حتى ضاقت بهم الأرض ، ووسعهم منزل الرجل ساحة وإيناساً وطعاماً وشراباً ثم استمع إلى كل فريق ، وأشار بالصلح داعياً إلى التجاوز فراضى المتخاصمون على كثرتهم المفرطة وخرجوا أحبباً يتعانقون !

في هذه البيئة الكريمة نشأ الشيخ الحسيني هاشم كما نشأ ابن عمه الشيخ محمود هاشم .

وقد كنا بمعهد الزقازيق الديني نزور « بنى عامر » في أيام الخميس والجمعة ، لننتقل إلى جوديني خالص ولنرى مثلاً نادراً لا يعرفه على حقيقته إلا من شاهده فالشيخ الكبير لا يكاد ينام الليل فإذا أذن الفجر تقدم الناس إلى الصلاة ثم دعا بأكواب اللبن ففرقها بنفسه على الحضور قبل أن يبارحوا المسجد ، ثم يمضى إلى الساحة ليستقبل الناس مستمعاً إلى ما يرجون ، وهو لا يني عن التسبيح والذكر ، ومراعاة الوافدين بأكثر مما يستطيع .

[النشأة الأولى]

في هذا الأفق الملائكي الناضر عرفت الحسيني هاشم طالباً بمعهد الزقازيق ، فعرفت شأئله التي لازمته صغيراً ، وصحبته كبيراً ، دون أن يتغير في شيء كان منذ صغره حياً خجولاً ، لا يقتحم المجالس ، ولا يرفع الصوت بالمعارضة . بل كان يقبل على الدرس في صمت ، ويسأل أستاذه في هدوء ، ويتعهد رقيقى الحال من زملائه بالمعونة ، فكان يشترى الكتب الدراسية لبعض من لم يستطع الشراء ، وكان منزله في عهد الطلب صورة مصغرة من منزله الآن في عهده الأخير ، يؤمه الزملاء عن محبة رغبة ، وود أكيد فلا يجدون غير البشاشة الحانية .

وقد وفقه الله في ميدان التحصيل منذ نشأته متجهاً إلى حقل الدعوة الدينية خطيباً في المساجد ، وواعظاً في الندوات ، ثم التحق بكلية أصول الدين .

من أعلام الأزهر

ولم يشأ أن يقصر دراسته على العلم وحده ، فاتجه إلى الأدب ، ونشر في الصحف الأسبوعية مقالات تنبىء عن موهبة واستعداد ، وما كان يعرف الزهو في شيء ، بل كان يعرض نتاجه الأدبي في حياء بالغ ، وكنت موضع مشورته إذ ذاك فجعلت أقارن بين تواضعه الخجول على حسن استعداده وتسامخ غيره على جذب موهبته فأرى عجباً أى عجب .

وقد لا يعرف القارئ أن الحسينى هاشم نشأ شاعراً ، ونظم عدة قصائد لم تحظ بقبوله فآثر الاغضاء عنها ، ماتت إحدى شقيقاته وهو طالب بكلية أصول الدين فبكاه بدموعه ، ثم استجاب إلى قريحته فنظم قصيدة باكية بادر بقراءتها على في مسودتها المتواضعة ، فأخذتها منه ، ثم تقدمت بها إلى مجلة الثقافة دون أن يعلم فنشرت بالعدد الصادر بتاريخ ٣ يولية سنة ١٩٥٠ ، ومنها هذه الأبيات .

قل للنواعس بعدها	إن المحاسن في التراب
قل للورود تبعثرى	فألروض أصبح كاليباب
وقع المصاب وليس كل	مصيبة مثل المصاب
أنا لا أحس من الحيا	ة سوى التيعاضطراب
أنا لست جبارا فلا	أقوى على حمل المصاب
ياموت أنت فجعتنى	فامسح بنفسك ذا العذاب
أنقذ وجودى من حيا	ة عيشها السم المذاب
فالقبر آمال الذى	فقد الأحبة والصحاب

وفاجأت الحسينى بالقصيدة على صفحات مجلة الثقافة وهى حينئذ من مجلات الأدب ، ذات القدر الرفيع ، ولازلت أذكر ، ابتسامه الطريف وهو يقول : أنت بعثتها للمطبعة دون أن يقرأها الدكتور أحمد أمين

فى ميدان الوظيفة

بعد أن تخرج الحسينى من كلية أصول الدين عين أستاذا للتفسير والحديث بمعهد الزقازيق الدينى ، ثم انتدب إلى التدريس بمعهد غزة الدينى ، وغزة يومئذ فى كنف الإدارة المصرية ، ولكنه لم ينس صحبته للكتابة العلمية النافعة بالمجلات الدينية ، وهى صحبة وثيقة الصلة بمشاعره الذاتية .

وكانت المناسبات العلمية تدعوه إلى السجال العلمى بين الأساتذة والنظرء من زملائه ، والمجال العلمى يتطلب اعتدادا وجرأة ، وهما غير ماطبع عليه الحسينى من تواضع وهذوء ، ولكنه عمل على التوفيق بين النزاعات المتضاربة ليسهم بدوره فى تصحيح الأخطاء ونصرة ما يراه من الحق المبين .

(١) للاستاذ الدكتور الحسينى رحمه الله قصيدة « القدوة الحسنة والإدارة الاسلامية » نشرت بمجلة الأزهر عدد « صفر ١٤٠٤ ص ٢٤٥ » - مجلة الأزهر .

أذكر أن عالماً كبيراً من أساتذته أخرج مؤلفاً علمياً ألم فيه بحديث عن المفسر المؤرخ
أبى جعفر الطبرى فلم يضعه موضعه العلمى الصحيح بل قاسه بغير ميزان عصره ، إذ
لابد من تقرير البيئة العلمية الخاصة في كل زمان .

وقد قرأ الحسينى ماكتب أستاذة عن الطبرى ، وتخرج أن يقف منه موقف المعارض ،
كما تخرج أن يسكت عن خطأ يجب تصحيحه ، وأذكر أنه قابلنى حينئذ ، فأشرت عليه أن
يقول مالدیه دون تخرج ، فاختلاف الرأى لايفسد قضية الود ولكنه سكت قليلاً ثم قال ،
سأنشر فصلاً « بمجلة الأزهر » عن مكانة أبى جعفر الطبرى فى التفسير والتاريخ فأصحح
أخطاء الأستاذ دون أن أشير إليه ، فاذا ألم القراء بهقالى عن الطبرى أدركوا ماأعنيه دون أن أجابه
أستاذى ، وفعلاً ظهر عدد رمضان سنة ١٣٨٣هـ من مجلة « الأزهر » يتضمن كلام الحسينى عن
الطبرى دون أن يشعر أحد أنه يصحح خطأ رآه .

وهذا السلوك النفسى يكشف عن مشاعر الرجل ، ويصور مذهبه الخلقى الذى التزمه
طيلة حياته ، ولو كنت مكانه لنقدت المقال مصرحاً بخطأ من وقع فى الخطأ ، فما من أحد
ينجو من الاعتراض ، ولكن الطبائع تتعدد ، وأشرف هذه الطبائع ماالتجته بصاحبها إلى
المسالمة والاحتياط .

ولأنسى لموقفاً آخر للحسينى ، فقد كتب أحد زملائه مقالاً علمياً « بمجلة الأزهر »
ذهب فيه إلى أن « البسملة » ليست جزءاً من السورة القرآنية وساق أدلة جمعها من أقوال
بعض العلماء ، فلم يقع المقال موقع القبول من الحسينى ، وكتب رداً مؤيداً بالحج نشرته
« مجلة الأزهر » وعقب عليه الأستاذ عبداللطيف السبكى مؤيداً مزكياً ، ولكن الدكتور
الحسينى أشار إلى الزميل بوضوح ، وحين سألته عن اختلاف مسلكه فى النقد عما عرفته
منه حين كتب مقاله عن الطبرى ، قال : إن الأول أستاذى وله حق الإذعان .

والثانى زميلى ، ومن حقه أن يبدى الرأى ، ومن حقى أن أعقب !

هذا وقد كان أحد العلماء نشر مقالاً بجريدة الجمهورية عن تعدد
الزوجات فى الإسلام نزع فيه منزعا غاليا ، فرد عليه الحسينى بأدلة مقنعة ، ولكن جريدة
الجمهورية حينئذ لم تنشر رد الحسينى فقابلنى ليقدم إلى ماكتب ، وليسأل فى تواضع : هل
أنا مخطئ ؟ قلت : أنا لمعك ، وأبعث بردك إلى مجلة الأزهر لأن تجلية الحقائق على صفحاتها
أكمل وأوفى ، وقد كان ، فنشر الحسينى رده بعدد شوال ١٣٨٠هـ ، وأذكر أن الأستاذ

الزيات قد حذف منه بعض الحقائق المشتهرة لذيوعها ، وكان صدر الحسينى فسيحا حين
قال لى : إن الزيات يعلمنا كيف نهجر المقدمات وندخل فى الموضوع !

رسالة الدكتوراه عن البخارى

التحق الحسينى بالدراسات العليا بكلية أصول الدين ، وهو مدرس بالمعهد الدينى ،
ووفق بنجاح حتى حصل على درجة الدكتوراه برسالته العلمية عن « الإمام البخارى محدثاً
وفقيهاً » ، وهى أنضج ماكتب الدكتور بحثاً واستقصاء ودفاعاً عن السنة المجيدة وقد كانت
المناسبة ملحة لصدور مثل هذه الرسالة القيمة ، لأن الجو الدينى قد تسمم بكتاب سماه
صاحبه « أضواء على السنة المحمدية » وقد لاقى قبولاً من زعانف مغرضة لاتعرف عن
تدوين السنة شيئاً ، وقد سرها أن يكون هذا الكتاب معول هدم للحقائق الثابتة فأكثر
له الطبل المدوى دون تحقيق .

وكان من العجب العاجب أن الذين عدوه بحثاً رائعاً فى بابيه ليسوا من رجال الحديث ،
ولا يكادون يلمون بحقائق العلم الصحيح ، وكانت الأمانة العلمية تدعوهم إلى أن يقفوا
فى الكتابة عند اختصاصهم ، ولكنها مصر التى تفتح باب الحديث عن كتب الإسلام لكل
كاتب ، علم أو جهل ، فجاء كتاب الدكتور الحسينى ليفند ماسيق من لغط لاتراعى فيه
الحقيقة ، ولاتؤخذ من لبابها الصحيح .

والحسينى هادى الطبع ، مهذب النقاش وهو بهدوء طبعه ، وسلامة منهجه ، يجذب
إليه المنصفين ممن ينشدون الاستماع إلى القول دون صخب مفرق ، لأن الضجيج وإن كان
فى موكب الحق لا يتعب الاقناع الشافى ، ولكن التمسك بأداب البحث والمناظرة فى دفع
الحجة ، وايضاح الدليل هو السبب القريب إلى الاقناع ، وإذا كان البخارى رضى الله عنه
قد اشتهر بالحديث وحده فإن الناحية الفقهية فى أثره العلمى كانت فى حاجة إلى مزيد من
الجللاء .

وقد قدم الحسينى إمام المحدثين فقيهاً له منحاه الهادى فى الاستدلال والتوجيه
والاعتصام بالأثر النبوى فى رأى ، والباب الرابع من الرسالة الخاص بفقه البخارى يجمع
من الحقائق المتناثرة مايؤلف موضوعاً جديداً نسج الحسينى خطوطه خيطاً خيطاً حتى استوى
ضافى الذبول بهيج الرواء ! وقد أفاض فى الحديث عن نشأة البخارى وحياته العلمية ، وعن
حركة تدوين السنة قبل الإمام ، وعن منهج البخارى فى التدوين .

وأذكر أن بعض الناقدين أخذ على الحسيني تعصبه الشديد للبخاري ! وهو مأخذ موضع نظر ، لأن المؤلف يتعصب للحق حين يتعصب للإمام ، وماذا عسى ينتظر القارئ من دارس يتحدث عن إمام تناوله الأدعياء بالطعن المغرض فزعموا أن الصحيح في كتابه الخالد قليل قليل ! إنها فرية مغرضة لا يكون دفعها تعصبا للرجل بل تعصبا للحقيقة التي أوشكت أن تضيع بين قوم يهرفون بما لا يعرفون .

لقد خصص الباحث ثلاثة فصول من كتابه للرد على الشبه الظالمة التي تنسج افتراء حول السنة المطهرة ، وهو في الوقت نفسه يظهر صحة المنهج الذي احتذاه البخاري في التدوين ، وإذا كانت هذه الشبهة قد ترددت في كتب الاستشراق فقد أجاد الباحث، تتبعها في مظانها تتبعاً يقظاً حذراً ، كما سرد بعض الأحاديث التي وجه إليها الطعن وبين خطأ ما قيل، عرض لما قاله الأستاذ الدكتور أحمد أمين في ضحى الإسلام إذ أشار إلى قلة اهتمام الدارسين بالمتن ، وكثرة اهتمامهم بالسند فذكر أن الاهتمام بالسند والمتن معاً كان من دأب المحدثين .

وأظن أستاذنا الخضر حسين رحمه الله قد كتب فصلاً خاصاً بهذه الناحية جلا فيه الحقيقة جلاء ساطعاً ، ولعل كثرة الحديث عن رجال الاسناد والحرص على تدوين حياتهم وتتبع ما روى من أخلاقهم تتبعاً دقيقاً لا يغفل الهاجسة المستترة هو الذي أكثر الحديث عن رجال الاسناد بصورة جعلت ما قيل عن المتن يبدو في صورة أقل ! ولكن المسألة ليست مسألة كم فحسب ، فقد فحص السند كما فحص المتن .

وإذا كان الحسيني قد اهتم بتفنيد كل مادعاء المغرضون من ريب ، فقد قام مقاماً كبيراً ، وقد بلغ رسالته العلمية مبلغ الجودة المتقنة ، ذات الهدف النبيل .

أعمال شتى

تصدر الدكتور الحسيني بعد الدكتوراه لتدريس الحديث بكلية أصول الدين في مصر ، وفي كليات مماثلة بالسودان والمملكة العربية السعودية ، وأصدر كثيراً من الكتب لتلاميذه في هذا المجال ، وقد كان أثيراً لدى تلاميذه وزملائه معاً لما حباه الله من خلق نبيل .

أذكر أنه في أثناء بعثته إلى المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة تولى تدريس الحديث لطلبة الدراسات العليا بكلية الشريعة هناك ، وكان بعض أساتذته بكلية أصول الدين بمصر يزامله في التدريس للمادة ، في فرقة مماثلة ، فتوجه - رحمه الله - إلى أستاذه في قاعة

الدرس وجلس في صفوف التلاميذ ، فدهش الأستاذ وتساءل عن موقف الحسيني ، فقال الدكتور في براءة ، أنا تلميذك ، وقد كنت أستمع إليك في كلية أصول الدين بمصر ، ولا بد أن أواصل الاستماع هنا لأستفيد ، فقام الأستاذ وعانقه متأثراً .

وأنا أحرص على تدوين هذه المآثر الخلقية لأنها نادرة الوقوع في زمننا هذا .

وإذا صدرت عن مثل الدكتور الحسيني فإنها تصبح مظنة القدوة ، وموضع الاحتذاء ، ممن يسرهم أن يتمسكوا بالصراط القويم .

أذكر أن المحدث الكبير المغفور له الأستاذ أحمد محمد شاكر كان يقوم على إخراج « مسند الإمام أحمد بن حنبل » في عدة أجزاء بلغت العشرين^(١) وقد أوفى على الغاية في دقة التخريج ، والصبر على المراجعة والتوفيق بين الروايات المختلفة بما لا يستغرب من مثله ، ثم انتقل إلى رحمة الله ، فرأى الناشر أن يستعين بالدكتور الحسيني في تهيئة مابقى من أجزاء المسند . وقد كنت في زيارة الحسيني فوجدته يقول في حيرة ، لقد عهد إلى أن أقوم مقام العلامة الشيخ أحمد شاكر ، وأين أنا منه ؟ بل أين أنا من تلاميذه ؟ إن العبء ضخم ، والجهد محدود ، فماذا ترى ؟

قلت إن حبك لحديث رسول الله سيمدك بالعزم والأيد إن شاء الله ، فصاح الحسيني يقول : والله لقد استحيت من رسول الله أن أرفض هذا العمل ، وسأبذل جهدي ، فإذا قصرت عن الغاية المثلى التي التزمها الشيخ شاكر ، فليغفر الله لي .

وقد نشر الحسيني بعض الأجزاء وتقدير عمله العلمي يرجع إلى ذوى الاختصاص .

أحاديثه الإذاعية

عرفنا معدن الدكتور الحسيني العلمي فيما كتبه عن البخاري رضى الله عنه وكذلك فيما أخرجه عن « الوحي الالهي » وعن « أئمة الحديث النبوي » وغيرهما من بحوثه المشتهرة ، وأذكر أنه أصدر كتاباً عن الشاعر العراقي معروف الرصافي يلم بمواقفه الاجتماعية والقومية ، مما يدل على أنه لم ينس هويته الأولى للأدب ، وشغفه بالشعر ، والمقالة الفنية .

(١) ما طبع من مسند أحمد بدار المعارف قبل أن يتولى الدكتور الحسيني هاشم مهمته باخراج المسند - خمسة عشر جزءاً .

أما ما أشير إليه الآن فهو أحاديثه الدينية التي يلقيها في الإذاعة والتلفزيون وقد جمع بعضها في كتابه « الدين القيم » بجزأيه ، وهي أحاديث سهلة ذات منزع ميسر ، حدده الإمام الأكبر عبدالحليم محمود رحمه الله ، حيث أوصى تلميذه وصهره الدكتور الحسيني بمراعاة حق العامة في الهداية والارشاد إذ رأى الإمام الأكبر أن فريقاً من كبار المتحدثين لا يفرقون بين الكلمة المذاعة والمقال العلمي ، فهم يتحدثون جمهرة المستمعين ، وكأنهم يؤلفون كتاباً ، والإمام الأكبر يدعو المتحدث في مجال عام أن يراعى حق الجمهور في استيعاب النفع ، ويأخذ على فريق من العلماء محاولة غموض مصطنع لا يصل بالمعلومات الدينية إلى ذهن السامع من أيسر طريق .

وقد استجاب الحسيني في أحاديثه العامة إلى دعوة أستاذه ، فتعمد التبسيط تعمداً ، وأذكر أنى قلت له في مجال الحوار الخاص بهذه النقطة أن الأستاذ الكبير الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله كان يرضى حاجة العامة والخاصة معاً ، بوضوحه ودقته ، إذ كان يحسن اجتماعهما معاً ، فسامعه يتشبع بآرائه مهما بلغت درجة ثقافته ارتفاعاً وانخفاضاً ، ذكرت ذلك للحسيني فقال ، ومن مثل دراز حتى ينحو منحاه ؟

ولست بذلك أضائل من قدر الأحاديث الإذاعية ولكنى أعرف أن مقتضى الحال سر بلاغى دعا إليه النقاد ، وأن التيسير أولى من التعسير إذا وجه الخطاب إلى الجمهور ، والنفوس البشرية تسأم الجدل المتعمق ، ومن واجب الداعية أن يمهّد لهذه النفوس طريق الاصغاء ، لا أن يدعوها إلى العزوف .

على أن الحسيني لم يقتصر على أحاديث الإذاعة إذ كان يزور مساجد الشرقية زيارات متتابعة ليلقى العظات الموسمية ، وإن القرى الهادئة في مراكز منيا القمح وكفر صقر وأبو حماد وبلبيس وفاقوس وغيرها . وقد سعدت بالراحل العزيز ، واطمأنت إلى وعظه المتكرر ، كما استشعرت حزناً على فقده ، إذ كان مصباح توجيهه ، إواء هادية .

لقد مضى الداعية العارف بالله الشيخ محمود هاشم إلى ربه ، فكان بقاء الحسيني من بعده عزاء للذين يعرفون مكانة الأسرة الهاشمية في المجتمع الإسلامى .

وقد شاء الله أن يلحق به ، لينكأ جرحاً لا يجد الاندمال ، ولكن الله لن يضيع ما تواصلوا بالحق ، واعتصموا بالخير وسيهيء من الخلف من يرعى أمانة السلف أما وحشتى القاسية لرحيل الحسيني فليس لها غير الصبر الجميل .

المحدث الدكتور أحمد عمر هاشم

فى قرية الشيخ أبى هاشم ببنى عامر من قرى محافظة الشرقية ولد د. أحمد عمر إبراهيم
إسماعيل محمد الهاشمى العزازى الحسينى ، يصل نسبه إلى سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب
رضى الله عنه .

كان والدى رحمه الله رحمة واسعة من أحرزوا العلم القديم فى الأزهر القديم ، وتفرغ للدعوة
والطريق ، ونذرني لخدمة العلم والأزهر ، فنشأت أول منشآت فى كتاب القرية أحفظ القرآن
الكريم ، ثم التحقت بمعهد الزقازيق الدينى وفى المرحلة الاعدادية « وكانت تسمى قديما :
الابتدائية » الفت كتابا عبارة عن قصة أدبية ، وقصائد شعرية بعنوان : « نهاية أمل » وفى المرحلة
الثانوية الفت مسرحية دينية مستمدة من كتاب الله تعالى بعنوان « أصحاب الجنة » .

وبعد انتهاء المرحلة الثانوية التحقت بكلية أصول الدين وقد كنت محبا لدراستها ، مقبلا على
علومها ، يدفعنى إلى ذلك ما كنت اطمح إليه من الدراسات الاسلامية ودراسة السنة النبوية
وماكان يرجوه والدى رحمه الله أن أكون احد علماء الإسلام واستقبلت الدراسة فى الكلية بهذه
القصيدة التى نشرت فى احدى صحف الكلية آنئذ :

لما دخلتك يا أصول الدين	قد زاد حبى واطمأن يقينى
ورأيت فيك مشاهداً وفاقه	بالخير من حين هناك لحين
فعميدنا الورع التقى وصاحب السقلب	النقى رعى أصول الدين
لم يأل جهداً إنه حفز النهى	وبنوره وصلاحه يهدينى
يا رب قد يمت وجهى شطركم	وكفى بهذا يا أجل معين
كلية الإسلام أنت منارة	سيما الهدى يبدو بكل جبن
ضمى إليك الوافدين فإنهم	قد شاقهم لدناك ألف حنين
رب الورى يربك حق رعاية	يا خير حصن للدعاة حصين

وبعد أن انتهت مرحلة الدراسة من كلية أصول الدين عينت - لمدة عام واحد - مدرسا
بمعهد الزقازيق الدينى ثم عينت معيداً بكلية أصول الدين بالقاهرة . ثم مدرساً مساعداً فمدرساً
فأستاذاً مساعداً فرئيساً لقسم الحديث فعميداً لكلية أصول الدين بالزقازيق . ثم نائباً لرئيس
جامعة الأزهر لشئون التعليم والطلاب فى ٢٩/٦/١٩٨٩ م .

- الأعمال والزيارات والمؤتمرات العلمية التي شارك فيها د. أحمد عمر هاشم :
 - عمل استاذاً بكلية الشريعة بمكة المكرمة في الفترة من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٠ م .
 - المؤتمر العلمي للسنة النبوية بالجزائر (ممثلاً للأزهر) .
 - المؤتمر العالمي للسنة والسيرة باسلام آباد (ممثلاً للأزهر) .
 - المؤتمر الطبى الإسلامى بكراتشى .
 - مؤتمر السنة والسيرة بالقاهرة - الأزهر الشريف
 - مؤتمر شئون الدعوة الإسلامية بالأزهر .
 - سافر رئيساً لبعثة الحج لجامعة الأزهر سنة ١٩٨٤ م .
 - سافر إلى ماليزيا عضواً في وفد جامعة الأزهر لتسلم جائزة (تون عبد الرازق) التي منحت للجامعة .
 - مثل الأزهر في مؤتمر الإمام مسلم بالرباط سنة ١٩٨٧ م .
 - سافر إلى الامارات العربية المتحدة (دبی) لعقد الاتفاقية الثقافية بين جامعة الأزهر وكلية الدراسات الإسلامية والعربية ووضع المناهج العلمية لها .
 - سافر إلى الكويت للمشاركة في الموسم الثقافى في شهر رمضان سنة ١٤٠٧ .
 - سافر إلى ألمانيا الاتحادية لحضور الندوة الخاصة بمناسبة العيد الألفى للأزهر الشريف .
 - سافر إلى السودان استاذاً زائراً لجامعة أم درمان الإسلامية .
 - سافر إلى فوبرتال بألمانيا الغربية بدعوة من المركز الاسلامى لحضور المؤتمر الذى اقامته المركز هناك حيث قدم بحثاً عن « الاسلام » وتحديات العصر » .
 - سافر إلى العراق عضواً في مؤتمر السلام الذى عقد في بغداد في الفترة من ١٠/١/١٩٨٩ إلى ١٥/١/١٩٨٩ .
 - سافر إلى جدة بالمملكة العربية السعودية ؛ لحضور الندوة الدينية التى اقامها النادى الثقافى وألقى محاضرة بعنوان « فقه الدعوة » سنة ١٩٨٨ .
 - أسهم بمحاضرات في الموسم الثقافى بالجزائر في شهر رمضان عام سنة ١٤٠٩ .
 - مثل جامعة الأزهر في مؤتمر رابطة الجامعات الاسلامية بقسنطينة بالجزائر وقدم بحثاً عن أساليب التعاون بين الجامعات الاسلامية سنة ١٩٨٩ .
 - شارك في ندوة السنة النبوية بالأردن سنة ١٩٨٩ .
 - عضو مجمع البحوث الإسلامية (هيئة كبار العلماء) .
 - عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية ممثلاً للأزهر الشريف .
 - عضو اتحاد كتّاب مصر .
 - عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
 - عضو مجلس الشعب .

مؤلفات أ. د. أحمد عمر هاشم

- ١- السنة النبوية وعلومها .
- ٢- قصص السنة .
- ٣- دعائم الاسلام .
- ٤- الاسلام وبناء الشخصية .
- ٥- منهج الاسلام في العقيدة والعبادة والاخلاق .
- ٦- الاخلاق في ضوء الكتاب والسنة .
- ٧- الإسلام والشباب .
- ٨- السنة النبوية في مواجهة التحديات .
- ٩- الإسلام وإقرار الأمن .
- ١٠- من هدى السنة في العبادات .
- ١١- من توجيهات الرسول ﷺ
- ١٢- قبس من الحديث النبوى .
- ١٣- في ظلال الهدى النبوى .
- ١٤- في رياض السيرة النبوية .
- ١٥- المنهج النبوى في تعليم المسلمين .
- ١٦- معالم على طريق السنة .
- ١٧- مناهج المحدثين .
- ١٨- قواعد أصول الحديث .
- ١٩- تدريب الراوى (تحقيق) (ج ١ ، ج ٢) .
- ٢٠- الكفاية في علم الراوية (تحقيق)
- ٢١- المسند للإمام أحمد بن حنبل (تحقيق) (ج ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) .
- ٢٢- المحدثون في مصر والأزهر .
- ٢٣- من توجيهات الشريعة الإسلامية .
- ٢٤- أضواء من هدى النبوة .
- ٢٥- شرح وتحقيق صحيح مسلم . (١ - ٥) خمسة أجزاء .
- ٢٦- منهج التشريع الإسلامى في بناء الفرد والأسرة والمجتمع .

- ٢٧- الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها .
- ٢٨- (فتح المبدى) (تحقيق) (ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ ، ج ٤) .
- ٢٩- نسمات إيمانية (ديوان شعر) .
- ٣٠- منهج الدفاع عن الحديث النبوى .
- ٣١- التصوف الإسلامى فى مواجهة الشبهات .
- ٣٢- التربية الإسلامية للصف الثالث الاعدادى .
- ٣٣- التربية الإسلامية للصف الأول الثانوى .
- ٣٤- التربية الإسلامية للصف الثانى الثانوى .
- ٣٥- التربية الإسلامية للصف الثالث الثانوى .
- ٣٦- الاسراء والمعراج .
- ٣٧- رمضان والصيام .
- ٣٨- فقه الدعوة .
- ٣٩- أزمة الخليج فى ميزان الاسلام .
- ٤٠- واجب الأمة الإسلامية .

خاتمة

لقد جاء هذا الكتاب بياناً لإبراز جهود أعلام المحدثين من علماء مصر والأزهر ، فقد نشر الأزهر الشريف السنة النبوية في أفاق العالم الإسلامى رواية وتأليفاً وشرحاً وتحقيقاً .

فأشرقت النهضة في ربوع العالم الإسلامى وجامعاته ومعاهده ومساجده وصحفه وإذاعاته ، فكان جديراً بالمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها أن يهنئ بعضنا بعضاً بجهود الأزهر الشريف ، الذى حفظ على المسلمين عزيمتهم بحراسته لدين الله ، للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولغة القرآن الكريم وآدابها ، وفقه الكتاب والسنة ، والعقيدة السليمة التى وقفت لصد تيارات الإلحاد الشيوعى والوجودى ، وغلو الغالين وتحريف المبطلين والمفرطين .

من أجل ذلك علم المسلمون في العالم أجمع على مر السنين والقرون مكانة الأزهر وتمكنت قداسته في نفوسهم حتى قالوا : المصحف الشريف ، والسنة الشريفة ، والكعبة الشريفة ، والأزهر الشريف ، وأطلق المسلمون على العلماء المجاورين لبيت الله الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً ، المجاورين وقالوا : جار الله الزمخشري ، وجار الله البخارى وغيرهما لمجاورتهم لبيت الله الحرام . كذلك أطلقوا على العلماء والطلاب الوافدين على الأزهر لتلقى العلم في رحابه بأنهم المجاورون . وفي الحرم المكى والأزهر يقول شوقي :

إن الذى جعل المعتيق مثابة جعل الكنائى المبارك كوثر

وعلم المسلمون بأن معنى البيت المعمور الذى ورد ذكره في القرآن الكريم ، أنه الذى في السماء موازياً ومقابلاً للكعبة المشرفة ، ويعمر بالملائكة ، فقالوا كذلك عن الأزهر ، الأزهر المعمور لأنه معمور بالعلم بعلمائه كواكب الرسالة ، ومعمور بطلابه علماء المستقبل من أرجاء الدنيا حملة رسالة الإسلام ، الذين يبلغون رسالات ربهم . وفي ذلك يقول أمير الشعراء :

يا فتية المعمور سار حديثكم ندا بأفواه الركاب وعنبرا
والأزهر الشريف الذى يلتقى العلماء في رحابه من أنحاء العالم قد فتح للمسلمين جميعاً منذ القدم أروقه باسم الأخوة الإسلامية .

بنيت حوله الأروقة لاستقبال طلاب العالم الإسلامي ، وقد سبق بهذه السنة الحسنه جامعات الدنيا ، فحوله رواق الأتراك ، ورواق الشوام - ورواق السودان ، ورواق الحجاز ، ورواق الهند ، ورواق المغاربة ، ورواق أفغانستان . . وهكذا . وتلاقت في رحابه أجناس المسلمين لافرق بين أبيض وأحمر إخوة متحابين ينهلون علم الإسلام من معهد الإسلام الأزهر الشريف ، وعادوا إلى بلادهم ينشرون نور دين الله في أرض الله حمل هذه الأمانة وتبليغ الرسالة إلى العالم الإسلامي . وفي هذا العهد المبارك نشطت رسالة الأزهر ، إذ تستقبل مراقبة البعث بمجمع البحوث طلاب أكثر من سبعين دولة ويزيد عددهم على ثلاثة عشر ألف طالب تسكنهم بمدينة البعث الإسلامية وترعاهم وتلحقهم بالمعاهد الأزهرية التي ضوعفت وكثرت في عهدنا المعاصر وكانت خيرا وبركة وتلحقهم بجامعة الأزهر وكلياتها المتعددة ، وبأقسام الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر التي كثر عدد كلياتها وتعددت روافدها في الأقاليم لتخرج الدعاة وعلماء الإسلام لمصر وللعالم الإسلامي .

وهذه السنة الإسلامية الحسنه التي نهج عليها الأزهر ، استجابة لقوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) وقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) .

وإن مجلس مجمع البحوث الإسلامية بأروقتة العلمية ولجانه المتخصصة قد دأب يواصل تقنين الشريعة الإسلامية على المذاهب الفقهية الأربعة ، واهتم الباحثون في كل مكان بهذا التقنين العلمى الإسلامى ، وطلبتة من المجمع الدوائر العلمية في أقطار العالم ليهتدوا به . ولجنة السنة بمجلس مجمع البحوث الإسلامية سائرة في تحقيق أكبر كتاب في عالم السنة وهو (جمع الجوامع) للسيوطى وهو من علماء الأزهر الذين أثروا المكتبة الإسلامية في علوم القرآن والسنة ووهبوا حياتهم للعلم . كما تحقق كتاب شرح السنة للبغوى وأصول وأمهات كتب السنة النبوية .

وقامت إدارة البحوث بالمجمع بطبع مصحف الأزهر الشريف والعناية به ، وأعد الأزهر مطبعة خاصة بالمصحف ليلبى حاجة العالم الإسلامى . كما تقوم إدارة البحوث بحراسة التراث والفكر الإسلامى .

ولجنة الفقه في مجلس المجمع تبين ما يهيم المسلمين في أمور دينهم وقضاياهم الاقتصادية والاجتماعية .

ولجنة التفسير تواصل تأليف كتاب التفسير الواسيط للقرآن الكريم ، ولجنة العقيدة تبين العقيدة السليمة وتتصدى لرد الشبهات دفاعا عن ديننا الحنيف .

ويشرع المجمع في إحياء تراث مخطوطات مكتبة الأزهر هى إحدى إدارات المجمع ، ويؤمها الباحثون من مصر والعالم الإسلامى ، فهى مرآة تعبر عن جهود علماء الأزهر على مر السنين ، وبها

أكثر من ثلاثين ألف مخطوط من عيون التراث الإسلامى ، فضلا عن المطبوعات الإسلامية التى تتميز بإقتنائها مكتبة الأزهر .

ويصدر المجمع سلسلة شهرية تعالج أهم القضايا الإسلامية ، كما يصدر مجلة الأزهر التى تنشر الثقافة الإسلامية الأصيلة . وإدارة البحوث بالمجمع ترسل علماء الأزهر إلى جامعات ومعاهد العالم الإسلامى والمراكز الثقافية فى أوروبا وأمريكا وغيرها . وفى هذا العلم أرسلت مايقرب من ستة آلاف عالم أزهري إلى أكثر من خمسين دولة . وينفق الأزهر على المبعوثين الذين يرسلهم على حسابه الخاص أربعة ملايين ونصف المليون من الجنيهات المصرية . وإدارة الوعظ تنشر تعاليم الإسلام فى الداخل والخارج .

وهذا الكتاب الذى قدمنا فيه بعض جهود المحدثين الأزهريين هو خطوة على الطريق لابرار أمجاد الإسلام وحضارته الإسلامية التى تركز على الأصلين الكريمين : الكتاب والسنة .

حفظ الله الأزهر الشريف وحفظ الله مصر وسائر بلاد المسلمين وحفظ الله رئيسها السيد محمد حسنى مبارك ووفقنا جميعا لخدمة الإسلام والسنة النبوية المطهرة وبالله التوفيق .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٣
مقدمة الطبعة الأولى	٥
افتتاحية بقلم فضيلة الإمام الأكبر ، جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر	٧
القرن الأول الهجرى	١١
تمهيد ، مصر فى القرآن والسنة	١٣
من أشهر الصحابة الذين نزلوا مصر	١٥
عبد الله بن عمر بن الخطاب	١٦
عبد الله بن عمرو بن العاص	٢٠
الصحابة الذى دخلوا مصر	٢٣
المحدثون فى مصر والأزهر	٣٧
المحدثون فى مصر والأزهر فى القرن الثانى	٣٨
الخليفة عمر بن عبد العزيز	٣٩
مصر والأزهر فى خدمة السنة وإضاءة العالم الإسلامى	٤٥
مناهج تدوين الحديث فى مصر وغيرها	٤٨
العلوم التى صاحبت تدوين السنة	٥٢
كتاب الضعفاء الصغير للإمام البخارى	٥٤
كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى	٥٤
كتاب التاريخ الصغير	٥٧
كتاب غريب الحديث لابن قتيبة	٥٨
العلل الكبير للإمام الترمذى	٥٩
علوم السنة	٦٢
أئمة القرن الثانى الهجرى	٦٨
مكحول أبو عبيد الله الفقيه	٦٨
نافع مولى ابن عمر	٦٨
يزيد بن أبى حبيب	٦٨

الموضوع	الصفحة
ابن لهيعة	٦٩
الليث بن سعد	٧٠
حياته ، كرمه	٧٩
وفاته رضى الله عنه	٨٤
الليث - محدثا وفقهيا	٨٦
نماذج من أحاديثه	١٠٢
الإمام الشافعى وعنايته بالسنة	١١٤
نماذج من أشعاره فى حسن الخلق	١٢٢
وصية الشافعى	١٢٥
المحدثون فى مصر والأزهر من القرن الثالث حتى آخر القرن العاشر	١٢٧
الإمام النسائى	١٢٩
ابن الحداد	١٣٣
حمزة بن محمد بن العباسى	١٣٤
الإمام عبد الغنى بن سعيد المصرى	١٣٦
الإمام الطحاوى	١٣٨
نماذج من كتاب شرح معانى الآثار للطحاوى رحمه الله	١٤٣
البويطى	١٥٢
الحارث بن مسكين	١٥٢
أبو الطاهر أحمد بن عمرو	١٥٣
محمد بن نصر المروزى	١٥٣
الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء	١٥٥
ابن دقيق العيد	١٥٧
الإمام السبكى	١٥٩
الإمام شهاب الدين البوصيرى	١٦١
نماذج من كتاب مصباح الزجاجة فى	١٦٦
زوائد ابن ماجه (كتاب اتباع السنه) باب فضل أصحاب النبى ﷺ	١٧٦
فضل أبى بكر رضى الله عنه	١٧٦
باب فضل عمر بن الخطاب	١٧٦
باب فضل عثمان بن عفان	١٧٧
باب فضل على بن أبى طالب رضى الله عنه	١٧٩
باب فضل العباس بن عبد المطلب	١٨١

الموضوع	الصفحة
باب فضل الحسن والحسين	١٨١
باب فضل عمار بن ياسر	١٨١
باب فضل جماعة من الصحابة رضى الله عنهم	١٨٣
باب فضل الأنصار	١٨٤
باب ذكر الخوارج	١٨٥
باب فيما أنكرت الجهمية	١٨٦
باب من سن سنة حسنة أو سيئة	١٨٨
باب فضل من علم القرآن وعلمه	١٨٩
باب فضل العلماء والحث على طلب العلم	١٩٠
باب من بلغ علما	١٩٣
الحافظ بن حجر العسقلاني	١٩٥
ابن حجر المحدث وخطيب الأزهر	١٩٦
كتاب تقريب التهذيب لابن حجر	١٩٩
كتاب فتح الباري	٢٠٢
نماذج من كتابه تبصير المنتبه لتحرير المشتبه	٢٠٤
ابن حجر المدافع عن السنة	٢٠٧
الإمام العيني	٢١٧
الإمام السيوطي	٢١٩
في الأمر بلزوم السنة والجماعة	٢٥٢
فضل في ذم البدع والأهواء	٢٥٦
فضل في تمييز السنة من البدعة	٢٦٣
فصل وقد جرت محدثات	٢٦٤
الإمام القسطلاني	٢٦٦
الإمام الشعراني الأزهرى المحدث	٢٦٧
علم المحدثين وعمده النقاد	٢٧٧
الحافظ شرف الدين الدمياطي	
المحدثون المصريون من القرن الحادى عشر حتى القرن الرابع عشر الهجرى	٢٨٣
علامة مصر الإمام عبد الرؤوف المناوى	٢٨٥
الإمام عبد الشراقوى	٢٨٦
الشيخ أحمد شاكر	٣٠٦

الموضوع	الصفحة
الشيخ محمد بن أبى شهبه	٣٠٩
الشيخ محمد أبوزهو	٣١١
الشيخ عبد الوهاب بحيرى	٣١٢
الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا	٣١٢
الشيخ عبد الغنى عبد الخالق	٣٣٥
الشيخ محمد السباحى	٣٤١
الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف	٣٤٦
الشيخ حسنين محمد مخلوف	٣٤٩
الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي	٣٥٢
الشيخ محمد نجيب المطيعى	٣٥٨
الشيخ زكى إبراهيم	٣٦٢
الشيخ محمد حافظ التيجانى	٣٧٤
مقارء الحديث	٣٧٤
مقارء الحديث النبوى فى مصر	٣٧٥
ترجمة المؤلفين	٣٨٣
المحدث الشيخ الحسينى هاشم	٣٨٥
المحدث الدكتور أحمد عمر هاشم	٣٩٦

رقم الإيداع ٩٣/٢٠٢٦

I. S. B. N 977 - 215 - 094 - 8

دار غريب للطباعة

١٢ شارع نوبار (لاطوغلى) القاهرة

ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

يشتمل على جهود المحدثين من علماء الإسلام فى مصر والأزهر الشريف ، وكيف نشروا السنة النبوية فى آفاق العالم الإسلامى روايةً وتالياً وشرحاً وتحقيقاً . وفى هذا الكتاب تراجع للمحدثين منذ الفتح الإسلامى وإلى عصرنا الحاضر وإبراز لمناهجهم فى مؤلفاتهم ويوضح الكتاب الصحابة الذين نزلوا مصر وكان لهم أكبر الأثر فى تخريج جيل من بعدهم من التابعين ثم أتباع التابعين وهكذا ... حيث تسلسلت الروايات عنهم ، وروى التابعون عنهم ، كما روى أتباع التابعين عن التابعين . وهكذا عبر الأجيال والقرون - مما كان له أكبر الأثر فى اضاءة الحياة الإسلامية فى مصر بنور العلم والحديث منذ الفتح الإسلامى إلى أن قام الأزهر الشريف بعلمائه الأعلام بنشر عبير الإسلام بمن يرسلهم إلى بلاد العالم الإسلامى ، ومن يستقبلهم من طلاب العلم والمعرفة والكتاب موسوعة جديدة فى عالم الدراسات الإسلامية ويكشف النقاب عن أهم المصادر والمراجع الإسلامية المعتمدة، التى تمثل أشرف تراث فى الوجود .

مقدمة الخليفة أحمد بن محمد

دار غريب للطباعة

١٢ شارع بوبار (لاطوعلى) القاهرة

ص ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩